

المكتبة الأهلية. بمصر

بلوغ الأرب في

معرفة أحوال العرب

تأليف

السيد محمود شكري الألوسي

البغدادى

عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه

محمد بهجة الأثرى

وحقوق إعادة الطبع محفوظة له

الطبعة الثانية

الجزء الثانى — من ثلاثة أجزاء

المطبعة الرحمانية — بمصر

١٣٤٣ — ١٩٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

على عوائد العرب في الازدواج والتناكح أيام الجاهلية

النكاح في الجاهلية على أنحاء (١) : فنكاح منها نكاح الناس اليوم إلى الرجل وليته أو (٢) ابنته فيصدقها (٣) أي يعين صداقها ويسمى بمقد عليها ، وكانوا يخطبون المرأة إلى أبيها أو أخيها أو عمها أو بعض وكان الخاطب يقول إذا أتاهم : أنعموا صباحاً (٤) . ثم يقول : نحن ونظراؤكم فان زوجتمونا فقد أصبنا رغبة وأصبتُمونا وكنا نصهركم وان رددتمونا لعله نعرفها رجعنا عاذرين . فان كان قريب القرابه من لها أبوها أو أخوها إذا حملت إليه : أيسرت وأذكرت ولا أنثت جعل عدداً وعزاً وخلقاً . احسنى خلقك ، واكرمي زوجك ، وليكن طيبك وإذا زوجت في غربة قال لها : لا أيسرت ، ولا أذكرت ، فانك تدينين ، أو تلدين الأعداء . احسنى خلقك ، وتحبي إلى أجمالك ، فان لهم عيناً ليك ، وأذناً سامعة اليك ، وليكن طيبك الماء . وكانت قريش وكثير من رب على هذا المذهب في النكاح ، فان الله تعالى استخص رسوله من التناكح ، وجماه من دنس الفواحش ، ونقله من أصلاب طاهرة ، إلى

جمع نحو أي ضرب وزناً ومعنى ، ويطاق النحو أيضاً على الجهة والنوع وعلى العلم في اصطلاحاً (٢) أو هنا للتبويح لا للشك (٣) قوله يصدقها بضم أوله والصداق بفتح كسرهما مأخوذ من الصدق لاشعاره بصدق رغبة الزوج في الزوجة وفيه سبع لغات ، وله أسماء يجمعها قوله :

صداق ومهر نحلة وفريضة حياء وأجر ثم عقر علائق

راجع باب سحجة ملوك العرب في الجاهلية في هذا الجزء

أرحام طاهرة ، واستخلصه من أكرم العناصر ، وأمدته بأوكد
حفظاً لنسبه من قبح ، ولنصبه من جرح ، لتكون النفوس له أود
أصغى ، فيكون الناس الى اجابته أسرع ، ولأوامره أطوع ، ومنه
(نكاح آخر) كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من
حيضها - أرسلى الى فلان فاستبضعى منه - أى اطلقى منه البياض
منه ، والمباضعة : المجامعة مشتقة من البضع وهو الفرج . ويعتزلها
يمسها أبدأ حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه
أصابها زوجها اذا أحب ، وانما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد أو
ماء الفحل ، لأنهم كانوا يطلبون ذلك من أكابرهم ورؤسائهم فى الش
أو غير ذلك ، وكان السرفى كون ذلك بعيد الطهر أن يسرع علوقه
هذا النكاح نكاح الاستبضاع . ومنها :

(نكاح آخر) يجتمع الرهط مادون العشرة فيدخلون على
يُصيدها أى يطؤها وذلك انما يكون عن رضى منها وتواطؤ بينهم وان
حملت ووضعت ومرّ ليال بعد أن تضع حملها أرسلت اليهم فلم يستطع
أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرقم الذى كان من أمركم
فهو ابنك يا فلان تسمى من أحببت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أ
الرجل . قيل : هذا إن كان ذكراً ، والا فلا تفعل ذلك لما عرف من
فى البنت وقد كان منهم من يقتل بنته التى يتحقق انها بنت فضلاء
الصفة . ومنها :

(نكاح) يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من ج
البغايا كنّ ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل على
حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة (٢) ثم الحقوا بهن

(١) جمع آصرة وهى الرحم والقراية والمثة (٢) جمع قائف يقاف ثم فاء وهو الذى
الولد بالوالد بالآثار الحفية

به (١) ودعى ابنه -

المثالب (أسامى صواحبات الرايات في

مشهورات . منهن امرأة يقال لها أم مهز

الصحابة أن يتزوجها فنزل النهي عن ذ

زان أو مشرك» (٢) . ومنها

كاح الخدن) وهو المشار اليه بقوله تعالى «محصنات غير مسافحات

لذن، أخدان» (٣) كانوا يقولون ما استتر فلا بأس به وما ظهر فهو

بفتح المتعقب) وهو تزويج المرأة الى أجل فاذا انقضى وقعت الفرقة . ومنها:

وواح البدل (٤) وهو أن يقول الرجل للرجل . انزل لي عن امرأتك

عن امرأتى . ومنها :

نكاح الشغار) وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته

تتبعها صداق وغير البنات من الاخوات وبنات الأخ وغيرهن كالبنات

بن ، فذكر البنت في تفسير الشغار مثال

في رواية الكشميني فالتاط بغير مثناه أى استلحقته به ، وأصل اللوط بفتح اللام اللصوق

قلت : ومنهن أيضاً عناق وكانت صديفة مرثد في الجاهلية وكان رجلاً شديداً وكان يقال له

وبعد أن أسلم لقي صديفته فدعته الى نفسها فقال ان الله قد حرم الزنا ، وسريفة جارية

بن الاسود ، وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن

بن وأم عليط جارية صفوان بن أمية ، وحنة القبطية جارية العاصي بن وائل ، ومربية جارية

بن عميلة بن السباق بن عبد الدار ، وحلالة جارية سهيل بن عمرو ، وأم سويد جارية عمرو

بن الحزومي ، وقريباً جارية هلال بن أنس بن جابر بن عمر بن غالب بن فهر

بن وهؤلاء البغايا لسن من قريش ولا من صميم العرب بل هن من الاماء السواقط يدل عليه

الحد : (ولا تكبروا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) لان

في عرف القرآن لا تطلق الا على الاماء ، يدل عليه قوله تعالى : (ومن لم يستطع منكم

لا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أبائكم من فتياتكم المؤمنات) ولو وجد بغي

لجرائر العرب لما خص النهي عن البغاء بالاماء فتخصيص النهي بالاماء يدل على ان البغاء لم يكن

لجرائر العرب وان انفة العرب عن بغاء الجرائر قد أغنى عن نزول النهي عنه ، والتفصيل

أوردنا على كتاب المثالب لابن الكاكي الزنيم (٣) أى أصدقاء وأحدهم خدن (٤) أخرجه

أرقطى من حديث أبي هريرة ولكن اسناده ضعيف جداً كما ذكر الحافظ المسقلاني في الفتح

من الزواج

البعداء ، وتتألف الأعداء ، بالمصاه

العدو موالياً ، وقد يصير للصهر بين الأ

العبيدين رسر بن العشيرتين ، وإنما كانت سنياً من أسباط
استحدثت مواصلة وتمارنج مناسبة صدرا عن رغبة وإختيار ، انع
وايثار ، فاجتمع فيها أسباب الألفة ~~وتزواج~~ المصاهرة . حكى عن خالد

(١) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن ~~عرب~~ بن أمية بن عبد شمس بن
كان من رجالات قريش سخاء وعارضة ونصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب
بذلك صهره وأسقط نفسه ، وأم خالد بن يزيد أم هاشم بنت هاشم بن ~~سب~~ بن

ابن عبد مناف

ولما قتل ابن الزبير حج خالد بن يزيد بن معاوية فخطب رملة بنت الزبير بن العوا
الحجاج حاجبه عبيد الله بن موهب وقال له : ما كنت أراك تخطب الى آل الزبير .
وكيف خطبت الى قوم ليسوا لك بأ كفاء وكذلك قال جدك معاوية وهم الذين قار
الخلافة ورموه بكل قبيلة وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة ، فنظر اليه خالد طويلاً
لولا انك رسول والرسول لا يعاقب لقطعك ارباً ارباً ثم طرحك على باب صاحب
ما كنت أرى ان الامور بلغت بك الى أن أشارك في خطبة النساء ، وأما قولك لي
وشهدوا عليه بكل قبيلة ، فانها قريش يفارح بعضها بعضاً ، فاذا أقر الله عز وجل
كان تقاطعهم وتراحيمهم على قدر أحلامهم وفضلهم ، وأما قولك : انهم ليسوا بكفاء
يا حجاج ما أقل علمك بأنساب قريش أبكون العوام كفواً لعبد المطلب بن هاشم
ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد ولا تراهم أهلاً لابن
الحاجب اليه وأعلمه ، وقال عمرو بن شبة في خبره : قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها

أليس يزيد السير في كل ليلة	وفي كل يوم من أحببتنا قريبا
أحن الى بنت الزبير وقد علت	بنا العيس خرقاً من شهامة أمة
اذا نزلت أرضاً تحبب أهلها	الينا وان كانت منازلها حرم
وان نزلت ماء وان كان قبلها	مليحاً وحدنا ماء بارداً عذب
تجول خلاخيل النساء ولا أرى	رمة خاخالاً يجول ولا قلب
أقلوا على اللوم فيها فاني	تخيرتها منهم زبيرة قلبا
أحب بني العوام طراً لحبا	ومن حبا أحببت أخوالها كدا

قال أبو زيد وزادوا في الايات :

فان تسلمي نسلم وان تنصرى
فقال له عبد الملك تنصرت يا خالد قال وما ذلك؟ فأشده هذا البيت فقال له خالد :
من نحلني لعنة الله (راجع الاغانى ج ١٦ ص ٨٤ الخ)

ان أبغض خلق الله عز وجل الى آل الزبير حتى تزوجت منهم (رملة)
بن خلق الله عز وجل الى . وفيها يقول :
بنى العوام طراً لأجلها ومن أجلها أحببت أحوالها كلها
سلي نُسليم وان تنصرى يحط رجال بين أعينهم صلبا
ك قيل : المرء على دين زوجته لما يستنزه الميل إليها من المتابعة ويجتنبه
من الموافقة ، فلا يجد الى المخالفة مبيلا ، ولا الى المباينة والمشاقة طريقا .
كاح من حصول الالفة اكثرت العرب من النساء ، وكان عند النبي
الى عليه وسلم تسع نساء . والذي تحصل من كلام أهل العلم في الحكمة
استكثاره من النساء عشرة أوجه . أحدها : أن يكثر من يشاهد أحواله
فينتفي عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك . ثانيها :
به قبائل العرب بمصاهرته فيهم ، ثالثها : للزيادة في تألفهم لذلك .
للزيادة في التكليف حيث كلف أن لا يشغله ما حجب إليه منهم عن
في التبليغ . خامسها : لتكثير عشيرته من جهة نساءه فتزاد أعوانه على من
سادسها : نقل الاحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال لان أكثر
مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله . سابعها : الاطلاع على محاسن أخلاقه
نة فقد تزوج أم حبيبة وأبوها إذ ذاك يعاديه ، وصفية بعد قتل أبيها وعمها
ما فلو لم يكن أكل الخلق في خلقه لنفرن منه بل الذي وقع انه كان أحب
الجميع أهلين . ثامنها : لاظهار المعجزة البالغة في خرق العادة في كثرة
مع التقليل من الماء كول والمشروب ، وكثرة الصيام والوصال ، وقد أمر
يقدر على مؤن النكاح بالصوم ، وأشار الى أن كثرتة تكسر شهونه ،
قت هذه العادة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم . تاسعها . للدلالة على
بشريته ، والعرب كانت تمدح بكثرة النكاح لدلائله على الرجولية .
رها : ان ذلك زاده عبادة لتحصينهن وقيامه بحقهن ، واكتسابه

لهن وهدايته لهن ، ولم ينصف من تقديري في هذا الأمر فإنه لم يكن بدعاً^(١) من الرسل في ذلك فإن الزوج لا ينافي النبوة وأن الجمع بينهما قد وقع في رسل كثيرة قبله . ذكر أنه كان لسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة مهرية وسبعمائة سرية وأنه كان لداود عليه السلام مائة امرأة .

ومن مقاصدهم في الزواج

القيام بما يتولاه النساء من تدبير المنازل فهذا وإن كان مختصاً بمعاونة النساء فليس بالزم حالي الزوجات لأنه قد يجوز أن يعانیه غيرهن من النساء ، ولذلك قيل : المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة^(٢) . وليس في هذا القصد تأثير في ولا قدح في مروءة ، والاحمد في مثل هذا التماس ذوى الاسنان والحنكة قد خبرن تدبير المنزل وعرفن عادات الرجال فانهن أقوم بهذه الحال ، ويكون المقصود به الاستمتاع وهذه الحال مذمومة لأنه ينقاد فيه لأخلاقه البهي ويتابع شهوته الذميمة ، وقد قال الحارث بن النضر الأزدي : شر النكاح نكاح الغلظة إلا أن يفعل ذلك لكسر الشهوة وقهرها بالاضعاف لها عند الغلبة أو تساقط النفس عند المنازعة حتى لا تطمح له عين لريبة ، ولا تنازعه نفس إلى فجور ، ويلحقه في ذلك ذم ، ولا يناله وضم^(٣) ، وهو بالحمد أجدر ، وبالثناء أحق . وتزهد في مثل هذه الحال عن استبدال الحرائر إلى الإماء كان أكمل لمروءته وأبلغ في صيافته . وهذه الحال تقف على شهوات النفوس لا يمكن أن فيها أولى الأمور ، وهي أخطر الأحوال بالمنكوحه لأن للشهوات غايات يزول بزوالها ما كان متعلقاً بها ، فتصير الشهوة في الابتداء ، كراهية في ذلك ولذلك كرهت العرب في الجاهلية البنات ، ووأدنه^(٤) اشفاقاً عليهن وحباً

(١) يقال فلان بدع في هذا الأمر : أي هو أول من فعله ، وفي التنزيل « قل ما كنت بدءاً من الرسل » أي ما أنا أول من جاء بالوحي من عند الله ، وتشريع الشرائع بل أرسل تعالى الرسل قبلي مبشرين ومنذرين فأنا على هدايتهم (٢) القهرمانة : باغية الفرس القائمة بالرجل (٣) الوصم : العار (٤) وأد بنته يشدها : دقها حية

لهن من أن يتنذهن اللثام بهذه الحال . وكان من تحوَّب^(١) من قتل البنات لركة
ومحبة كان موثهن أحب إليه ، وآثر^(٢) عنده . ولما خطب الى عقيل بن علقمة
ابنته الحرباء قال : إني وان سيق الى المهر ألف وعُبدان وذوود^(٣) عشر أحب
اصهارى الى القبر . وقال عبد الله بن طاهر

لكل أبى بنت يراعى شؤونها ثلاثة أصهار اذا تحمد الصهر^(٤)
فبعل يراعيها وخدر يكتننها وقبر يوارىها وأفضلها القبر^(٥)

ومن مقاصدهم

التناسل والتوالد فقد كانت العرب ترغب فى النكاح لطلب الولد وتقول
لا يلد لاولد . ولذلك كانوا يلتمسون الحدائث والبيكار لأنها أنخص بالولادة
وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : عليكم بالابكار فانهن أعذب
أفواهاً وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير ومعنى قوله « انتق أرحاماً » أى أكثر
أولاداً . وقال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : عليكم بالابكار فانهن أكثر
حياً وأقل خناً . وهذه الحال هى أولى الاحوال ، لان النكاح موضوع لها والشرع
وارد بها ، وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : سوداء ولود
من حسناء عاقر . وقد كان العرب يختارون لمثل هذه الحال انكاح البعداء
والسائب ويرون أن ذلك أنجب للولد وأبهى للخلة ويجتنبون انكاح الأهل

(١) التحوَّب : التأم من الشيء . (٢) أى أفضل (٣) عبداً جمع عبد وهو المملوك ،
والذوود : من الابل ما بين الثلاث الى العشر ، والذوود مؤنثة لانهم قالوا ليس فى أقل من
ثلاث ذوود صدقة والجمع أذواد مثل ثوب وأثواب (٤) الاصهار جمع صهر ، قال الخليل :
أهل بيت المرأة ، قال : ومن العرب من يجعل الاحماء والاختان جميعاً أصهاراً ، وقال
الزهري : الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوى المحارم وذوات المحارم كلابوين والاخوة
والاولادهم والاعمام والاخوال والحالات فهؤلاء أصهار زوج المرأة ومن كان من قبل الزوج
من ذوى قرابته المحارم فهم أصهار المرأة أيضاً ، وصاهرت اليهم اذا تزوجت منهم
(٥) البعل : الزوج ، والخدر : الستر ويطلق على البيت ان كان فيه امرأة والا فلا ، ويكنها
بضم الياء يسترها ، وداراه مواراة : ستره

والاقارب ويروونه مضرًا بخلق الولد بعيداً من نجابته . ويقولون ان ولد الغيري لا ينجب وأن أنجب النساء الفروك^(١) لان الرجل يغلبها على الشبه لزهدها في الرجال ، ويزعمون أن تقارب الانساب مدح في الابل لانه انما يكون في الكرايم يحمل بعضها على بعض حفظاً لنوعها وهو ذم للناس لانه فيهم سبب للضعف . وفي الحديث : اغتربوا لا تُضُوروا . أى ان تزوج القرائب يوقع الضوى في الولد والضوى بالضاد المعجمة بوزن الهوى مصدر ضوى بالكسر يضوى بالفتح بمعنى الضمف والهزال ، ولذلك يمدحون بضد ذلك كقول راجز :

إنّ بلالاً لم تشنه أمه لم يتناسب خاله وعمه

وقول شاعر

قى لم تله بنت عم قريبة فيضوى وقد يضوى رذيل الاقارب
وقال آخر

تجاوزت بنت العم وهي حبيبة مخافة أن يضوى على سليلي
ومن هذا القبيل ما يحكى عن العرب أيضاً أن التهجين مدح في الابل وذم في الادميين لان معناه في الابل كرم الابوين ، وفي الادميين أن يكون الأب عربياً والأم أمة ، يقال منه رجل هجين وان كان الامر بالعكس قيل : ~~رجل~~ مقرّف وفلنتس بوزن سفرجل أوله فاء ورابعه قاف ، قال الراجز :

العبد والهجين والفلنتس ثلاثة فايهم تلتمس

وقال الشاعر

كم بجود مقرّف نال الغنى وكريم بخله قد وضعه
وقالوا : ان الرجل اذا أكره المرأة وهي مذعورة ثم اذكرت انجبت

(١) هي التي تبغض الرجل ، قال القطامي :

لها روضة في القلب لم يرع مثلها فروك ولا المستعبرات الصلائف

قال أبو كبير الهذلي

ولقد سرّيتُ على الظلامِ بمغشمٍ جَلِدٍ من الفتيانِ غيرِ مُثَقَّلٍ (١)
 من حَمَلَنَ بهِ وهنَّ عواقِدُهُ حُبِكَ النِّطاقِ فَنَسِبَ غيرَ مَهْبِلٍ (٢)
 حَمَلْتُ بهِ في ليلَةٍ مزوْدَةٍ كُرْهاً وَعَقْدُ نِطاقِها لَمْ يُحَلَّلِ (٣)
 فانتِ بهِ حُوشَ الفِؤادِ مُبَطَّنًا سَهْدًا إذا ما نامَ ليلُ الهِوَجَلِ (٤)
 ومبرِّئٌ من كلِّ غَيْرِ حِيضَةٍ وفسادِ مُرْضِعَةٍ وِداءِ مُغْيَلِ (٥)
 وإذا نَبَذْتَ له الحِصاةَ رَأَيْتَهُ يَنْزُو لوقعتها طُمُورَ الأَخْيَلِ (٦)
 وإذا يَهَبُ من المنامِ رَأَيْتَهُ كَرْتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمَلِ (٧)
 ما انْ يَمَسُّ الأَرْضَ الا مَنكِبُهُ منه وحرْفُ السَّاقِ طَى الحَمَلِ (٨)
 وإذا رميتَ بهِ الفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يهوى مَخارِمَها هَوَى الأَجْدَلِ (٩)
 وإذا نظرتَ الى أُسْرَةٍ وَجْهِهِ بَرَقَتْ كَبْرَقِ العارِضِ المَهْلِلِ (١٠)

(١) يقال سرّيت بمعنى سرت ، وعلى الظلام أى فى الظلام ؛ والمغشم : من يرتكب الامور على غير نظر فيها ، والمثقل : الثقيل على النفوس (٢) الحبك : الطرائق ، والنطاق من ملابس النساء ، والمهبل : المدعو عليه بالهبل بفتح الباء وهو ان تفقده أمه (٣) الزود : الفزع ونسبه الى اليلة لوقوعه فيها ، وأظهر التضعيف فى لم يحلل وهو فى لغة تميم ووجه الكلام لم يحل (٤) حوش الفؤاد : أى ذكى الفؤاد ، والبطن الحميم البطن ، والسهد : من السهاد وهو السهر ، والهوجل : الثقيل الكسلان ، وقيل الاحق لا مسكة به ، وجعل الفحل لليل لانه يقع به (٥) قوله غير حياضة أى بقايا حياضة ، والمغيل من الفيلة بكسر الغين وهو أن يرضع المرأة وهي ترضع (٦) قوله ينزو : أى يثب ، والطمور : الوثوب من علو الى أسفل ، والأخيل : طائر قيل هو الشاهين (٧) الهبوب : الانتباه من النوم ، ورأيت أى رأيت ثوبه فحذف المضاف والرتوب القيام والانتصاب ، والزمل : الضعيف (٨) ان زيفه لتوكيد معنى ، وطى الحمل انتصب على المصدر دل عليه ما قبله لانه لما قال يمس الارض منه اذا نام جانبه حرك حرف الساق علم انه مطوى غير سمين ، والمعنى انه اذا نام لا ينسبط على الارض ولا يتمكن منها بأعضائه كلها حتى لا يكاد يتشمر عند الانتباه بسرعة ، والحمل : جملة السيف (٩) الفججاج جمع فج وهو الطريق الواسع فى جبل أو غيره ، والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل ، الأجدل : الصقر وهذا الكلام كناية عن كونه صاحب هم اذا نيطت به الصعاب ذلها (١٠) أسرة وجهه أى خطوط جبهته ، والعارض من السحاب ما يعرض فى جانب السماء ، والمتهلل المتلألئ بالبرق ، وروى فى الحماسة بعد هذا بيتاً وهو :

صعب الكريهة لا يرام جنبه ماضى العزيمة كالحسام المقصل
 الكريهة اسم للحرب والجناب الفناء والحسام السيف والمقصل القطاع

يحمى الصحابَ اذا تكون كريهةً^١ واذا هم نزلوا فأوى العيل^(١)
وقد ذكر التبريزي قصة هذه الابيات وتفسير الفاظها في شرح الحماسة^(٢)
ومقصود الهدلي وصف ريبه تأبط شراً بأنه جمع جميع أوصاف الرجال المحموده
ومعنى قوله ممن حملن به الخ انه من الفتيان الذين حملتهم أمههم وهن غير مستعدات
للفراش فنشأ محموداً مرضياً لم يدع عليه بالهبل والشكل . وحكى عن بعضهم : إذا
أردت أن تنجب المرأة فاغضبها عند الجماع ، ولذلك يقال في ولد المدعورة
أنه لا يطاق .

قال الشاعر

تسمنها غصبي فجاء مسهداً وأنفع أولاد الرجال المسهد

وقال المبرد في الكامل : يقال أنجب الأولاد ولد الفارك وذلك لأنها تبغض
زوجها فيسبقها بمائه فيخرج الشبه اليه فيخرج الولد ذكراً . وقال بعض الحكماء
من العرب : إذا أردت أن تنجب المرأة فاغضبها ، ثم قع عليها فانك تسبقها بالماء
وكذلك ولد الفزعة كما قال أبو كبير : وأنشد البيتين ، والنطاق بكسر النون
شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة والاسفل
ينجر الى الأرض . ومعنى قوله : حملت به في ليلة مزودة ؛ أى في ليلة ذات زؤد
وهو الفزع المستوجب لهدم ميل النساء للجماع لانكسار سورة شهوتهن اذ

(١) الصحاب الاصحاب ، والميل جمع طائل وهو الفقير ههنا يصفه بأنه شجاع كريم (٢) أقول
أما شرحها فقد كتبناه لك بعبارة موجزة سهلة ، وأما قصتها فهي : ان الهدلي تزوج أم تأبط شراً
وكان صغيراً فلما رأى أبا كبير يكثر الدخول على أمه تنكر له وعرف ذلك أبو كبير في وجهه فقال
أبو كبير لأمه ويحك قد والله رابى أمر هذا الغلام ولا آمنه فلا أقربك ، قالت فاحتل عليه
حتى تقتله ، فقال له ذات يوم هل لك أن تنزو ؟ فقال : ذاك من أمرى ، فخرج ليلا حتى إذا
أدركها مساء اليوم الثانى أبصرا ناراً يعرف أبو كبير أنها نار أعداء لتأبط شراً فوجه البها
فرأى عليها رجلين من الص العرب فوثبا اليه يريدان قتله فلما كان أحدهما أقرب اليه من الآخر
عطف عليه فقتله ورجع الى الآخر فرماه أيضاً فقتله ثم جاء الى نارها فأخذ الخبز وجاء الى أبي كبير
فأخ عليه حتى أخبره بالخبير فنخاف أبو كبير منه فلما رجعا قال : ان أم هذا الغلام لا أقربها أبداً وقال
هذه الايات

فلا يكون لمن في الولد حظ كامل ، ويكون كمال الشهوة لا يبيد ، فيكتسب بذلك اتمام خصال الرجولية . وفائدة ذكر الليلة أن تكون بدأت بحمله ليلا وهو أنجب له وصاحبه يوصف بالشجاعة وقد دعاهم ذلك الى أن وصلوا أنسابهم بالليل تحقّقاً به . قال :

أنا ابنُ عمِّ الليلِ وابنُ خاله إذا دجا دخلتُ في سرباله

* لست كمن يفرِّقُ من خياله (١) *

فتبين أن العرب كانت غاية مقاصدهم ومرمى نظرهم من الزواج التناسل والاولاد لا قضاء الشهوة الحيوانية ولذلك تتبعوا الاسباب الباعثة على نجابة ذراريرهم ما يستحسن من المرأة لدى العرب خلقاً وخلقاً

اعلم ان العرب كانوا يكرهون الجمال البارع اما لما يحدث عنه من شدة الادلال وقد قالوا : من بسطه الادلال ، قبضه الادلال ، واما لما يخاف من محنة الرغبة وبلوى المنازعة . وقد حكى : ان رجلا شاور حكيماً في التزوج فقال له : افعل واياك الجمال البارع فانه مرعى أنيق فقال الرجل وكيف ذلك ؟ قال : كما قال الاول :

ولن تصادفَ مرعى مُمرعاً أبداً الا وجدتَ به آثارَ منتجع (٢)

واما لما يخافه اللبيب من شدة الصبوة ويتوقاه الحازم من سوء عواقب الفتنة وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه امرأة تقول :

ان النساء رياحين مُخْلِقْنَ لَكُمْ وكلِّم يَشْتَهَى شَمَ الرِّياحِينِ
فقال رضى الله تعالى عنه :

ان النساء شياطين مُخْلِقْنَ لَنَا نعوذ بالله من شر الشياطين
وان كان العقد رغبة في الجمال فذلك أدوم للالفة من المال لان الجمال صفة

(١) دجا الليل : أظلم ، والسربال في الاصل ما يلبس من قيص أو درع ، وفرق كفرح يفرق فزع (٢) المرعى : الحصب ، والمنتجع : المنزل في طلب الكلاء

لازمة والمال صفة زائلة . ولذلك قيل : حسن الصورة أولى السعادة . وفي الحديث :
 أعظم النساء بركةً أحسنهن وجهاً وأقلهن مهراً ، فإن سلمت الحال من الأدلال ،
 المفضي الى الملل ، استدامت الألفة ، واستحكمت الوصلة « أما محاسن خلقها »
 فإن تكون شابة حسنة الخلق جميلة الوجه حسنة المعرى والقد ، لينة القصب لم
 يركب بعض لحمها بعضاً لطيفة البطن ، لطيفة الكشجين^(١) . لطيفة الخصر^(٢)
 مع امتداد القامة طويلة العنق . في اعتدال وحسن ، عظيمة الوركين والعجيزة
 ممتلئة الذراعين والساقين . رقيقة الجلد . ناعمة البشرة . كأن الماء يجري في وجهها
 طيبة الريح . طيبة الفم . طيبة ريح الأنف . طيبة الخلوة . لعوباً ضحوكاً . تامة
 الشعر . لم يكن لمرقها حجم

« وأما محاسن أخلاقها » فإن تكون محبةً منخفضة الصوت محبةً لزوجها
 متحبةً اليه نفوراً من الريبة تجتنب الأقدار عاملة اليدين خفيقتها في العمل
 ولوداً ، « وعن أبي دريد » قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال وصف اعرابي
 نساء فقال : يلتشمن على السبائك^(٣) ويتشحن على النيازك^(٤) ، ويأتزرن على
 العوانك^(٥) ، ويرتفعن على الارائك^(٦) ، ويتهادين على الدرانك^(٧) ، ابتسامهن
 وميض^(٨) ، عن وليع كالأعريض^(٩) ، وهن الى الصبا صور^(١٠) ، وعن الخنا
 نور^(١١) « وعن أبي دريد » أيضاً بسنده الى أبي عمرو بن العلاء قال : كان لرجل
 من مقال^(١٢) حمير ابنان يقال لاحدهما عمرو وللآخر ربيعة وكانا قد برعا في العلم

(١) الكشع : كفلس ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف (٢) الخصر من الانسان وسطه
 وهو المستدق فوق الوركين (٣) اللثام على الفم واللغام على طرف الانف يقال تلثمت المرأة
 وتلثمت المرأة ، والسبائك ههنا الاسنان شبيها لبياضها بالسبائك (٤) يتشحن : يتقلدن ،
 والنيازك واحد نيزك وهو الرمح القصير (٥) واحدها تانك وهو رمل منعقد يشقى فيه
 البعير لا يقدر على السير فيقال حينئذ قد اعتنك (٦) السرر واحدها أريكة ، وقال قوم
 الفرش (٧) واحدها درنوك وهو الطنفسة ، ويتهادين : يمشين مشياً ضعيفاً ، قال الاعشى
 تهادى كما قد رأيت البهيرا

(٨) اللعان الخني (٩) الاغريض والوليع : الطلع (١٠) أي موائل ومنه قيل للمائل
 العنق أصور والصبا جهلة الفتوة (١١) أي نفر من الريبة واحدها نوار ، والخرنا : الفحش
 (١٢) جمع مقول بكسر الميم وهو الرئيس دون الملك

والإدب ، ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفى على الفناء ، دعاها ليلوا عقولها
ويعرف مبلغ علمها فلما أتياه سألهما عن أشياء فأحسنا في الجواب عنها . وعلنا
نورد كل سؤال مع جوابه فيما يناسبه من مباحث الكتاب ومطالبه . وقد سألهما
عن حال النساء فقال : أخبرني يا عمرو أي النساء أحب إليك ، قال الهريرة كولة^(١)
اللفاء^(٢) ، المكورة الجيداء^(٣) ، التي يشفى السقيم كلامها ، ويبري الوصب^(٤)
المأمها ، التي ان احسنت اليها شكرت ، وإن اسأت اليها صبرت ، وان استعبتتها
أعتبت ، الفاترة الطرف ، الطفلة الكف^(٥) ، العميمة الردف^(٦) . قال :
ما تقول ياربعة ؟ قال : نعت فأحسن وغيرها أحب الي منها . قال : ومن هي ؟
قال : الفتانة العينين ، الأميلة الخدين^(٧) ، الكاعب الثديين^(٨) الرداح
الوركين^(٩) ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرخيمة الكلام^(١٠) ، الجماء
العظام^(١١) ، الكريمة الاخوال والاعمام ، العذبة اللثام^(١٢) . وقال رجل من العرب
لآخر وقد أراد أن يتزوج : خذ ملساء القدمين ، لفاء الفخذين ضخمة الذراعين
رخصة الكفين^(١٣) ، ناهدة الثديين ، حمراء الخدين ، كحلاء العينين ، زجاء
الحاجبين^(١٤) ، لمياء^(١٥) الشفتين ، بلجاء الجبين^(١٦) ، شماء العينين^(١٧) ،
شبناء^(١٨) ،
الثغر ، محلولة الشعر^(١٩) ، غيداء العنق^(٢٠) . مكسرة البطن . . وقد وصف

(١) الهريرة كبرذونة الحسنه الجسم والخلق والمشيء ، واللفاء المتلفة الجسم (٢) المكورة :
المطوية الخلق ، والجيداء : الطويلة العنق أو دقيقتها مع طول (٣) المريض (٤) الطفل
لناعم من كل شيء (٥) العمم عظم الخلق في الناس وغيرهم ، وردف المرأة : عجزها
(٦) الاسيل من الحدود : الطويل المسترسل (٧) هي التي تتأ ثديها (٨) هي الثقيلة
لعجيزة الضخمة الوركين (٩) هي اللينة الكلام ، قال ذو الرمة

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخييم الحواشي لا هراء ولا نزر

(١٠) هي التي لا يوجد لعظمها حجم بمنزلة الجماء من البقر^(١١) أراد موضع اللثام
فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه (١٢) أي ناعمتها (١٣) هي الدقيقة الحاجبين
في طول (١٤) هي التي في شفتيها سمرة أو شربة سواد (١٥) البلج : نقاوة ما بين الحاجبين
(١٦) الشمم : ارتفاع الانف ، والعرنين من كل شيء أوله ومنه عرنين الانف لأوله وهو
ما تحت مجتمع الحاجبين وهو موضع الشمم (١٧) هي التي في أسنانها رقة وعذوبة أو فيها
حدة تراها كالمنشار (١٨) المحلوك : الشديد السواد (١٩) أي مائلة العنق

المنذر الاكبر جارية أهداها الى كسرى أنوشروان فقال في كتابه له انى قد
وجهت الى الملك جارية معتدلة الخلق ، نقية اللون والشعر ، بيضاء وطفاء ^(١) ،
كحلاء ، دعجاء ^(٢) ، حوراء ^(٣) ، عيناء ^(٤) ، قنواء ^(٥) ، شماء ^(٦) ، برجاء ^(٧) ،
رجاء ^(٨) ، أسيلة الخلد ، شهية المقبل ، جثة الشعر ^(٩) ، عظيمة الهامة ، بعيدة
مهوى القرط ^(١٠) ، عيطاء ^(١١) ، عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة المشاش ^(١٢)
المنكب والعضد ، حسنة المعضم ^(١٣) ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف المشى ^(١٤)
مكسال الضحى ، بضة المتجرد ^(١٥) سموع للسيد ، ليست بخنساء ^(١٦) ولا سفعاء ^(١٧)
رقية الأنف ، عزيزة النفس ، لم تغد في بؤس ، رزينة ، حليلة ، ركنة ، كريمة
الخال ، تقتصر على نسب أيها ، دون فصيلتها ^(١٨) ، وتستغنى بفصيلتها ، دون
جماع قبيلتها ^(١٩) ، قد أحكمها الأمور في الأدب ، فرأيها رأى أهل الشرف ،

(١) هي للكثيرة شعر الحاجبين والعينين (٢) هي الشديدة سواد العين مع سمعتها
(٣) في مختصر العين ولا يقال للمرأة حوراء الا للبياض مع حورها (٤) أى حسنة العينين
واسعتها (٥) بينة القنا والقنا ارتفاع أعلى الأنف واحدياب وسطه وسبوغ طرفه أو تتو
وسط القصبه واشراقه وضيق المنخرين من غير قبج ، وفي صفته صلى الله عليه وسلم كان أفنى
المرنين ، وفي قصيدة كعب

قنواء في ضرتها للبصير بها عتق مبين وفي الحدين تسهيل

(٦) مر تفسيره قريباً (٧) البرج محركة أن يكون بياض العين محمداً بالسواد كله
(٨) هي التي يترجح كفلها أى يضطرب (٩) أى كثيرته وغلظته (١٠) القرط
الشنف أو الملق في شحمة الاذن ويقال ان أول من استعمل لفظ القرط في نظمه هو عمرو
ابن ابي ربيعة ، حيث يقول :

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل أبوها واما عبد شمس وهاشم

وادعى بعضهم انه من مخترعات امرى القيس ولم نثر عليه في شعره والله أعلم

(١١) هي الطويلة العنق (١٢) المشاش : رؤوس العظام الممكنة المضع (١٣) كمنبر
موضع السوار من الساعد (١٤) القطوف التي تعجل سيرها مع تقارب الخطو

(١٥) البضاضة : نعومة البدن ورقة الجلد ، وفي القاموس وشرحه للزبيدي : امرأة بضة
الجردة والجرد والمتجرد أى بضة عند التجرد والمتجرد على هذا مصدر فان كسرت الراء
أردت الجسم ، وفي التهذيب : امرأة بضة المتجرد اذا كانت بضة البشرة اذا جردت من ثوبها ،
اتمى باختصار (١٦) الخنساء هي التي انخفضت قصبه أنفها (١٧) هي التي في خديها
سواد وشحوب (١٨) الفصيلة من الرجل عشيرته ورهطه الادنون أو أقرب آباءه اليه
(١٩) جماع الناس كرماع أخلاطهم من قبائل شتى ومن كل شىء مجتمع أصله وكل ما يجمع
وانضم بعضه الى بعض

وعملها عمل أهل الحاجة ، صنّاع الكفين^(١) ، قطيعة اللسان^(٢) ، رهوة الصوت^(٣) ساكنة تزين الولي ، وتشين العدو ، ان أردتها اشتيت ، وان تركتها انتهت ، تحمق^(٤) ، عيناها ، ونحمر وجنتاها ، وتدبب شفثاها^(٥) ، وتبادرك الوثبة اذا قمت ولا تجلس الا بأمرك اذا جلست .. وأحسن ما رأيت من وصف النساء خلتاً وخلقاً ما ذكره كثير من أئمة الأدب ومنهم الميداني في كتابه مجمع الأمثال عند قولهم (ما وراءك يا عصام) . قال : قال المفضل ؛ أول من قال ذلك الحارث ابن عمرو ملك كندة^(٦) ، وذلك انه لما بلغه جمال ابنة عوف بن محم ، وكالها ، وقوة عقلها ، دعا امرأة من كندة يقال لها عصام ذات عقل ولسان وأدب ، وقال لها : اذهبي حتى تعلمي علم ابنة عوف فمضت حتى انتهت الى أمها وهي أمانة بنت الحارث فأعلمتها ما قدمت له فأرسلت الى ابنتها ، وقالت : أي بُنية هذه خالتك أتتك لتنظر اليك ، فلا تستري عنها شيئاً ان أرادت النظر من وجه أو خلقٍ وناطقها ان استنطقتك فدخلت اليها ، فنظرت الى مالم تر مثله قط ، ونفرت من عندها وهي تقول (ترك الخداع ، من كشف القناع) فأرسلتها مثلاً . ثم انطلقت الى الحارث فلما رآها مقبلة قال : ما وراءك يا عصام ؛ قالت : صرح الخض عن الزبد^(٧) ، رأيت جبهة كالرأة المصقولة ، يزيناها شعر حالك كأذ ناب الخليل ، ان

(١) امرأة صنّاع اليدين كسحاب حاذئة ماهرة بعمل اليدين (٢) أي غير سليطة (٣) من الرهو وهو السكون (٤) حمق فتح عينيه ونظر شديداً (٥) الدببة هو ان يسمع الرجل ولا يدري ما يقول يعني أنها اذا تكلمه لا يسمع صوتها ولا يدري ما تقول من جباها (٦) وقيل ان المثل على التذكير ، وقائله السابعة الدياني قاله لعصام بن شهبز حاجب النعمان وكان مريضاً وقد ارجف بموته فقال :

فاني لا الومك في دخول ولكن ما وراءك يا عصام

يقول الست الومك بمنك اياي من الدخول ولكن أعلمني حقيقة خبره ، ويجوز أن يكون أصل المثل ما ذكر اولاً ثم اتفق الاسمان فخطوب كل بما استحق من التذكير والتأنيث كما في فرائد الآل (٧) صرح النبي بالصم صراحة وصروحة خلص من متعلقات غيره فهو صريح ، ومخضت اللبن مخضاً اذا استخرجت زبده بوضع الماء فيه وتحريكه فهو مخيض فعيل بمعنى مفعول ، والزبد كقفل ما يستخرج بالخض من لبن البقر والغنم وأما ابن الابل فلا يسمى ما يستخرج منه زبداً بل يقال له جياب والزبدة أخص من الزبد

أرسلته خيلته سلاسل، وان مشطته قلت عناقيد جلاها الواابل^(١)، وحاجبين كأنما
خطا بقلم، أو سوّدا بحمم^(٢)، تقوسا على مثل عين الظبية العبيرة^(٣)، بينهما أنف
كحد السيف الصنيع^(٤)، حفّت به وجنتان، كالأرجوان^(٥)، في بياض كالجمان^(٦)
مُشقّ فيه فم كالخاتم، لزيد المبتسم، فيه ثنانيا نغمر^(٧)، ذات أشر^(٧)، تقلب فيه
لساناً بفصاحة وبيان^(٨)، بعقل وافر، وجواب حاضر، تلتقى فيه شفتان حمر او ان
تجلبان ريقاً كالشهد اذا دُلك، في رقبة بيضاء كالفضة، رُكبت في صدر كصدر
تمثال دمية^(٩)، وعضدان مُدمجان، يتصل بهما ذراعان، ليس فيهما عظم يُمسّ
ولا عرق يُجسّ، رُكبت فيهما كفان دقيق قصبهما، لئین عصبهما، تعقد ان شئت منهما
الانامل، تتأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها، تحت ذلك
بطن طوي طي القباطي^(١٠) المدبجة، كسرعكنا^(١١) كالقراطيس المدرجة، تحيط
بتلك العنك سرّة كالمدهن الجلو، خلف ذلك ظهر فيه كالجدول^(١٢)، ينتهي
الى خصر^(١٣)، لولا رحمة الله لانبتر^(١٤)، لها كفل يقعدها اذا نهضت، وينهضها
اذا قعدت، كأنه دِعص^(١٥) رمل، لبدّه سقوط الطل، تحمله فخدان لفا كأنما
قلبا على نضد مجمان، تحتها ساقان خدلتان^(١٦)، كالبردتين وشيتا بشعر أسود،
كأنه حلق الزرد، يحمل ذلك قدمان كحدو اللسان، فتبارك الله مع صغرها،
كيف تطيقان حمل ما فوقهما. فأرسل الملك الى أبنها فخطبها فزوجها اياه، وبعث

(١) المطر الشديد الضخم القطر (٢) كصرد الفحوم واحده بهاء، وحمم : سخم الوجه به
(٣) المتلثة الجسم والمظيمة والناعمة الطويلة والجامعة للحسن (٤) الصقيل الجرب
(٥) الصبغ الاحمر الشديد الحمرة (٦) بالضم اللؤلؤ او هنوات أشكال اللؤلؤ من فضة
الواحدة جانة (٧) أشر الاسنان وأشرها التعزيز الذي فيها يكون خالقة ومستعملا ونهى عنه ،
وفي حديث لعنت الآشرة والمأشورة (٨) وفي نسخة : تقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان
(٩) بالضم الصورة المنقشة من الرخام او طام (١٠) الثياب المنسوبة الى القبط بالكسر
نصارى مصر (١١) جمع عكنة كغرفة وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً (١٢) النهر
الصغير ، ويكرن ذلك اذا ازداد السمن (١٣) هو من الانسان وسطه وهو المستدق فوق
الوركين (١٤) انبتر : انطم (١٥) بالكسر قطعة من الرمل مستديرة او الكتيب منه
الاجتمع او الصغير والجمع دعص وادطاص ودعصة (١٦) أى ممتلئتان ضخمتان مستديرتان

بصداقها فجهزت . فلما أرادوا أن يحملوها الى زوجها قالت لها أمها : أى بُنية ان الوصية لو تركت لفضل أدبٍ تركتُ لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبيها ، وشدة حاجتهما اليها ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ، أى بنية انك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجت ، الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح يملكه عليك رقيباً ومليكا ، فكوني له أمةً يكن لك عبداً وشيكا . يابنية احملي عنى عشر خصالٍ يكن لك ذخراً وذكراً :
الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتمهد لموقع عينيه والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا طيب ریح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتمهد لوقت طعامه ، والهدو عنه حين منامه ، فان حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مبغضة ، والاحتفاظ بيئته وماله ، والارعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والارعاء (١) على العيال والحشم حسن التدبير ، ولا تنشى له سرّاً ، ولا تعصى له أمراً ، فانك ان أفشيت سره ، لم تأمى غدره ، وان عصيت أمره ، أو غرت صدره (٢) ، ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان ترحاً (٣) ، والا اكتتاب عند ان كان فرحاً ، فان الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له اعظاماً ، يكن أشد ما يكون لك اكراماً ، وأشد ما تكونين له موافقة ، أطول ما تكونين له مراقبة ، واعلمي انك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهو اه على هواك ، فيما أحببت وكرهت والله يخيرُ لك ... فحملت اليه فعظم موقعها منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن . انتهى

(١) الارعاء الابقاء على أخيك ، قال ذو الاصبع :

بغنى بعضهم بعضاً فله يرعوا على بعض

(٢) وغر صدره وغراً : امتلاً عيظاً (٣) ترح ترحاً فهو ترح مثل تعب تعباً فهو تعب

إذا حزن ويتعدى بالهمزة

ما أورده الميداني ، ومثل ذلك في عقد الانداسي ... وفي الشعر الجاهلي كثير من أوصاف النساء المحمودة ، من ذلك قول بعضهم من قصيدة :

بيضاء قد لبس الاديم أدي	م الحسن فهو لجلدها جلد
ويزين فوديتها إذا حسرت	ضاني الغدائر فاحم جعد ^(١)
فالوجه مثل الصبح مبيض	والفرع مثل الليل مسود ^(٢)
وجبينها صلت وحاجبها	شخت المخطأ ازج ممتد ^(٣)
وكأنها وسنى إذا نظرت	أو مدنف لما يفتق بعد ^(٤)
بفتور عين ما بها رمد	وبها تداوى الأعين الرمد
وتريك عريناً به شمم	وتريك خدأ لونه الورد ^(٥)
وتجيل مسواك الاراك على	رتل كأن رضاءه الشهد ^(٦)
والجيد منها جيد راتعة	تعطو اذا ما طالها المرذ ^(٧)
وامتد في أعضادها قصب	فعم تلتة مرافق ورد ^(٨)
والمعصمان فما يرى لها	من نعمة وغضاضة زند ^(٩)
ولها بنان لو اردت بها	عقدأ بكفك أمكن العقد ^(١٠)

(١) الفود : معظم شعر اللثة مما يلي الاذنين وناحية الرأس ، وقال ابن السكيت الفودان الضفيرتان ، والغدائر جمع غديرة وهي الذؤابة ، والفاحم : الاسود ، والجعد من الشعر خلاف السبط أو القصير منه ، وحسرت المرأة خمارها كشفته (٢) الفرع الشعر التام ، ويروى بدل مبيض (منبلج) (٣) الصلت الجبين الواضح وقد صلت صلوتة ، والشخت : الدقيق ، والازج الحاجب الدقيق في طول (٤) الوسن بفتح الحين : النعاس ورجل وسان وامرأة وسنى بهما سنة ، والمدنف : المريض الذي لازمه المرض (٥) العرين من كل شيء أوله ومنه عرين الانف لاوله وهو ماتحت مجتمع الحاجبين وهو موضع ارتفاع الشمم أي ارتفاع الانف ، ويروى البيت : وتريك عريناً يزينه شمم وخدأ لونه الورد

(٦) الاراك : شجر من الحمض يستاك بقضبانة الواحدة اراكة ، والرتل محرقة يياض الاسنان وكثرة مائها ، والرضاب : الريق المرشوف أو قطع الريق في الفم (٧) تعطو : ترفع رأسها والمرذ : الغض من ثمر الاراك أو نضيجه (٨) الفعم الممتلى ، وقوله تلتة يروى بدله زهته ، والمرافق جمع مرفق وهو موصل الذراع في العضد ، وقوله ورد هكذا بالاصل وفي بعض النسخ درد فليحقق (٩) المعصم كمنبر موضع السوار من الزند ، ونعم الشيء : لان ملمسه (١٠) البنان الاصابع أو أطرافها

وكأنما سقيت ترائبها والنحر ماء الورد اذ تبدو^(١)
 وبصدرها حقان خلتها ككافورتين علاها ند^(٢)
 والبطن مطوى كما طويت بيض الرياط يصونها الملد^(٣)
 وبخصرها هيف يزينه فاذا تنوء يكاد ينقد^(٤)
 والتف حاذاها وفوقهما كفل كدعص الرمل مشتد^(٥)
 وقيامها مثنى اذا نهضت من لينها وقعودها فرد
 والكعب أذرم ما يبين له حجم وليس لرأسه حد^(٦)
 ومشت على قدمين خصرتا والتفتا فتكامل القد^(٧)
 ما عابها طول ولا قصر في خلقها فقوامها قصد

والقصيدة طويلة ولها قصة مشهورة . وكانت العرب مع اعتبارهم هذه
 الامور في المرأة يرآعون شرف الفصيحة ، وهم الذين ينتفى بهم العار ، ويحصل
 بهم الاستكثار . وفي الحديث تخيروا لنطفكم ولا تضعوها الا في الاكفاء .
 وروى أن صيفي بن أكرم قال لولده : يا بني لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة
 النسب فان المناكح اللثيمة مدرجة للشرف . وقال الاسود الدؤلى لبنيه : قد
 أحسنت إليكم صفاراً وكباراً ، وقبل أن تولدوا . قالوا : وكيف احسنت إلينا
 قبل أن نولد ؟ قال : اخترت لكم من الامهات من لا تسبون بها . وأنشد الرياشي :
 فأول احسانى إليكم نخيرى لماجدة الاعراق باد عفافها^(٧)

(١) الترائب : موضع القلادة ، والنحر أعلى الصدر (٢) الحقان : الثديان ، والند :
 طيب معروف ويكسر أو العنبر (٣) الرياط جمع ربطة وهي كل ثوب لبين رقيق ، والملد :
 الناعم اللين من الرجال (٤) الخصر من الانسان وسطه وهو المستدق فوق الوركين ،
 والهيف محرّكة ضمير البطن ورقة الخاصرة ، وتنؤ : تهض ، وينقد : ينقطع (٥) الحاذان
 ما وقع عليه الذنب من ادبار الفخذين ولعل الاولى (فخذها) بدل حاذاها كما في بعض
 الكتب ، والكفل : العجز . والدعص : الكتيب من الرمل المجتمع (٦) الاذرم فسرّه
 بقوله ما يبين له حجم وليس لرأسه حد (٧) أقول : أن شعر العرب وكلامهم في هذا الباب
 جاهلية واسلاماً لا يمد ولا يحصى وقد درجوا على العمل بهذه الوصايا الى يومنا هذا . ومن
 لطيف ما حفظ بيتان لاحد الشعراء وهما :

النعوت المذمومة في المرأة عند العرب وخلقاً

ما يلزم التحرز عنه من صفات الذات وأحوال النفس أمور كثيرة ما لها الى بعد الخير عنها، وقلة الرشد فيها، فان كوامن الأخلاق بادية في الصور والاشكال كالذي روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لزيد بن حارثة: اتزوجت يا زيد؟ قال: لا. قال: تزوج تستعفف مع عفتك، ولا تزوج من النساء خمساً. قال: وماهن يا رسول الله؟ قال: لا تزوج شهيرة ولا لهبرة ولا نبرة ولا هندرة ولا لفوتا. فقال يا رسول الله اني لا أعرف مما قلت شيئاً. قال أما الشهيرة فالزرقاء البدية. أما اللهبرة فالطويلة المهزولة. وأما النهيرة فالعجوز المدبرة. وأما الهندرة فالقصيرة الدميعة. وأما اللفوت فذات الولد من غيرك.. وقال شيخ من بني سليم لابنه: يا بني إياك والرقوب الغضوب القطوب. الرقوب التي تراقبه أن يموت فتأخذ ماله. وأوصى بعض الاعراب ابنه في التزوج فقال: إياك والحنانة والمنانة والانانة فالحنانة التي تحن لزوج كان لها، والمنانة التي تمن على زوجها بما لها. والانانة التي تن كسلا وتمازضاً. وقال أوفى بن دهم: النساء أربع، فمنهن مقمع، لها منها أجمع ومنهن ممنع، تضر ولا تنفع، ومنهن مصدع، تفرق ولا تجمع، ومنهن غيث وقع، ببلد فامرغ^(١). وقال الشاعر:

أرى صاحب النسوان يحسب أنبا سواه وبون^(٢) يبنهن بعيد^(٣)

فمنهن جنات^(٤) يفيء ظلالها ومنهن نيران لهن وقيد

وروى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه قال: سمعت امرأة من العرب

تخاصم زوجها وهي تقول: والله إن شربك لاشتفاف^(٣)، وضجعتك لانجماف^(٤)

لاتخطبن سوى كريمة معشر فالعرق دساس من الطرفين

أو ماترى أن النتيجة دائماً تبع الاخس من المقدمتين

(١) أي أخصب بكثرة الكلاء (٢) البون بالضم مسافة ما بين الشيتين وينفتح وبينهما بون أي بين درجتيهما أو بين اعتباريهما في الشرف وأما في التباعد الجسماني فتقول بينهما بين بالياء كذا في الصباح (٣) هو شرب ما في الاء كله (٤) الانجماف: الانصراف يقال ضربه فجأفه وجهفه

وشميتك لالتفاف ، وانك لتشبع ليلة تضاف ، وتنام ليلة تخاف . فقال لها : والله
 إنك لكرؤاء الساقين^(١) ، قعواء الفخذين^(٢) ، مقاء الرفغين^(٣) ، مفاضة الكشجين^(٤)
 ضيفك جائع ، وشرك شائع .. ومن جملة أسئلة القيل الحميرى ولديه انه قال :
 وأى النساء أبغضُ اليك يا عمرو ؟ قال : القتاة الكذوب^(٥) ، الظاهرة العيوب
 الطوافة الهبوب^(٦) ، العابسة القطوب^(٧) ، السبابة الوثوب ، التي ان ائتمنها زوجها
 خانته ، وان لان لها اهانتة ، وان أرضاها أغضبتة ، وان أطاعها عصته . قال :
 ما تقول ياربعة ؟ قال : بئس - والله - المرأة ذكر وغيرها أبغض إلى منها
 قال : وأيتهن التي هي أبغض منها ؟ قال : السليطة اللسان^(٨) ، المؤذية للجيران ،
 الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها من غيرها آيس ، التي أن عابها
 زوجها وترته^(٩) ، وان ناطقها اتهرته . قال ربيعة : وغيرها أبغض إلى منها .
 قال : ومن هي ؟ قال : التي شقى صاحبها ، وخزى خاطبها ، وافتضح أقاربها . قال
 ومن صاحبها ؟ قال : صاحبها مثلها ، في خصالها كلها . لا تصلح الأله ولا يصلح
 إلا لها . قال : فصفه لى . قال : الكفور غير الشكور ، اللثيم الفجور ، العبوس
 الكالح^(١٠) ، الحرؤن الجامح^(١١) ، الراضى بالهوان ، المختال المنان ، الضعيف الجنان^(١٢)
 الجعدُ البنان^(١٣) ، القؤل غير الفعول ، الملول غير الوصول ، الذى لا يبرح عن
 (١) الكرواء الدقيقة الساقين والكرادقة الساق والكرى النوم والكرابمعى الكروان
 وكرآء محدود : موضع (٢) قال أبو بكر : القعواء المتباعدة ما بين الفخذين ولم يسمع هذا
 من غيره ، والذي ذكره اللغويون في كتبهم : الفجواء المتباعدة ما بين الفخذين ، هذا ما زعمه
 أبو علي القالى (٣) قال أبو زيد : المقاء الدقيقة الفخذين وكذلك الرفقاء ، وقال الاصمعي
 المقاء الطويلة والمقق الطول ورجل أمق طويل (٤) أى مسترخية الخاضرتين (٥) القتاة :
 النمامة ، وقال اللحياني : القتات والتمام والهواز واللماز والغماز والقساس والدراج والمهينم والمهمل
 والمآس والمؤوس مثال معوس والمأس مثال ممعس وقد مأس بمأس مأساً اذا مشى بينهم
 بالنميمة والفساد ، ويقال مأس بين الناس ومساً بينهم يمساً مساً مثل معساً وكله واحد ويقال أنه
 لدونيرب ومثيرة وابرة اذا كان تماماً كله عن اللحياني (٦) الكثيرة الانتباه (٧) قطب
 يقطب فهو قطوب زوى ما بين عينيه وكالح (٨) أى البذية اللسان (٩) أى أدركته بمكروه
 (١٠) كالح كلوحاً وكلاحاً بضمهما تكشر في عبوس (١١) يقال حرنت الدابة فهي حرؤن وهي
 التي اذا استدرج ربيها وقفت والجامح الذى يركب هواه (١٢) بالفتح القلب (١٣) أى بنجيل

المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم ، وذكر أهل الأدب كثيراً من معانيهن .. ومن
النوع المذمومة : أن تكون المرأة نهاية في السمين والعظم ضخمة البطن ، مسترخية
اللحم ، ضخمة الثديين ، طويلتهما ، مسترخيتهما ، أو أن تكون قليلة اللحم ،
قصيرة ، دميعة ^(١) ، غير طيبة الخلوة ، دقيقة الساقين والذراعين ، مننتة الريح ،
أو أن تكون حديدية اللسان ، شديدة الصوت ، جرية قليلة الحياء ، بديهة فاحشة
وقحة ، وتسمى هذه سلفعة ، وفي الحديث : شرهن السلفعة . ومن الشعر المشتمل
على ما ينم من النساء قول قائلهم :

لِأَسْمَاءَ وَجَهٌ بَدْعَةٌ مِنْ سَمَاجَةٍ
بَدَا فَبَدَّتْ لِي شَقَّةٌ مِنْ جَهَنَّمَ
وَوَاحِدَةٌ أَصْحَابِي الَّذِينَ تَخَلَّفُوا
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَهَا أَنَّ فِي النِّسَاءِ

يرغبني في نيكِ كلِّ أُنثَى ^(٢)
فَقَمْتُ وَمَالِي بِلِجِيمِ يَدَانِ ^(٣)
بِمَاشَتْ مِنْ خَزْيٍ وَطُولِ هَوَانِ ^(٤)
جَحِيمًا أَرَاهَا جَهْرَةً وَتَرَانِي

وقال آخر

رَقَطَاءٌ حَدْبَاءُ يُبَدِّي الْكَيْدَ مَضْحَكَهَا
لَهَا فَمَّ مُلْتَقَى شِدْقِيهِ نَقْرَتَهَا
أَسْنَانُهَا أَضْعَفَتْ فِي خَلْقِهَا عَدَدًا

قَنَوَاءٌ بِالْعَرَضِ وَالْعَيْنَانِ بِالطُّولِ ^(٥)
كَأَنَّ مِشْفَرَهَا قَدْ طُرَّ مِنْ فَيْلٍ ^(٦)
مُظْهِرَاتٍ جَمِيعًا بِالرَّوَاوِيلِ ^(٧)

وقال آخر في القصر

أَلَا يَأْتِيهِ الدُّبُّ مَالِكٌ مَعْرُضًا
وَأُقْسَمُ لَوْ خَرَّتْ مِنْ أَسْتِكَ بَيْضَةٌ

وقد جعل الرحمن طولك في العرض ^(٨)
لما انكسرت لقربِ بعضك من بعض

(١) الدمامة بالفتح قبج المنظر وصغر الجسم وكأنه مأخوذ من الدمة بالكسر وهي القملة
أو النملة الصغيرة . (٢) قوله بدعة أي لم يصنع مثله في القبح ، والسماجة : القباحة ، والاتان :
الانثى من الحمير (٣) الجحيم : النار ، واليدان أراد بهما القوة (٤) فادرت : تركت : والخزى :
الوقوع في البلية (٥) الرقطاء : المنقطة بالبرش ، والحديباء : الخارجة الظهر ، والسكبد الشدة ،
وقوله قنواء بالعرض النخ يعني به أن طول أنفها قد بدأ بالعرض وعرض عينيها قد بدأ بالطول
فصار الحسن قبحاً (٦) قوله نقرتها أراد نقرة قفاها ، ومعنى طر قطع من طرفه أي جانبه
يصفها بأن فيها في السمة بلغ نقرة القفا وان شقتها ضاية في الغلظ كأنها قطعة من شفة الفيل (٧) قوله
مظهرات أي جعل بعضها فوق بعض ، والرواويل جمع راوول وهو اللعاب وكل سن زائدة
لاتنبت على نبتة الأضراس (٨) المعرض : الداهب في العرض ، وخرت : سقطت . والاسن الدبر

« وقال آخر »

- الميم بجوهر بالقضبان والمدر وبالعصى التي في روسها عَجْرٌ (١)
المم بها لا تسليم ولا مِقَّةٌ إلا ليكسر منها أنفها الحجر (٢)
المم بوطباء في اشداقها سعة في صورة الكلب إلا أنها بشر (٣)
حدباء وقصاء صيغت صيغةً عجباً وفي ترائبها عن وصفها زور (٤)

« وقال آخر »

- لا تنكحن الدهر ما عشت أيماً مخرمةً قد ملّ منها وملّت (٥)
تحك قفاها من وراء خمارها اذا فقدت شيئاً من البيت جنت (٦)
تجود برجليها وتمنع درها وإن طلبت منها المودة هرت (٧)

« وقال آخر »

- لا تنكحن عجوزاً ان أتيت بها واخلع ثيابك منها ممعناً هرباً (٨)
وان أتوك وقالوا : إنها نصف فان أمثل نصفها الذي ذهباً (٩)

الى غير ذلك من الشعر المشتمل على ما ينم من أوصاف النساء وكتب
الأدب مشحونة منه . وربما اختار بعض العرب غير المستكلمة للأوصاف المحمودة
رغبة في حسبها .

(١) الامام : الزيارة الخفيفة ، وقوله بالقضبان أي والقضبان معك كما يقال خرج بسلاحه
أي والسلاح معه ، والعجر جمع عجرة وهي العقدة (٢) المقة : المحبة (٣) الوطباء :
العظيمة الثديين ، والاشداق : جوانب الفم (٤) الحدباء : الخارجة الظهر الداخلة الصدر ،
والوقصاء : القصيرة العنق ، والترائب : عظام الصدر ، والزور : الميلان ، ومعنى الايات
الاربعة : ان تردان تأتي هذه المرأة فلا تأتها الا ومعك العصا والحجارة لضربها ولا يكن اتيانك
لتسليم عايبها أو لمحبة لها بل لتكسر بالحجر أنفها وهذه المرأة بشعة الخلق كبيرة الفم أشبهت الكلاب
في الصورة وان كانت بشر أمعوجة الظهر قصيرة العنق مائلة عظام الصدر أعجوبة من عجائب الدهر
(٥) أراد بالنكاح العقد أي لا تتزوج ، والايام من النساء التي فارقتها زوجها بموت أو طلاق ،
وقوله مخرمة أي كثر الدعاء عليها ان تختتمها المنية أي تأخذها ، وقوله قد ملّ منها يريد أنها طمعت
في السن وقضت مأرب الشهوات وقضت منها (٦) قوله تحك قفاها أي من وسخها وكثرة
القمل عليها ، والخمار ما تستر به المرأة وجهها (٧) قوله تجود برجليها هذا مثل أي تسرع
بشرها ، وتمنع درها أي خيرها ، وهرت : نبحت مثل الكلاب (٨) معن في الهرب : اسرع فيه
(٩) النصف من النساء : ما تكون لاصغيرة ولا كبيرة ، والامثل : افضل

ما ورد عن عرب الجاهلية في الزوج من الصفات المحمودة وغيرها

عن أبي بكر بن دريد قال : حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلابي عن أبيه قال : كان قَيْلٌ ^(١) من اقبال حمير . منع الولد دهرًا ثم ولدت له بنت فبنى لها قصرًا منيعًا بعيدًا من الناس ووكل بها نساء من بنات الاقبال يخدمنها ويؤدبنها حتى بلغت مبلغ النساء فنشأت أحسن منشأ وأتمه في عقلها وكاملها فلما مات أبوها ملكها أهل مَخْلَافِهَا ^(٢) فاصطنعت النسوة اللاتي ربينها وأحسنن اليهن وكانت تشاورهن ولا تقطع أمرًا دونهن . فقلن لها يوما : يا بنت الكرام لو تزوجت لم لك الملك . فقالت : وما الزوج ؟ فقالت احدهن : الزوج عز في الشدائد ، وفي الخطوب مساعد ، إن غضبت عطف ، وإن مرضت لطف . قالت : نعم الشيء هذا . فقالت الثانية : الزوج شعاري حين اضرد ^(٣) ، ومُتَكِّي حين ارقد ، وانسى حين افرد . فقالت : إن هذا لمن كمال طيب العيش ، فقالت الثالثة : الزوج لما عانى كاف ، ولما شفني ^(٤) شاف ، يكفيني فقد الألف ، ريقه كالشهد ، وعناقه كالخلد ، لا يمل قرانه ، ولا يخاف حرانه . فقالت : امهلني أنظر فيما قلتن ، فاحتجبت عنهن سبعًا ثم دعتهن فقالت : قد نظرت فيما قلتن فوجدتني املكه رقي ، وابنه باطل وحقي ، فان كان محمود الخلائق ، مأمون البوائق ^(٥) ، فقد ادركت ينبغي ^(٦) ، وإن كان غير ذلك فقد طالت شقوتي ، على أنه لا ينبغي إلا أن يكون كفوًّا كريمًا ، يسود عشيرته ، ويربُ فصيلته ^(٧) لا أتقنع به عارًا في حياتي ، ولا أرفع به شئارًا ^(٨) لقومي بعد وفاتي ، فعليكُنه فابغينه وتفرقن في الاحياء ، فإيتكن اتنى بما أحب فلها أجزل الحياء ^(٩) وعلى لها

(١) القيل : الملك أو دون الملك الاعلى (٢) بكسر الميم بلغة اليمن الكورة والجمع المخاليف واستعمل على مخاليف الطائف أي نواحيه وقيل في كل بلد مخلاف أي ناحية
(٣) أي ابرد (٤) يقال شفه لهم : أي أهزله (٥) الدواهي (٦) بالكسر الحاجة انى تبغيا وضمها لغة وقيل بالكسر الهيئة وبالضم الحاجة (٧) يرب يجمع ويصلح ، والفصيحة من الرجل عشيرته ورهطه الادنون وأقرب آباءه اليه (٨) الشئار المار (٩) العطاء

الوفاء ، نخرجن فيما وجهتهن له وكن بنات مفاول ذوات عقل ورأى . فجاءتها
احداهن وهي عمرّطة بنت زرعة ابن ذى خفر . فقالت : قد أصبت البغية .
فقالت : صفيه ولا تسميه . فقالت : غيث في المحل ، ثمّال في الأزل^(١) ، مفيد ،
مُبيد ، يصلح النائر^(٢) ، وينعش العائر ، ويعمر الندى ، ويقتاد الابى ، عرضه
وافر ، وحسبه باهر ، غض الشباب ، طاهر الأثواب . فقالت : ومن هو ؟ قالت :
سبرة بن عوّال بن شدّاد بن الهَمّال . ثمّ خلت بالثانية فقالت : أصبت من بغيتك
شيئاً ؟ قالت : نعم . قالت : صفيه ولا تسميه . فقالت : مُصامصُ النَّسَبِ ،^(٣)
كريم الحسب ، كامل الادب ، غزير العطايا ، مألوف السجايا ، مُقتبل الشباب ،
خصيب الجناب ، أمره ماض ، وعشيرته راض . قالت : ومن هو ؟ قالت : يعلى
ابن ذى هزال بن ذى جدن . ثمّ خلت بالثالثة . فقالت : ما عندك ؟ قالت :
وجدته كثير الفوائد ، عظيم المرافد ، يُعطى قبل السؤال ، وينيل قبل أن يستنال ،
فى العشيرة معظم ، وفى النسب مكرم ، جم الفواضل ، كثير النوافل ، بذال
أموال ، محقق آمال ، كريم أعمام وأحوال . قالت من هو ؟ قالت : رواحة بن
خميّر بن مضعى بن ذى هلاهلة . فاخترت يعلى بن ذى هزال فتزوجته ،
فاحتجبت عن نساها شهراً . ثم برزت لهن فاجزلت لهن الحباء . وأعظمت لهن
العطاء .. وعن أبى بكر محمد ابن الحسن بن دريد أيضاً . قال اخبرنى عمى عن أبيه
عن ابن الكلبي . قال : قالت عجوز من العرب لثلاث بنات لها صفن ما تحبين
من الأزواج فقالت الكبرى : أريده أروع^(٤) بساما ، احدى مجذاما^(٥) ، سيد
ناديه ، وثمّال^(٦) عافيه ، ومحسب راجيه ، فناؤه رحب^(٧) ، وقياده صعب .

(١) أى غياث فى الضيق والشدة (٢) قال المجد : نارت نائرة كمنع حاجت هائجة
(٣) المصامص : الحسيب الزاكي (٤) الاروع والنجيب ، واحد وهما الكريم وقيل الاروع
الذى يروعك جماله (٥) الاخذ ههنا الخفيف والاخذ أيضاً الخفيف الذنب ومنه قطة حذاء ،
والمجذام مفعال من الجذم وهو القطع تريد انه قطاع للامور (٦) الثمّال : الغياث وثمّال القوم
غياثهم ومن يقوم بأمرهم ، والعمافى : السائل وكل طالب فضل أو رزق (٧) أى واسر
ويقال فناء الدار وثنائوها

وقالت الوسطى : أريده على السناء ^(١) ، مُصَمَّم المَضَاء ^(٢) ، عظيم نار ، متمم
 أيسار ^(٣) ، يفيد ويبيد ، ويبدى ويبيد ، هو في الأهل صبي ، وفي الجيش كمي ^(٤) ،
 تستعبده الحليمة ^(٥) ، وتسوده الفصيلة ^(٦) ، وقالت الصغرى : أريده بازل
 عام ^(٧) ، كالمهند الصمصام ^(٨) ، قرانته حُبور ، ولقاؤه سرور ، إن ضمَّ
 قَضَقُض ^(٩) ، وإن دَسَرَ ^(١٠) أغمض ، وإن اخلَّ احمض . فقالت أمها : فض
 فوك لقد فررت لي شررة الشباب جدعة ^(١١) « وذكر الميداني » في كتاب مجمع
 الامثال : أن العجفاء بنت علقمة السعدية وثلاث نسوة من قومها خرجن
 فاتعدن بروضة يتحدثن فيها فوافقن بها ليلاً في قمر زاهر وليلة طلقة ما كنهه
 وروضة معشبة خصبة ، فلما جلسن قلن ما رأينا كالليلة ليلة ولا كهذه الروضة
 روضة أطيب ريحاً ولا أنضر . ثم أفضن في الحديث فقلن : أي النساء أفضل ؟
 قالت احداهن : الخرود ^(١٢) الودود ^(١٣) الودود ^(١٤) . قالت الاخرى : خيرهن

(١) السناء من الشرف ممدود ومن الضوء مقصور (٢) المصمم من الرجال الذي يمضي
 في الامور لا يرد عزمه شيء والمصمم من السيوف الذي يمضي في الضرائف لا يجبهه شيء
 (٣) جمع يسر وهو الذي يدخل مع القوم في القداح وهو مدح وقال الشاعر :

وراحلة نحررت لشرب صدق وما ناديت ايسار الجزور

والبرم الذي لا يدخل مع القوم في الميسر وهو دم وجمعه ابرام ، قال متمم :

ولا برم تهدي النساء لمرسه اذا التشم من برد الشتاء تقمقا

ويقال كان رجل برماً فجاء الى امرأته وهي تأكل لحماً فجعل يأكل بضعتين بضعتين فقالت
 له : أبرماً قروناً فأرسلتها مثلاً (٤) أي جرىء مقدم كان عليه سلاح أو لم يكن وقيل غير
 ذلك (٥) حليمة الرجل امرأته وحليمة أيضاً جارته التي تحاله وتنزل معه (٦) هم رهط
 الرجل الادنون (٧) أي تام الشباب كامل القوة لان البعير اتم ما يكون شاباً واكمله قوة اذا
 كان بازل عام (٨) هو السيف لا ينثنى (٩) أي حطم كما يقضض الاسد الفريسة وهو أن
 يحطمها وينفضها فتسمع لعظامها صوتاً والاسد القضاض الحطام ، قال رؤبة :

كم جاوزت من حية نضناض واسد في غيلة قضاض

ليث على أقرانه رباض يلتقى ذراعي كل كل عر باض

والعرباض الثقيل العظيم (١٠) أي دفع ومنه قول ابن عباس رضي الله عنهما في العنبرانما
 هو شيء دسره البحر أي لا زكاة فيه ، وفلان مدرس يجاع أي نياك (١١) شررة الشباب
 بالكسر نشاطه ، وفر الامر جذفا بالضم اذا رجع عوداً لبيدته (١٢) البكر لم تمس
 أو الحفرة الطويلة السكوت الحافضة الصوت المسترة (١٣) الكثيرة الحب لزوجها

(١٤) الكثيرة الولادة

ذات الغناء ، وطيب الثناء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السموع الجوع ،
النفوع غير المنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعة لاهلها الوادعة الرافعة
لا الواضعة . قلن : فاي الرجال أفضل ؟ قالت احدهن : خيرهم الحظي الرضى
غير الحظال (١) ولا التنبال . قالت الثانية : خيرهم السيد الكريم ، ذو الحسب
العميم ، والمجد القديم . قالت الثالثة : خيرهم السخي الوفي الرضى ، الذي لا يغير
الحرّة ، ولا يتخذ الضرة . قالت الرابعة : وايكن إن في أبي لنعتكن كرم
الاخلاق ، والصدق عند التلاق ، والفالج عند السباق ، ويحمدّه أهل الرفاق .
قالت العجفاء عند ذلك : كل فتاة بأبيها معجبة * وفي رواية أخرى : أن احدهن
قالت : إن أبي يُكرم الجار ، ويعظم النار ، وينحر العشار ، بعد الحوار ، ويحمل
الأمر الكبار . فقالت الثانية : إن أبي عظيم الخطر ، منيع الوزر ، عزيز النفر ،
يحمد منه الورود والصدور . فقالت الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، كثير الاعوان ،
يروى السنان عند الطعان . قالت الرابعة : إن أبي كريم التزال ، منيف المقال ،
كثير النوال ، قليل السؤال ، كريم الفعال . ثم تنافرن الى كاهنة معهن في الحى ،
فقلن لها : اسمى ما قلنا واحكى بيننا واعدلى . ثم اعدن عليها قولهن . فقالت
لهن : كل واحدة منكن ماردة ، على الاحسان جاهدة ، لصواحبها حاسدة ، ولكن
اسمعن قولى : خير النساء المبقية على بعلمها الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع
الى أهلها مطلقة فهي تؤثر حظ زوجها على حظ نفسها ، فتلك الكريمة الكاملة ،
وخير الرجال الجواد البطل ، القليل الفشل ، اذا سأله الرجل الفاه قليل العلل ،
كثير النفل . ثم قالت : كل واحدة منكن بأبيها معجبة . فصار مثلاً يضرب
في عجب الرجل برهطه وعشيرته * وكان ذوالاصبع العدواني حكيم العرب رجلاً
غيوراً . وله بنات أربع وكان لا يزوجهن غيراً . ويقال أنه عرض عليهن أن
يزوجهن فأبين وقلن خدمتك وقربك أحب الينا . فاستمع عليهن يوماً من حيث

(١) المقتر الذي يحاسب أهله بالنفقة

لا يرينه وقد خلون يتحدثن ، فقالت قائلة منهن : لتقل كل واحدة منا ما في نفسها ولنصدق جميعاً . فقالت كبراهن :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضَجِيئَهَا اشمَّ كَنْصَلِ السِّيفِ عَيْنِ مُهَنْدٍ
عَلِيمِ بَادِوَاءِ النِّسَاءِ وَاصِلُهُ إِذَا مَا انْتَمَى مِنْ سِرِّ أَهْلِي وَمَحْتَدِي
ويروى : من أهل سرى ومن أصل سرى : فقلن لها : أنت تريدين
ذا قرابة قد عرفته . وفي رواية : أنت تريدين ابن عم لك قد عرفته .

ثم قالت الثانية

الاليت زوجي من أناس ذوى عدى^(١) حديث الشباب طيب النشر والذكر
لصوق^٢ باكباد النساء كأنه خليفة جان لا ينام على وتر
ويروى : لا ينام على هجرى ولا يقيم على هجر . فقلن لها : أنت تريدين
قى غنيا ليس من أهلك .

ثم قالت الثالثة :

أَلَا لَيْتَهُ يَكْسَى الْجَمَالَ نَدِيَّةً لَهُ جَفْنَةٌ تَشْقِي بِهَا الْمَعَزَ وَالْجُزْرُ
لَهُ حِكْمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كَرْبَةٍ تَشِينُ فِلَاوَانَ وَلَا ضَرَعٌ غُمْرُ
وروى النيب بدل المعز ، وكبرة بدل كربة . فقلن لها : أنت تريدين سيداً
شريعاً . وقلن للرابعة : ما تقولين ؟ قالت : لا أقول شيئاً : فقلن : لاندعك وذاك
إنك قد اطلعت على أسرارنا وتكتمين سرنا . فقالت : (زوج من عود^٣)
خير من قعود^٤) فمضت مثلاً . فخطبن فزوجهن جمع ثم امهلهن حولاً وتركهن .
ثم أتى الكبرى وزارها ، فقال : يابنية كيف ترين زوجك ؟ قالت : خير زوج
يكرم الحليلة ، ويعطى الوسيلة . قال لها : فما مالكم ؟ قالت : خير مال الأبل .
قال : وما هي ؟ قالت : نشرب البانها جزعا ، ونأكل لجانها مزعا ، وتحملنا
وضعيفنا معا . فقال : يابنية زوج كريم ، ومال عميم . ثم أتى الثانية فقال : يابنية

(١) في رواية ، ذوى غنى

وكيف زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم أهله، وينسى فضله. قال: وما مالكم
قالت: البقر. قال: وما هي؟ قالت: تألف الفناء، وتملأ الإناء، وتودك
السقاء، ونساء مع نساء. فقال: حظيت ورضيت. وفي رواية: رضيت فحظيت.
ثم أتى الثالثة فقال: يا بنية كيف زوجك؟ فقالت: لا سمحٌ بدير، ولا بخيل
حكر. قال: فما مالكم؟ قالت: المعزى. قال: وما هي؟ قالت: لو كنا نولدها
قُطماً، ونسلخها أدماً، لم نبغِ بها نعيماً. فقال لها: جدوة مغنية. ثم أتى الصغرى
فقال لها: يا بنية كيف زوجك؟ قالت: شر زوج يكرم نفسه، ويهين عرسه. قال:
فما مالكم؟ قالت: شرمال. قال: وما هو؟ قالت: الضأن. قال: وما هي؟ قالت:
جوف لا يشبعن، وهيم لا ينقن، وصم لا يسمعن. وأمر مغويتهن يتبعن.
فقال أبوها (أشبه امرؤ بعض بزّه) فمضت مثلاً. وقد روى هذه القصة المبرد،
ونقلها عنه الميداني وفيها بعض مغايرة للرواية السابقة: قال السيد المرتضى علم
الهدى بعد إirاده ما سبق في ترجمة ذى الأصْبَغِ العَدَوَانِيَّ في الامالي (١) أما
قول احدى بناته في الشعر: أشم فالشم هو ارتفاع أرنبة الأنف وورودها، يقال:
رجل أشم واهرأة شماء وقوم شم. قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه:
بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهُم شمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأوَّلِ
والشمم: الارتفاع في كل شيء. فيحتمل أن يكون أراد حسان بشم الأنوف
ما ذكرناه من ورود الأرنبة لأن ذلك دليل العتق والنجاة عندهم، ويجوز أن
يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنيا الأمور ورذائلها. وخص
الأنوف بذلك لأن الحمية والغضب والأنفة يكون فيها ولم يُرد طول أنفهم، وهذا
أشبه أن يكون مراده لأنه قال ببيض الوجوه، ولم يُرد بياض اللون في الحقيقة،
وانما كنى بذلك عن نقاء اعراضهم وجميل اخلاقهم وأفعالهم، كما يقول القائل
جاءنى فلان بوجه أبيض، وقد ببيض فلان وجهه بكذا وكذا، وانما يعنى ما ذكرناه.

وقول المرأة : اشم كئصل السيف يحتمل الوجهين أيضا ومعنى قول حسان : من الطراز الاول . أى أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم ، وأنهم لم يحدثوا اخلاقاً مذمومة لا تشبه نِجَارَهُمْ وأصولهم . وقولها : عين مهند ؟ أى هو المهند بعينه وعين الشئ نفسه ، وعلى الرواية الاخرى غير مهند أى ليس هو السيف المنسوب الى الهند فى الحقيقة . وإنما هو شبيه به فى مضائه . وقولها : من سر أهلى أى من أكرمهم وأخلصهم . يقال : فلان فى سرّ قومه أى فى صميمهم وشرفهم وسرّ الوادى اطيبة تراباً . والمحتد : الاصل . وقول الثانية : دومي عدى فأما معناه ن يكون له أعداء لان من لا عدوله هو السفل الرذل الذى لاخير عنده والكريم أفاضل من الناس هو المحسد المعادى . وقولها : لصوق با كباد النساء ، يعنى فى المضاجعة ويحتمل أن يكون ارادت فى المحبة والمودة ، وكنتّ بذلك عن شدة محبتهم وميلهم اليه وهو أشبه . وقولها : كأنه خليفة جان أى كأنه حية للصوقه والجان جنس من الحيات نخفت لضرورة الشعر . وقول الثالثة : يكسى الجمال نديه فالندى هو المجلس . وقولها : له حكمت الدهر . تقول : قد احكمته التجارب وجعلته حكماً . فاما الضرع : فهو الضعيف والغمر الذى لم يجرب الامور « وقول الكبرى » يكرم الحليلة ، ويعطى الوسيلة : فالحليلة هى امرأة الرجل . والوسيلة : الحاجة . وقولها : نشرب البانها جزعا . فالجزع جمع جزعة وهو الماء القليل يبقى فى الاناء . وقولها : مزعا المزعة البقية من دسم . ويقال : ماله جزعة ولا مزعة . هكذا ذكره ابن دريد بالضم فى جزعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جزعة واذا كسرت فينبغى أن يكون نشرب البانها جزعا وتكسر المزعة أيضا ليزدوج الكلام . فتقول ونأكل لحمانها مزعا فان المزعة بالكسر هى القطعة من الشحم والمزعة أيضا بالكسر من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق . والتمزيق : التقطيع والتشقيق . يقال : يكاد يتمزع من الفيظ . ومزع الطي يتمزع مزعاً : اذا أسرع . وقوله : مال عميم أى كثير « وقول الثانية » تودك السقاء من الودك الذى هو الدسم .

وقول الثالثة : نولدها فطما ، الفطم جمع فطيم وهو المقطوع من الرضاع . وقولها : نسلخها أدماً . فالادم جمع ادم وهو الذي يؤكل ، تقول لو انا فطمناها عند الولادة وسلخناها للادم من الحاجة لم نبغ بها نهما . وعلى رواية أخرى أدم من الأديم . وقوله جندوة مغنية فالجندوة القطعة « وقول الصغرى » جوف لا يشبعن . الجوف جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف . والهيم : العطاش . ولا ينقعن : أى لا يروين . ومعنى قولها : وأمر مغويتهن يتبعن أى القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزل واحدة فتقع فى الماء فيقعن كلهن اتباعاً لها . والضأن يوصف بالبلادة

وقال المفضل الضبي : أن عثمة بنت مطرود البجليّة كانت ذات عقل ورأى مستمع فى قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خود ذات جمال وميسم وعقل ، وان سبعة اخوة من غلمة بطن الازد خطبوا خوداً الى أيها فاتوه وعليهم الحلل اليمانية ، وتحتمهم النجائب الفره^(١) ، فقالوا : نحن بنو مالك بن غفيلة ذى النحين . فقال لهم : انزلوا على الماء . فتزلوا ليلتهم ثم أصبحوا غادين فى الحلل والهيئة ، ومعهم ريبة لهم يقال لها الشعشاء كاهنة فرروا بوصيدها - وهو فناؤها - يتعرضون لها كلهم وسيم جميل ، وخرج أبوها فجلسوا اليه فرحب بهم . فقالوا : بلغنا أن لك بنتاً ونحن كما ترى شباب ، وكلنا نمنع الجانب ، ونمنح^(٢) الراغب . فقال أبوها : كلكم خيار ، فاقيموا نر رأينا . ثم دخل على ابنته فقال : ما ترين فقد أتاك هؤلاء القوم . قالت : انكحنى على قدرى ، ولا تشطط^(٣) فى مهرى ، فان تخطبنى أحلامهم ، لا تخطبنى أجسامهم ، لعلى أصيب ولداً وأكثر عدداً . فخرج أبوها فقال : اخبرونى عن أفضلكم . قالت ريبتهم الشعشاء الكاهنة : اسمع اخبرك عنهم هم اخوة ، وكلهم اسوة . أما الكبير فمالك ، جرى ففاتك ، يتعب السنايك^(٤)

(١) النجائب : عتاق الابل التى يسابق عليها ، والفر جمع فار وهو النشيط الحاد القوى .
(٢) أى نعطى (٣) أى لا تفرط (٤) جمع سنيك وهو طرف الحائر وجانباه من قدم ، قال العجاج :

سنايك الخيل يمد عن الأبر من الصفا العاصى ويدهسن الغدر

ويستصغر المهالك ، وأما الذي يليه فالغمر بجر غمر ^(١) ، يقصر دونه الفخر ،
نهى ^(٢) صقر . وأما الذي يليه فعلمة ، صليب المعجزة ^(٣) ، منيع المشتمة ، قليل
الجمجمة . وأما الذي يليه فعاصم ، سيد ناعم ، جلد صارم ، أبي حازم ، جيشه
غانم ، وجاره سالم ، وأما الذي يليه فتواب ، سريع الجواب ، عتيد الصواب ،
كريم النصاب ، كليث الغاب . وأما الذي يليه فمدرك ، بذول لما يملك ، عزوب
عما يترك ، يفني ويهلك . وأما الذي يليه فجنديل ، لقرنه ^(٤) مجدل ، مقل لما
يحمل ، يعطى ويبذل ، وعن عدوه لا ينكل ^(٥) . فشاورت أختها عثمة فيهم .
فقلت أختها : « ترى الفتيان كالنخل . وما يدريك ما الدخل » ، فذهب قولها مثلاً
يضرب في ذى المنظر لا خير عنده . والدخل العيب الباطن . ثم قالت : اسمعى
منى كلمة ، إن شر الغريبة يعلن . وخيرها يدفن . انكحى فى قومك ، ولا تغرك
الاجسام ، فلم تقبل منها . وبعثت الى أبيها : انكحنى مدركا . فانكحها أبوها على
مائة ناقة ورعاتها ، وحملها مدرك فلم تلبث عنده الا قليلاً حتى صبحتهم فوارس
من بنى مالك بن كنانة فاقتتلوا ساعة ، ثم إن زوجها واخوته وبنى غامد انكشفوا
فسبوا فيمن سبوا فيناهي تسير بكت . فقالوا : ما يبكيك أعلى فراق زوجك ؟
فقلت : قبحة الله . قالوا : لقد كان جميلاً قالت : قبح الله جمالا لانفع معه ، إنما
أبكى على عصياني أختي . وقولها : ترى الفتيان كالنخل المثل وأخبرتهم كيف
خطبها . فقال لها رجل منهم يكنى أبا نواس شاب اسود أفوه مضطرب الخلق :
أترضين بي على أن أمنعك من ذئاب العرب ؟ فقلت لاصحابه : أ كذلك هو ؟ قالوا :
نعم إنه مع ماترين ليمنع الحليمة ، وتتقيه القبيلة . قالت : هذا أجمل جمال ، وأكل
كامل ، قد رضيت به فزوجها منه

وقد سأل القليل الحميرى ولديه عن الرجال فى جملة ما سأل . قال للاكبر « وهو

(١) أى كثير الماء مفروق بين الغمورة ؛ يريد أنه كريم جواد كثير الطاء والنوال (٢) النهى .
الكريم ينهى إلى معالى الامور (٣) أى عزيز النفس إذا جرسه الامور وجدته عزيزاً صلباً
(٤) الكفء فى الشجاعة أو طام (٥) نكل منه كضرب ونصرو علم نكولاً نكص وجبن

عمرو « ما أحب الرجال إليك وأكرمهم عليك؟ فقال عمرو : السيد الجواد ،
القليل الانداد ، الماجد الاجداد ، الراسى الاوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ،
الكثير الحساد ، الباسل الذواد ، الصادرالوراد ، قال : ماتقول ياربعة ؟ قال :
ماحسن ماوصف ! وغيره أحب الىّ منه . قال : ومن يكون بعد هذا ؟ قال : السيد
الكريم ، المانع للحريم ، المفضل الحليم ، القمقام ^(١) الزعيم ، الذى ان هم فعل ،
وان سُئِلَ بئد . قال : اخبرنى يا عمرو ما ابغض الرجال إليك ؟ قال : البرم ^(٢)
اللثيم ، المستخدى ^(٣) للخصيم ، المبطان النهيم ^(٤) . العيي البكيم ^(٥) ، الذى ان
سُئِلَ منع ، وان هدد خضع ، وان طلب جشع ^(٦) . قال : ما تقول ياربعة ؟
قال : غيره أبغض الىّ منه . قال : ومن هو ؟ قال : النوم ^(٧) الكذوب ،
الفاحش الغضوب ، الرغيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام .

حديث النسوة التى اخبرن عن أحوال أزواجهن

روى أهل الكتب الصحيحة فى الحديث . وأئمة أهل اللغة والادب . انه
خرج إحدى عشرة امرأة من خثعم وهى قبيلة من قبائل عرب اليمن . وكانت
فى قرية من قرى اليمن فى الجاهلية الى مجلس فجلسن وقلن تعالين فلنذكر بعولتنا
بما فيهم ولا نكذب فتماهدن وتعاقدن ان لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً .
فتكلمت كل واحدة منهن فى وصف زوجها بكلام بلغ من فصاحة الالفاظ وبلاغة
العبارة والبديع مالا يزيد عليه . ولا سيما كلام الاخيرة منهن وهى أم زرع فانه مع
كثرة فصوله ، وقلة فضوله ، مجتاز الكلمات ، واضح السمات ، نير النسبات ،
قد قدرت الفاظه قدر معانيه ، وقررت قواعده وشيدت مبانيه ، أفرغ فى قالب

(١) بالفتح ويضم السيد الكثير الخير الواسع الفضل (٢) مر تفسيره قريباً (٣) الاستخذاء :
الخصوع (٤) المبطان الذى همه بطنه أو الرغيب لا ينتهى من الاكل ، والنهيم المفرط الشهوة
فى الطعام ولا تلى عينه ولا يشبع (٥) البكم محرّكة الحرس أو مع عى وبه أو أن يولد
ولا ينطق ولا يسمع ولا يبصر ، بكم كفرح فهو أ بكم وبكيم (٦) الجشع أسوأ الحرص
وقد جشع الرجل فهو جشع (٧) ويروى التؤوم أى الكثير النوم والاول انسب

الانسجام ، واتى به الخاطر بغير تكلف ، وجاء لفظه تابعا لمعناه منقادا له غير مستكبر ولا منافرا ، والله بمن على من يشاء بما شاء لا اله الا هو (١) . ولنذكر كلامهن مع شرحه :

قالت الاولى وهى مهدي بنت ابي هزومة :

(زوجى لحم جبل غث ، على رأس جبل وعت ، لاسهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقل ، وفى رواية فينتقى) . وصفته بقلة الخير وبعده مع القلة . فشبهته باللحم الذى صغرت عظامه عن النقى . وهو المنخ وخبث طعمه وريحه مع كونه فى مرتقى يشق الوصول اليه . فلا يرغب أحد فى طلبه لينقله اليه . مع توفر دواعى أكثر الناس على تناول الشئ المبذول فقد أودعت كلامها تشبيه شيئين بشيئين : شبهت زوجها باللحم الغث ، وهو الهزيل الذى يستغث من هزاله ، أى يستترك ويستكروه . وشبهت سوء خلقه بالجبل الوعت ، أى كثير الضجر شديد الغلظة يصعب الرقى اليه . والوعت بالثلثة الصعب المرتقى بحيث توحد فيه الاقدام ، فلا يتخلص منه ويشق فيه المشى ، ومنه وعثاء السفر ، ثم فسرت ما أجملت فكأنها قالت لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لاخذ اللحم ولو كان هزيلا لان الشئ المزهود فيه قد يؤخذ اذا وجد بغير نصب ، ثم قالت : ولا اللحم سمين فيتحمل المشقة فى صعود الجبل لاجل تحصيله .

قالت الثانية :

(زوجى لا ابث خبره . انى أخاف أن لا اذره . ان اذكره اذ كر عجره وبجره)
جملت حال زوجها ، واكتفت بالإشارة الى مآئبه خشية ان يطول الخطب بايراد جميعها . قال ابن فارس : يقال فى المثل افضيت اليه بعجى وبجرى أى بامرى كله ومعنى انى أخاف أن لا اذره أى أخاف أن لا أترك من خبره شيئا . والعجر والبجر جمع عجرة وبجرة بضم ثم سكون . فالعجر تعقد العصب والعروق فى الجسد حتى

(١) هذا الوصف لابن حجر العسقلانى

تصير نائثة . والبُجْرَ مثلها الا أنها مختصة بالتي تكون في البطن . قاله الاصمعي وغيره
وقال ابن الاعرابي : العجرة نفخة في الظهر ، والبجرة نفخة في السرة . وقال ابن
أبي أويس : العجر العقدا التي تكون في البطن واللسان ، والبجر العيوب . وقيل :
العجر في الجنب والبطن ، والبجر في السرة . هذا أصلهما ، ثم استعمالا في الهموم
والاحزان . ومنه قول علي رضي الله تعالى عنه يوم الجمل : أشكو الى الله عَجْرِي
وَبُجْرِي . وقال الاصمعي : استعمالا في المعائب . وبه جزم ابن حبيب وأبو عبيد
الهروي . وقال أبو عبيد بن سلام ، ثم ابن السكيت : استعمالا فيما يكتبه المرء
ويخفيه عن غيره . وبه جزم المبرد . قال الخطابي : ارادت عيوبه الظاهرة .
واسراره الكامنة . وقد سبق قول ابن فارس .

قالت الثالثة وهي كبشة بنت الارقم :

(زوجي العَشَنُّ ، ان أنطق أطلق . وان أسكت أعلق) العشنق : الطويل
المدموم الطول . قال الاصمعي : ارادت انه ليس عنده أكثر من طوله بغير نفع .
وقيل : ذمته بالطول لان الطول في الغالب دليل السفه ، وعلل ببعده الدماغ عن
القلب . وقال أبو سعيد الضرير : الصحيح ان العشنق الطويل النجيب الذي
يملك أمر نفسه ، ولا يحكم النساء فيه ، بل يحكم فيهن بما شاء فزوجته تهابه ان
تنطق بحضورته فهي تسكت على مضمض . قال الزمخشري : وهي من الشكاية
البليغة انتهى . ويؤيده ما وقع في رواية يعقوب بن السكيت من الزيادة في آخره
وهو على حد السنان المدلَّق . أي المجرّد بوزنه ومعناه ، تشير الى انها منه على
حذر . ومعنى ان انطق أطلق الخ أي ان ذكرت عيوبه فيبلغه طلقني وان سكنت
عنها فانا عنده معلقة لاذات زوج ولا أيم . فكأنها قالت : أنا عنده لاذات بعل
فانتفع به ، ولا معلقة فاتفرغ لغيره . فهي كالمعلقة بين العلو والسفل ، لا تستقر
باحدهما . ولم يرتض هذا بعضهم . وقال : وفي الشق الثاني عندي نظر لانه لو كان
ذلك مرادها لانطلقت ليطلقها فتستريح ، قال : والذي يظهر لي انها ارادت وصف

سوء حالها عنده ، فأشارت الى سوء خلقه وعدم احتمالها لكلامها ان شككت له حالها
وانها تعلم انها متى ذكرت له شيئاً من ذلك يادر الى طلاقها ، وهي لا تؤثر تطلقه
لمحببتها فيه ، ثم عبرت بالجملة الثانية اشارة الى انها ان سكنت صابرة على تلك الحال
كانت عنده كالمعلقة التي لا ذات زوج ولا أيم . قال عياض : أوضحت بقولها :
على حد السنان المذلق ، مرادها بقولها قبل أن أسكت أعلق ، وان أنطق أطلق .
أى انها ان حادت عن السنان سقطت فهلكت ، وان استمرت عليه أهلكها .
قالت الرابعة :

(زوجي كليل تهامة ، لاحرّ ولا قرّ ، ولا مخافة ولا سامة ، والغيث غيث
غمامة) تصف زوجها بأنه ابن الجانب ، خفيف الوطأة على الصاحب . ومعنى
والغيث غيث غمامة : أنه لا شر فيه يخاف . وقال ابن الانباري : أرادت بقولها
ولا مخافة أى ان أهل تهامة لا يخافون لتحصنهم بجبالها ، أو أرادت وصف زوجها
بأنه حامى الدمار ، مانع لداره وجاره ، ولا مخافة عند من يأوى اليه ، ثم وصفته
بالجود . وقال غيره : قد ضربوا المثل بليل تهامة في الطيب ، لانها بلاد حارة
في غالب الزمان ، وليس فيها رياح باردة فاذا كان الليل كان وهج الحرّ ساكناً
فيطيب الليل لاهلها بالنسبة لما كانوا فيه من أذى حرّ النهار . فوصفت زوجها
بجميل العشرة ، واعتدال الحال ، وسلامة الباطن ، فكأنها قالت لا أذى عنده
ولا مكروه ، وأنا آمنة منه فلا أخاف من شره ، ولا ملل عنده فيسأم من عشرتي
أو ليس بسىء الخلق فاسأم من عشرته ، فانا لذينة العيش عنده كلدة أهل تهامة
بليلم المعتدل .

قالت الخامسة وهي حبي بنت علقمة :

(زوجي ان دخل فهد ، وان خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد ، ولا يرفع
اليوم لغد) شبهته في لينه وغفلته بالفهد لانه يوصف بالحياء ، وقلة الشر وكثرة
الندم ، وشبهته بالاسد تصفه بالنشاط في الغزو . وقال ابن أبي أويس : معناه

ان دخل البيت وثب على وثوب الفهد ، وان خرج كان في الاقدام مثل الاسد . تشير الى كثرة جماعه لها اذا دخل فينطوى تحت ذلك تمدحها بانها محبوبة لديه بحيث لا يصبر عنها اذا رآها ، واذا خرج على الناس كان أمره أشد في الجرأة والاقدام والمهابة كالأسد . وقولها : ولا يسأل عما عهد بمعنى أنه شديد الكرم ، كثير التفاضى ، لا يتفقد ما ذهب من ماله ، واذا جاء بشيء لبيته لا يسأل عنه بعد ذلك ، أولا يلتفت الى ما يرى في البيت من المعائب ، بل يسامح ويغضى ومعنى قولها : ولا يرفع اليوم لغد . يعنى لا يدخر ما حصل عنده اليوم من أجل الغد فكنت بذلك عن غاية جوده . ويحتمل أن يكون المراد انه يأخذ بالحزم في جميع أموره فلا يؤخر ما يجب عمله اليوم الى غد . فالتمثيل بالفهد من جهة كثرة التكرم أو الوثوب ، وبالاسد من جهة الشجاعة ، وبعدم السؤال من جهة المسامحة ، وبعدم الرفع الى الغد ما ذكر من عدم الادخار .

قلت السادسة وهي بنت اوس بن عبد ود :

(زوجى ان أكل لف ، وان شرب اشتف ، وان اضطجع التف ، ولا يولج الكف ليعلم البث) . وفي رواية بزيادة وان ذبح اغتث . أى تمحى الغث وهو الهزيل . وقد جمعت في وصفها له بين اللؤم والبخل ، والنهمة والمهانة ، وسوء العشرة مع أهله . فان العرب تنم بكثرة الاكل والشرب ، وتمدح بقلتهما وبكثرة الجماع لدلالاتها على صحة الذكورية والفحولية . فان المراد باللف الاكثار من الاكل واستقصاؤه حتى لا يترك شيئاً منه . والاشتفاف في الشرب استقصاؤه مأخوذ من الشفافة بالضم والتخفيف وهي البقية تبقى في الاناء . فاذا شربها الذى شرب الاناء قيل اشتفها . وقولها : التف . أى رقد ناحية وتلف بكسائه وحده ، وانقبض عن أهله اعراضاً فهي كثيبة حزينة لذلك . ولذلك قالت : ولا يولج الكف ليعلم البث أى لا يمد يده ليعلم ما هي عليه من الحزن فيزيله ، ويحتمل أن تكون أرادت انه ينام نوم العاجز الفشل الكسل . والمراد بالبث الحزن ، ويطلق

على الشكوى ، وعلى المرض وعلى الامر الذى لا يصبر عليه . ارادت أنه لا يسأل عن الامر الذى يقع اهتمامها به فوصفته بقلة الشفقة عليها ، وأنه لو رآها عليه لم يدخل يده فى ثوبها ليتفقد خبرها كهادة الاجانب فضلا عن الازواج ، وقيل فى المراد به غير ذلك .

قالت السابعة وهى هند :

(زوجى غيايا طباقا ، كل داء له داء ، شجك أو فلاك ، أو جمع كلاً لك)
الغيايا الطباقا الاحق الذى ينطبق عليه أمره . وعن الجاحظ الطباقا الثقيل الصدر عند الجماع ينطبق صدره على صدر المرأة فيرتفع سفله عنها . وقد ذمت امرأة امرأ القيس فقالت له ثقيل الصدر خفيف العجز ، سريع الاراقة ، بطيء الافاقة . وقولها : كل داء له داء أى كل شيء تفرق فى الناس من المعائب موجود فيه . وقولها : شجك أو فلك أى جرحك فى رأسك وجسدك . قال عياض وصفته بالحمق والتناهى فى سوء العشرة وجمع النقائص بان يعجز عن قضاء وطرها مع الاذى ، فان حدثته سبها ، واذا مزحته شجها ، واذا اغضبته كسر عضواً من أعضائها ، أو شق جلدها ، أو أغار على مالها ، أو جمع كل ذلك من الضرب والجرح وكسر العضو وموجع الكلام وأخذ المال .

قالت الثامنة وهى عمرة بنت عمرو :

(زوجى المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب) وصفته بانه لين الجسد ناعمه فان الأرنب دويبة لينة المس ناعمة الوبر جداً ، والزرنب بوزن الارنب لكن أوله زاي وهو نبت طيب الريح ، ويحتمل أن تكون كنت بذلك عن حسن خلقه ، ولين عريكته ، بانه طيب العرق لكثرة نظافته ، واستعماله الطيب نظرفا . ويحتمل أن تكون كنت بذلك عن طيب حديثه ، أو طيب الشاء عليه لجميل معاشرته . وفى رواية أخرى بزيادة قولها : وأنا أغلبه والناس يغلب . فوصفته مع جميل عشرته لها ، وصبره عليها بالشجاعة . وهو كما قال معاوية رضى الله عنه :

يغلبن الكرام ، ويغلبهن اللئام . وأما قولها : والناس يغلب ففيه نوع من البديع
يسمى التتميم لأنها لو اقتصر على قولها وأنا أغلبه لظن أنه جبان ضعيف فلما
قالت والناس يغلب دل على أن أغلبها إياه إنما هو من كرم سجاياه . فتمت بهذه
الكلمة المبالغة في حسن أو صافه .

قلت التاسعة وهي كبشة :

(زوجي رفيعُ العباد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد)
زاد الزبير بن بكار في روايته : (لا يشبع ليلة يُضَيَّف ، ولا ينام ليلة يخاف)
وصفته بطول البيت وعلوه فان بيوت الاشراف كذلك يعلونها ويضربونها في المواضع
المرتفعة ليقتصد هم الطارقون والوافدون ، فطول بيوتهم إما لزيادة شرفهم ، أو لطول
قاماتهم ، وبيوت غيرهم قصار . وقد هج الشعراء بمدح الاول وذم الثاني كقوله :

قصار البيوت لا ترى صهواتها

وقال آخر :

إذا دخلوا بيوتهم اكبوا على الركبات من قصر العباد
ومن لازم طول البيت أن يكون متسعاً فيدل على كثرة الحاشية والغاشية .
وقيل : كُنتَ بذلك عن شرفه ورفعة قدره . والنجاد بكسر النون وجيم خفيفة
جمالة السيف ، تريد أنه طويل القامة يحتاج الى طول نجاهه ، وفي ضمن كلامها
أنه صاحب سيف فاشارت الى شجاعته ، وكانت العرب تتماحح بالطول وتندم بالقصر
وقولها : عظيم الرماد . تعني ان نار قراه للاضياف لا تطفى تهتدي الضيفان اليها
فيصير رماد النار كثيراً لذلك . وقولها : قريب البيت من الناد وقفت عليها
بالسكون لمواخاة السجع ، والنادى والندى : مجلس القوم . وصفته بالشرف
في قومه ، فهم اذا تفاوضوا واشتوروا في أمر اتوا فجلسوا قريباً من بيته فاعتمدوا
على رأيه وامثلوا أمره ، أو أنه وضع بيته في وسط الناس ليسهل لقاءه ويكون
أقرب الى الوارد وطالب القرى . قال زهير :

يسط البيوت لكي يكون مظنةً من حيث توضع جفنة المسترفد
ويحتمل أن تريد ان أهل النادى اذا أتوه لم يصعب عليهم لقاءه لكونه
لا يحتاج عنهم ولا يتباعد منهم بل يقرب ويتلقاهم ويبادر لا كرامهم ، وضده
من يتوارى بأطراف الحلل واغوار المنازل ويبعد عن سميت الضيف لئلا يهتدوا
الى مكانه ، فاذا استبعدوا موضعه صدوا عنه ومالوا الى غيره . ومحصل كلامها :
أنها وصفته بالسيادة والكرم وحسن الخلق وطيب المعاشرة .

قلت العاشرة وهي حبي بنت كعب :

(زوجى مالك وما مالك ، مالك خير من ذلك ، له ابل كثيرات المبارك
قليلات المسارح ، واذا سمعن صوت المزهَر ايقنَّ أنهنَّ هوالك) ووقع فى رواية
يعقوب بن السكيت وابن الانبارى من الزيادة : وهو امام القوم فى المهالك .
المبارك بفتححتين جمع برك وهو موضع نزول الابل . والمسارح : جمع مسرح
وهو الموضع الذى تطلق لترعى فيه . والمزهَر بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الهاء
آلة من آلات اللهو ، فجمعت فى وصفها له بين الثروة والكرم وكثرة القرى
والاستعداد له والمبالغة فى صفاته ، ووصفته أيضاً مع ذلك بالشجاعة لأن المراد
بالمهالك الحروب . وهو لثقتة بشجاعته يتقدم رفقته . وقيل : أرادت أنه هاد
فى السبل الخفية ، عالم بالطرق فى البيداء . فلما اراد على هذا بالمهالك المفاوز ، والأول
أليق والله أعلم . وما فى قولها : وما مالك ، استفهامية يقال للتعظيم والتعجب
والمعنى وأى شىء هو مالك ما أعظمه وأكرمه ، وتكرير الاسم ادخل فى باب
التعظيم . وقولها : مالك خير من ذلك زيادة فى الاعظام ، وتفسير لبعض
الابهام ، وأنه خير مما أشير اليه من ثناء وطيب ذكر ، وفوق ما اعتقد فيه من
سؤدد ونخر ، وهو أجل ممن أصفه لشهرة فضله . وهذا بناء على أن الاشارة
بقولها ذلك الى ما تعتقده فيه من صفات المدح . ويحتمل أن يكون المراد مالك
خير مما فى ذهنك من مالك الأموال وهو خير مما أصفه به . ويحتمل أن تكون

الإشارة إلى ما تقدم من الثناء على الذين من قبله ، وأن ما لكا أجمع من الذين قبله لخصال السيادة والفضل . ومعنى قولها : قليلات المسارح أنه لاستعداده للضيافان بها لا يوجه منهن إلى المسارح الا قليلا وينترك سائرهن بفنائمه . فان فاجأه ضيف وجد عنده ما يقريه به من لحومها وألبانها . ومنه قول الشاعر :

حبسنا ولم نسرخ لكى لا يلومنا على حكمة صبرا معودة الحبس

ويحتمل أن تريد بقولها : قليلات المسارح الإشارة إلى كثرة طروق الضيفان . فاليوم الذى يطرقه الضيف فيه لا تسرح حتى يأخذ منها حاجته للضيفان ، واليوم الذى لا يطرقه فيه أحد أو يكون هو فيه غالباً تسرح كلها ، فأيام الطروق أكثر من أيام عدمه ، فهى لذلك قليلات المسارح . وبهذا يندفع اعتراض من قال لو كانت قليلات المسارح لكانت فى غاية الهزال . وقيل : المراد بكثرة المبارك أنها كثيراً ما تثار فتحلب ثم تترك فتكثر مباركها لذلك . وقال ابن السكيت : إن المراد أن مباركها على العطايا والجمالات ^(١) واداء الحقوق وقرى الاضياف كثيرة ، وانما يسرح منها ما فضل عن ذلك . فالخاصل أنها فى الاصل كثيرة ، ولذلك كانت مباركها كثيرة ، ثم اذا سرحت صارت قليلة لاجل ما ذهب منها . وأما رواية من روى : عظيما المبارك . فيحتمل أن يكون المعنى أنها من سمها وعظم جثتها تعظم مباركها ، وقيل : المراد أنها اذا بركت كانت كثيرة لكثرة من ينضم إليها ممن يلتبس القرى ، واذا سرحت سرحت وحدها فكانت قليلة بالنسبة لذلك . وأما قولها : ايقن أنهم هوالك . فالعنى أنه لما كثرت عاداته بنحر الابل لقرى الضيفان - ومن عاداته ان يسقيهم ويلبهم أو يتلقاهم بالغناء مبالغة فى الفرح بهم - صارت الابل اذا سمعت صوت الغناء عرفت أنها تنحر :

قالت الحادية عشر وهى عائكة كما قال ابن دريد فى كتاب الوشاح :

(زوجى أبو زرع ، فما أبو زرع ؟ أناس من حلى أذنى ، وملا من شحم

(١) الجمالة كسحابة الدية يحملها قوم عن قوم كالحمال

عَضُدِي ، وَبَجَحْنِي فَبَجَحَتْ إِلَى نَفْسِي ، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةِ بِشَقِّ ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمَنْقٍ ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ : فَلَا أَقْبَحَ ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ ، أُمُّ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرَعٍ ؟ عَقُومُهَا رِدَاحٌ ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ ، ابْنُ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرَعٍ ؟ مَضْجَعُهُ كَسَلُ شَطْبَةٍ ، وَيَشْبَعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ . بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ ؟ طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا وَمَلَأَ كَسَاهَا وَغَيْظُ جَارَتِهَا . جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ ؟ لَا تَبَثُ حَدِيثَنَا بَيْتِنَا ، وَلَا تَنْقُثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا ، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعَشِيثًا . قَالَتْ : خَرَجَ أَبُو زَرَعٍ وَالْأَوْطَابُ تَمَخَّضَ فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرِمَانَتَيْنِ فَطَلَقَنِي وَنَكَحَهَا ، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا ، رَكِبَ شَرِيًّا ، وَأَخَذَ خَطِيًّا ، وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا ، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا ، وَقَالَ : كُلِّي أُمَّ زَرَعٍ وَمِيرِي أَهْلَكَ . قَالَتْ : فَبَلَوْتُ جَمْعَتُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرَعٍ .

زاد الطبراني في رواية بعد قولها فما أبو زرع (صاحب نعم وزرع) ومعنى أناس من حلى أذنني : أنه ملأ أذنيها بما جرت به عادة النساء من التحلي به من قرط وشنف من ذهب ولؤلؤ ونحو ذلك . ومعنى وملا من شحم عضدي : قال أبو عبيد : لم ترد العضد وحده وإنما أرادت الجسد كله ، لأن العضد إذا سمنت سمن سائر الجسد ، وخصت العضد لأنه أقرب ما يلي بصر الإنسان من جسده . ومعنى بيجحني فبجحت إلى نفسي : أنه فرحها ففرحت . وقال ابن النباري : المعنى عظمتي فعظمت إلى نفسي . ومعنى وجدني في أهل غنيمة بشق : أنهم كانوا في شق جبل أي ناحيته ولقلتهم وسعهم . ومعنى أهل صهيل وأطيط أي خيل وأبل ، وأصل الاطيط صوت أعواد المحامل ، والرحال على الجمال ، فأرادت أنهم أصحاب محامل تشير بذلك إلى رفاقتهم ودائس من الدوس . قال ابن السكيت : هو الذي يدوس الطعام فكأنها أرادت أنهم أصحاب زرع . وقال أبو سعيد : المراد أن عندهم طعاماً منتقى . وهم في دياس شيء آخر نفيرهم متصل . ومنق بكسر النون وتشديد

القاف ، وقد اختلف أهل اللغة في تفسير هذه الكلمات . الحاصل أنها ذكرت أنه نقلها من شظف عيش أهلها الى الثروة الواسعة من الخيل والابل والزرع وغير ذلك . ومن امثالهم : ان كنت كاذباً فخلبت قاعداً أى صار مالك غنماً يجلبها القاعد ، وبالضد أهل الابل والخيول . ومعنى فلا أقبح : لا يقال لى قبحك الله أولاً يقبح قولى ولا يرد على ، أى لكثرة أكرامه لها وتدلها عليه لا يرد لها قولاً ولا يقبح عليها ما أتى به . ومعنى وارقد فاتصبح : أنام الصبحة ، وهي نوم أول النهار فلا أوقظ إشارة الى أن لها من يكفيها مؤنة بيتها ومهنة أهلها . وأرادت بقولها وأشرب فاتقح : انها تشرب حتى لا تجد مساعاً . واختلف اللغويون في معنى اتقح فقال أبو عبيد : معناه أروى حتى لا أحب الشرب . وقيل غير ذلك . والشرب يعم شرب اللبن والخمر والنبيد والسويق وغير ذلك . والعوم بضم المهملة جمع عكم بكسرهما وسكون الكاف هي الأعدال والأحمال التي تجمع فيها الامتعة . وَرَدَّاح أى عظام كثيرة الحشو قاله أبو عبيد . وقال الهروى : معناه ثقيلة . يقال للمرأة اذا كانت عظيمة الكفل ثقيلة الورك رداح . وفساح بفتح الفاء والمهملة أى واسع . وصفت والدة زوجها بأنها كثيرة الآلات والأثاث والقماش واسعة المال كبيرة البيت ، اما حقيقة فيدل ذلك على عظم الثروة ، واما كناية عن كثرة الخير ورغد العيش والبر بمن ينزل بهم لانهم يقولون فلان رحب المنزل أى يكرم من ينزل عليه . وأشارت بوصف والدة زوجها الى أن زوجها كثير البر لأمه وانه لم يطعن فى السن لان ذلك هو الغالب ممن يكون له والدة توصف بمثل ذلك وقولها (ابن أبى زرع ، فما ابن أبى زرع ، مضجعه كمثل شطبة ويشبعه ذراع الجفرة) وفي رواية لابن الانبارى بزيادة (وترويه فيقة البعرة . ويمس فى حلق النثرة) قال ابن الاعرابى : أرادت بمثل الشطبة سيف مسل من غمده فمضجعه الذى ينام فيه فى الصغر كقدر مسل شطبة واحدة . والجفرة : الأثني من ولد المعز اذا كان ابن أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ فى الرعى قاله أبو عبيد وغيره

وقال ابن الأنباري وابن دريد : ويقال لولد الضأن أيضاً إذا كان ثنياً . وقال الخليل : الجفر من أولاد الشاة ما استجفر أى صار له بطن . والفيقة بكسر الفاء وسكون التحتانية بعدها قاف ما يجتمع في الضرع بين الحلبتين والفواق بضم الفاء الزمان الذى بين الحلبتين . واليعرة : بفتح التحتانية وسكون المهملة بعدها راء العناق . ويمس بالمهملة أى يتبختر . والمراد بخلق النثرة . وهى بالنون المفتوحة ثم المثناة الساكنة . الدرع اللطيفة أو القصيرة ، وقيل اللينة الملمس ، وقيل الواسعة . والحاصل أنها وصفته بهيف القد وأنه ليس ببطين ولا جافى قليل الاكل والشرب ملازم لآلة الحرب يختال في موضع القتال ، وكل ذلك مما تهادج به العرب . ويحتمل أنها وصفته بأنه خفيف الوطأة عليها لان الزوج غالباً يستثقل ولده من غيرها فكان هذا يخفف عنها فاذا دخل بيتها فانفق أنه قال^(١) فيه مثلاً لم يضطجع الا قدر ما يسيل السيف من غمده ثم يستيقظ مبالغة في التخفيف عنها . وكذا قولها : يشبعه ذراع الجفرة أنه لا يحتاج ما عندها بالا كل فضلاً عن الاخذ بل لو طعم عندها لاقتنع باليسير الذى يسد الرمق من الماء كقول والمشروب . وقولها فى بنت أبى زرع : طوع أبىها وطوع أمها أى أنها بارة بهما . وفى رواية الزبير بزيادة : (وزين أهلها ونسائها) أى يتجملون بها . وملء كسائها : كناية عن كمال شخصها ، ونعمة جسمها . وغيط جارتها ، أى ضررتها . أو هو على حقيقته لان الجارات من شأنهن ذلك . وزاد الكاذى فى روايته عن ابن السكيت (وصف رداؤها) وزاد فى رواية (قباء ، هزيمة الحشا ، جائلة الوشاح ، عكناء ، فعاء ، نجلاء ، دغجاء ، رجاء ، قنواء ، مونقة ، مغنقة) وصفر بكسر الصاد المهملة وسكون الفاء أى خال فارغ . والمعنى : أن رداؤها كالفارغ الخالى لانه لا يمس من جسمها شيئاً ، لأن ردفها وكتفها يمنع مسه من خلفها شيئاً من جسمها ونهدها يمنع مسه شيئاً من مقدمها . وفى كلام ابن أبى أويس وغيره : معنى قولها صفر رداؤها تصفها بأنها خفيفة موضع التردية وهو أعلى بدنها .

(١) قال قتيلا وقائلة وقيلولة : نام فى القائلة وعنى نصف النهار

ومعنى قولها : وملء كسائها أى ممتلئة موضع الازرة وهو أسفل بدنها . والصفير
الشيء الفارغ . قال عياض : والاولى أنه اراد أن امتلاء منكبيها ، وقيام نهديها ،
يرفعان الرداء عن أعلى جسدها فهو لا يمسه فيصير كالفارغ منها بخلاف أسفلها .
ومنه قول الشاعر :

أبت الروادف والنهود لقمصها من ان تمس بطونها وظهورها
وقولها « قباء » بفتح القاف وتشديد الموحدة أى ضامرة البطن « وهضيمة
الحشا » هو بمعنى الذى قبله « وجائلة الوشاح » أى يدور وشاحها لضمور بطنها
« وعكنا » أى ذات أعكان « وفعماء » بالهملة أى ممتلئة الجسم « ونجلاء »
بنون وجيم أى واسعة العين « ودعجاء » أى شديدة سواد العين « ورجاء »
بتشديد الجيم أى كبيرة الكفل ترجح من عظمه ان كانت الرواية بالراء، فان كانت
بالزاي فالمراد فى حاجيها تقويس « وقنواء » بفتح القاف وسكون النون والمد من
القنوطول فى الانف ورقة الارنبه مع حدة فى وسطه « ومونقة » بنون ثقيلة وقاف
« ومغنقة » بوزنه أى مغذية بالعيش الناعم وكلها أوصاف حسان ، وقولها فى جارية أبى
زرع ، لا تبث حديثنا بثيثا، بمعنى لا تظهره، ولا تنقث بتشديد القاف بعدها مثلثة أى
تسرع فيه بالخيانة وتذهب بالسرقه ، والميرة بكسر الميم وسكون التحتانية بعدها راء
الزاد وأصله ما يحصله البدوى من الحضر ويحمله الى منزله لينتفع به أهله ، وقولها : ولا
تملا بيتنا تعشيشا أى انها مصلحة للبيت مهتمة بتنظيفه والقاء كناسته وابعادها منه
وانها لا تكتفى بقم^(١) كناسته وتركها فى جوانبه كأنها الاعشاش . قالت :
خرج أبو زرع والاوطاب تمخض أرادت أنه يبكر بخروجه من منزلها غدوة
وقت قيام الخدم والعبيد لاشغالهم . والاوطاب : جمع وطب بفتح أوله وهو
وعاء اللبن . وانطوى فى خبرها كثرة خير داره وغزارة لبنه وان عندهم ما يكفيهم
ويفضل حتى يمخضوه ويستخرجوا زبده ، ويحتمل أن يكون انها أرادت أن
الوقت الذى خرج فيه كان فى زمن الخصب وطيب الربيع ، وكان سبب ذكر

(١) فم البيت : كنهه

ذلك توطئة للباعت على رؤية أبي زرع للمرأة على الحالة التي رآها عليها ، أى أنها من خمض اللبن تعبت فاستقلت تستريح فرآها أبو زرع على ذلك . وفائدة وصف الولدين بأنهما كالفهدين التنبيه على أسباب تزويج أبي زرع لها لأنهم كانوا يرغبون فى أن تكون أولادهم من النساء المنجيات فلذلك حرص أبو زرع عليها لما رآها . وفى تشبيه التهدين بالرماتين إشارة الى صغر سنهما . وقولها : فنكحت بعده رجلا سرى أى من سراة الناس وهم كبرائهم فى حسن الصورة والهيئة والسرى من كل شىء خياره . وركب شرياً : تعنى فرساً خياراً فائقاً . وأخذ خطياً : أى رجلاً منسوباً الى الخط وهو موضع بنواحي البحرين تجلب منه الرماح وأراح : من الرواح . ومعناه أتى بها الى المراح وهو موضع مبيت الماشية . قال ابن أبى أويس : معناه انه غزا فغنم فاتى بالنعم الكثيرة . والنعم : بفتح العين الابل خاصة ، ويطلق على جميع المواشى اذا كان فيها ابل وثريا أى كثيرة . والثرى : المال الكثير من الابل وغيرها ، وأرادت بقولها : وأعطاني من كل رائحة زوجا كثرة ما أعطها وان لم يقتصر على الفرد من ذلك والرائحة الآتية وقت الرواح وهو آخر النهار . ومعنى قوله كلى أم زرع وميرى أهلك أى صليهم واوسعى عليهم بالميرة وهى الطعام . والحاصل : انها وصفته بالسؤدد فى ذاته والشجاعة والفضل والجود بكونه اباح لها أن تأكل ما شاءت من ماله وتهدى منه ما شاءت لأهلها مبالغة فى اكرامها ؛ ومع ذلك فكانت أحواله عندها محتقرة بالنسبة لابى زرع . وكان سبب ذلك أن أبا زرع كان أول أزواجها فسكنت محبته فى قلبها ، كما قيل * ما الحب الا للحبيب الاول * ولذلك قالت : فلو جمعت كل شىء اعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع . وقد تبين مما أوردناه من أسجاع العرب فى وصف الرجال والازواج على الاختلاف فى العبارات أن ماله ومحصله أن الحمود منهم هو الجامع للصفات الحمودة خلقاً وخلقا عند ذوى العقول السليمة ، وان المذموم منهم من اتصف بخلاف ذلك ، وبه يعلم ما كان عليه العرب جاهلية من المكانة فى الرأى .

طلاق العرب في الجاهلية وعدة نساءهم

كان العرب في الجاهلية يطلقون ثلاثاً على التفرقة ، وأول من سن ذلك لهم اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ثم فعلت العرب ذلك ، فكان أحدهم يطلق زوجته واحدة وهو أحق الناس بها حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها . ومنه قول الاعشى حين تزوج امرأة فرغب بها عنه^(١) فاتاه قومها فهددوه بالضرب أو يطلقها :

أيا جارتى بينى فانك طالقهِ كذلك أمورُ الناسِ غادٍ وطارقه^(٢)
قالوا : ثانية . فقال :

وبيني فان البينَ خيرٌ من العصا والا ترى لى فوق رأسك بارقه
قالوا : ثالثة . فقال :

وبيني حصان الفرج غيرَ ذميمةٍ وموموقة قد كنتِ فينا ووامقه^(٣)
وكانوا يخلعون نساءهم أيضاً . وانخلع فراق الزوجة على مال مأخوذ من خلع الثوب ، لأن المرأة لباس الرجل معنى وضم مصدره تفرقة بين الحسى والمعنوى . وذكّر أبو بكر بن دريد في أماليه : أنه أول خلع كان في الدنيا ان عامر بن الظرب بفتح المعجمة وكسر الراء ثم موحدة ، زوج ابنته من ابن أخيه عامر بن الحارث

(١) وقيل بل انه لم يرضها ولم يستحسن خلقها فطلقها (راجع ج ٨ ص ٨٠ و ٨١ من الاغانى)
(٢) قوله بينى يقال بان الشيء إذا انفصل فهو بائٍ وابنته بالالف فصلته وبانت المرأة بالطلاق فهي بائٍ بغيرها . وابانها زوجها بالالف فهي مبانة ، وطلق الرجل امرأته تطلقاً فهو مطلق وطاقت هي تطلق من باب قتل وفي لغة من باب قرب فهي طالق بغيرها ، قال الازهرى : وكلهم يقول طالق بغيرها ، قال وأما قول الاعشى أبا جارتنا الخ فقال الليث أراد طالقة غداً وإنما أجتراً عليه لأنه يقال طلقت فحمل النعت على الفعل . وقال ابن فارس أيضاً : امرأة طالق طلقها زوجها وطلقة غداً فصرح بالفرق لان الصفة غير واقعة ، وهذه تعليلات باردة وأقوال فاسدة لا يقوم عليها برهان ولا شيء اضعف من حجج النحويين والصواب جواز الوجهين بدون تعليل وتحل دعاوى واهنة ، قال الجوهرى : يقال طالق وطلقة وأنشد بيت الاعشى ، وأجيب بجوابين متكلفين فان أحببت الوقوف عليهما فراجع مادة طلق من المصباح (٣) الحصان بالفتح المرأة العفيفة وهي بيثة الحصانة أى العفة ، وومئة كورثه ومقاً ومقه أحبه فهو وامق

ابن الظرب . فلما دخلت عليه نفرت منه فشكا الى أبيها ، فقال : لأجمع عليك فراق أهلك ومالك وقد خلعتها منك بما أعطيتها . قال : فزعم العلماء ان هذا كان أول خلع في العرب « وقال الشافعي » رحمه الله تعالى سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : كان أهل الجاهلية يطلقون بثلاث (الظهار) و (الايلاء) و (الطلاق) فأقر الله تعالى الطلاق طلاقاً وحكم في الايلاء والظهار بما بين في القرآن انتهى « والظهار » تشبيه الرجل زوجته أو ما يعبر به عنها أو جزء شائع بمحرم عليه تابيداً ، كأن يقول : انتِ علي كظهر أمي ، أو كبطنها ، أو كفخذها ، أو كفرجها ، أو كظهر أختي ، أو عمتي . واما الايلاء : فهو الخلف على ترك قربان المرأة مدة . اخرج الطبراني من حديث ابن عباس : كان ايلاء الجاهلية السنة والسنتين ، فوقت الله لهم أربعة أشهر فمن كان ايلاؤه أقل من أربعة أشهر فليس بايلاء . وكانت النساء تعتد من الطلاق والموت ، وكن يبالغن في احترام حق الزوج ، وتعظيم حرمة عقد النكاح غاية المبالغة . فقد كانت المرأة في الجاهلية اذا مات زوجها تبرص سنة في شر ثيابها ، وحفش^(١) بيتها ، وبذلك أخبر الحديث . ففي البخاري عن أم سلمة جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن ابنتي توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها : فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لا ، مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول : لا . ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : انما هي أربعة أشهر وعشراً ،^(٢) وقد كانت احداً كن في الجاهلية ترمى بالبعرة على رأس الحول . قال حميد : فقالت زينب : وما ترمى بالبعرة على رأس الحول ؟ فقالت زينب : كانت المرأة اذا توفى عنها زوجها دخلت حفشاً ولبست شر ثيابها ولم تمس طيباً حتى تمر بها سنة ، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طائر^(٣) ففتفض به فقلمها تفتض بشيء الامات ، ثم

(١) بكسر الحاء وسكون الفاء : البيت الصغير الحقير وقيل في ضبطه وتفسيره غير ذلك

(٢) كذا في الاصل بالنصب على حكاية لفظ القرآن ولبعضهم بالرفع وهو واضح (٣) قوله

بدابة بالتنوين وحمار بالجر والتنوين على البدل وقوله ارشاة أو طائر للتنوين لالشك واطلاق الدابة على

تخرج فتعطي بعرة قترمي بها ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره انتهى .
وتفتض بقاء ثم مشناة ثم ضادمعجة ثقيلة فسرهمالك بقوله : تمسح به جلدها ، وأصل
الفض الكسر أى تكسر ما كانت فيه وتخرج منه بما تفعله بالدابة . ووقع فى رواية
للنسائي : تقبص بقاف ثم موحدة ثم مهملة خفيفة وهى رواية الشافعى . والقبص :
الأخذ بأطراف الأنامل . قال الاصبهاني وابن الأثير : هو كناية عن الاسراع
أى تذهب بعدو وسرعة الى منزل أبويها لكثرة حياؤها لقبح منظرها أو لشدة
شوقها الى التزويج لبعده عندها به . والضبط الاول أشهر . قال ابن قتيبة : سألت
الحجازيين عن الافتضاض فذكروا أن المعتدة كانت لا تمس ماء ولا تقلم ظفراً
ولا تزيل شعراً ، ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر ، ثم تفتض أى تكسر ما هى
فيه من العدة بطائر تمسح به قبلها وتنبذه ، فلا يكاد يعيش بعد ما تفتض به .
واختلف فى المراد برمي البعرة فقيل : هو إشارة الى أنها رمت العدة برمي البعرة .
وقيل : إشارة الى أن الفعل الذى فعلته من التريص والصبر على البلاء الذى
كانت فيه لما انقضى كان عندها بمنزلة البعرة التى رمتها استحقاقاً له وتعظيماً
لحق زوجها . وقيل : بل ترميها على سبيل التفاؤل بعدم عودها الى مثل ذلك .
ووقع فى رواية شعبة : فإذا كان حول فركلب رمت ببغرة . وظاهره أن رميها
البعرة يتوقف على مرور الكلب سواء طال زمن انتظار مروره أم قصر . وقيل :
ترمي بها من عرض من كلب أو غيره ترى من حضرها أن مقامها حولاً أهون
عليها من بعرة ترمى بها كلباً أو غيره . وقد أبطل الله تعالى ذلك بالاسلام وشريعته
التي جعلها رحمة وحكمة ومصالحة ونعمة ، فجعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً
على وفق الحكمة والمصلحة ، إذ لا بد من مدة مضروبة لها ، وأولى المدد لذلك
المدة التي يعلم فيها وجود الولد وعدمه ، فانه يكون أربعين يوماً نطفة ، ثم أربعين
علقة ، ثم أربعين مضغة . فهذه أربعة أشهر ، ثم ينفخ فيه الروح فى الطور الرابع ،
وقدر بعشرة أيام لتظهر حياته بالحركة ان كان ثم حمل .

بيان ما كان للعرب في هذا الباب مما أبطلته الشريعة

كانت العرب في جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها . كانوا لا ينكحون الأمهات ولا البنات ولا الخالات ولا العمات ، إلا ما يحكى ان حاجب بن زرارة وهو سيده بنى تميم تزوج بنته واولدها . وقد كان سماها (دختنوس) باسم بنت كسرى ، فقال فيها حين نكحها مرتجزاً :

يا ليت شعري عنك دختنوسُ اذا أتاها الخبر المرموسُ
أتسحب الذيلين أم تميمسُ لابل تميمسُ إنها عروسُ (١)

وقد تنزهت العرب ولا سيما قريش من هذه المناكح حفظاً لحرمة الارحام الدانية أن تنتهك بالمناكح العاهرة فتضعف الحمية ، وتقل الغيرة ، وهم أخص الناس بالمناكح الطاهرة . وكان أقبح ما يصنع بعضهم أن يجمع بين الأختين . وأول من جمع بينهما أبو جنحة سعيد بن عاصم جمع بين هند وصفية ابنتي المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فأبطل ذلك الاسلام . ومن قبيح ما كانوا يفعلون أن يخلف الرجل على امرأة أبيه وكانوا يسمون من فعل ذلك الضيزن . قال أوس ابن حجر التميمي يعير قوما من بنى قيس بن ثعلبة تناوبوا على امرأة أبيهم واحداً بعد آخر وكانوا ثلاثة :

نيكوا فكيفه وامشوا حول قبته فكلكم لأبيه ضيزن سلف (٢)

وكان الرجل من العرب إذا مات عن المرأة أو طلقها قام أكبر بنيه فان كان

(١) نسبها أبو الفرج الاصبهاني في الاغانى (ج ١٠ ص ٣٨٨ والمجد في القاموس) إلى لقيط ابن زرارة ، قال أبو الفرج : دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكانت تحت عمرو بن عدس وكذلك الزمخشري في الاساس في مادة رمس ، قال : ورمست على الامر كتمته ورمس الخبر قال لقيط بن زرارة باليت شعري الخ ، والميس : التبخر ، وسيأتى للبعث مزيد تفصيل (٢) رواية التاج :

والفارسية فيهم غير منكورة فكلهم لأبيه ضيزن سلف يقول هم مثل المحوس يتزوج الرجل منهم امرأة أبيه وامرأة ابنه ، وقال ابن الاعرابي : الضيزن الذي يتزوج امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها ، وقيل من يزاحم أباه في امرأته

له حاجة فيها طرح ثوبه عليها ، وان لم يكن له حاجة فيها تزوجها بعض اخوته بمهر جديد . وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله سبحانه : ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ، وقد كان هذا النكاح يسمى في الجاهلية نكاح المقت ويسمى الولد منه مقتى ، ويقال له أيضاً مقتيت أى مبغوض مستحقر . وكان من هذا النكاح على ما ذكره الطبرسى : الأشعث بن قيس ومعيط جد الوليد بن عقبة . قال ابن قتيبة : من خلف على امرأة أبيه بعده جماعة ، كانت برة ابنة مرثمة بنت خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر . خلف عليها ابنه كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وغيره من ولده الا عبد مناة بن كنانة . وكانت ناجية بنت جرم بن ريان من قضاة تحت سامة بن لؤى فولدت له غالب بن سامة ، ثم هلك عنها خلف عليها ابنه الحارث بن سامة . وكانت واقدة من بنى مازن بن صعصعة عند عبدمناف فولدت له نوفلا وأبا عمرو فهلك عنها ، وخلف عليها هاشم بن عبد مناف فولدت له خالدة وضعيفة وكانت آمنة بنت إبان بن كليب عند أمية بن عبد شمس فولدت له الاعياص ثم هلك عنها خلف عليها ابنه ابو عمرو بن أمية وولدت له أبا معيط . وكانت مليكة بنت سنان ابن أبي حارثة المري أخت هرم بن سنان تحت زبان ابن سيار بن عمرو الفزاري فتزوجها بعده ابنه منظور بن زبان وولدت له خولة بنت منظور وهاشم بن منظور فتزوج بها الحسن بن علي بن أبي طالب فولدت له الحسن بن الحسن رضي الله تعالى عنهم ، ثم خلف عليها بعده محمد بن طلحة بن عبيد الله فجاءت بابراهيم بن محمد وهو الاعرج الى غير ذلك انتهى . وعمرو بن معد يكرب تزوج امرأة لأبيه بعده في الجاهلية ، وهي التي قال فيها هذه الأبيات :

تقول حليتي لما قلتني شرايح بين كدري وجون
تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات اذا فليني
فزيدك في شريطك أم عمرو وسابغة وذو النونين زيني

فلو شمرن ثم عدون زهواً بكل مدجج لعرفت لوني
إذا ما قلت : إن عليّ ديناً بطعنة فارس قضيت ديني
لعمقعة اللجام برأس طرف أحب إلى من أن تنكحيني
أخاف إذا هبطن بنا خباراً وجد الرخص أن لا تحمليني
فلولا اخوتي وبنى منها ملأت لها بنى شطب يميني

الحليلة : الزوجة . وقتلني : من القلى وهو البغض . وشرايح : جمع شريح
بضم الشين المعجمة وآخره جيم الضرب والنوع . قال ابن دريد في الجهرة :
كل لونين مختلفين هما شريجان وانشد هذا البيت . وقوله . بين كدرى وجون
أى بعض الشرايح كدرى أى أغبر وبعضها جون والكدرى منسوب الى الكدر
وجون بضم الجيم جمع جونة وهو مصدر الجون بالفتح وهو من الاضداد . يقال
للأبيض جون وللأسود جون . وقوله : تراها كالثغام الخ أى ترى الحليلة الشعر
كالثغام وهو نبت له نور أبيض يشبه به الشيب وعلائته ماء علالاً من باب طلب :
سقيته السقية الثانية ، وعل وهو يعل من باب ضرب : إذا شرب . قال الاعلم :
ومعنى يعل يطيب شيئاً بعد شئ ، وأصل العلل الشرب بعد الشرب وهذا غير
مناسب هنا . والفاليات : جمع فالية وهى التى تفلى الشعر أى تخرج القمل منه .
وقوله : فزينك فى شريطك الخ هذا خطاب لها ، وأم عمرو منادى . والزين :
تقيض الشين . والشريط : هو العيبة الصغيرة . والعيبة : بالفتح ما يجعل فيه
التياب . والسابغة الدرع الواسعة الطويلة . وذو النونين : السيف والنون شفرته .
وقوله : فلو شمرن ثم عدون الخ يعنى النساء الفاليات وشمر ازاره تسميراً رفعه .
والرهو : السير السهل . والمدجج بجيمين على صيغة اسم المفعول وهو اللابس آلة
الحرب والسلاح . وقوله : إذا ما قلت الخ هو بضم التاء فى الموضعين والطرف :
بالكسر الفرس الجواد . والخبار بفتح الخاء المعجمة بعدها موحدة الارض الرخوة
وذو شطب : السيف وشطب السيف طرائقه التى فى متنه الواحدة شطبة ، وانغموض
هذه الأبيات ذكرنا تفسيرها .

ومما أبطله الشرع من عوائدهم في هذا الباب

أنهم كانوا يطلقون النساء حتى إذا قرب انقضاء عدتهن راجعوهن لا عن حاجة ولا لمحبة ، ولكن لقصد تطويل العدة وتوسيع مدة الانتظار ضراراً . وكان الرجل يطلق امرأته ، أو يتزوج ، أو يعتق ويقول : كنت لاعباً ، فأبطل الله تعالى ذلك وردّه عليهم بقوله سبحانه : وإذا طلقتم النساء فأمسكنوهن بمعروفٍ أو سرّحوهن بمعروفٍ ولا تمسكنوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه . وفي الحديث ثلاث جدهن جد وهزلن جدّ النكاح والطلاق والرجعة ، ومن ذلك أنهم كانوا يمنعون النساء أن يتزوجن من اردن من الأزواج بعد انقضاء عدتهن حمية جاهلية كما يقع كثيراً من نحو الملوك غيرة على من كنّ تحتهم من النساء أن يصرنّ تحت غيرهم فأنهم بسبب ما نالوه من رياسة الدنيا وما صاروا فيه من النخوة والكبرياء يتخيلون أنهم قد خرجوا من جنس نبي آدم الا من عصمه الله تعالى منهم بالورع والتواضع . وقد أبطل الله تعالى ذلك ونهى عنه بقوله : وإذا طلقتم النساء فبلغنّ أجلهنّ فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يؤعظُ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ومن ذلك أنهم كانوا اذا مات الرجل منهم كان أولياؤه أحقّ بامرأته ان شاء أن يتزوجها بعضهم وان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها ، فنهى الله تعالى عن ذلك بقوله : يا أيها الذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ما آتينموهن . أي لتأخذوا ميراثهن أو ليدفعن اليكم صداقهن إذا أذنتنّ لهنّ بالنكاح . قال ابن عباس في سبب هذه الآية : كان الرجل يرثُ امرأةً ذى قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد اليه صداقها . وفي رواية : إن كانت جميلةً تزوجها وان كانت دميمةً^(١) حبسها حتى تموت فيرثها . وحاصل معنى الآية :

(١) الدمامة بالفتح : قبح المنظر وصغر الجسم وكأنه مأخوذ من الدمة بالكسر وهي القملة

لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الارث فزعمون انكم أحق بهن من غيركم
وتحبسوهن لأنفسكم . ولهم في هذا الباب غير ذلك من المنكرات ، قد ذكرت
في كتب الحديث والتفسير .

صفة حروب العرب في الجاهلية وحروب غيرهم من الأوائل

اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله تعالى
وأصلها ارادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منهم أهل عصبته ،
فاذا تدامروا^(١) لذلك وتواقفت الطائفتان ، احداهما تطلب الانتقام والأخرى
تدافع كانت الحرب ، وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل .
وسبب هذا الانتقام في الأكثر اما غيرة ومنافسة واما عدوان واما غضب لله
ولدينه ، واما غضب للملك وسعى في تمهيدته . فالأول أكثر مايجرى بين القبائل
المتجاورة ، والعشائر المتناظرة . والثاني وهو العدوان أكثر ما يكون من الأمم
الوحشية الساكنين بالفقر كالعرب والترك والتركان والاكراد وأشباههم لانهم
جعلوا أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه
آذونه بالحرب ، ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك ، وانما همهم ونصب
أعينهم غلب الناس على مافي أيديهم . والثالث هو المسعى في الشريعة بالجهاد .
والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمسانعين لطاعتها . فهذه أربعة
أصناف من الحروب ، الصنفان الاولان منها حروب بغى وفتنة . والصنفان
الاخيران حروب جهاد وعدل . وصفة الحروب الواقعة بين أهل الخليقة منذأول
وجودهم على نوعين نوع بالزحف صفوفاً ونوع بالكر والفر . أما الذي بالزحف
فهو قتال العجم كلهم على تعاقب أجيالهم . وأما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب
والبربر من أهل المغرب . وقتال الزحف أوثق وأشد من قتال الكر والفر ، وذلك
لان قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القداح أو صفوف الصلاة

و النملة الصغيرة (١) تدمر : تنكر له وأوعده .

ويعشون بصفوفهم الى العدو قدماً فلذلك تكون أثبت عند المصارع وأصدق في القتال وأرهب للعدو لانه كالحائط الممتد والقصر المشيد لا يطمع في ازالته ، وفي التنزيل : ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كانوا بنيان مرصوص . أى يشد بعضهم بعضاً بالثبات . وفي الحديث الكريم : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً . ومن هنا تظهر لك حكمة ايجاب الثبات وتحريم التولى في الزحف فان المقصود من الصف في القتال حفظ النظام كما قلناه ، فمن ولى العدو ظهره فقد أخل بالمصاف وباء باثم الهزيمة ان وقعت وصار كأنه جرها على المسلمين ، وأمكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة وتعيدها الى الدين بخرق سياجة^(١) فقد من الكبائر . ويظهر من هذه الادلة أن قتال الزحف أشد عند الشارع . وأما قتال الكر والفر فليس فيه من الشدة والأمن من الهزيمة ما في قتال الزحف الا أنهم قد يتخذون وراءهم في القتال مصافاً ثابتاً يلجؤون اليه في الكر والفر ، ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما نذكره بعد .

ثم ان الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة الممالك كانوا يقسمون الجيوش والعساكر أقساماً يسمونها كراديس ويسوون في كل كردوس صفوفه ، وسبب ذلك أنه لما كثرت جنودهم الكثرة البالغة وحشدوا من قاصية النواحي استدعى ذلك أن يجهل بعضهم بعضاً اذا اختلطوا في مجال الحرب ، واعتوروا^(٢) مع عدوهم الطعن والضرب ، فيخشى من تدافعهم فيما بينهم لأجل النكراء وجهل بعضهم ببعض ، فلذلك كانوا يقسمون العساكر جموعاً ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض ويرتبونها قريباً من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ورئيس العساكر كلها من سلطان أو قائد في القلب ويسمون هذا الترتيب (التعبية) وهو مذكور في أخبار فارس والروم والدولتين صدر الاسلام فيجعلون بين يدي الملك عسكرياً

(١) السياج : الحائط وما أحيط به على كل شيء مثل النخل والكرم (٢) اعتوروا الشيء وتعموروه وتعاوروه : تداولوه

منفرداً بصفوفه متميزاً بقائده ورايته وشعاره ويسمونه المقدمة ، ثم عسكرياً آخر ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سمتة يسمونه اليميننة ، ثم عسكرياً آخر من ناحية الشمال كذلك يسمونه اليسرة ، ثم عسكرياً آخر من وراء العسكر يسمونه الساقة ويقف الملك وأصحابه في الوسط بين هذه الأربعة ويسمون موقفه القلب ، فإذا تم لهم هذا الترتيب المحكم إما في مدى واحد للبصر أو على مسافة بعيدة أكثرها اليوم واليومان بين كل عسكريين منها ، أو كيفما أعطاهما حال العساكر في القلة والكثرة فحينئذ يكون الزحف من بعد هذه التعبئة

وانظر ذلك في أخبار الفتوحات وأخبار الدولتين بالمشرق ، وكيف كانت العساكر لعهد عبد الملك تتخلف عن رحيله لبعده المدى في التعبئة فاحتيج لمن يسوقها من خلفه . وعين لذلك الحجاج بن يوسف وكان في الدولة الأموية أيضاً كثير منه وهو مجهول فيما لدينا لانا إنما أدركنا دولا قليلة العساكر (١) لا تنتهي في مجال الحرب إلى التناكر بل أكثر الجيوش من الطائفتين معاً يجمعهم لدينا حلة أو مدينة ويعرف كل واحد منهم قرنه (٢) ويناديه في حومة (٣) الحرب باسمه ولقبه ، فاستغنى عن تلك التعبئة .

ومن مذاهب أهل الكرز والفر في الحروب

ضرب المصاف وراء عسكرهم من الجمادات والحيوانات العجم فيتخذونها ملجأ للخيلة في كرتهم وفرتهم يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون أدون للحرب ، وأقرب إلى الغلب ، وقد يفعلها أهل الزحف أيضاً ليزيدهم ثباتاً وشدة ، فقد كان الفرس وهم أهل الزحف يتخذون الفيلة في الحروب ويحملون عليها أبراجاً من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات ويصفونها وراءهم

(١) لا تعجب أيها القارى الكريم من هذا الكلام فإنه ليس للمصنف أنما هو للإمام ابن خلدون (المقدمة ٢٢٦ ط بولاق) ! (٢) القرن بالكسر الكفء في الشجاعة أو عام (٣) حومة الحرب : أشد موضع فيها .

في حومة الحرب كأنها حصون فتقوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم ، وانظر ما وقع من ذلك في القادسية ، وأن فارس في اليوم الثالث اشتدوا بهم على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب نخالطوهم وبعجوها بالسيوف على خراطيمها فنفرت ونكصت على أعقابها الى مرابطها بالمدائن فجفا معسكر فارس لذلك وانهزموا في اليوم الرابع . وأما الروم وملوك القوط بالأندلس وأكثر العجم ، فكانوا يتخذون لذلك الأسرّة ينصبون للملك سريره في حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات في أركان السرير ويحدق به سياج آخر من الرماة والرجالة فيعظم هيكل السرير ويصير فته للمقاتلة وملجأ للكرّ والفرّ وجعل ذلك الفرس أيام القادسية . وكان (رستم) جالسا فيها على سرير نصبه لجلوسه حتى اختلفت صفوف فارس وخالطه العرب في سريره ذلك فتحول عنه الى الفرات وقتل . وأما أهل الكر والفر من العرب وأكثر الأمم البدوية الرحالة فيصفون لذلك ابلهم والظهر الذي يحمل طعامهم فيكون فته لهم ويسمون بها المجبوزة وليس أمة من الأمم الا وهي تفعل ذلك في حروبها وتراه أوثق في الجولة وآمن من الغرة والهزيمة وهو أمر مشاهد وقد أغفلته الدول لعهدنا بالجملة واعتاضوا عنه بالظهر الحامل للانتقال والفساطيط^(١) يجعلونها ساقه من خلفهم ولا تغني غناء الفيلة والابل فصارت العساكر بذلك عرضة للهزائم ومستشعرة للفرار في المواقف . وكان الحرب أول الاسلام كله زحفا ، وكان العرب إنما يعرفون الكر والفر لكن حملهم على ذلك أول الاسلام أمران أحدهما أن أعداءهم كانوا يقاتلون زحفا فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم . الثاني: أنهم كانوا مستميتين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان ، والزحف الى الاستماتة أقرب .

وأول من أبطل الصف في الحروب وصار الى التعبئة كراديس مروان بن

(١) جمع فسطاط بالضم والكسر بيت من شعر

الحكم في قتال الضحاك الخارجي والجبيري بعده . قال الطبري : لما ذكر قتال الجبيري فولى الخوارج عليهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري ويلقب أبا الدلفاء ، قاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف من يومئذ انتهى . فتنوسى قتال الزحف بإبطال الصف ، ثم تنوسى الصف وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف ، وذلك انها حينما كانت بدوية وسكناهم الخيام كانوا يستكثرون من الابل وسكنى النساء والولدان معهم فى الاحياء فلما حصلوا على ترف الملك وألفوا سكنى القصور والحواضر وتركوا شأن البادية والتفر نسوا لذلك عهد الابل والظمائن وصعب عليهم اتخاذها فخلفوا النساء فى الاسفار وحملهم الملك والترف على اتخاذ الفساطيط والابخية ، فاقنصروا على الظهر الحامل للانتقال والابنية أى الخيام ، وكان ذلك صفتهم فى الحرب ، ولا يغنى كل الغناء لانه لا يدعو الى الاستماتة كما يدعو اليها الأهل والمال فيخف الصبر من أجل ذلك وتصرفهم الهيئات ^(١) وتخرم صفوفهم . ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتأكده فى قتال الكر والفر صار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج فى جندهم واختصوا بذلك ، لأن قتال أهل وطنهم كاه بالكر والفر والسلطان يتأكد فى حقه ضرب المصاف ليكون ردةً ^(٢) للمقاتلة أمامه فلا بد أن يكون أهل ذلك الصف من قوم متعودين للثبات فى الزحف والاجفلا ^(٣) على طريقة أهل الكر والفر فانهزم السلطان والعساكر باجفاهم فاحتاج الملوك بالمغرب أن يتخذوا جنداً من هذه الأمة المتعودة الثبات فى الزحف — وهم الافرنج — ويرتبون مصافهم المحقق بهم منها هذا على ما فيه من الاستعانة بأهل الكفر ، وانهم استخفوا ذلك للضرورة التى أرينا كما من تخوف الاجفال على مصاف السلطان ، والافرنج لا يعرفون غير الثبات فى ذلك لأن عادتهم فى القتال الزحف فكانوا أقوم بذلك من غيرهم مع ان الملوك فى المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب

(١) هى الاصوات تفرع منها (٢) أى عوناً (٣) أجفل القوم : انقلعوا فمضوا

مع أمم العرب والبربر وقتالهم على الطاعة وأما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذراً من مملأتهم^(١) على المسلمين . وقد كان قتال أمم الترك مناضلة بالسهام وتعبية الحرب عندهم بالمصاف ، وانهم يقسمون بثلاثة صفوف يضربون صفاً وراء صف ، ويترجلون عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين أيديهم ثم يتناضلون جلوساً . وكل صف ردء للذي أمامه ان يكبسهم العدو الى أن يتهياً النصر لاحدى الطائفتين على الأخرى وهى تعبية محكمة غريبة . . وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عند ما يتقاربون للزحف حذراً من معرفة البيات والهجوم على العسكر بالليل لما في ظلمته ووحشته من مضاعفة الخوف فيلوذ الجيش بالفرار وتجد النفوس في الظلمة سترأ من عاره ، فاذا تساووا في ذلك أرجف العسكر ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك يحتفرون الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا أبنيتهم^(٢) ويديرون الحفائر نطاقاً عليهم من جميع جهاتهم حرصاً أن يخالطهم العدو بالبيات فيتخاذلوا وكانت للدول في أمثال هذا قوة وعلية اقتدار باحتشاد الرجال وجمع الأيدي عليه في كل منزل من منازلهم بما كانوا عليه من وفور العمران وضخامة الملك ، فلما خرب العمران وتبعه ضعف الدول وقلة الجنود وعدم الفعلة نسي هذا الشأن جملةً كأنه لم يكن والله خير القادرين .

وانظر وصية على كرم الله تعالى وجهه ونحريضه لأصحابه يوم صفين تجدد كثيراً من علم الحرب ولم يكن أحداً أبصر بها منه . قال في كلام له : فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدموا الدارع وأخروا الحاسر ، وعضوا على الأضراس فانه أنبى للسيوف عن الهام ، والتوا على أطراف الرماح فانه أصون للأسنة وعضوا الأَبصار فانه أربط للجأش وأسكن للقلوب ، واخفتوا الاصوات فانه أطرده للفشل وأولى بالوقار ، وأقيموا راياتكم فلا تميئوها ولا تجعلوها الا بأيدي شجعانكم ، واستعينوا بالصدق والصبر فانه بقدر الصبر ينزل النصر . . وقال الاشر

(١) ملاء على الامر وملاءه : ساعده وشايه ونماؤا عليه : اجتمعوا (٢) أى خيلهم

يومئذ يجرض الازد : عَضُّوا على النواجذ^(١) من الاضراس ، واستقبلوا القوم
بهاكم وشدوا شدة قوم موتورين^(٢) يثأرون بأبائهم واخوانهم حناقا على عدوهم ،
وقد وطنوا على الموت أنفسهم لئلا يسبقوا بوتر ، ولا يلحقهم في الدنيا عار . كذا
في مقدمة العبر وتمام الكلام فيها ، وما نقلناه واف بغرضنا .

آلات العرب في الحروب

وهي كل ما استعمل لازهاق الروح واهلاك الأَنْفُس وهي كثيرة منها
السيوف وهي أحسن آلاتهم وأشهرها ذكرأ فلذلك كثرت أسماءها عندهم ولهجوا
بها في أشعارهم ، وأول من عمل الحديد من العرب الهالك بن عمرو بن أسد بن
خزيمة ولذلك قيل لبني أسد القيون ، وقيل لكل حداد هالكي . وكان من أحسن
السيوف عند العرب السيوف المشرفية وكانوا أكثر ما يتحمسون بها كما في قوله :

ولو سئلت عنا جنُوبٍ نخبرت عشيةً سالت عقرباً بها الدم

عشيةً لاتغنى الرماح مكانها ولا النبلُ الا المشرف في المصم^(٣)

والمشرفي بفتح الميم هو السيف المنسوب الى مشارف . قال البكري في معجم
ما استعجم : قال الحربى والمشارف قرى من قرى العرب تدنو من الريف واحدها
مشرف . وقال في موضع آخر : وهي مثل خيبر ودومة الجندل وذى المروة
والرحبة . وقال البكري في (مؤتة) أيضاً : وكان لقاءهم يعنى المسلمين للروم في

(١) جمع ناجذ وهو السن بين الضرس والناب وضحك حتى بدت نواجذهم قال ثعلب : المراد الاياب
وقيل الناجذ آخر الاضراس وهو ضرس الحلم لانه ينبت بعد البلوغ وكال العقل وقيل الاضراس
كلها نواجذ (٢) الموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه (٣) البيتان من جملة أبيات
لضرار بن الازور ، وقوله بها الدم يروى بدله وملهم ، و (عقرباء) منزل من أرض اليمامة
في طريق النباغ قريب من قرقرى وهو من أعمال الغرض وهو لقوم من بنى عامر بن ربيعة كان
لحمدين عطاء أحد فرسان ربيعة المذكورين وخرج إليها مسيلمة لما بلغه سرى خالد إلى اليمامة
فنزله بها لانها في طرف اليمامة ودون الاموال وجعل ريف اليمامة وراء ظهره فلما انتقضت الحرب
وقتل مسيلمة قتله وحشى مولى جبير بن مطعم قاتل حمزه ، قال ضرار بن الازور : ولو سئلت
الح وكان للمسلمين مع مسيلمة الكذاب عنده وقائع (معجم البلدان ج ٦ ص ١٩٣)

قرية يقال لها مشارف من نخوم البلقاء ثم انحاز المسلمون الى (مؤتة) وهو موضع من أرض الشام من عمل البلقاء فالسيف المشرفي إن كان منسوباً الى الاول فالنسبة على القياس لان الجمع يرد الى الواحد فينسب اليه وان كان منسوباً الى الثاني فالنسبة على خلاف القياس . وبهذا التحقيق يعرف ما في قول الصاغاني وغيره : والسيوف المشرفية منسوبة الى مشارف الشام . قال أبو عبيدة : هي قرى من أرض العرب تدنو من الريف يقال سيف مشرفي ولا يقال مشارفي لان الجمع لا ينسب اليه اذا كان على هذا الوزن انتهى . وقال صاحب المصباح بعد أن نقل هذا : وقيل هذا خطأ بل هي نسبة الى موضع من اليمن . وقال ابن الانباري في شرح المفضليات عند الكلام على هذا البيت : والمشرفي منسوب الى المشارف وهي قرى للعرب تدنو من الريف . ويقال : بل هي منسوبة الى مشرف رجل من ثقيف . فالقول الاول من كلام البكري ويدل على الجمعية دخول اللام عليها في كلاهما . وفي غمدة ابن رشيقي : وليس قول من قال انها منسوبة الى مشارف الروم أو مشارف الهند بشيء عند العلماء وإن قاله بعضهم . ومن أحسن السيوف السُرَيْجِيَّة نسبة الى سُرَيْج وهو رجل من بني أسد . قال محمد بن حبيب : هو أحد بني معرّض بن عمرو ابن أسد بن خزيمة وكانوا قِيُونًا . قال عمرو الحميري لما سأله أبوه القيل عن أحب السيوف اليه : الصقيل الحسام ، الباترا المجذام^(١) ، الماضي السِطَام^(٢) ، المرهف الصمصام^(٣) ، الذي اذا هزته لم يكب ، واذا ضربت به لم ينب ، وقال أخوه ربيعة : نعم السيف نعت وغيره أحب الى منه ، وهو الحسام القاطع ، ذو الرونق اللامع ، الظمان الجائع ، الذي اذا هزته هتك ، واذا ضربت به بتك^(٤) . ثم قال الاب : فما أبغض السيوف اليك يا عمرو؟ قال : القطار^(٥) الكهام^(٦)

(١) مفعول من الجذم وهو القطع (٢) حد السيف وغيره وفي الحديث : العرب سظام الناس أي حدهم (٣) رهف السيف كمنع رققه ، والصمصام : السيف الذي لا ينثنى (٤) أي قطع (٥) هو الذي لا يقطع وهو مع ذلك حديث الطبع (٦) كسحاب الكليل الذي لا يقطع

الذي إن ضربت به لم يقطع ، وإن ذبح به لم ينخع^(١) . قال : فما تقول يا ربعة ؟
قال : بشس السيفُ واللهِ ذكَرٌ وغيره أبغضُ إلىَّ منه . قال : وما هو ؟ قال : الطبع
الددان^(٢) ، المعضدُ المهان^(٣) . . . ومن آلاتهم (الرماح) وأجودها عندهم الرماح
الآزنية منسوبة إلى ذي يزن الملك . ويقال لها اليزنية أيضا . قال ذو الرمة :

أزين الذي استودعني سوداء قلبه * هوى مثل شكِّ الآزنيِّ النواجم
قال هكذا جاءت الرواية في البيت . والرماح الخطية منسوبة إلى خط اسم أرض .
قال الأصمعي : لا أعلم إلا نسبة الخط وهي جزيرة بالبحرين إليها تنسب الرماح إلا
أن يقال إن سفن الرماح ترفأ^(٤) إلى هذا الموضع فقيل للرماح خطية . والردينية
منسوبة إلى امرأةٍ يقال لها ردينة كانت تعمل الرماح . والرمح فوق الصعدة فإن
العزّة إذا طالت شيئا وفيها سنان دقيق فهي نيزك ومطرِد فاذا زاد طولها وفيها
سنان عريض فهي ألةٌ وحرّبةٌ فاذا كانت مستوية نبتت كذلك لا تحتاج إلى تثقيب
فهي صعدة فاذا اجتمع فيها الطول والسنان فهي القناة والرمح . ومن الاسنة ضرب
يقال لها القعضية تنسب إلى قعضب رجل قشيري كان يعملها وكذلك الشرعية
أيضا . قال الأعشى :

ولدنٍ من الخطيِّ فيها اسنةٌ ذخائرٌ مما سنَّ أبزى وشرَّ عب

وسأل القليل الحميري ابنه عمراً عن أحب الرماح إليه عند المراس ، إذا اعتكر
الباس ، واشتجر الدعاس^(٥) . قال : أحبها إلىَّ المارنُ المثقف^(٦) المقوم الخطف ،
الذي إذا هزرتة لم ينعطف ، وإذا طعنت به لم ينقصف ، ثم قال لآخيه : ما تقول
يا ربعة ؟ قال : نعمُ الرمحُ نعتٌ ، وغيره أحب إلىَّ منه . قال : وما هو ؟ قال :
الذابل العسال^(٧) ، المقوم النسأل ، الماضي إذا هزرتة ، النافذ إذا همزته .^(٨) قال :

(١) أي لم يبلغ النخاع والنخاع مثلثة الحيط الأبيض في جوف الفقار ينحدر من الدماغ
وتتشعب منه شعب (٢) الطبع : الصدا ، والددان الذي لا يقطع وهو نحو الكهام (٣) المقصير
الذي يتمن في قطع الشجر وغيرها (٤) رفاً إليه : لجأ (٥) أي الطمان يقال دعسه أي
طعنه والمداعسة المطاعنة (٦) الرمح المارن : الصلب اللدن (٧) أي الشديد الاضطراب إذا
هزرتة ومنه العسلان وهو عدو فيه اضطراب ، والنسلان قريب منه (٨) الهمز : الضرب والنخس

اخبرني يا عمرو ما أبغض الرماح اليك؟ قال: الأَعْصَلُ^(١) عند الطعان، المثلم
السنان، الذي اذا هز زته اعطف، واذا طعنت به انقصف. قال: ماتقول ياربعة؟
قال: بئس الرمح ذكر وغيره أبغض اليّ منه. قال: وما هو؟ قال: الضعيف
المهز، اليابس الكز^(٢)، الذي اذا أكرهته انحطم، واذا طعنت به انقصم..
ومن آلاتهم (القسى) وأجودها القسى العصفورية منسوبة الى رجل يسمى عصفوراً
حكاه الجاحظ وانشد لابن بشير:

عطف السيات موانع في بندها تعزى اذا نسبت الى عصفور^(٣)

يعنى قسى البندق دعا بها على حمام جاره. والقسى الماسخية منسوبة الى رجل
من الأزد اسمه ماسخة وهو أول من عملها.. وسهم القوس الذي يرمى به فان أول
ما يقطع العود ويقتضب يسمى قطعاً ثم يبرى فيسمى برياً وذلك قبل أن يقوم
فاذا قُوم وأتى له ان يُراش وينصل فهو القدح فاذا ريش وركب نصله صار سهماً
ونبلا. قال أبو عبيدة: أجود السهام التي وصفها العرب سهام بلادِ يثرب
وهما قرينان من حجر اليمامة. وانشد اللاعشى: (بسهام يثرب أوسهام بلاد)^(٤)
والكنانة محفظة النبال. والكنائن الزغرية: منسوبة الى زغر موضع بالشام تعمل
به كنانن حمر مذهبة. قال أبو دواد يصف فرساً:

ككنانة الزغرى زينهم امن الذهب الدلامص^(٥)

وكان الشماخ أوصفهم للحمر الوحشية والقسى بشهادة الحطيئة والفرزدق
وكذلك الشنقرى كان من أوصف الشعراء للقسى قال:

(١) اللاتوى المعوج (٢) أى الذى خشبته صلبة (٣) سية القوس بالكسر مخففة اعطف
من طرفها، وتعزى: تنسب

(٤) بلاد بوزن قظام وخدام ورواه بعضهم بكسر الباء بلد قريب من حجر اليمامة، وقيل
بلاد محارث باليمامة، وهذا الشطر من بيتين للاعشى ذكرها الحموى في معجم البلدان وهما:

أنى تذكر ودها وصفاءها سفهاً وأنت بصوة الأثمد

منعت قياس الماسخية رأسه بسهام يثرباً وسهام بلاد

(٥) الدلامص: اللعان، وفي القاموس ان زغر كرفر أبو قبيلة كنانتهم من آدم حمر مذهبة

وَأَنَّى كَفَانِي فَقَدْ مِنْ لَيْسَ جَازِيًا بِحُسْنِي وَلَا فِي قَرْبِهِ مُتَعَلُّ (١)
 ثَلَاثَةُ أَصْحَابِ فَوَادٍ مُشِيَعٌ وَأَبْيَضٌ أُصْلِيَتْ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلٌ (٢)
 هَتُوفٌ مِنَ الْمَلْسِ الْمَتُونِ يَزِينُهَا رِصَائِعٌ قَدْ نَيْطَتْ إِلَيْهَا وَمَحْمَلٌ (٣)
 إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنْتَ كَأَنَّهَا مَرْزَاةٌ تَكْلِي تَرِنٌ وَتُعْوَلٌ (٤)
 وَمِنْ آلَاتِهِمُ (الدَّرْعُ) وَهُوَ الْقَمِيصُ الْمَتَخَذُ مِنَ الزَّرْدِ وَتَنْسَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ .

قال شاعرهم :

بكل فرعونية لونها لون فضيض البغشة الغادية (٥)

وتنسب الى داود وسليمان عليهما السلام والى تبع والى محرق يريدون بذلك القدم وجودة الصنعة . والدروع الحطمية منسوبة الى حطمة بن محارب بن عمرو ابن وداعة بن لكيز بن عبد القيس بن أفصى . وقال ابن الكلبي : هي منسوبة الى حطم احد بنى عمرو بن مرثد من بنى قيس بن ثعلبة . والدروع السلوقية منسوبة الى سلوق قرية باليمن واليه تنسب أيضاً الكلاب السلوقية . وقد لبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدرع فى الحروب ولا ينافى لبسها التوكل ، وكذا اتخذ مسائر الآلات ، والحق أن الحذر ، لا يرد القدر ، ولكن يضيق مسالك الوسوسة لما طبع عليه البشر . وفى كتاب الاحكام السلطانية للامام الماوردى : أن درع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المعروفة بالبراء كانت على الحسين بن على رضى الله تعالى

(١) التعلل التلهمى بالشىء يقال فلان يتعلل بكذا أى يتلهمى به والتعلل هو الشىء الذى يتعلل به
 (٢) المشيع : الشجاع المقدام كأنه فى شيعه ، والاصليت : الصقيل الماضى ، والصفراء اسم للقوس ذكره الجوهري وقال غيره قوس من نبع ، والعيطل : الطويلة (٣) الهتوف : من القسي المصوتة بكثرة ومثله الهتافة والهتقى بالتحريك ، والمتون : الظهور واحدها متن ، والرصائع جمع رصيعة وهي كل حلقة مستديرة فلعل القسي العربية كانت تزين بالحلقى المستديرة ومن الناس من فسر الرصائع هنا بسيور مضمفورة ، والمحمل : علاقة السيف وهو السير الذى يقلده المتقلد ، ونيطت : علفت (٤) حنت : صوت والمرزاة : الكثيرة الرزايا أى المصائب ، والشكلي : الحزينة على فقد وليدها ويروى عجلي ، وترن : تصوت مأخوذة من الرنة وهى الصوت ، وتعمل : ترفع صوتها بالبكاء (٥) النضيض : ما انتشر من الماء إذا نظهر به وكل متفرق ومنتشر ، والبغشة : المطرة الضعيفة ، والغادية : السحابة تنشأ غدوة أو مطرة الغداة ، والبيت على مافى عمدة ابن رشيق لراشد بن كثير

عنها يوم قتل فاخذها عبيد الله بن زياد ، فلما قتل المختار عبيد الله بن زياد صارت
الدرع الى عباد بن الحصين الحنظلي . ثم ان خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد
وكان أمير البصرة سأل عباداً عنها فجدها ايها فضربه مائة سوط فكتب اليه
عبد الملك بن مروان : مثلُ عباد لا يضرب انما كان ينبغي أن يقتل أو يعفى عنه ،
ثم لم يعرف للدرع خبر بعد ذلك ، ومنها « البَيْضَةُ » بفتح الباء وهي ما يلبس
في الرأس من آلات السلاح . ومنها « المَجْنُ » وهي والتُّرس والدرقة بمعنى
واحد وهي ما يعمل من بعض الجلود بلا خشب ولا عقب وقد توجد الآن في أحياء
العرب يتقون بها وقع السيوف على ابدانهم . ومنها « المنجنيق » ^(١) بكسر
الميم وهي آلة لرمي الحجارة . والعراادات بتشديد الراء اصغر من المنجنيق وقد
نصب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منجنيقاً على أهل الطائف ويروى
أن أول من استعمله نمرود في حادثة ابراهيم عليه السلام . ولهم غير ذلك
من الآلات وقد رأيت عدة رسائل في كيفية استعمالها والمضاربة بها مع العدو .
وأما (اللواء) ويسمى العلم أيضاً فكان الأصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت
تحمل على رأسه . وقال أبو بكر بن العربي : اللواء غير الراية فاللواء ما يعقد في طرف
الرمح ويلوى عليه . والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه ^(٢) الريح . وقيل اللواء
دون الراية وقيل : اللواء العلم الضخم والعلم علامة لمحل الأمير يدور معه حيث
دار والراية يتولاها صاحب الحرب . وكانت عادة جميع العرب اتخاذ اللواء في حروبهم
ومن عاداتهم جعل الرايات في اطراف الرماح وبذلك تعرف الحكمة في الاقتصار
على ذكر الرمح دون غيره من آلات الحرب كالسيف في الحديث الذي في صحيح

(١) معرب من جهنيك (أي ما جودني) أو أنا شيء جيد لانه لا يجتمع الجيم والقاف في كلمة
عربية غير اسم صوت بكسر الميم كما في الفاموس وضبطه أبو منصور بفتحها آلة لرمي الحجارة
كالمنجنون ومنجنيق لغات فيه معربة ، وقيل الاقرب انه معرب منجل نيك ومنجل ما يفعل بالحيل
وميمة زائدة وقيل أصلية ويبدل على الاول قول بعض العرب كانت بيننا حروب عون ، تفقاً
فيها العيون ، مرة بمنجنيق ، وأخرى بوثيق ، وقيل النون زائدة والميم أصلية وعكسه ؛ وقيل
ها أصليتان وقيل زائدتان كما فصل في التصريف ، انتهى من شفاء العليل للخفاجي (٢) أي تحركه

البخاري عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : انه قال جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري . ولما كان ظل الرمح اسبغ كان نسبة الرزق اليه اليق . وقد تعرض في الحديث الآخر لظل السيف في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : الجنة تحت ظلال السيف . فنسب الرزق الى ظل الرمح لأن المقصود بذكر الرمح الراية ونسبت الجنة الى ظل السيف لأن الشهادة تقع به غالباً ، ولأن ظل السيف يكثر ظهوره بكثرة حركة السيف في يد المقاتل ولأن ظل السيف لا يظهر إلا بعد الضرب به ، لأنه قبل ذلك يكون مغموداً معلقاً . وفي الحديث السابق اشارة الى فضل الرمح والى حل الغنائم لهذه الأمة والى أن رزق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جعل فيها لا في غيرها من المكاسب ولهذا قال بعض العلماء : إنها أفضل المكاسب والمراد بالصغار (وهو بفتح المهملة وبالجملة) بذل الجزية . وفي قوله تحت ظل رمحي اشارة الى أن ظله ممدود الى أبد الآباد .

أيام العرب المشهورة

وقد ناسب أن نذكر هنا أيام العرب وثبتت بعض وقائعهم على سبيل الاختصار ولم استقصيها فإن أبا عبيدة وغيره قد فرغوا مما ذكرت حتى إن أبا الفرج الاصبهاني قد استقصى حسب امكانه أيامهم في كتاب افردته لذلك فكانت الفناء وسبعائة يوم (يوم أدا ب^(١)) لبني ثعلبة بن بكر رئيسهم الهذيل أبو حسان على بن رباح بن يربوع . وقد كان الهذيل سبي نساء بني رباح والتقى بهم على ادا ب وقد سبقه بنو رباح اليه لينعومهم الماء حتى يردوا السبي فأقسم الهذيل لأن رددتم الينا اناء فارغا لياتينكم فيه رأس انسان منكم تعرفونه فاشترؤا منه بعض السبي واطلق البعض (يوم نعف

(١) كذا الاصل ، وفي العمدة يوم ارب ، والصواب : يوم ارب ، قال مساور بن هند :

وجلبته من أهل أبطنة طائماً حتى تحكم فيه أهل أراب

وقال الفضل بن العباس اللهي :

أتبكي ان رأيت لام و هب مغاني لم تحاورك الجوابا
أنا في لاير من وأهل خيم سواجد قد خوين على أرابا

قشاوة) لبسطام بن قيس رئيس بني شيبان على بني يربوع قتل فيه بجيراً وأسر
 أباه أبا مليل ثم من عليه من وقته وترك له مليلاً ولده وكان أسيراً عنده بعد أن كساه
 وحمله (يوم نجران) للاقرع بن حابس في قومه بني تميم على اليمن هزمهم وكانوا
 اخلاطاً وفيهم الاشعث بن قيس وأخوه وفيهم ابن ناكور الكلاعي الذي اعتق
 في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعة آلاف أهل بيت في الجاهلية أسروا (يوم
 الصمد) وهو يوم طلح ويوم بقاء ويوم أود ويوم ذي طلوح كلها يوم واحد لبني يربوع
 على بني شيبان ورئيسهم الحوفزان ورئيس الهازم ابجر بن بجير العجلي (يوم طخفة)
 وهو أيضاً يوم ذات كهف ويوم خزان^(١) في قول بعضهم لبني يربوع والبراجم
 على المنذر بن ماء السماء أسروا فيه أخاه حسانا^(٢) وابنه قابوس وجزت ناصية
 قابوس وكان ذلك لسبب ازالة الردافة عن عوف بن عتاب الرياحي (يوم المروت) -
 وهو أيضاً يوم إرم الكلبة نقا قريب من النجاج لبني حنظلة وبني عمرو بن تميم
 على بني قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر وكان الذكرفيه لبني يربوع وانما غارت
 قشير على بني العنبر وسبيهم من بني عامر (يوم مليحة) لبني شيبان رئيسهم بسطام
 ابن قيس على بني يربوع وقتل ذلك اليوم عصمة بن النجار فلما رآه بسطام قال
 ماقتل هذا الا لتشكل رجلا أمه فقتل به (يوم العظالي) قاتله هيش^(٣) بن

(١) الصواب (خزاز) أو خزازی قال عمرو بن كلثوم :
 ونحن غداة أوقد في خزازی رفدنا فوق رفد الرافدینا
 هذه رواية محمد بن خطاب والزوزنی ، وروی الخطیب (خزاز) وأكثر ماجاء في الشعر
 خزازی راجع معجم البلدان .

(٢) أسره بشر بن عمرو الرياحي ثم من عليه وأرسله فقال مالك بن نويرة :
 ونحن عقرتنا مهر قابوس بعدما رأى القوم منه والحيول تلهب
 عليه دلاس ذات نسج وسيفه جراز من الهندي أبيض مقضب
 طلبنا بها أنا مداريك قبلها اذا طلب الشأو البعيد المقرب
 وكان طارق بن عميرة ضرب فرس قابوس فعفره وأخذه ليجز ناصيته فقال قابوس ان الملوك
 لا تجز نواصبها فيجزه وأرسله الى أبيه وهذه الرواية اعني مسألة جز ناصية قابوس تخالف
 ما ذكره المصنف (٣) في العمدة : الهبش بالوحدة .

المقاس (يوم اللوى ^(١)) لفزارة على هوازن فيه قتل عبد الله بن الصمة وأنخن
 اخوه دريد (يوم الصليفاء) لهوازن على فزارة وعبس وأشجع وفيه قتل دريد
 باخيه ذؤاب بن اسماء (يوم الهبابة) وهو يوم الحفر لعبس على ذبيان فيه قتل
 حذيفة بن بدر واخوه حمل سيدا بنى فزارة وكان يقال لحذيفة رب معد (يوم
 عراعر) لعبس على كلب وذبيان وفيه قتل مسعود بن مصاد الكلابي وكان شريفاً
 (يوم الفروق) بين عبس وبنى سعد بن زيد مناة قاتلوهم فمنعت عبس نفسها
 وحرىها وخابت غارة بنى سعد وقيل لقيس بن زهير ويقال عنبرة : كم كنتم يوم
 الفروق ؟ قال : مائة فارس كالذهب لم نكثر فنفسل ، ولم نقل فنذل . (يوم شعب
 جبلة) قال أبو عبيدة : كانت أيام العرب ثلاثة يوم كلاب ربيعة ويوم شعب جبلة
 ويوم ذى قار . وكان يوم الشعب لبنى عامر بن صعصعة وعبس حلفاؤهم على الحليفين
 أسد وغطفان رئيسهم حصن بن حذيفة يطلب عبساً بدم أبيه ومعهم معاوية بن
 الجون الكندي في جمع من كندة وعلى بنى حنظلة بن مالك والرباب ^(٢) رئيسهم
 لقيط بن زرارة يطلب بدم معبد أخيه ويثرب بن عدس ومعهم حسان بن الجون

(١) تفصيل المسألة هو أن عبد الله بن الصمة (وهو أخو دريد بن الصمة لآبيه وأمه)
 اغار على غطفان فأصاب منهم ابلا عظيمة فأطردوها فقال له دريد النجاء فقد ظفرت ، فآبى عليه
 وقال : لا أبرح حتى انتقع نقيبتي — والنقبة افة ينجرها من وسط الابل فيصنع منها طاماً
 لأصحابه ويقسم ما أصاب على أصحابه — فأقام وعصى أخاه فتبته فزارة فقاتلوه وهو كان
 يقال له (اللوى) فقتل عبد الله وارث دريد فبقي في القتلى فلما كان في بعض الليل اتاه فارسان
 فقال أحدهما انى أرى عينيه تبس فانزل فانظر الى نفسه فنزل فكشف ثوبه فاذا هي تزمر فظننه
 فخرج دم قد كان احتقن ، قال دريد : فافتت عندها فلما جاوزانى نهضت قال فما شعرت الا وأنا
 عند عرقوب جل امرأة من هوازن فقالت من أنت أعوذ بالله من شرك ، قلت : لآل من أنت
 ويحك ، قالت : امرأة من هوازن سيارة ، قلت وأنا من هوازن وأنا دريد بن الصمة قال
 وكانت في قوم مجتازين لا يشعرون بالوقعة فضمته وطالجه حتى أفاق فقال دريد يرثى عبد الله
 أخاه ويدكر عصيانه له وعصيان قومه بقصيدة مظلما :

اطاذل ان الرزء في مثل خالد ولارزء فيما أهلك المرء عن يد
 وقلت لعارض وأصحاب طارض ورهط بنى السواد والقوم شهدي

(٢) سموا بذلك لانهم ادخلوا أيديهم في رب وتماقدوا والرب بالضم دبس الرطب اذا طبخ
 وقبل الطبخ هو صقر

أخو معاوية وقيل بل عمرو بن الجون . وحسان بن وبرة الكلبي أخو نعمان بن المنذر لأمه . وقال غير أبي عبيدة : كان مع أسد وذبيان معاوية بن شُرْحَبِيل بن الأخضر بن الجون بن آكل المرار ومع بني حنظلة والرياب حسان بن عمرو بن الجون في جموع من كندة وغيرهم فأقبلوا اليهم بوضائع كانت تكون مع الملوك بالحيرة وغيرها وهم الرابطة وجاءت بنو تميم فيهم لقيط وحاجب وعمرو بن عمرو . ولم يتخلف منهم إلا بنو سعدٍ لزعيمهم ان صعصعة هو ابن أسعد ولم يتخلف من بني عامر الا هلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر . وشهد غني وباهلة وناس من بني سعد بن بكر وقبائل بجيلة كلها الا قُشَيْرًا . وشهدت بنو عبس بن رفاعة بن بهثة بن سليم عليهم مرداس بن أبي عامر أبو العباس بن مرداس . وشهد معهم نفر من عَكل فانتهى جميع أهل الشعب يومئذ ثلاثين ألفاً ، وجاء الآخرون في عدد لا يعلمه الا الله تعالى ولم يجتمع في الجاهلية جمع قط مثله ، فانهزمت سليم وذبيان وأسد وكندة ومن لف لفهم . وقتل لقيط بن زرارة طعنه شريح بن الاحوص فحمل مرتناً فمات بعد يوم وأسر حسان بن الجون أسره طفيل بن مالك وأسر معاوية بن الجون أسره عون بن الأحوص وجز ناصيته وأطلقه على الصواب وكان يوم جيلة قبل الاسلام بسبع وخمسين سنة . وفي يوم الشعب ولد عامر بن الطفيل هكذا روى محمد بن حبيب عن أبي عبيدة . وروى غيره عنه خلاف ذلك (يوم اقرن) لبني عبس على بني تميم وبخاصة بني مالك بن حنظلة . وفي هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو ابن عدس وابنه شريح وأخوه ربيع وكان عمرو بن عمرو بن عدس خرج مراغماً للنعمان بن المنذر فسبى سبياً من عبس وغنم مالا وابنتي بجارية من السبي فأدر كته عبس فكان من أمره ما كان (يوم زبالة) لبني بكر بن وائل وخاصة بني شيبان وبني تميم الله رئيسهم بسطام على بني تميم ورئيسهم الاقرع بن حابس . أسر فيه الأقرع وأخوه فراس فاستنقدهما بسطام بعد ان حكم عليه عمران بن مرة بمائة ناقة (يوم جدود) لبني سعد بن زيد مناة على بني شيبان وكانت شيبان أغارت

مع الحوفزان على سعد فأدركهم قيس بن عاصم المنقري ففلهم واستنقذ ما كان في أيديهم وفاته الحوفزان بصلافة فرسه فلما يتس من أسره حفزه^(١) بالرمح في خزانة وركه فانتقضت عليه بعد حول فمات منها وسالمت في هذا اليوم بنو يربوع الجيش على تمر أخذوه منهم وفضل ثياب فعيرتهم بذلك منقر (يوم الكلاب الأول) لسلمة بن الحرث بن عمرو المقصور ومعه بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبنو أسيد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ولم يكونوا ذلك الوقت يدعون ربابا وإنما تريبوا بعد ذلك حكاه أبو عبيدة فقتل شُرْحَبِيل قتلته أبو حنش عاصم بن النعمان الجشمي ويقال بل قتله ذو السنينة حبيب بن عتبة الجشمي^(٢) كانت له سن زائدة وهو أخو أبي حنش لأمه سلمى بنت عدى بن ربيعة أخي مهلهل هكذا أثبتوا في هذا الموضع ان عديا أخو مهلهل . ويسمى الكلاب الأول أيضا يوم الشعبية^(٣) (يوم الكلاب الثاني) لبني تميم وبخاصة بني سعد والرباب رئيسهم قيس بن عاصم على قبائل مذحج وكانت مذحج في نحو اثني عشر ألفا . رئيسهم يزيد بن المأمور وهم مذحج وهمدان وكندة ، وفي هذا اليوم أسر عبد يغوث ابن وقاص الحارثي وهتم فم^(٤) سنان ابن سمي بن سنان بعد ان أسر رئيس كندة هتمه قيس بن عاصم بقومه وانتزع عبد يغوث من يد الاهتم بعد أن شرط المأصول^(٥) الموصلة اليه مائة من الابل انتزعته التيم فقتلوه برئيسهم النعمان بن جساس وكان قد قتل ذلك اليوم ويسمى الكلاب الثاني يوم جز الدواير . وقال أبو عبيدة : لم يشهده من تميم الا الرباب وسعد خاصة ، وكان البناء من الرباب للقيم ، ومن سعد لمقاعس (يوم ذي بيض) أغار الحوفزان على بني

(١) أي طمنه (٢) في القاموس : البجلى . (٣) كذا الاصل ومثله في عمدة ابن رشيقي (٢ : ١٦٣) والصواب (الصفحة) انظر العقد الفريد (٣ : ٢٥٣) من طبعة الجالية . ومعجم البلدان (٥ : ٣٦٨) من طبعة مطبعة السعادة . (٤) هتم فاه يهتمه التي مقدم اسنانه كاهتمه ، وكفرح انكسرت ثناياه من أصولها فهو أهتم وتهتم تكسر (٥) وفي العمدة : (المأسور) ولعل الاصح المأمور فليحرر

يربوع فسبي نسوة منهم فأصرختهم بنو مالك بن حنظلة فاستنقدوا النسوة وأسر الحوفزان . أسره حنظلة بن بشر بن عمرو . وزعم قوم : أن هذا اليوم يوم الصمد . (يوم عاقل) لبني حنظلة على هوازن وفيه أسر الصمة بن الحارث بن جشم وهزم جيشه وكان الذي أسره الجعد ابن الشماع أحد بني مالك بن حنظلة ثم أطلقه بعد سنة وجزاً ناصيته على أن يثيبه فأتاه على الثواب فضرب الصمة عنقه ثم غزا بني حنظلة ثانية فأسره الحرث بن ييبة المجاشعي وأسر رجل من بني أسد كان نزيباً عند ابن أخت له في بني يربوع أبناء للصمة فافتدى الصمة نفسه ومضى مع ابن ييبة^(١) في فداء ابنه إلى المنازل في بني يربوع فطعنه أبو مرحب بالسيف فقتله لشيء كان بينهما عند حرب بن أمية فبنو مجاشع تعير بذلك . (يوم عينين) لبني نهشل على عبد القيس منعوا منه بني منقر وقد خرجوا ممتارين من البحرين فعرضت لهم عبد القيس فاستغاثوا بني نهشل فمؤمهم واستنقدوهم (يوم قلهي) منعت فيه بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن عيس الماء وغلبتهم عليه بعد إصلاح فزاره ومرة حتى أخذوا دية عبد العزى بن جدار^(٢) ومالك بن سبيع . (يوم بزاحة) لبني ضبة على محرق الغساني وأخيه فارس مودود . أغارا على بني ضبة بزاحة في طوائف من العرب من إباد وتغلب وغيرها فأدركهم بنو ضبة فأسر زيد الفوارس محرقاً وأسر أخاه حبيش بن الدلف^(٣) ثم قتلاهما بعد أن هزم من كان معها وقتل منهم عدة ، (يوم اضم) لبني عائدة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحرث بن مزقياء الملك الغساني ومزقياء هو عمرو بن عامر وفيهم كان ملك غسان في الشام في آل جفنة بن علي بن عمرو بن عامر قتل بني عائدة قتلاً ذريعاً . وفي ذلك اليوم قتل الرديم وخمل رجل من بني عائدة ثم من بني قيس يدعى عامر ابن ضامر فقال : والله لأطعنن طعنة كمنخر الثور النعر^(٤) ثم قصد ابن مزقياء

(١) في العدة : (ابن نبيه) فليحقق (٢) في معجم البلدان جداد بدالين

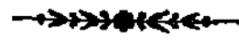
(٣) في العدة : (حنش بن الدلف) . (٤) هو الذي يصيح بخيشومه

فقتله وانهمزم أصحابه هزيمة فاحشة . وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم بزاخة . وقال آخرون : بل كانت الواقعة مع غير الحرث من ولد مزَيْقِيَاء . وزعم غيرهم انها مع مزَيْقِيَاء بنفسه لا مع ولده . (يوم نقا الحسن) الحسن شجر سمي بذلك لحسنه وقيل هو جبل وهذا اليوم لبني ثعلبة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل وفيه قتل بسطام بن قيس قتله عاصم بن خليفة أحد بني صباح وكان رجلاً أعسر^(١) فأصاب صدغه الايسر حتى نجم السنان^(٢) من الصدغ الايمن (يوم اعيار) وهو يوم النقيعة لبني ضبة على بني عبس وفيه قتل عمارة الوهاب قتله شرحاف بن المثلم بابن عم له يدعى مفضلاً كان عمارة قد قتله وانطوى خبره ثم سمعه شرحاف ذكره على شراب وكان حينئذ غلاماً فحين شب أخذ بشار ابن عمه يوم النقيعة واستنقذت بنو ضبة ابلها من بني عبس وكانوا أدركوهم في المرعي (يوم رحرحان الاول) غزا يثربي بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن عامر بن صعصعة وعلى بنى عامر يومئذ الأحوص بن جعفر بن كلاب فقتل من بنى عامر قريط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب . وقتل يثربي (يوم رحرحان الثاني) لبني عامر بن صعصعة ورئيسهم الأحوص على بنى دارم وفي ذلك اليوم أسر معبد بن زرارة أسره عامر ابن مالك وأخوه طفيل وشاركهما في أسره رجل من غنى يقال له أبو عميلة^(٣) عصمة بن وهب . وكان أخا طفيل من الرضاعة وفي أسره مات معبد شدوا عليه القيد وبعثوا به الى الطائف خوفاً من بنى تميم ان يستنقذوه وكان هذا كله بسبب قتل الحرث بن ظالم المري خالد بن جعفر غدرًا عند الأسود بن المنذر . وقيل عند النعمان والتجأ به الى زرارة بن عدس فلما اتقضت وقعة رحرحان جمع قريط بن زرارة لبني عامر وأب عليهم وكان بين رحرحان ويوم جبلة سنة واحدة (يوم ضرية) اختلف سعد والرباب على بنى حنظلة وكان بنو عمرو بن تميم حالف

(١) أعسر يسر يعمل يديه جميعاً فان عمل بالشمال فهو اعسر وهي عسراء

(٢) نجم من باب قعد : طلح ، والسنان : نصل الرمح (٣) في عمدة ابن رشيق : عميرة

بكر بن وائل فصافت حنظلة لسعد والرباب فساروا الى عمرو بن تميم فردوهم وحالفوهم ثم جمعوا لسعد والرباب ورئيسهم يومئذ ناجية بن عقال ورئيس سعد والرباب قيس بن عاصم فقال ابن خفاف لسعد والرباب : من لعيال عمرو وحنظلة ان قتلتم مقاتلهم ؟ قالوا : نحن . قالوا : فمن لعيالكم ان قتلوا مقاتلتكم ؟ قالوا : هم . قال : فدعوهم لعيالهم وليدعوكم لعيالكم . وتكلم الاهتم بذلك ورجال من أشرف سعد وساروا الى عمرو وحنظلة الى النصار من حى ضرية فأجابهم ناجية بن عقال والقعقاع بن معبد بن زرارة وسمان بن علقمة بن زرارة الى الصلح وأبى ذلك مالك بن نويرة (١) .



فيل العرب وما حمر منها ويزم

إعلم أن الخيل أحسن ذوات الأربع صورةً وأفضلها وأشبهها بالإنسان في الكرم ، وشرف النفس ، وعلو الهمة . وقد ورد الثناء عليها في القرآن والحديث وأشعار العرب . قال تعالى (ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وقال سبحانه (والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً) أقسم بخيل الغزاة تعدو فتصبح ضبحاً وهو صوت أنفاسها عند العدو . والموريات التي توري النار والايراء اخراج النار . يقال : قدح الزند فأورى . فالمغيرات تغير أهلها على العدو . صبحاً أى في وقته . فأثرن به نقعاً فهيجن بذلك الوقت غباراً . فوسطن به أى توسطن بذلك الوقت جمعاً من جموع الأعداء . وفي الحديث : الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة . وفي حديث آخر : بطونها كنز ، وظهورها حرز ، وأصحابها معانون عليها . وسأل

(١) تلييه : ان أيام العرب كثيرة جداً وقد اقتصر المصنف على ايراد طرف مما هنالك ولم يستوعب ومن أحب التوسع فليرجع الى (عقد الفريد) لابن عبد ربه ، و (المدة) لابن رشيق القيرواني . و (الاغانى) لابى الفرج الاصبهاني و (الكامل) لابن الاثير . وغيرها من كتب التاريخ والادب .

رجل^١ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : إني أريد أن أشتري فرساً أعده
في سبيل الله فقال له : اشترِ أدهم^٢ أو كيت^١ أقرح^٢ أرثم^٣ محجلاً^٤ ،
مطلق اليمين فاتها ميامن الخيل . وخيل العرب أجود خيول الدنيا ويزعمون أنها
كانت من الوحش ، وأول من ذل الصعب منها أبوهم اسماعيل عليه السلام .
وكانت الخيل عندهم أعظم عددهم في الحروب وعليها مدار أمرهم وبها يجولون
في كرمهم وفرهم وكانوا يقودون خيولهم ليرجوها ويركبون ابلهم ، فاذا قربوا من
عدوهم وأغاروا نزلوا عن ابلهم الى خيلهم مخافة أن يتبعوا فيدركوا . قال شاعرهم :
النازليين بكل معترك^٥ والطيبين معاقد الأزر^٥

وقيل في معنى البيت أنهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعترك فيقاتلون
على اقدامهم . وفي ذلك الوقت يتداعون : نزال كما قال ربعة بن مقروم الضبي :
ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أوظفة القوائم هيكل^٦
فدعوا : نزال ، فكنت أول نازل^٦ وعلام^٦ أركبه اذا لم أنزل^٦
وقال ابن السيد : النزول في الحرب على ضربين : أحدهما ما ذكر . والثاني
في أول الحرب وهو أن ينزلوا عن ابلهم ويركبوا خيلهم . قال اللخمي : وإنما
ينزلون عن الابل الى الخيل في الغارات . وزعم ابن سيده في نزولهم إنما هو من
الابل الى الخيل وليس كذلك . وفي قوله النازلين الخ إشارة الى أن حالهم
في القتال على الخيل كحالهم في القتال على الاقدام وانهم لا يكفون عن النزول
اذا أحوال الناس في ذلك مختلفة ولا ينزل في ذلك الموضع الا أهل البأس والشدة
ولذلك قال مهلهل :

(١) الدهمة السواد والادهم الاسود ، والكمة : حمرة تدخلها قنؤ (٢) القرحة بالضم في وجه
الفرس دون الفرة (٣) الرثمة بالضم بياض في طرف انف الفرس أو كل بياض أساب الجحفة
العليا فبلغ المرسن أو بياض في الانف (٤) التحجيل : هو البياض بموضع الخلاخيل من اليدين
والرجلين (٥) الأزر جمع أزار ، وطيب معاقدما كساية عن عفة ذويها والبيت من أبيات
في الفخر للخرنق الشاعر الشهيرة (٦) الاوظفة جمع وظيف وهو مستدق الذراع والساق من
الخيل وغيرها ، والقوائم : الأرجل ، والهيكل : العظيم ووصف به الفرس .

لم يطيقوا أن ينزلوا فنزلنا وأخو الحرب من اطاق النزولا
وكان للعرب في تربية الخيل مزيد اعتناء جاهلية واسلاماً . وكان الرجل
منهم يبني طاوياً ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده . وقد دل على ذلك
اشعارهم . فمن ذلك قول الجعفي :

الخير ما طلعت شمس^ه وما غربت
وقال طفيل الغنوي :

وللخيل أيام^ه فمن يصطبر لها
وقال شاعر بني عامر :

بني عامر ماذا أرى الخيل أصبحت
بني عامر ان الخيول وقاية^ه
أهينوا لها ما تكرمون وباشروا
متى تكرموها يكرم المرء نفسه
وقال رجل من قريش :

أتقى دونه المنايا بنفسى
فاذا مت^ه كان ذاك ترائي
وقال لبيد :

معاقلنا التي نأوى إليها
وقال ضبيعة العبسي :

جزى الله الاغراً جزاء صدق^ه
يقيني باللبان ومنكبيه
واذ فيه اذا هبت شمال^ه
بليل^ه حرجف عند الغروب^(٣)

(١) قوله بنات الاعوجية : سيأتي بيانه قريباً في (خيل العرب المشهورة) والمعقل : جمع معقل وزان مسجود وهو الملجأ ، ونأوى : نلجأ (٢) اللبان بالفتح : الصدر ، ومطر د الكعوب : هو الرمح (٣) الشمال : ريح تأتي من ناحية القطب الشمالي ، والحرجف كجعفر : الريح الباردة الشديدة الهبوب ، والبليل كقتيل المبلولة من الندى أو بالة لما تمر عليه لرطوبتها

أراه، أهل ذلك حين يسعى رعاء الحى في جمع الخلوب
 فيخفق مرة ويفيد أخرى ويفجع ذا الضغائن بالاريب (١)
 اذا سمن الاغردنا لقاء ينص الشيخ باللبن الحليب
 شديد مجامع الكتفين طرفاً به أثر الأسنه كالعلوب (٢)
 واكرهه على الابطال حتى يرى كالارجوانى المجوب (٣)
 الست بصاحبى يوم التقينا بسيف وصاحبى يوم الكثيب

ويروى بعضهم هذا الشعر لشداد . قال ابو محمد الاعرابى فى كتاب الخليل :
 أنكر أبو الندى هذا الشعر أن يكون لشداد بن معاوية ، وان يكون الاغر فرسه
 وذكر ان الاغر لضبيعة بن الحارث العبسى . وهو القائل فيه :

لولا اعتراض فى الاغر وجراًة لفلت فاقرة بجيش مقيد (٤)

قال : مقيد عامر بن الطفيل بن مالك الجعفرى اقاد العرب دماء قومه يوم
 الرقم انتهى . وقال عنتره بن شداد بن معاوية بن قراد أحد بنى مخزوم بن عوذ
 ابن غالب ، وكانت أمه حبشية سوداء وهو من غرايب العرب صاحب المعلقة :
 ويمنعنا من كل ثغر نخافه أقب كسرحان الأباءة ضامر (٥)
 وكل سبوح فى العنان كأنها اذا اغتسلت بالماء فتخاء كاسر (٦)
 وقال أيضاً فى معلقته

تُسى وتُصبح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سراة أدهم ملجم

(١) ذو الضغائن : ذو الاحقاد (٢) الطرف : الكريم من الخيل ، والاسنة جمع سنان
 وهو نصل الرمح ، والعلوب ثلم السيف (٣) الارجوان بالضم الاحمر وثياب حمر وصبغ احمر
 وأحمر ارجوانى قانى (٤) الفاقرة : الداهية الكاسرة للفقر كذا قاله الليث وغيره وقال أبو اسحق
 فى قوله تعالى « تظن أن يفعل بها فاقرة » المعنى توقن أى يفعل بها داعية من العذاب ونحو ذلك
 (٥) أى يحمينا فى الثغور — وهى مواضع المخافة من فروج البلدان — فرسان على أفراس
 كانوا الذئاب ، وسرحان من أسماء الذئب ، والقيب : دقة الحصر وضمور البطن ، والاباءة كعباءة :
 اجمة الخلفاء والقصب (٦) قوله سبوح فى العنان كناية عن الفرس . والفتخاء من العقبان
 لينة الجناح ، والبكاسر : الطير الذى يضم جناحيه يربد الوقوع

وَحَشِيَّتِي سَرَجٌ عَلَى عِبْلِ الشَّوَى نَهْدٍ مَرَاكِلُهُ نَبِيلِ الْمَحْزَمِ
هَلْ تُبَلِّغُنِي دَارَهَا شَدْنِيَّةٌ لُعْنَتُ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصْرَمٌ
خَطَّارَةٌ غِيبٌ السُّرَى زِيَاةٌ تَقْصِ الْأَكَامَ بِنَاتِ خُفِّ مَيْتَمِ

وفي هذه الأبيات الفاظ تخفى معانيها على المطالعين فلا بد من كشفها على سبيل الإيجاز . فقوله : تسمى وتصبح يعني حبيته عبلة . والحشية الفراش المحشو والسراة بفتح السين اعلى كل شيء ، وأراد به هنا ظهر فرسه . يقول : تسمى وتصبح فوق فراش وطىء وأبيت أنا فوق ظهر فرس أدهم ملجم يعني أنها تتنعم وأنا أقاسى شدائد الأسفار والحروب . ويريد بقوله : وحشيتي سرج أنه مستوطىء بسرج الفرس كما يستوطىء غيره الحشية ، والاضطجاع عليها . ثم وصف الفرس بأوصاف محمودة وهي غلظ القوائم وانتفاخ الجنين وسمها . والعبل بالفتح الغليظ . والشوى بالفتح القوائم جمع شواة أى على فرس غليظ القوائم . والعظام كثير العصب . والنهد بفتح النون الضخم المشرف . والمرأكل جمع مركل كجعفر وهو الموضع الذي يصيب رجل الفارس من الجنين إذا استوى على السرج . والنبيل العظيم . والمحزم موضع الحزام . وقوله : هل تبغني الخ استبعد الوصول إليها لشدة بعدها فاستفهم عنه وأبلغه المنزل إذا أوصله إليه . ودارها أى دارعبلة . وشدنية ناقة منسوبة الى شدن بفتحتين وهو حى باليمن وقيل أرض فيه . وقوله : لعنت قال التبريزى فى شرح المعلقة : دعاء عليها بانقطاع لبنها أى بأن يحرم ضرعها اللبن فيكون أقوى لها وأسمن وأصبر على معاناة شدائد الاسفار لأن كثرة اللحم والولادة يكسبها ضعفا وهزالاً ويجوز أن يكون غير دعاء ويكون خيراً ، وأصل اللعن البعد . وقوله : بمحروم الشراب أى بضرع ممنوع شرابه وأصل حرم منع . وقيل بمحروم الشراب فى محروم الشراب . وقال خالد بن كلثوم : لعنت نحييت عن الأبل لما علم أنها معقومة فجعلت للركوب الذى لا يصلح له الا مثلها

(والمصرم) الذي أصاب أخلافه^(١) شيء فقطعه من صرار أو غيره وقال أبو جعفر المصرم الذي يلوى رأس خلفه حتى ينقطع لبنه وهو هنا مثل يريد أنها معقومة ولا لبن لها انتهى . وقال الأعمى في شرح الأشعار الستة : قوله لعنت أي سبت بضرعها كما يقال لعنه الله ما أدهاه وما أشعره ! وإنما يريد أن ضرعها قد حرم اللبن فذلك أوفر لقوتها وأصلب لها فتلعن ويدعى عليها على طريق التعجب من قوتها . والمصرم : المقطوع اللبن . وقيل : معنى لعنت أنه دعا عليها بأن ضرعها يكون مقطوع اللبن إذ كان أقوى لها ، والمغنى الأول أحسن وأبلغ انتهى . وقوله : خطارة الخ هو صفة لشذوية ، والخطارة التي تخطر بذنبها يمنة ويسرة لنشاطها . والسرى : سير الليل . وغب الشيء بعده . يقول : هي خطارة بعد السرى فكيف بها إذا لم تسر . والزيادة : التي تزيد في سيرها كما تزيد الحمامة أي تسرع . وقوله : تقص الأكام أي تكسرهما خفافها الشدة وطئها وسرعة سيرها . يقال وقص يقص بالقاف والصاد المهملة . ويروى تطس بمعناه يقال وطس يطس إذا كسر . والأكام بالكسر جمع الكم بفتحين كجبال جمع جبل وهو ما ارتفع من الأرض . والميتم : الشديد الوطاء : يقال وثم الأرض يشمها بالمثلثة إذا وطئها وطئاً شديداً . وقوله : بذات خف أي بقوائم ذات اخفاف . ومن الشعر الدال على اعتنائهم بالخيل قول طفيل الغنوي :

انى وان قلّ مالى لا يفارقنى مثل (النعام) في أوصالها طول

تقريبها المرطى والجوز معتدل^(٢) كانه سبد بالماء مغسول^(٣)

او ساهم الوجه لم تقطع أناجله يسان وهو ليوم الروع مبدول^(٣)

(١) جمع خلف بكسر فسكون وهو من ذوات الخف كالثدى للإنسان وقيل الخلف طرف الضرع

(٢) التقريب : ضرب من العدو ، والمرطى فوق التقريب ودون الالهاب ، والجوز : الوسيط ،

والسبد : ثوب يسد به الحوض المركو لثلايتكدر الماء يفرش فيه وتسقى الأبل عليه

(٣) ساهم الوجه عليه . وهي صفة ممدوحة للحرب في الخيل ، والناجل : الكريم النسل كما

في كتاب نخبة عقدا لاجياد

وقال آخر في ذلك :

لما رأيت قبيلةً مسعودةً بلخيل يسعفها الرهان ويجلبُ
صافيت منهوس اللبان كأنه بازٍ تراوحه اليدان منذربٌ (١)
وإذا تصفحه الفوارسُ معرضاً فتقول سرحان الفضا المتنصب
ويروي أن أحد فرسان العرب أيام الجاهلية وهو عنيدة بن ربيعة التميمي
قد طلب منه أحد ملوكهم فرساً تسمى (سكاب) فمنعها منه وقال :

أَيْتَ اللَّعْنِ إِنْ سَكَابِ عِلْقُ نفيسٌ لا يعار ولا يباعُ (٢)
مفدأةٌ مكرمةٌ علينا يُجَاع لها العيالُ ولا تجاعُ
سليّةٌ سابقين تناجلاها إذا نسبا يضمهما الكراعُ (٣)
ففيها عزةٌ من غير نفر يحيدها إذا حرّ القراعُ (٤)
فلا تطمع - أَيْتَ اللَّعْنِ - فيها ومنعكها بشئٍ يستطاع
وكفى تستقل بحمل سيفي وبى ممن تهضمّنى امتناعُ (٥)
وحولى من بنى قحفانَ شيبُ وشبان إلى الهيجا سراعُ (٦)
إذا فزعوا فأمرهمُ جميعُ وإن لاقوا فأيديهم شعاعُ (٧)

(١) المنهوس: القليل اللحم ، واللبان بالفتح: الصدر ، والباز: ضرب من العقور ، والسرحان من أسماء الذئب (٢) قوله أيت اللعن : من تحيات العرب للوكهم وكانت هذه تحية ملوك لحم وجذام وكانت منازلهم الحيرة وما يليها ، ومعنى أيت اللعن : أيت أن تأتي من الاخلاق المذمومة ماتلن عليه ، وسكاب . اسم فرس ، وقوله علق نفيس أى مال يبخل به وهذا كما يقال : هو علق مضنة (٣) يقول : هى ولد فرسين سابقين اذا انتسبا اتبها الى كراع وهو بالضم فحل كريم معروف واصل الكراع انف يتقدم من الجبل فسمى هذا الفحل به لعظته ، وسليّة : الحق الهاء بها وان كان فعلا فى معنى مفعول لانه جعل اسما كما تقول هى قبيلة بنى فلان ومعنى سل نزع ويقال : نجلا ولدهما وتناجلاه بمعنى واحد ومنه النجل بمعنى الولد
(٤) قوله يحيدها أى يجعلها حائدة وحر بهملتين أى اشتد ، والقراع : مصدر قارعه اذا ضاربه
(٥) يقال تهضم حقه أى ظلمه (٦) قحفان بالضم والشيب بالكسر جمع أشيب وهو الذى حصل له شيب ، والهيجا يعد ويقصر الحرب (٧) الشعاع : المتفرق يقول : ان فزعوا من أمر فكلمتهم واحدة واذا لاقوا العدو فأيديهم متفرقة عليه بالظمن

الى غير ذلك من الشعر الذى لا يسهه المقام مما يدل على عزة الخيل لديهم
وأنها مقدمة على أنفسهم ولعزتها فدوها بالأهات والآباء ، وقدموها على عيالهم
فى البأساء والضراء ، وآثروها على أعزتهم فى الطعام والماء .

ما يحمد من الخيل ويذم لدى العرب

كل من مارس شيئاً ولازمه كان أدرى بشؤونه وأعرف بأحواله مما سواه .
هؤلاء العرب لما كانوا على ممر الأيام فى كرتٍ وفرٍ وإقدامٍ واحجامٍ ، لم تزل
مواكبهم مصطفة ، وكتائبهم ملتفة ، واعلامهم منشورة ، وراياتهم مشهورة ،
وبنودهم ^(١) خافقة ، وجموعهم مشتكة ، واقرائهم متطاعنة ، ورسائلهم متضاربة ،
وسيوفهم بدم النحور مشرقة ، ^(٢) ورماحهم متشجرة ، وخيولهم متصاهلة ،
ونيران حروبهم مشتعلة ، كانت الخيل من أعظم عدهم وأنفذ آلات ظفرهم
بمقصدهم ، بل كانت حصونهم المشيدة ، وكنوزهم المخلدة ، وعزهم الرفيع ،
وحرزهم المنيع ^(٣) ، فلذلك وقفوا من أحوالها وأوصافها المحمودة والمدنومة مالم
يقف عليه غيرهم ، وعلموا من عللها وأدائها مالم يعلمه سواهم ، حتى بلغ فى ذلك صبيهم
ووليدهم مالم يبلغه شيوخ قوم آخرين . والشواهد على ذلك كثيرة استوعبتها
كتبهم المؤلفة فى الخيل . ولنورد من ذلك شاهداً مشتملاً على بيان ما نحن بصدده :
روى أبو بكر بن دريد قال : حدثنى عمى عن أبيه عن الكلبي عن أبيه . قال :
اجتمع خمس جوارٍ من العرب فقلن : هلمن نعت خيل آباءنا . فقالت الأولى :
فرسُ أبى وردة وما وردة ؟ ذات كفلٍ مَزَّ حلقٌ ، ومتنٍ اخلق ، وجوفٍ أخوق ،

(١) جمع بند وهو العلم الكبير (٢) يقال شرق الشيء شرقاً فهو شرق اشتدت حرته بدم
أو بحسن لونٍ أحمر ، قال الاعشى :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

(٣) الحرز بالكسر العوذة والموضع الحصين ، ومنه حديث الدعاء : اللهم اجعلنا فى حرز حارز ،
أى كهف منيع ، والقياس أن يكون حرزاً محرزاً لأن الفعل منه أحرز قال ابن الأثير : كذا
روى ولعله لغة

وَنَفْسٌ مَرُوحٌ ، وَعَيْنٌ طَرُوحٌ ، وَرَجُلٌ ضَرُوحٌ ، وَيَدٌ سَبُوحٌ ، بُدَاهَةٌ إِهْدَابٌ
وَعَقَبٌ غَلَابٌ . وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ : فَرَسٌ أَبِي اللَّعَابُ ، وَمَا اللَّعَابُ ؟ غَبِيَّةٌ سَحَابٌ ،
وَاضْطِرَامٌ غَابٌ ، مُتَرَصُّ الْأَوْصَالُ ، أَشْمُ الْقَدَالُ ، مُلَا حَكُ الْمَحَالُ ، فَأَرْسُهُ مُجِيدٌ
وَصَيْدُهُ عَتِيدٌ ، إِنْ أَقْبَلَ فِظْيٌ مَعَّاجٌ ، وَإِنْ أَدْبَرَ فَظَلِيمٌ هَدَّاجٌ ، وَإِنْ أَحْضَرَ فَعِلْجٌ
هَرَّاجٌ .. وَقَالَتِ الثَّلَاثَةُ : فَرَسٌ أَبِي حُدْمَةَ . وَمَا حُدْمَةُ ؟ إِنْ أَقْبَلَتْ فَقَنَاةٌ مَقْوَمَةٌ ، وَإِنْ
أَدْبَرَتْ فَأَنْفِيَّةٌ مَلْمَلَةٌ وَإِنْ أَعْرَضَتْ فَذَنْبَةٌ مُعْجَرَةٌ مَهْدِ سَاعِيهَا مَتْرُصَةٌ ، وَفُصُوصُهَا مَمْحُصَةٌ ،
جَرِيهَا إِتْرَارٌ . وَتَقْرِيْبُهَا إِنْكَدَارٌ .. وَقَالَتِ الرَّابِعَةُ : فَرَسٌ أَبِي خَيْفَقٍ وَمَا خَيْفَقٌ ؟ ذَاتُ
نَاهِقٍ مُعْرَقٍ ، وَشَدَقٍ أَشْدَقٍ ، وَأَدِيمٌ مُمْلَقٌ ؛ لَهَا خَلْقٌ أَشْدَفٌ ، وَدَسِيعٌ مَنْفَنَفٌ ، وَتَلِيلٌ
مَسِيفٌ ، وَثَابَةٌ زَلُوجٌ ، خَيْفَانَةٌ رَهُوجٌ ، تَقْرِيْبُهَا إِهْمَاجٌ ، وَحُضْرُهَا رَتَّاجٌ . وَقَالَتِ
الْخَامِسَةُ : فَرَسٌ أَبِي هُدُلُولٍ وَمَا هُدُلُولٌ ؟ طَرِيْدُهُ مَحْبُولٌ ، وَطَالِبُهُ مَشْكُولٌ ، رَقِيْقٌ الْمَلَاغَمُ
أَمِينُ الْمَعَاقِمِ ، عَبْلُ الْحَزْمِ ، مَخْدٌ مَرْجَمٌ ، مَنِيْفٌ الْحَارِكِ أَشْمُ السِّنَابِكِ ، مَجْدُولٌ
الْخِصَائِلِ ، سَبِيْطُ الْفَلَائِلِ ، غَوْجُ التَّلِيلِ ، صَلْصَالُ الصَّهِيْلِ ، أَدِيْمُهُ صَافٌ ، وَسَيْبُهُ
ضَافٌ ، وَعَفْوُهُ كَافٌ .. فَمِنْ هَذِهِ الْفَقْرَاتِ الَّتِي ارْتَجَلَتْهَا جَوَارِيٌّ لَمْ يَبْلُغْنَ الْحِلْمَ ، وَلَمْ
يَتَدَارَسْنَ شَيْئًا مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ ، يَعْلَمُ الْحَاذِقُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ مِنَ الْفِطْنَةِ وَقُوَّةِ
الْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ ، وَمَا أَوْتَوْهُ مِنَ الذِّكَاةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى دَقَائِقِ الْحَقَائِقِ وَالْفَصَاحَةِ
فِي الْمَنْطِقِ الْعَذْبِ ، وَحَيْثُ أَنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا هَاتِيكَ الْعِبَارَاتِ
مِمَّا نَحْنِيْ مَعَانِيَهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ اسْتَوْجِبَ كَشْفَ مَا فِيهِ مِنْ إِبْهَامٍ وَالتَّبَاسِ
فَنَقُولُ فِي شَرْحِ قَوْلِ الْأُولَى ؛ قَالَتْ : فَرَسٌ أَبِي وَرْدَةٍ وَمَا وَرْدَةٌ ؟ مَعْنَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ
أَنْ مِنْ عَوَائِدِهِمْ فِي مَحَاوِرَاتِهِمُ اللَّطِيْفَةَ إِذَا أَرَادُوا تَشْوِيْقَ الْمَخَاطَبِ فِي مَعْرِفَةِ شَيْءٍ
وَدِرَايَتِهِ أَتَوْا بِأَجْمَالٍ وَتَفْصِيْلِ أَيْ أَيْ شَيْءٍ أَعْلَمَ الْمَخَاطَبُ مَا هِيَ تَأْكِدًا لِعَتَقِهَا
وَجُودَتِهَا حَتَّى كَانَتْهَا خَرَجَتْ عَنْ دَائِرَةِ عِلْمِ الْمَخَاطَبِ عَلَى مَعْنَى أَنْ عَظَمَ شَأْنُهَا
وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَوْصَافِ مِمَّا لَمْ تَبْلُغْهُ دِرَايَةُ أَحَدٍ مِنَ الْمَخَاطَبِيْنَ ، وَلَمْ تَصِلْ
إِلَيْهِ مَعْرِفَةُ سَامِعٍ مِنَ السَّامِعِيْنَ ، وَلَا أَدْرَكَهُ وَهْمُهُ وَكَيْفَمَا قَدَّرَ حَالَهَا فَهِيَ وَرَاءَ ذَلِكَ

وأعظم . ومنه يعلم أن الاستفهام كناية عن لازمه من أنها لا تعلم ولا يصل إلى ما هي عليه من الأوصاف وهم ولا فهم . والجوار الخمس سلكن هذا المسلك البديع ، والأسلوب الرفيع . وورده : اسم فرس أيها سميت بذلك إما للمشابهة في اللون أو في اللطافة وكان ذلك من عوائدهم كما سموها كل ما يخصهم من أسباب وآلات بأعلام شخصية تميزاً لها عما يشاركها في الجنس المستوجب انبهاهم مقصدهم لولا الوضع وقد جيلوا على الفصاحة والبيان في المنطق ولا سيما الخيل فهي لديهم أحق مما سواها بالأعتناء والتميز فلذلك سموها بأسماء ناسبت أحوالها ، قولها : « ذات كفل مزحلق » الكفل محرّكة العجز أو ردفه أو القطن محرّكة وهو ما بين الوركين . والمزحلق الملمس كأنه زحلوقة وهي آثار تزج الصبيان من فوق إلى أسفل وذلك في الخيل من سياء العتق ودليل النجابة . ومعنى قولها : « ومتن أخلق » أنها ناعمة الجلد فالمتن ما اكتنف بالصلب والظهر والخلق الاملس ومنه صخرة خلقاء أي ملساء . ونعومة الجلد في الخيل دليل العتق والجودة كما أن خشونته من أمارات المهجنة وعلاماتها . ومعنى قولها : « وجوف أخوق » أنها واسعة البطن فإن الأخوق الواسع ، وسعة الجوف من خصائص جياذ الخيل وصفاتها المحمودة ، وضيقة من علام المهجنة ومن المنكر في الخيل . روى أن الحجاج بن يوسف الثقفي سأل ابن القرية عن صفات الجواد فقال : نعم أصلح الله الأمير الطويل الثلاث ، القصير الثلاث ، الرحب الثلاث ، الصافي الثلاث ، فقال : صفهن وبين لفظك . فقال : أما الطويل الثلاث : فالأذن والعنق والذراع . وأما القصير الثلاث فالعسيب والساق والظهر . وأما الرحب الثلاث : فالجوف والمنخر والجبهة . وأما الصافي الثلاث : فالأديم والعين والحافر . ومعنى قولها : « ونفس مروح (١) » أنها تنفس بنفس سهل كثير التردد وأما إذا كان التنفس بصعوبة وضيق فهو من العيوب في الخيل . ومعنى قولها : « عين طروح » أنها حادة البصر بعيدة مرمى النظر فإن

(١) في أمالي أبي علي القالي : ومروح : كثيرة المرح ، وضبط النفس بسكون الفاء

ذلك معنى الطروح وهو من الصفات المحمودة و ضد هذه الصفة من العيوب . ومعنى قولها : « ورجل ضروح » انها قوية الرجل عند الجرى لا يتعبها مشيها ، وانها تدفع ما يصادفها من الحجارة ولا يصدها عن جريها ، فان الضروح الدفع يريد انها تضرح الحجارة برجليها اذا مشت (١) . ومعنى قولها : « ويد سبوح » انها سهلة المشي ، حسنة الجرى ، لا تتعب راكبها بل كأنه في سفينة تجرى في الماء والقطوف تتعب راكبها وتقلقه . ومعنى قولها : « بداهتها اهداب » انها اذا أركضت لا تهملج (٢) أولاً ثم تهذب ، بل إنها تهذب فجأة من غير مقدمة فالبداهة والبدية واحد وهو الفجاءة والاهداب السرعة . يقال : اهدب الفرس اهداباً فهو مهذب . ومعنى قولها : « وعقبها غلاب » أن هذه الفرس تستمر على الجرى ولا تتعب بل انها اذا تطاير الحجر بمصادفة قوائمها تسبقه الى موقعه وعدم الكلال من العتاقة والجودة كما أن الاعياء بسرعة من الهجنة فالعقب جرى بعد جرى . وغلاب مصدر غالبته مغالبة وغلاباً كأنها تغالب الحجر . وحاصل ماوصفت به هذه الجارية فرس أبيها ورده انها كثيرة اللحم عظيمة الكفل . ملساء الجلد وناعمته . واسعة الجوف سهلة التنفس حادة البصر . قوية القوائم . حسنة الجرى . بحيث لا تتعب راكبها كأنها تجرى في الماء سريعة الحركة . متيقظة . أن أجراها فارسها كان أول حركتها وجربها إهداب وأسرع ما يكون من الحركة مع عدم كلالها وتعبها . واضداد هذه الاوصاف منتفية عنها حيث إنها من العيوب .

(شرح قول الثانية) فرس أبي اللعاب وما اللعاب غبية سحاب أى الدفعة من المطر . وذلك انه لشدة جريه كأنه غيث نزل من السحاب ، وربما يقال ان فارسه في غزوه عليه يكون في خصب ونعمة لانه بمنزلة الغيث النازل . أو يقال انه في سرعة انحداره ومشيه كأنه مطر نازل من السحاب على حد قول امرئ القيس :

مِكرٌ مِفرٌ مُقبلٌ مدبرٌ معاً كجلمود صخر خطه السيل من عل (٣)

(١) وفي نسخة : اذا عدت (٢) هملجت الدابة مشت مشية سهلة في سرعة
(٣) الكر : العطف ، والكر مفعل من كريكرو ومفعل يتضمن مبالغة كقولهم فلان مسعر

ومثل ذلك قولها : « واضطرام غاب » فإن الاضطرام الاشتعال والغاب جمع غابة وهي الأجمة^(١) تريد به سرعة جريه كما يسرع الحريق في الاجم وعليه مثل الحريق وافق القصباً^(٢)، ومعنى « مترص الاوصال » انه محكم الاعضاء قوبها لا يتزلزل عند الجرى ولا يكل . والمترص المحكم والاصال الأعضاء . ومعنى « اشم القذال » ان قذاله وهو معتد العذار اشم مرتفع وذلك من أدلة العتق حيث يدل على عظم الدماغ فيكون قابلاً للتطبع ، وأما المهجين فهو بخلاف ذلك ومعنى « ملاحك المحال » أن فقرات ظهره متقاربة متضامة دخل بعضها في بعض فالملاحك المداخل والمحال جمع محالة وهي فقار الظهر وواحدة الفقار فقارة ، ومتى رأيت الفقار متباينة متباعدة في فرس فهو هجين ركيك الظهر لا يتحمل كثرة الركوب ومعنى « قولها فارسه مجيد » أن راكبه راكب فرس جواد ، وقد سبق تعريفه في قول ابن القريه من انه الطويل الثلاث القصير الثلاث الرحب الثلاث الصافي الثلاث . وربما يقال : إن فارسه يعد في الحروب صاحب جواد بناء على أنهم كانوا يفضلون بين راكب الجواد وراكب الهجين كما فاضلت الشريعة الغراء . ومعنى قولها : « صيده عتيد » انه اذا انفلت من فارسه لا يغيب عنه بل صيده عتيد أى حاضر لديه وهكذا شأن الخيل العتاق اذا انفلتت من يد فارسها أو سقط عنها راكبها وقفت أو دارت حوله بخلاف الهجين في ذلك . ومعنى قولها : « ان أقبل فظي معاج وان أدبر فظلم هداج وان أحضر فعليج هراج » أنه سريع الجرى على كل حال من الاحوال الثلاثة فهو كالظبي المسرع اذا أقبل ، وكالظلم اذا أدبر ، وكعجار الوحش اذا أحضر . والمعاج : من معج في سيره وعمج اذا أسرع . والظلم :

حرب وقلان مقول ومصقع متضمناً مبالغة لان مفعلاً قد يكون من أسماء الادوات نحو المول والمسكتل والخرز فجعل كأنه اداة للسكرور وآلة لسعر الحرب وغير ذلك والكلام في مفر نحو الكلام في مكر ، والجلمود : الحجر العظيم الصلب ، والخط : القاء الشيء من علو الى سفلى ، وقوله : من عل أى من فوق (١) الاجمة محرقة الشجر الكثير اللثغ والجمع أجم بالضم وبضمتين وبالتحريك وآجام واجام واجات (٢) تمامه : (والتبن والحلفاء فالتبها) وقه عزاه سيبويه في الكتاب لرؤبة وقال ابن يسعون أنه لربيعة بن صبيح على مازعم الجرهمي

ولد النعام وهو يوصف بسرعة المشى . والهداج : من الهدج وهو المشى الرويد ،
والسريع . والعليج هنا : حمار الوحش . والهراج : كثير المشى
(شرح قول الثالثة) معنى « ان أقبلت فقناة مقومه » انها سريعة الجرى
كأنها قناة مقومة رميت فانها حينئذ أسرع في النفوذ . والقناة الرمح والمقومة
المعدلة المثقفة . وربما يقال في معنى ذلك انها دقيقة المقدم وهو مدح في الائنات
يدل على ذلك قولها في الفقرة التي تليها : وان أدبرت فائنية ململة . والائنية :
واحدة الائنات . والململة : المجتمعة . تريد أنها مدورة المؤخر والعجز . ومعنى
« وان أعرضت فذئبة معجزة (١) » لم يتعرض أحده و كأن المراد أنها على كل
وضع وحالة مخمودة وعلى أى حال صادقها استحققت المدح اللائق بها . ومعنى
« جريها انثرار ، وتقريبها انكدار » أنها سريعة السير سهلته . فجريها كأنه انثرار
وتقريبها وهو ضرب من السير كأنه انكدار . وكفى بذلك دليلاً على ما هي عليه
من القوة والسرعة .

(شرح قول الرابعة) معنى « خيفق من الخفق » وهو السرعة . ومعنى « ذات
ناهق معروق » أن عظم خديها قليل اللحم ، فالناهق : العظم الشاخص في خد الفرس
والناهقان : العظمان الشاخصان في خديها . والمعروق : قليل اللحم . وكان العرب
يستحسنون ذلك ويجعلونه من شواهد العتق . وقال أبو عبيدة : النواهق من
الحمار مخرج نهاقه . ومعنى « وشدق أشدق » أنها واسعة الشدق وهو أيضاً من شواهد
العتق . ولعل ذلك يزيد في حسن الصور في الخيل . وقد يقال الشدق الشخص والاشدق
العظيم الشخص وهو معنى صحيح في الخيل كما لا يخفى . ومعنى « وأديم مملق » أنها ناعمة
الجلد فالأديم الجلد . والمملق الملمس . وهو كامر من خصائص عناق الخيل وجيادها .
ومعنى « ودسيع مننف » أن أصل عنقها واسع عظيم . فالدسيع مركب العنق

(١) المعجزة وثب كوثب الظبي وهذا القول لابن بكر ، قال القالي : ولا أعرف عن غيره
في هذا الحرف تفسيراً

في الحارك. ومنفنف واسع من النفنف ، وهو الهواء بين السماء والأرض . وإذا لم يكن أصل العنق واسعاً فهو صفة ذم في الفرس ومعنى « وتليل مسيف » ان عنقها كالسيف في الدقة والانحناء والطول وذلك مما نص علماء الخيل على استحسانه فالتليل العنق . والمسيف : كالسيف ومعنى « وثابة زلوج » أنها سريعة الوثب . ومعنى « خيفانة رهوج » كمنى سابقه . والخيفانة : الجرادة التي بها نقط سود تخالف سائر لونها . وانما قيل للفرس خيفانة لسرعتها لأن الجرادة اذا ظهرت بها تلك النقط كان اسرع لطيرانها ورهوج كثيرة الريح وهو الغبار . يعنى أنها سريعة كثيرة الجرى والمشى فلذلك يكثر الغبار خلفها . ومعنى « تقريها اهماج وحضرها ارتعاج » ان أقل عدوها الذى هو التقريب بمنزلة الإهماج الذى هو أسرع العدو وهكذا الحضر والارتعاج فان الحضر ضرب من السير دون الارتعاج وهو سرعة الجرى وأصله كثرة البرق وتتابعه . وحاصل هذه الاوصاف : أن خيفق قليلة لحم الوجه ، واسعة الاشداق ، ناعمة الجلد ، واسعة الدسيغ — وهو مركب العنق طويلة العنق ، دقيقتة ، مقوستة ، سبابة الغايات ، سريعة الخطو والحركات — (شرح قول الخامسة) معنى « طريده محبول . وطالبه مشكول » أنه اذا طلب أدرك وإذا طرد لم يدرك . فطالبه ومطلوبه كلاهما كأنهما مقيدان بقيد لسرعة جريه وبطء غيره عنه والطريد بمعنى المطرود . ومحبول فى حباله ومشكول موثق فى اشكال وهو القيد . ومعنى « دقيق الملاغم » أنه دقيق الحجاقل وهو جمع حجفلة^(١) ، وهى معلومة . وبعضهم أبى ذلك وقال انما الملاغم من الانسان ما حول الفم . وكلا التفسيرين موافق لحقيقة الحال . ومعنى « أمين المعاقم » أمين المفاصل وعبل الحزم غليظه . وهو من علامات العتق بخلاف ما اذا لم يكن محزومه عبلا بل كان دقيقاً فانه ليس بمحمود « ومعنى مخد مرجم » انه قوى على السير حتى كأنه يشق الأرض بحوافره شقاً ويجعل ما يصادف الحوافر من الحجارة يرجم بعضه بعضاً على حد قوله :

(١) هي بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهم تنقاد الصياريف (١)
فالخذ من خد الأرض يخذها أى يجعل فيها اخاديد ، وهى الشقوق واحدها
اخدود . ومرجم من الرجم . وقد يكون بمعنى أنه يرجم الأرض بحوافره . ومعنى
أنه منيف الحارك : أن حاركه وهو منسج الفرس مرتفع . وأشتم السنايك بمعنى
أن اطراف حوافره مرتفعة والسنايك جمع سنبك . ومعنى مجدول الخصائل مفتولها
والخصائل جمع خصلة . هذه جملة من الأوصاف المحمودة فى الخيل تضمنتها هذه
الفقرات والاسجاع البليغة التى أعجزت فرسان ميادين الفصاحة . ولبعض
المتأخرين من أهل الفضل والأدب كتاب انشاء فى أوصاف الخيل مشتمل على
فوائد جملة نذكره تكميلاً للمقصود هو : ينهى وصول ما انعم به من الخيل التى وجد
الخير فى نواصيها ، وادخرت صهواتها (٢) حصوناً يعتصم فى الوغى (٣) بصاصيها (٤)
« فن أشهب » غطاء النهار بجلته ، وأوطأه الليل على اهله ، يتموج أديمه ريا
ويتأرجح رياً (٥) ، ويقول من استقبله فى حلى لجمه : هذا الفجر قد طلع بالثريا ،
ان التقت المضائق انساب انسياب الأيم (٦) ، وان انفرجت المسالك مر مرور
الغيم ، كم أبصر فارسه يوماً أبيض بطلعته ، وكم عاين طرف السنان مقاتل العدا
فى ظلام النقع (٧) بنور أشعته . بلا يستن (٨) داجن فى مضاره . ولا تطمع الغبراء
فى شق غباره . ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آباره . تسابق يداها مرامى طرفه
ويدرك شوارذ البروق ثانياً من عطفه « ومن أدهم » حالك الأديم (٩) ، حالى

(١) وصف ناقته بسرعة السير فى الهواجر فيقول ان يديها لشدة وقمها فى الحصى تنفيانه
فيقرع بعضه بعضاً ويسمع له صليل كصليل الدنانير اذا انتقدتها الصيرفى فننى رديها عن جيدها
وخص الهاجرة لتعذر السير فيها ، وزاد الياء فى الصياريف تشبيهاً لها بما جمع فى الكلام على غير
واحد نحو ذكر وهذا كبير وسمح ومساميح (٢) جمع صهوة وهى ما أسهل من ناحيتى سرة
الفرس أو مقعد الفارس ، (٣) الوغى مقصور الجلبة والاصوات ومنه وغى الحرب وقال ابن جنى
الوعى بالمهمله الصوت والجلبة وبالمعجمة الحرب نفسها (٤) الصياصى : الحصون وكل ما امتنع به
(٥) ارج المسكان ارجاً فهو ارج اذا فاحت منه رائحة طيبة ذكية ، والرى الريح الطيبة
(٦) انساب : جرى ومشى مسرعاً ، والايام : الحية (٧) أى فى ظلام الغبار
(٨) يستن يسلك (٩) أى اسود الجلد

الشكيم^(١) ، له مقلة غانية^(٢) وسالفة ريم^(٣) ، قد ألبسه الليل بُرْدَه ، واطلع بين
 عينيه سعده ، يظن من نظر الى سواد طرته ، وبياض حجوله وغرته ، أنه توهم
 النهار نهراً نخاضه ، وألقى بين عينيه نقطة من رشاش تلك المخاضة ، لين الاعطاف
 سريع الانعطاف ، يُقبل كالليل . ويمر كجلمود صخر حطه السيل^(٤) . يكاد يسبق
 ظله^(٥) . ومتى جرى السهم الى غرض بلغه قبله^(٦) « ومن أشقر » وشاه الغدو
 بلهبه ، وغشاه الأصيل بذهبه ، يتوجس لديه برقيقتين ، وينفض وفرتيه^(٧) ،
 عن عقيقتين ، وينزل عذار لجامه بين ما لفتيه على شقيقتين ، له من الراح لونها ،
 ومن الرياح لينها ، إن جرى فبرق خفق ، وإن أسرع فهلال على شفق ، لو أدرك
 وائل حرب بنى وائل لم يكن للوجيه^(٨) وجاهه ، ولا للنعامه^(٩) نباهه ، ولكان
 ترك اعارة مكاب اؤماً وتحريم بيعها سفاهه^(١٠) ، يركض ما وجد أرضاً ، واذا
 اعترض به راكبه بجرأ وثبه عرضاً « ومن كميته^(١١) » ، كأن راكبه

(١) لعله جمع شكيمة ، وهي في اللجام الحديدية المعترضة في فم الفرس (٢) المقلة شحمة العين
 التي تجمع السواد والبياض ، أو الحدقة ، والغانية : التي غنيت بزوجها عن غيره (٣) الريم
 الظبي الخالص البياض وسالفته ما تقدم من عنقه (٤) الجلود الحجر العظيم الصلب ، والحط القاء
 الشيء من علو إلى أسفل هذا من قول امرئ القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقدم تفسير هذا البيت قريباً (٥) هذا من قول بعضهم

يجرى فلمع البرق في آثاره من كثرة الكبوات غير مفيق

وبكاد يخرج سرعة من ظله لو كان يرغب في فراق رفيق

(٦) أقول وقريب من هذا قول الصفي الحلبي الشهير

واغر تبرى الاهداب مورد سبط الاديم محجل ببياض

أخشى عليه أن يصاب بأسهمي مما يسابقتها الى الاغراض

(٧) الوفرة الشعر المجتمع على الرأس أو ماسال على الاذنين منه أو ما جاوز شحمة الاذن

ثم الجمة ثم اللمة (٨) الوجيه من مشاهير خيل العرب قال الشاعر :

بنات الوجيه والغراب ولاحق وأعوج تنمي نسبة المتنسب

(٩) النعام اسم لعدة أفراس (١٠) يشير إلى قصة فرس عبيدة بن ربيعة التميمي أحد فرسان

العرب وكان أحد ملوكهم طلب منه فرساً تسمى سكاب فمنعها منه وقال :

أبيت اللعن أن سكاب علق نفيس لاتعار ولا تباع

الى آخر الايات التي مرت قريباً في هذا الجزء فراجعها (١١) الكميته الذي خالط حمرته

قنوء والنهد : الفرس الحسن الجميل الجسيم اللحيم المشرف

في مهد (١) عند مي الاهاب (٢) ، شمالي الذهب ، يزل الغلام الخف عن
صهواته ، وكان نغم الغريض ومعبذ (٣) في لهواته (٤) ، قصير المطا (٥) فسيح
الخطا ، إن ركب للصيد قيد الاوابد (٦) واعجل عن الوثوب الوحش اللوابد (٧)
وان جنب الى حرب لم يزور من وقع القنا بلبانه (٨) . ولم يشك لو علم الكلام
بلسانه ، لم ير دون بلوغ الغاية وهي غرض راكبه ثانياً من عنانه ، وان سار
في سهل (٩) ، اختال براكبه كالمثل (١٠) ، وان أصد في جبل طارفي عقابه كالعقاب
وانحط في مجاريه كالوعل (١١) ، متى ما ترق العين فيه تسهل . ومتى أراد البرق
مجارته قال له الوقوف عند قدره ما أنت هناك فتمهل (ومن حبشي أصفر) يروق
العين ، ويشوق القلب مشابته العين ، كأن الشمس ألت عليه من أشعتها جلالات
وكانه نفر من الدجا فاعتنق منه عرفا واعتنق حجالات ، ذى كفل يزين سرجه ،
وذيل يسد اذا استدبرته منه فرجه (١٢) قد اطلعته الرياضة على مراد فارسه . وأغناه
نضار لونه ونضارته عن ترصيع قلائده ، وتوشيع ملابسه (١٣) . له من البرق خفة

(١) المهد : الموضع يهياً للصبي ويوطأ (٢) العندم : دم الاخوين أو البقم ، والاهاب
كتاب الجلد (٣) الغريض ومعبدهما من مشاهير المغنين ، ولهما أخبار مذكورة في الاغانى
للاسبهاى (٤) جمع لهأة وهي اللحم المشرقة على الخلق أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع
القلب من أعلى الفم (٥) أى الظهر (٦) الاوابد : الوحوش وقد أبد الوحش يأبد أبوداً
ومنه تأبد الموضع اذا توحش وخلا من القطان ومنه قيل للفد آبدة لتوحشه عن الطباع ، قال
امرؤ القيس :

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل

قالوا هذا البيت يعد من ابتداعاته ومخترعاته لانهم كانوا يقولون في الفرس السابق يلحق
الغزال والظليم وشبهه حتى قال (قيد الاوابد) ومثل هذا له كثير ولم يكن قبله من فطن
لمثلها غيره فامتثلوه بعده (٧) أى ذوات الابد كالاسد ونحوه ، واللبدة شعر مجتمع على
زبرة الاسد وفي المثل هو أمتع من لبدة الاسد (٨) قوله لم يزور أى لم ينحرف ، والقنا
جمع قناة وهي الرمح ، واللبان بالفتح : الصدر (٩) قال ابن فارس : السهل خلاف الحزن ،
وقال الجوهري : السهل خلاف الجبل والنسبة اليه سهيلي بالضم على قياس (١٠) السكران
(١١) بالفتح وككتف ودئل « وهذا نادر » تيس الجبل (١٢) هذا من قول امرئ القيس
في معلقته الشهيرة :

بضاف فويق الارض ليس باعزل

ضليح اذا استدبرته سد فرجه

(١٣) توشيع الملابس اعلامها

وطئه وخطفه ، ومن النسيم لين مروره ولطفه ، ومن الريح هزيزها اذا ماجرى
شأوين وابتل عطفه . يطير بالغمز . ويدرك بالرياضة مواقع الرمز . ويمدو
كألف الوصل في استغناء مثلها عن الهمز « ومن أخضر » حكاه من الروض
تفويفه . ومن الوشى تقسيمه وتأليفه . قد كساء النهار والليل حلتى وقاروسنا ،
واجتمع فيه من السواد والبياض ضدان لما اجتمعا حسنا ^(١) ومنحه البارى حلية
وشيه . ونحلته الرياح ونسماتها قوة ركضه وخفة مشيه ، يُعطيك أفازين الجرى
قبل سؤاله ، ولما لم يسابقه شئ من الخيل اغراء حب الظفر بمسابقة خياله
كأنه تفاريق شيب في سواد عذار ، أو طواع فجر خالط بياضه اللجا فما
سجا ومازج ظلامه النهار فما أنار ، يختال لمشاركة اسم الجرى بينه وبين الماء
في السير كالسيل ، ويدل بسبقه على المعنى المشترك بين البروق اللوامع
وبين البرقية من الخيل ، ويكذب المانوية ^(٢) لتولد اليمن بين اضاءة النهار وظلمة
الليل ، « ومن أبلق ^(٣) » ظهره حرم ، وجريه ضم ^(٤) ، ان قصد غاية فوجود
الفضاء بينه وبينها عدم ، وان صرف في حرب فعله ما يشاء البنان والعنان وفعله
ما تريد الكف والقدم ، قد طابق الحسن البديع بين ضدتى لونه ، ودلت على
اجتماع النقيضين علة كونه ، وأشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار . وأخذ
وصف حلتى اللجا في حالى الابدار والسرار ^(٥) لا تكلم منا كبه ، ولا يضل
في حجرات الجيوش راكبه ، ولا يحتاج ليله المشرق بمجاورة نهاره الى أن تسترشد

(١) من قول الشاعر:

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الصد

والبيت من القصيدة المعروفة بالدعدية وقد مر بعضها وحلا ، واكثر هذه الاوصاف التي
تراها هنا مأخوذة من أقوال الشعراء (٢) المانوية قوم ينسبون إلى رجل اسمه ماني يقول . الخير
من النهار والشر من الليل ، وقد رد عليه المتنبي فقال :

وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر أن المانوية تكذب

وقاك ردى الاعداء تسرى اليهم وزارك فيه ذو الدلال المحجب

(٣) البلق حركة سواد وبياض وارتفاع التحجيل الى الفخذين (٤) مرس ضم ككتف

عداء (٥) الابدار طلوع البدر ، والسرار : آخر ليلة من الشهر.

فيه كواكبه ، ولا يجاريه الخيال فضلا عن الخيل ، ولا يملُّ السرى الا اذا كلَّ مشبهاء النهار والليل ، ولا تتمسك البروق اللوامع من لحاقه بسوى الاثر فان جهدت فبالذيل ، فهو الابلق الفرد (١) . والجواد الذي لمحاربه العكس وله الطرد ، قد اغنته شهرة نوعه من جنسه عن الاوصاف ، وعدل بالرياح عن مباراته سلوكها في الاعتراف له بجادة الانصاف ، فترقى الملوك الى رتب العز من ظهورها ، وأعددها مطية الجنان اذ الجهاد عليها من أنفُس مهورها . وكلف بركوبها فكلما أكمله عاد ، وكلما أمله سره اليه فلو أنه زيد الخيل لما زاد ، ورأى من آدابها ما دل على انها من أكرم الاضائل . وعلم انها ليومي سلمه وحربه جنة الصائد وجنة الصائل . وقابل احسان مَهديها بثنائه ودعائه ، وأعددها في الجهاد لمقارعة أعداء الله وأعدائه ، والله تعالى يشكر به الذي أفرد في الندى بمناهبه ، وجعل الصافنات الجياد من بعض مواهبه .

ماورد عن العرب في مشى الخيل وعدوها

من المشى : العنق وهو أول المشى . والتوقص وهو أن ينزوا نزواً ويقرمط (٢) . ويقال مرّ يتوقص به فرسه . ومن المشى الدالان وهو مشى يقارب فيه الخطو ويتقى فيه كأنه مثقل من حمل . ومنه الدالان وهو مرّ خفيف سريع يقال : مرّ فرسه يدال ذالاناً . ومنه سعى الذئب ذؤالة خلفه مره . واذا راوح بين يديه فذلك الخلب ، فاذا رفع يديه ووضعها معاً فذلك التقريب ، فاذا عدا عدو الثعلب فثلك الثعلبية ، فاذا ارتفع حتى يكون إحضاراً قيل مرّ يحضر ويقال : مرّ يعدو ، فاذا ارتفع فسال سيلا قيل مرّ يجرى جرياً ، فاذا اضطرم جريه قيل مرّ يهذب اهداباً ومرّ يلهب إلهاباً ، فاذا بدأ العدو قيل مرّ يضطرم وقيل قد أمجج مجاجاً ، فاذا اجتهد قيل قد أمجج يهيج إهماجاً ، فاذا رجم الارض رجماً بين العدو

(١) قال المجد : هو حصن السمؤال بن حاديا بن أم أبوه أو سليمان (عليه السلام) بأرض تيماء وقصدته الزبلاء فمجزت عنه وعن مارد فقالت : تمرد مارد وعن الابلق (٢) القرمطة : مقاربة الخطو .

والمشي الشديد قيل رَدَى يَرْدِي رَدْيَانًا . قيل لمنتجع بن نبهان ما الرديان ؟
قال : عدو الحمار بين آريه و متممكه (١) ، فاذا رمى بيديه رمياً فلم يرفع سُنْبُكَه (٢)
عن الارض قيل مر يدحو دحواً . فاذا مرَّ مرّاً سهلاً بين العدو الشديد واللين
فذاك الطميم يقال مر يطم طمياً ، فاذا وقعت حوافر رجليه موضع حوافر يديه
قيل قد قرن قراناً وهو قرون ، واذا مرَّ مرّاً خفيفاً قيل مر يهزع ويهزع ويمصع ،
فاذا خلط بين الهملجة فراوح بين شيء من هذا قيل قد ارتجل ارتجالاً . وقيل
خير جرى الذكور أن يشترف (٣) ، وخير جرى الإناث أن تنبسط وتصغي
كعدوة الذئبة . ويقال للفرس إذا كان شديد العدو وكثيره : إِنَّهُ لِمَهْرَجٌ ،
وإذا بدأ الجري من غير أن يختلط قيل قد غلج غلجاً وإنه لِمَغْلَجٌ فاذا كان
رغيب الشحوة (٤) كثير الأخذ من الأرض قيل هو ساطٍ من الخليل ويقال
هو غمر وسكب وبحر وفيض وحت كل هذا اذا اكثر العدو ، فاذا جمع
يديه فوثب فوقعت مجموعة يدها فذلك الضير فاذا أهوى بحافره الى عضده فهو
الضبع وهو فرس ضبوع والخناف وهو أن يهوى بحافره الى وحشيته (٥) ويقال :
الخليل تجرى مساوياً يراد بذلك أن الفرس يمدو وفيه بعض هذه العيوب ،
ويقال للذي لا يسبق من غاية بعيدة اهضم . ويكره من جرى الخليل الهملجة .

الوان الخليل

الكمة والحمة وهو أحب الألوان الى العرب مع الحوة . والكمة حمرة تدخلها

(١) الآري ويخفف الاحية ، والمتممك : محل تمرغ الدابة يقال تممكت الدابة تممكا أي تمرغت
في التراب وتقلبت فيه (٢) السنبك فعل بضم العاء والعين طرف مقدم الحافر وهو معرب وقيل
سنبك كل شيء أوله كذا في المصباح (٣) أي ينتصب وفرس مشترف سامي النظر سابق ، قال جرير :
من كل مشترف وان بعد المدى ضم الرقاق مناقل الاجرار

(٤) أي واسع الخطوة (٥) الوحشي من كل دابة الجانب الايمن قال الشاعر :

فالت على شق وحشيها وقد ريع جانبها الايسر
قال الازهرى قال أئمة العربية الوحشي من جميع الحيوان غير الانسان الجانب الايمن وهو
الذي لا يركب منه الراكب ولا يجلب منه الحالب والانسي الجانب الآخر وهو الايسر

قنوءٌ يقال اكأَت يكئت اكيثاناً ويقال اکت يكمت اکتاناً ويقال ادهامٌ يدهام ادهياماً ، وفي الكمة لونان يكون الفرس كميثاً مُدَمَّى ويكون كميثاً أحم . وأشد الخيل جلوداً وحوافر الكُمتُ والحُم . ومنها « الصفر » يقال فرس أصفر وفرس صفراء ولا يسمى أصفر حتى يصفر ذنبه وعرفه . ومنها « الحوة » وهي خضرة تضرب الى سواد . ويقال قد اجواوى يحواوى احوواءً ، وبعض العرب يقول احووى يحووى احوواءً وبعض العرب يقول قد حوى يحوى حوة . ومن الخيل : الوردة ^(١) يقال فرس ورد وفرس وردة وخيل ورد . وفي الخيل « الدغم » وهو قليل من الالوان وهو أن يكون وجهه يضرب الى السواد وحجافله ^(٢) أشد سواداً يقال فرس أدغم وفرس دغماء . وفي الألوان « الاغراب » وليس بناصع ^(٣) الحمرة فاذا ابيضت الارفاغ وهي أصول الفخذين مما يلي الخاصرة والمحاجر والاشفار فهو مغرب فاذا ابيضت الحدقة فهو أشد الاغراب . ومنها « الخضرة » وهي التي تخلطها غبرة قال الجعدي :

واخضر كالفهقر ينفض رأسه أمام رعال الخيل وهو يقرب ^(٤)

وفي الخيل « الشقرة » وهي الحمرة التي فيها مغرة يقال فرس أمغر بين المغرة وفي الخيل « الدهمة » وهو السواد شديده وهينه . وفيها « الحوة » وهو سواد ليس بالشديد تصفر أرفاغ الدابة معه ومحاجرها ويكون اعلاه أشد سواداً . وفيها « الشبهة » وهو البياض فاذا كان في الدابة ضروب من الألوان من غير بلق فذلك التوليع يقال برذون مولع :

(١) الوردة التي تلوها الحمرة الى الشقرة الخلوقة وأصول شعرها سود (٢) جمع حجلة وهي بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير (٣) نصح لونه خالص وابيض واحمر ناصع قال الشاعر :
من صفرة البياض وحمرة نصابة كشقائق النعمان
وهذه الكلمة مما يؤكدها اللون الاحمر ، ولشيخنا المؤلف رسالة مفيدة في تأكيد الالوان نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي م : ١ (٤) الفهقر : الحجر الاملس الصلب الاسود كالفهقر ، والرعال : الجماعات واحدها رعلة ، والتقريب ضرب من السير

الشيآت

منها الغرة وهي بياض الجبهة فاذا صغرت فهي قرحة فاذا استطالت وانصبت فهي شمرأخ فاذا انتشرت قيل غرة شادخة وفرس شادخ الغرة . قال ابن مفرغ : شدخت غرة السوابق فيهم في وجوه مع اللام الجماد (١)

فاذا ابيض موضع اللطمة من الفرس قيل لطيم فاذا ابيضت حجفته العليا فهو ارثم وهي رثماء وهي الرثمة . ويقال : إنها لذات احجال اذا كان بها تحجيل والواحد حجل ، فاذا خالط البياض الذنب في أي لون كان فذلك الشعلة يقال فرس أشعل وفرس شعلاء فاذا خالص لونه من كل لون كان بهياً اذا كان من ضرب واحد لم يختلف . ويقال اذا كان باطراف حجفته شيء من بياض المظ و فرى لمظاء ، وفيها التجويف وهو أن يصعد البلق حتى يبلغ البطن قال الغنوى :

شميط الذنابي جوفت وهي جونة بنقبة ديباج وريط مقطع (٢)
فاذا ارتفع التحجيل فجاوز الثنن حتى يصعد في الاوظفة فهو التجيب يقال فرس مجيب ومجبية فاذا جاوز البياض الركبة في اليد وفي العرقوب في الرجل فهو أبلق واذا صعد البياض في البطن الى الجنب فهو انبط والمصدر النبط قال ذو الرمة :

كعرض الحصان الانبط البطن قائماً تمايل عنه الجل فاللون اشقر
ويقال فرس انبط وفرس نبطاء . وفي كل الالوان يكون البلق فكل لون خالطه بياض فهو أبلق والبلق هجنة في الخيل فاذا ابيضت اليد فهو فرس أعصم فاذا ابيضت الرجل فهو فرس أرجل والمصدر الرجل والعصم ، واذا كان البياض بموضع الخلاخيل من اليدين والرجلين فهو التحجيل ، فاذا حجلت بثلاث وتركبت واحدة قيل محجل ثلاث مطلق واحدة ، فاذا ابيضت الرجل واليد التي من شقها

(١) يريد أن غررهم انتشرت في وجوههم حتى انتهت الى اللام (٢) البيت لطيف الغنوى يصف فرساً ، يقول : اختلط فذنبها بياض وغيره وقال ابن دريد : قوله شميط الذنابي أي شعلاؤها والتجويف ابيضاض البطن حتى يتحدد البياض في القوائم

لشهودها فيمن شهد من خواص أمير المؤمنين والحلبة يومئذ أفراس للرشيدي ولولديه الأمين والمأمون وإسليمان ابن أبي جعفر المنصور ولعيسى بن جعفر فجاء فرس أدهم يقال له الربيد لهارون الرشيد سابقاً فابتهج لذلك ابتهاجاً علم ذلك في وجهه وقال علي بالاصمعي فنوديت له من كل جانب فأقبلت سريعاً حتى مثلت بين يديه . فقال يا أصمعي خذ بناصية الربيد ثم صفه من قونسه إلى سنبكه (١) فانه يقال إن فيه عشرين اسماً من أسماء الطير . قلت : نعم يا أمير المؤمنين وأنشدك شعراً جامعاً فيه من قول أبي حزره . قال : فأنشدنا الله أبوك . قال : فأنشدته :

واقب كالسرحان تم له ما بين هامته إلى النسر

ألقب : اللاحق الخطف البطن وذلك يكون من خلقته وربما حدث من هزال أو بعد قود والائثي قباء والجمع قب والمصدر القبيب . والسرحان : الذئب شبهه في ضموه وعدوه به وجمعه سراحين وقد قالوا سراح . والهامة على الرأس وهي أم الدماغ وهي من أسماء الطير . والنسر : هو ما ارتفع من بطن الحافر من أعلاه كأنه النوى والخصى وهو من أسماء الطير وجمعه نسور .

رحبت نعامته ووفر فرخه وتمكن الصردان في النحر

رحبت : اتسعت . نعامته : جلدة رأسه التي تغطي الدماغ وهي من أسماء الطير . وقوله : ووفر فرخه . الفرخ : هو الدماغ وهو من أسماء الطيور ووفر أي تم يقال أوفرت الشيء ووفرت بالتحفيف فهو موفور . والصردان : عرقان في أصل اللسان . ويقال انهما عرقان أخضران مكتنفان باطن اللسان منهما الريق ونفس الرية وهما من أسماء الطير وفي الظهر صرد أيضاً وهو بياض يكون في موضع السرج من أثر الدبر يقال فرس صرد إذا كان ذلك به . والنحر موضع القلادة من الصدر وهو البرك

وأناف بالعصفور من سعف هام أشم موثق الجذر

(١) أي من أعلى رأسه إلى طرف حافره

وأُنف : أشرف . والعصفور : منبت الناصية والعصفور أيضاً عظم نأى
فى كل جبين والعصفور من الغرر أيضاً وهى التى سالت ودقت ولم تتجاوز الى
العينين ولم تستدر كالقرحة وهى من أسماء الطير . والسعف : يقال فرس بين
السعف وهو الذى سالت ناصيته . هام : أى سائل منتشر . أشم : مرتفع والشمم
فى الأنف ارتفاع قصبته ويروى هادٍ أشم يريد عنقاً مرتفعاً وجمعه هواد . وقوله
موتق أى شديد قوى . والجندر : الاصل من كل شئ قال الاصمعي وغيره : هو
بالفتح وقال أبو عمرو بن العلاء هو بالكسر

وازدان بالديكَيْنِ صلصلةٌ ونبتٌ دجاجته عن الصدرِ

ازدان : افتعل من قولك زان يزين وكان الاصل ازتان فقلبت التاء دالا
لقرب مخرجها من مخرج الزاى ، وكذلك ازداد من زاد يزيد . والديكان : واحدها
ديك وهو العظم النأى خلف الأذن وهو الذى يقال له الخششاء والخشاء .
والصلصل : بياض الناصية ويقال هو اصل الناصية . والدجاجة اللحم الذى على
زوره بين يديه والديك والصلصل والدجاجة من أسماء الطير .

والناهضان أمرٌ جزها فكأنما عثما على كسر

الناهضان : واحدها ناهض وهو لحم المنكين ويقال هو اللحم الذى يلى
العضدين من أعلاهما والجمع نواهض . ويقال فى الجمع أنهض على غير قياس
والناهض فرخ القطا وهو من أسماء الطير . وقوله أمرٌ جزها أى قتل واحكم
يقال أمرت الحبل فهو ممر أى قتلته . والجز : الشد وقوله : فكأنما عثما على
كسر : أى كأنهما كسرا ثم جيرا يقال عثمت يده والعثم الجبر على عقدة
وعوج وعثمان فعلان منه .

مسحنفر الجنين ملتئم ماين شيمته الى الغر

مسحنفر الجنين : أى منتفخهما . ملتئم : أى معتدل . وشيمته : منخره
والشيمة أيضاً من قولك فرس بين الشيمة وهى بياض فيه . ويقال أن تكون

شامة أو شام في جسده . والغرفى الاغلب على الذى يسمى الرخمة من الفرس
وهى عضلة الساق .

وصفت سمائه وحافره وأديمه ومنابت الشعر

السماوى طائر وهو موضع من الفرس لا أحفظه إلا أن يكون أراد السامة
وهى دائرة تكون فى سالفه الفرس وهى عنقه . والسامة من الطير أيضاً
والأديم الجلد .

وسما الغراب لموقعيه معاً فأين بينهما على قدر

سما الغراب : أى ارتفع والغراب رأس الورك ويقال للصاوين الغرابان
وهما مكتنفان عجب الذنب ويقال لهما أعلى الوركين والموقعان منه فى أعلى
الخاصرتين فأين أى فرق بينهما على قدر أى على استواء واعتدال

واكتنّ دون قبيحه خطافه ونأت سماته على الصقر

اكتنّ أى استتر والقبيح ملتقى الساقين ولا يقال انه مركب الذراعين
فى العضدين والخطاف من أسماء الطير وهو حيث أدركت عقب الفارس اذا
حرك رجله . ويقال لهذين الموضعين من الفرس المركلان . ونأت أى بعدت
والسامة دائرة تكون فى عنق الفرس وقد ذكرناها . وهى من أسماء الطير
والصقر أحسبها دائرة فى الرأس ولم أقف عليها وهى من أسماء الطير
وتقدمت عند القطاة له فنأت بموقعها عن الحر

القطاة : مقعد الردف وهى من أسماء الطير . والحر : من الطير يقال انه

ذكر الحمام وهو من الفرس سواد يكون فى ظاهر أذنيه

وسما على تقويه دون حداته خربان بينهما مدى الشبر

النقوان واحدهما نقو والجمع انقاء وهو عظم ذومخ وانما غنى ههنا عظام
الوركين لان الخرب هو الذى تراه مثل المدهن فى ورك الفرس وهو من الطير
ذكر الحبارى والحداة من الطير وأصله الهمز ولكنه خفف وهى سالفه الفرس

وجمعها حذاء على وزن فعال كما تقول عظمة وعطاء ويقال عظاية واذا فتحت الفاء قلت حداة وهو الفأس ذات الرأسين وجمعها حذاء مثل نواة ونوى وقطاة وقطا .

يدع الرضيم اذا جرى فلحاً بتوأم كمواسم سمر
الرضيم : الحجارة . الفلق : المكسورة فلحاً بتوأم جمع توأم وقد قالوا اتوأم
على وزن فعل جمع توأم على غير قياس يقال هو مثنى يعنى حوافره . والمواسم جمع
ميسم الحديد أى فى صلابتها . وقوله : سمر أى لون واحد وهو أصلب الحوافر .
ركبن فى محض الشوى سبط كفت الوثوب مشدد الأسر
الشوى : ههنا القوأم والواحدة شواة ويقال فرس محض الشوى اذا كانت
قوائمه معصوبة . سبط : سهل . كفت الوثوب : أى مجتمع ، من قولك كفت
الشيء اذا جمتمه وتممته . مشدد الأسر : أى الخلق . قال الاصمعى : فامر لى
بالف درهم . وأنشد بعضهم :

قد أطرق الحى على سابح أسطع مثل الصدع الأجرد^(١)
لما أتيت الحى فى ودقه كأن عرجوناً بمثنى يدي
أقبل يمتال فى شأوه يضرب فى الاقرب والابعد
كأنه سكران أو عابس أو ابن رب حرث المولد

« وقال عنتره »

أما اذا استقبلته فكأنه جذع سما فوق النخيل مشذب^(٢)
واذا عرضت له استوت اقرابه وكأنه مستديراً مستصوب^(٣)

والشعر فى هذا الباب كثير فان غالب شعر العرب فى وصف الخيل وما يتعلق بها .

(١) الطروق : الحجىء أو الزيارة ليلا ، والسابح الفرس لسبحه يديه فى سيره ، والاسطع :
الطويل العنق ، والصدع : قال الجوهوى هو الوسط من الوعول ليس بالعظيم ولا الصغير ولكنه
وعلى بين وعلين وكذلك هو الظباء والحمر لا يقال فيه الا بالتحريك (٢) قال فى الاساس :
فرس مشذب طويل استعير من الجذع المشذب ، قال يصف فرساً :

بمشذب كالجذع صا ك على حواجبه خضابه

يعنى دم الصيد (٣) الاقرب : الخواصر

الحلبة والرهان

الحلبة (١) مجمع الخيل ويقال مجتمع الخيل ويقال مجتمع الناس للرهان وهو من قولك حلب بنو فلان على بنى فلان واحلبوا اذا اجتمعوا . ويقال منه اخذ حلب الحالب اللبن في القدح أى جمعه فيه . والحلب الحبل الذى يمد في صدور الخيل عند الارسال للقبض والمنصبه الخيل حين تنصب للارسال . وأصل الرهان من الرهن كان الرجل يراهن صاحبه فى المسابقة يضع هذا رهناً وهذا رهناً فأيهما سبق فرسه أخذ رهنه ورهن صاحبه . والرهان مصدر راهنته مرهنةً ورهاناً كما تقول قاتلته مقاتلة وقتلاً . وهذا كان من أمر الجاهلية وهو القمار المنهى عنه فان كان الرهن من أحدهما بشيء مسمى على أنه ان سبق لم يكن له شيء وان سبقه صاحبه أخذ الرهن فهذا حلال لان الرهن انما هو من أحدهما دون الآخر . وكذلك ان جعل كل واحد منهما رهناً وادخلا بينهما محلاً وهو فرس ثالث يكون مع الاولين ويسمى أيضاً الدخيل ولا يجعل لصاحب الثالث شيء ثم يرسلون الافراس الثلاثة فان سبق أحد الاولين أخذ رهنه ورهن صاحبه فكان له طيباً وان سبق الدخيل أخذ الرهين جميعاً وان سبق هو لم يكن عليه شيء ولا يكون الدخيل الا راناً جواداً لا يأمنان ان يسبقهما والا فهذا قمار لانهما كأنهما لم يدخلا بينهما محلاً . قال الاصمعي : السابق من الخيل الاول والمصلي الثاني الذى يتلوه . قال : وانما قيل له مصلى لانه يكون عند صلوى السابق وهما جانباً ذنبه عن يمينه وشماله . ثم الثالث والرابع لاسم لواحدٍ منهما الى العاشر فانه يسمى سكيتاً . قال أبو عبيدة : لم نسمع فى سوابق الخيل ممن يوثق بعلمه اسماً لشيء منها الا الثانى والعاشر فان الثانى اسمه المصلى والعاشر السكيت وما سوى ذينك يقال له الثالث والرابع وكذلك الى التاسع ثم السكيت ويقال السكيت بالتشديد والتخفيف فما جاء بعد ذلك لم يعتد به .

والفسكل بالكسر الذي يجيء آخر الخيل والعامّة تسميه الفسكل بالضم . وقال -
 أبو عبيدة القاسور الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل وهو الفسكل وإنما قيل للسكيت
 سكيناً لأنه آخر العدد الذي يتف العاذه عليه والسكيت الوقوف هكذا كانوا يقولون
 فأما اليوم فقد غيروا . وكان من شأنهم أن يمسحوا على وجه السابق قال جرير :
 إذا شئتُموا أن تمسحوا وجهَ سابقٍ جوادٍ فهدّوا في الرهانِ عنانيا
 أقول : ذكر الخطيب التبريزي وغيره من مشاهير أهل الأدب وأئمة اللغة ؛
 أن أسماء خيل الحلبة عشرة لأنهم كانوا يرسلونها عشرة عشرة ، وسمى كل واحد
 منها باسم فالأول منها السابق وهو المجليّ لأنه كان يجلي عن صاحبه ، والثاني المصليّ
 لأنه يضع جحفتَه على صلا (١) السابق ، والثالث المسليّ لأنه يسليه ، والرابع
 التالي ، والخامس المرتاح ، والسادس العاطف ، والسابع المؤمل ، والثامن الحظيّ ،
 والتاسع اللطيم لأنه يلطم عن الحجرة ، والعاشر السكيت لأنه يعاوه تخشع وسكوت .
 ويقال سكيت أيضاً مشددة الكاف ، والفسكل الذي يجيء آخر الخيل في الحلبة .
 ويقال للحبل الذي يجعل في صدور الخيل يوم الرهان المقبض والمقوس . وقال النبي
 صلى الله تعالى عليه وسلم : الخيل تجرى بأعراقها وعتقها فإذا وضعت على المقوس
 جرت بجدود أربابها . وقيل في أسماء خيل الحلبة أن أولها المجليّ ثم المصليّ ثم المسليّ
 ثم العاطف ثم المرتاح ثم الحظيّ ثم المؤمل . هذه السبعة لها حظوظ ، ثم اللواتي
 لاحظوظ لها اللطيم ثم الوغد ثم السكيت . وقال محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد
 الملك بن مروان يصف الحلبة وذكر أسماء الخيل :

فجلى الأغرّ وصلى الكميت وسلى فلم يندم الأدهم
 واتبعها رابعٌ تالياً واتي من المنجد المثم
 وما ذم مرتاحها خامساً وقد جاء يقدم ما يقدم
 وسادسها العاطف المستحير يكاد لحيرته يحرم

(١) الصلا وزان العصا مغرز الذنب من الفرس

وخاب المؤمل فيما يخيب وعن له الطائر الاشأم
وجاء الخطي لها ثامناً فأسهم حصته المسهم
حدا سبعة وأتى ثامناً وثامنة الخيل لا تسهم
وجاء اللطيم لها تاسعاً فمن كل ناحية يلطم
يخب السكيت على أثرها وعلباه من قنبيه أعظم (١)
على ساقه الخيل يعدو به ملياً وسائسه الوم
إذا قيل من ربُّ ذالم يجب من الحزن بالصمت مستعصم (٢)

خيل العرب المشهورة

قد أفرد أبو محمد الأعرابي "الغندجاني" وهو اللغوي الشهير كتاباً ذكر فيه أسماء خيل العرب الفحول والحجور التي نجلت وانجبت وتفرقت نجلاً في العرب، وأنها لمن كانت في بدء أمرها وإلى من صارت وفيمن صار نجلاً من العرب ممن ذكر ذلك وافتخر به في الجاهلية والاسلام، وأسماء خيل العرب المنفردة التي ذكرت بأنفسها ولم يذكر نجلاً، وقد رتبته على ولاء الحروف المعجمة ليسهل على المطالع مرامها، وينقاد اليه زمامها، وفي الحقيقة إن هذا الكتاب لم يسبق اليه مؤلفه. وقد طالعت مراراً فوجدته مفيداً في بابه. ولا بأس إن تذكر منه نبذة يسيرة تكون كالاتموزج في هذا الباب «فن مشاهيرها» اعوج الأكبر لغني ابن أعصر. قال بشر ابن أبي خازم يفتخر بينات اعوج:

وبكل أجردٍ سابحٍ ذي مية متاحلٍ في آل أعوج ينتمي (٣)

(١) القنب بالضم فالسكون جراب قضيب الدابة أو وطاء قضيب كل ذي حافر هذا الاصل ثم استعمل في غير ذلك ويقال اضرب قنب فرسك تنجبك، والرواية الصحيحة في البيت:

يخب السكيت على أثره حياؤه من خزيه أعظم

(٢) تجمد القصيدة برمتها في (ص ٢٤٩) من كتاب نخبة عقد الاجياد في الصافنات الجياد تأليف المفضل الامير محمد باشا نجل امير العلماء وطالم الامراء الامير عبد القادر الحسني الجزائري

(٣) السابح: الفرس سمي لسبحه يديه في سيره، والاجرد: السباق، وماع الفرس يبيع

جرى ومية الحضر: أوله ونشاطه، والمتاحل: الطويل المضطرب الخلق من الابل

وقال طفيل بن عوف :

بنات الوجيه والغراب ولا حق وأعوج تنعى نسبة المتنسب
وليس لهم فحل أشهر في العرب ولا أكثر نسلًا ولا إشعراء والفرسان
أكثر ذكراً له وافتخاراً به من أعوج . قال الأصمعي : حدثني حبيب بن شاذب
— رجل من أهل نجد وكان ينزل ضرية — قال حدثني أبي قال سمعت كعب بن سعد
الغنوي ينشد المرثية براذان اراه في زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .
قال : أول ما روى من عدو أعوج يعنى الأكبر الذى لغى انه أغير على الناس
في يوم النصار . وصاحب أعوج الأكبر موثقه بشمامة^(١) . فلما أغارت الخيل
في وجه الصبح حال في متنه^(٢) ثم صاح به ونسى الوثاق . فاقطلع الثمامة فخرج يحف
به^(٣) كأنه خذروف^(٤) فسار بياض يومه ثم أمسى يأكل حميم قباء . وسار أربع
مراحل كأنه دفعه من الأنسر من ضرية ثم أتى العين ثم فلجة ثم الدفينة ثم قباء
ثم لم يشغله . وقد كان عدا مسيرة أربع ليال أن تعشى من حميم قباء . واما أعوج
الاصغر فهو لبني هلال بن عامر « ومنها الاغر » وهو لبلعاء بن قيس الكنانى
الذى يقول :

أبلغ الحرث عنى انى شر شيخ فى ايدى ومُضَر
رألة منتف بلعومها تأكل القت وخبان الشجر^(٥)
ان مضى الحول ولم أغزكم فى عناج تهتدى احوى طمر^(٦)

(١) واحدة الثمام كغراب وهو نبت يسد به خصام البيوت (٢) أى وثب واستوى على
ظهره (٣) حف الفرس حفيفاً سمع عند ركضه صوت وهو دوى جريه ويقال أجرى الفرس
حتى أحضه أى حمله على الحضر الشديد (٤) كعصفور شىء يدوره الصبي بخيط في يديه فيسمع
له دوى ، قال امرؤ القيس :

دير كخذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل
وعوام البغداديين اليوم يسمونه (معجان) ومنهم من يقول (معجال) باللام
(٥) الرألة : فرخ النعام ، والقت : الاسفست بالكسر وهي النصفصة أى الرطبة من حلف
الدواب كذاقى النهاية وخص بعضهم به اليابسة منها ، والخمان بالضم والكسر ردى الشجر
وبالضم نبات (٦) قوله « ولم اغزكم » يروى بدله « ولم آتكم » وقوله « بعناج » يروى

قدر الرحمن ان ألقاكم عارضاً رعى على متن (الاجر) (١)

« ومنها الاشقر » كان لقتيبة بن مسلم . فبعث به الى الحجاج فعرض له (اشكاب) اللص بجوخي فسرقه . وخبر هذا ان الحجاج بن يوسف كتب الى قتيبة بن مسلم انه قد اجتمعت جياذ خيل العرب بخراسان فاكتب الى اهل الكور ومرهم باجراء الخيل وابعث الى بسوايقها ففعل . فبعث اليه قتيبة بالاشقر والرؤاسي وهما ابنا الحميراء لبطنها فجاءت بهما رسله ، فعرض لهما اشكاب اللص بجوخي فسرق الاشقر فذهب به وجاءوا بالرؤاسي الى الحجاج ، فبعث به الحجاج الى عبد الملك فاستوهبه منه بشر بن مروان أخوه فوهبه له . فكانت خيل عبد الملك ابن بشر من بنات الرؤاسي فكانت سوايق الخيل بالعراق . وكان يوسف بن عمر يجري الخيل فسبقه عبد الملك بن بشر بينات الرؤاسي . وقيل ليوسف ابن عمر . الاتجري الخيل ؟ فقال : الا أتغني وابعث بالسبق الى عبد الملك فلم تزل عند عبد الملك بن بشر فحمل بعضهم على بعض فرقن وقادهن عبد الملك بعد الى بنات الذائد بالشام فسبقتها الذائديه فما قصبت الرؤاسية مع الذائدية وذلك لأنهن رقن وضعفن . وكانت الذائدية اغلظ منها وأقوى فاعتزتها بقوتها . قال أبو يحيى وانما سمي الرؤاسي لأن رجلا من بني سليم يقال له عبد الملك رؤاس استوهب ما في بطن الحميراء من معقل بن عروة فوهبه له ، فلما وضعته اعجب معقل بن عروة . فقال لعبد الملك رؤاس دعه العام وأهب لك ماشئت فأبي فقال معقل : اذا لا البئه لك قال هاته فأخذه واشترى له برذونة حين وضعت فألباه منها ثم صنعه حتى اجذع فأرسله فلم يصنع شيئا ، ثم اثنى فأرسله فلم يصنع شيئا فأعاره رجلا من دهاقين (٢) أهل خراسان فابتذله الدهقان حتى أربع فانتسب

وبعناجي فمن رواه بعناج فانه أراد بعناج أي بعناجيج (وهي جياذ الخيل) فحذف الياء للضرورة فقال بعناجيج ثم حول الجيم الاخيرة ياء قصار على وزن جوار فنون لنقصان البناء وهو من محول التضعيف ، ومن رواه (عناجي) جعله بمنزلة قوله « واضفادي جمة تقائق » اراد غناجيج كما أراد ضفادع ، (التاج) والاحوي : الاحمر يضرب الى السواد ، والظمر : الفرس الجواد (١) المتن : الظمر (٢) جمع دهمقان بالكسر والضم وهو التاجر وزعيم فلاحى العجم ورئيس

الفرس بعد ما ابتذل فكان سابقاً مبراً . أنتسب أي رجع إلى نسبه وعرقه .
 وقال أبو يحيى : كانت الحميراء لمعقل بن عروة وكانت سابقةً وبناتها سوابق ،
 وكان معقل بصيراً بالخليل وكان اذا اجريت الخيل استديرها فأيتها كان أدنى
 سُنْبُكاً^(١) من الارض سبقه عليها « ومنها الاحزم » فرس نَيْشَةَ بن حبيب السلمى
 قال يوم قتل ربيعة بن مكرم وهو (الكديد) :

سائلٌ كنانةً أين فارسها الذي ورد الكديد ربيعة بن مكرم
 فلتخبرن بنو فراس انه أوى بهجته جرى المقدم
 لما أطال عنانه متقصداً نحوى قصرته له عنان (الأحزم)
 فأثرت بين ضلوعه جياشةً فوهاء تنفت بالحقين وبالدم^(٢)

ومنها « الأزور » فرس عبد الله بن حازم السلمى قال فيه :

لعمري لقد أنظرت بكر بن وائل وخندف حتى لم أجد متنظرا
 اذا أكثروا يوماً على فرجهم برمحي والحقت الفوارس أزورا

ومنها « البيضاء » فرس قعنب بن عتاب بن الحرث بن عمرو بن همام بن
 رياح بن يربوع قال بعض الشعراء :

لو امكنتني من بشامة مهرتي للاقى كما لاقى فوارس قعنب
 تمطت به البيضاء بعد اختلاسة على دهش وخلتني لم اكذب

قال أبو بكر بن دريد : هي فرس بجير وفيها يقول الشعر . قال أبو محمد ،
 قلت : الصحيح انها لقعنب وذلك أنه التقى هو وبجير بن عبد الله بن سلمة بن
 قشير بن كعب بكاذ والناس متوافرون فقال بجير لقعنب : يا قعنب كيف
 شكرك للبيضاء ؟ قال قعنب : وما عسيت أن اشكرها . قال : ولم لا تشكرها وقد

الاقليم وقيل : هو مقدم قرية أو صاحبها بخراسان والعراق ، فارسي معرب (١) السنبك :
 ضرب من المدو ، وطرف الحافر وجانبه من قدم (٢) أثرت بعثت ، والافوه والفوهاء :
 البيتا الفوه والفوه محركة سعة الفم وعظمه ومن المجاز طعنة فوهاء : أي واسعة ، وحقنه يحقنه فهو
 محقون وحقين : حبسه

انجبتك مني؟ قال: ومتى ذلك؟ قال بجير: حيث أقول:

أحترمي ريبُ المنونِ ولم اراعِ بشعث النواصي مروح عمرو بن جندبِ
ولو امكنتني من بشامةٍ مهرتي للاقى كما لاقى فوارسُ قعنبِ
تمطت به البيضاء بعد اختلاسةٍ على دهشٍ وخلتني لم الكذبِ
قال أبو عبيدة: فانكر ذلك قعنب فتحالفا وتلاعنا فآلى قعنب يميناً
لئن اجتمع سقفي وسقفك (يعني شخصي وشخصك) لاقتلنك أو أقتل دونك.
وله حديث فيه طول. وقتل قعنب بُجيراً في يوم المَرُوتِ ويسمى يوم إرم الكلبة
ومنها « بُرْجة » فرس لسنان بن أبي حارثة المري. قال فيها:

لما رأوني ووجه بُرْجة والريطة ولي فوارس الملك
فأدبروا والرماح تأخذهم نزو القطافي حبال الشراك^(١)
وقال فيها أيضاً

ألا فاعجل (لبرجة) بالصَّبُوحِ صَريحاً أنها بنتُ الصريحِ^(٢)
ومنها « البريتُ » فرس إياس بن قبيصة الطائي. قال حارثة بن
أوس الكلبي:

ونجى إياساً مني سيف مجنب تراه إذا ما جدت الخيلُ يلعبُ^(٣)
أبو أمه (البريت) أو هو خاله الى كل عرق صالحٍ يتنسب
ورواه بعض العلماء أبو أمه العريان فانكره أبو الندى وقال: هو البريت
وقال أبو بكر بن دريد هو البريت بضم الباء وتخفيف الراء وأنشد الشعر على
غير ما أنشده أبو محمد:

(١) نزو القطا: وثوبه، والشرك محرّكة: حبال الصيد وما ينصب للطير والجمع شرك بضمّتين نادر، وبرجة بضم الباء وفي اللسان: هي لسان بن أبي سنان (٢) الصبوح بالفتح ما حلب من اللبن بالغداة، والصريح: الخالص من كل شيء (٣) قوله (سيف مجنب) لعل صوابه (شدف مجنب) والشدف ككثف الطويل العظيم السريع الوثبة من الخيل سكن داله ضرورة، والمجنب المنعطف العظام والتحنيب في الخيل مما يوصف صاحبه بالشدة

ونجى إياساً سابحاً ذو عُلالةٍ ملح إذا يعلو الخزأبي يغلب (١)
 أبو أمه (الريان) أو هو خاله إلى كل عرق صالح يتنسب
 كأن استه أذ أخطأته رماحنا وفات (البريت) لبدنه يتصبب
 ذنابي حباري أخطأ الصقر رأسه فجادت بمكنون من السلاح يشعب (٢)

ومنها « البرخاء » لعوف بن الكاهن الاسمي . قال فيها :

نصبت لهم وجهي و (برخاء) جونة إذا نصبت للشر أقتت على رجل (٣)
 كأن بها كراث رمل . خميلة ولت بنته الجوزاء بالنبل والوبل (٤)

ومنها « جروة » فرس قعين بن عامر النميري . قال فيها :

تركت ابن بدرٍ والسباع يعدنه وفي النفس مما يذكر الناس عاذرُ
 قصرت له من صدر (جروة) انها تصادم أحياناً وحيناً تغاور
 قصرت له من صدرها وكأنها عقاب تددت مطلع الشمس كاسر (٥)

ومنها « الحرون » بن الاثني بن الخززين ذي الصوفة بن اعوج لمسلم بن عمرو
 الباهلي أبي قتيبة بن مسلم وانما سمي الحرون لانه كان يسبق الخيل فاذا فاتها حرن
 واذا لحقته نجاشم يحرن وله يقول القائل :

إذا ما قریشٌ خلا ملكها فان الاخلافة في باهله (٦)

(١) يقال لاول جرى الفرس (بداهة) وللذي يكون بعده (علالة) كما في التاج والخزأبي : أما كن
 منقادة غلاظ مستدقة ، والسابح الفرس لسبحه بيديه في سيره (٢) الذنابي : ذنب الطائر
 وقيل منبت الذنب ، والحباري : طائر معروف وهو على شكل الاوزة برأسه وبطنه غبرة ولون
 ظهره وجناحيه كالون السمائي غالباً ، والسلاح : الفائط ، ويشعب : يجرى (٣) اقعي الكاب
 والسبع جلص على استه واقعي فرسه رده القهقري (٤) قوله ولت أي أمطرث (٥) العقاب
 بالضم معروف ، وكسر الطائر جناحيه كسراً ضمهنا للوقوع وبازكاسر وعقاب كاسر ، وجروة
 أيضاً فرس شدادأبي عنقرة (٦) باهلة قبيلة من أخس قبائل العرب ويضرب بلوئها المثل ولم
 تزل العرب تصف باهلة باللؤم في الجاهلية والاسلام ثم خفت منهم تلك السمة وشرفت بقتيبة بن
 مسلم وبنيه حتى قال القائل : اذا ما قریش النخ

ومما يحكى من لؤم باهلة أنه قيل لاعرابي : أيسرك أن لك مائة الف درهم وأنت من باهلة
 فقال : لا والله : فقيل : أفسرك أن لك حمر النعم وأنت منها ؟ قال : اللهم لا ، قيل : أفسرك أن لك
 في الجنة وأنت باهلي ؟ قال نعم ولكن بشرطة أن لا يعلم أهلها أنني منها ! ! وما يستجاد لبعضهم قوله :

لِرَبِّ الحِروَن (أبي صالح) وما تلك بالسنة العادله^(١)

وقد اشتراه مسلم من اعرابي بالبصرة بألف دينار معارضة بمتاع فذكر أنه كان في عنقه رسن حين أدخله الاعرابي يطير عفاؤه^(٢) فسبق الناس عليه عشرين سنة . وكان الحجاج بعث بابن يقال له البطان الى الوليد بن عبد الملك فصيروه لمحمد ابنه وولد البطان البطين لمحمد بن الوليد أيضاً قال العجلي :

أغر من خيل بني ميمون بين الحمليات والبطين

يعنى ميمون بن موسى المرأى وولد البطين الذائد وهو للعباس بن الوليد ابن عبد الملك . وكان لا يدخل عليه سائسه الا باذن يرفع له المخلاة فيها شعير ، فان رفع رأسه دخل اليه وان لم يفعل به ذلك شد عليه فمنعه من الدخول اليه وكذلك كان يصنع بالفرس اذا جراه يكدمه^(٣) . قال الاصمعي : وكان اذا أرسل معه حمار أو فرس مثله في الجودة جاء سابقه بقدر رمح . وأخبار هذا كثيرة ومنها « حزمة » ذكر الاصمعي قال : حدثني شيخ يقال له (ابن قتب) قال : قدم اعرابي من أهل نجد على الوليد بن عبد الملك ، وقد أضر الوليد الخيل ليرسلها ، فأتى اعرابي فقال : يا أمير المؤمنين أريد أن أرسل خيلي مع خيلك . قال : يا أسيلم كيف تراها ؟ فقال : حجازية لو ضمها مضمارك ذهبت . فقال له الاعرابي : ما اسمك ؟ قال : أنا أسيلم بن الاحنف . قال فقال : انك لمنقوص الاسم أعوج اسم الاب . قال فأرسلت الخيل فسبق الاعرابي على فرس له يقال له (حزمة) فقال له الوليد : أوأهبها أنت لى ؟ قال : انها قديمة الصلبة ولها حق ولكنى أحملك على مهر لها سبق الناس عاماً أول وهو في بطنها له عشرة أشهر .

وأسدكم ككلاب العرب
عوى الكلب من لؤم هذا النسب

اباهل ينبغني كلبكم
ولو قيل للكب : يا باهلي

وقول الآخر :

ان كانت الانفس من باهله

لا تنفع الانساب من هاشم

والشعر في باهلة كثير وله محل آخر (١) أبو صالح هو مسلم بن عمرو الباهلي

(٢) العفاء : الشعر الطويل الوافي ، ووبر البعير (٣) أى يعضه بادني فنه

والفرس اذا أتت عليه عشرة أشهر وهو في بطن أمه ربض وكذلك البعير الا انه يبرك ، فرض هذا الاعرابي فأرسل الوليد بن عبد الملك الاطباء اليه يداوونه فأنشأ يقول :

جاء الاطباء من (حمص) كأنهم^(١) من أجل أن لا يداووني مجانين^(٢)
 قال الأطباء : ما يشفى ، فقلت لهم : دخان رمث من (التسرير) يشفيني^(٣)
 مما يجرّ الى عمران حاطبه من الجنينة جزلاً غير ممنون
 الرمث بالكسر مرعى الابل . قال : فأرسل اليه أهله بحمل من سليخة رمث
 فوجدوه قد مات . (والسليخة) قال أبو بكر بن دريد : أن يجف الرمث فلا
 يبقى فيه من الندى شيء . قال أبو محمد الاعرابي : سألت أبا الندى عن اسم
 هذا الاعرابي ونسبه ، فقال هو الأصم حكيم بن مالك بن جناب النميري .
 قال (وحزمة) قال فيها ابنه عتاب بن الاصم هذا الرجز :
 يا (حزم) قد جد الرهان بالقوم ليس عليك اليوم في جرّي لوم
 ان أنت جلّيت الوجوه ذا اليوم

ومنها « حومل » لحارثة بن أوس الكلابي . ولها يقول يوم هزمت
 بنو يربوع بنى عبد ود من كلب :
 ولولا جرّي (حومل) يوم غدر لمزقني وإياها السلاح

(١) حمص : كورة بالشام (٢) الرمث : شجر يشبه الغضا لا يطول ولكنه ينبسط ورقه وهو شبيه بالاشنان والابل تحمض بها اذا شبت من الحلة وملأها وربما يخرج فيه عسل أبيض كانه الجمان وهو شديد الحلاوة وله حطب وخشب ووقود حار وينتفع بدخانه من الزكام ، والتسرير ذوبحاراً سفله حيث سيوله السر : قال أبو رياد : ذوبحارواد يصب أهلاه في بلاد بني كلاب ثم يسلك نحو مهب الصبا ويسلك بين الشريف شريف بن نعيم وبين جبلة في بلاد بني تميم حتى ينتهي الى مكان يقال له التسرير من بلاد عكل ، قال : وفي التسرير أثناء وهي المعاطف فيه ، منها ثنى لفتى بن اعصر وثنى نعيم بن عامر وفيه ماء يقال له الغريفة وجبل يقال له الغريف وثنى لبني ضبة لهم فيه مياه ودار واسعة ثم سائر التسرير الى أن ينتهي في بلاد بني تميم ، قال الراعي :

حي الديار ديار أم بشير بنو يمتين فشاطيء التسرير
 لعبت بها عصف النعامي بعدما زوارها من شمال ودبور

ثيب إثابة اليعفور لما تناول ربها الشعث الشحاح^(١)

« ومنها الحفار » فرس سراقه بن مالك الكناني . قال فيه :

صبرت لهم نفسي وأحرزت جنتي ومثل مشدى يوم ذلك يذكر

ومرجعي (الحفار) خلف ظهورهم بمترك ضنك به الضيم أعسر

ومنها « الحسامية » لحيد بن حريث بن مجدل الكلبي . قال فيها شبيل بن

الجنبار العميري :

ولي حميد ولم ينظر فوارسه قبل التبين والمغرور مغرور

من بعد ما الثق السربال طعنته كأنه بعصير الورس ممكور^(٢)

نجي^(٣) (الحسامية) الكبداء مترك من جريها وحثيث الركض مذعور

كأنما يلدغ الأقراب إذ حيت من شدها بحصى الأرض الزناير^(٣)

ومنها « خصاف »^(٤) لسُمير بن ربيعة الباهلي ويسمى فارس خصاف ويضرب

به المثل . فيقال (أجرأ من فارس خصاف) قال بعض الشعراء

إذا وجه الدهر السهام إلى امرئ أصاب ولم يخطئ وييم قاصدا

ورب خصاف قد أصابت سهامه وأي قتي يبقى على الدهر خالدا

ولمالك بن عمرو الغساني فرس انثى يقال لها (خصاف) أيضاً . وكان مالك

فيمن شهد (يوم حليلة) فابلى بلاءً حسناً وجاءت حليلة تطيب رجال أبيها من

مركن^(٥) ، فلما دنت من هذا قبلها فشكت ذلك إلى أبيها فقال هوارجي رجل

عندي فدعيه فاما أن يقتل أو يبلى بلاء حسناً . ويسمى فارس خصاف . ويقال

أجرأ من فارس خصاف بسبب القصة المذكورة « وخصاف » أيضاً لحمل بن زيد

ابن عوف بن عامر بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل

(١) اليعفور : ظلي بلون العفر وهو التراب أو عام في الظباء ، والشعث جمع اشعث وهو

المغبر الرأس المنتف الشعر الحاف الذي لم يدهن ، والشحاح جمع الشحاح (٢) ألقه : بله

ونداه فالتثق به ، والورس نبات يصنع به ، وممكور : مصبوغ (٣) الأقراب : الحواصر

(٤) علي وزن كتاب وكذلك فرس حمل بن زيد وأما فارس مالك بن عمرو الغساني فعلى

وزن قطام وحدام (٥) كمنبر آنية

كان معه هذا الفرس فطلبه المنذر بن امرئ القيس ليفتحله فخصاه بين يديه
لجراته فسمى (خاصي خصاف) ويقال في المثل (اجراً من خاصي خصاف) .
ومنها « خراج » ^(١) فرس جريبة بن الأشيم الأسدی قال فيها :

تالله مامنوا على وانما منت على (خراج) حين تصرفوا

قال أبو الندى وابن الاعرابي : هو بالتخفيف . وقال غيرهما . هو الخراج
وأشده البيت . منوا على الخراج حين تصرفوا . وأنشد لجريبة أيضاً :

وكنت اذا (الخراج) حال استحلته بمنجية أو قلت : (خراج) اعقبا

فما الأزرق الحولى منه بأوثب رأى أرنبا فامتلى في شأو ارنبا ^(٢)

ومنها « درهم » فرس خدش بن زهير العامري قال فيه :

وقلت لعبد الله في السر بيننا : لك الويل قديم لي اللجام ودرها

فجاء بلا شختٍ قصير لبانه ولا حنكل بادي الشرارة أدها ^(٣)

وقلت له : ان تدرك القوم لاتزل مكان (بجير) أو أحب وأكرما

بجير : ابنه . وقال أيضاً يدكر ضيفاً :

وأقفيته دون العيال لحافنا وبات أنيسيه (بجير) و (درهم) ^(٤)

ومنها « دعلج » فرس عبد عمرو بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب

قال فيه يوم فيف الريح :

طلقت ان لم تسألني أي فارس حليلك إذ لاقى صداء وخنثما

أقدم فيهم (دعلجاً) واكره اذا كرهوا فيه اليرماح تحمجا ^(٥)

(١) قال في القاموس : خراج كقطام فرس جريبة بن الأشيم (٢) أمتل : أسرع، والشأو :
السبق والغاية والامد (٣) الشخت الدقيق الضامر لاهزالا ويحرك ، واللبان : الصدر ،
والحنكل كجهد القصير والجاني الغليظ (٤) القفي والقفية الشيء الذي يكرم به الضيف من الطعام
قال عيلان يصف فرساً : مقى على الحى قصير الاظماء ، والتي الضيف المتكرم واقفي الرجل
على صاحبه فضله فمضى قوله واقفيته دون العيال أي خصصته دون العيال (٥) ونسبهما بعضهم
اعامر بن الطفيل ، وقوله طلقت يحتمل أن يكون دعاء أو اخباراً ، وحليل المرأة زوجها ، وصداء
وخنثم : قبيلتان كانتا مع من أراد قتال بني عامر في ذلك اليوم

ومنها « دباس » فرس جبار بن قرط الكلبي قال فيه :
 الا أبلغ أبا كرب رسولاً مغلغلةً وليست بالمزاح
 فاني لن يفارقني (دباس) ومطرّد أخذ من الرماح^(١)
 يراخيني اذا ماشئت منهم ويديني اذا كرهوا جناحي
 ومنها « العرادة » لهبيرة بن عبد مناف اليربوعي^(٢) واشتهر بابن الكلحبة
 والكلحبة أمه وهو الذي يقول في العرادة :

فان تنج منها يا (حزيم بن طارق) فقد تركت ما خلف ظهرك بلقما
 ونادي منادي الحى أن قد اتيتم وقد شربت ماء المزايدة أجمعا^(٣)
 وقلت لكاس أجليها فامنا نزلنا الكتيب من (زرود) لنفزا
 فادرك ابقاء (العرادة) ظلمها وقد جعلتني من (حزيمة) اصبعا
 امرتكم امرى بمنعرج اللوى ولا أمر للمعصى الامضيعا
 اذا المرء لم يغش الكريهة أو شكت حبال الهوينى بالقتى أن تقطعا^(٤)

وسبب هذه الأبيات أن ابن الكلحبة كان نازلا (بزرد) وهي أرض
 بني مالك بن حنظلة وهو من بني يربوع فأغارت بنو تغلب على بني مالك وكان
 رئيسهم (حزيمة بن طارق) فاستاق ابلهم فأتى الصريح الى بني يربوع فركبوا
 في أثره فهزموه واستنقدوا ما كان أخذه . فقوله « ان تنج منها الخ » أى من
 الفرس . و « حزيم » بفتح الحاء المهملة وكسر الزاى المعجمة مرخم حزيمة .
 وهذا البيت يشعر بانقلابه وشعر جرير يشعر بأسره . وهو قوله « قدنا حزيمة قد
 علمت عنوة » ولا مانع منه بأن أدركه غير ابن الكلحبة وأسره لما ظلمت فرسه .
 قيل : ولما أسر اختصم فيه اثنان أحدهما أنيف بن جبلة الضبي وهو أحد بني

(١) رسالة مغلغلة محمولة من بلد الى بلد ، والمطرّد رمح قصير يطرد به الوحش ، والاحد
 السربيع النفاذ (٢) فى القاموس : العرنى (٣) البلقع : الأرض القفر ، والمزايدة بفتح الميم
 الراوية أولا تكون الا من جلدتين تقام بثالث بينهما لتتسع (٤) قوله الهوينى يروى بدله
 « المنايا »

عبد مناة بن سعد بن ضبة . وكان أنيف يومئذٍ نازلاً في بني يربوع وليس معه من قومه أحد . وثانيهما أسيد بن حناة السليطي فاختصها الى الحرث بن قراد فحكم أن جز ناصيته لأنيف وان لأسيد عنده مائة من الابل فرضيا بذلك والحرث ابن قراد بن بني حميرى بن رياح بن يربوع وأمه من بني عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة . وقوله « فقد تركت الخ » العرب كثيراً ما تذكر أن الخيل فعلت كذا وكذا وإنما يراد به أصحابها لأنهم عليها فعلوا وأدركوا . يقول : ان تنج يا حزيمة من فرسى فلم تفلت الا بنفسك وقد استبيح مالك وما كنت حويته وغنمته فلم تدع لك هذه الفرس شيئاً . وقوله « ونادى منادى الحى الخ » كأن ابن الكلابية يعتذر من انفلات حزيمة . يقول : أتى الصريح وقد شربت فرسى ملء الحوض ماء وخيل العرب اذا علمت أنه يغار عليها وكانت عطاشاً . فمنها ما يشرب بعض الشرب ولا يروى وبعضها لا يشرب البتة لما قد جربت من الشدة التى تلقى اذا شربت الماء وحورب عليها . وقوله « وقلت لكاس البيت » كأس بنت ابن الكلابية . وقيل : جاريته . والعرب لا تثق فى خيلها الا بأولادها ونساءها . وقوله « انفزع الخ » أى لنغيث . يقول : ما نزلنا فى هذا الموضع الا لنغيث من استغاث بنا والفرع من الاضداد بمعنى الاغاثة والاستغاثة . وقوله : « فأدرك ابقاء العرادة الخ » العرادة بفتح العين والراء والدال المهملات اسم فرس ابن الكلابية كانت أنثى ، و (الابقاء) ما تبقى الفرس من العدو اذ من عناق الخيل ما لا تعطى ما عندها من العدو بل تبقى منه شيئاً الى وقت الحاجة يقال فرس مبقية اذا كانت تأتى بجري عند انقطاع جريها وقت الحاجة يريد أنها شربت الماء فقطعها عن ابقائها ففاته حزيمة . وروى (ابقاء العرادة) بفتح الهمزة وبالنون جمع نقو بالكسر وهو كل عظم ذى مخ يعنى ظلعها وصل الى عظامها . وروى أيضاً (ارقال العرادة) بكسر الهمزة وبالقاف وهو السير السريع وهو مفعول والظلع فاعل . قال ابن الانبارى : الظلوع فى الابل بمنزلة الغمز أى العرج اليسير يقال

ظلع يظلع بفتحهما ظلماً وظلوعاً ولا يكون الظلوع في الحافر الا استعارة . يقول :
فأنتى حَزِيمةٌ وما بينى وبينه الا قدر أصبح . وقوله « أمرتكم أمرى الخ » اللوى
بالقصر هو لوى الرمل أى منقطعه حيث ينقطع ويفضى الى الجدد ومنعرجه حيث
انثنى منه وانعطف ، وانما قال بمنعرج اللوى ليعلم أين كان أمره إياهم كما قال
الآخر :

ولقد أمرتُ أخاك عمراً أمره فأبى وضيعه بذات العجرم
« ومنها الغراف » للبراء بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح اليربوعى
قال فيه :

فان يكُ غرافٌ تبدل فارساً سواى فقد بدلت منه السמידعا
قال أبو محمد الاعرابى : سألت أبا الندى عن السמידع من هو ؟ فقال : كان
جاراً للبراء بن قيس وكانا فى منزل فأغار عليهما ناس من بكر بن وائل فحمل البراء
أهله وركب فرساً يقال له (غراف) فلا يلحق به فارس منهم الا صرفه برمحه .
وأخذ السמידع فناداه : يا براء انشدك الجوار . وأعجب القوم الفرس فقالوا :
لك جارك وأنت آمن وأعطينا الفرس فاستوثق منهم ودفع اليهم الفرس واستنقذ
جاره فلما رجع الى اخويه عمرو وأسود لاما على دفعه فقال البراء فى ذلك :

الا ابلى عمرو بن قيس رسالةً واسود أن لو ما على الغيب أودعا
وشرّ غوان المستعين على الندى ملامة من يرجى اذا العتب اضلعا
فان يك (غراف) تبدل فارساً سواى فقد بدلت منه السמידعا
دعائى فلم أوره به فأجبتة ومد بشدى بيننا غير اقطعا
وقال : تذكر سعيكم فى رقابنا ولا تركنى العام اخضر لعلمنا

« ومنها الكاملة » لعمرو بن معدى كرب عرضها على سلمان بن ربيعة الباهلى

فهجنها سلمان فقال عمرو « ان المهجين يعرف المهجينا » وانشأ يقول :

يهجن سلمان بنت البعيث جهلاً لسلمان بالكامله

فان كان أبصر مني بها فأمي لأمه الشاكلة (١)
 قال أبو محمد الاعرابي ؛ قال أبو الندى : لا أعرف الكاملة ولا البعيث
 ولا هذه الأبيات . قال أبو محمد : وقرأت أنا بخط يعقوب بن السكيت قال ؛
 عرض سلمان بن ربيعة الباهلي الخليل فر عمرو بن معديكرب على فرس فقال له
 سلمان : هو هجين . قال عمرو : عتيق ، فأمر به سلمان فعطش ثم دعا بماء ودعا بخيل
 عناق فشربت فجاء فرس عمرو فتنى يده وشرب وهذا صنيع الهجين . فقال له
 سلمان : ترى ! فقال أجبل الهجين يعرف الهجين وبلغت عمر وكتب اليه قد
 بلغني ماقلت لأميرك وبلغني أن لك سيفاً تسميه الصمصامة وعندى سيف أسميه
 مصمماً . وأيم الله أن وضعت على هامتك لا اقلع حتى ابلغ به شيئاً قد ذكره من
 جوفه فان سرك أن تعلم أحق ما أقول فقد . ومنها « الكلب » فرس عامر بن
 الطفيل وكان يسمى (الورد) و (المزنوق) لأنه زنقه (٢) . قال أبو الندى :
 الزناق في الجحفة . و (أحوى) أخو الكلب فرس عامر وأبوها المهدي (!) فرس
 مرة بن خالد بن جعفر بن كلاب . قال عامر :

وقد علم (المزنوق) أني أكره عشية فيف الريح كره المدور (٣)
 اذا أزور من وقع الرماح زجرته وقلت له : ارجع مقبلاً غير مدبر
 وانباته أن الفرار خزاية على المرء مالم يبذل جهداً فيعذر
 ومنها « الهجبر » فرس ضرار بن الأزور الأسدي وهو قاتل مالك بن نويرة (٤)
 وكان يقال له فارس الهجبر . قال فيه :

جزاني ذؤابته الهجبر إذ بدا بنى الرمث اعجاز السوام المؤبل (٥)
 كأنني طلبت الخليل حين تفاوتت سوابقها دون السماء بأجدل (٦)

(١) نكلت المرأة ولدها : فقدته (٢) زنق فرسه : جعل تحت حنكه الاسفل حلقة في الجليدة
 ثم جعل فيها خيطاً ، وكل رباط في الجلد تحت الحنك فهو زناق ككتاب (٣) رواية التاج :
 وقد علم المزنوق أني أكره على جمعهم كره المنيع الشهر
 (٤) المشهور في التاريخ والسير ان الذي قتل مالكا خالد بن الوليد (رض) « التاج »
 (٥) ذؤابة الفرس شعر في أعلى ناصيته ، وذو الرمث اسم موضع ، والرمث رعى من مراعى الابل
 وهو الحمض ، والسوام : الابل الراعية ، والمؤبل كقبر : المهمة بلاراع (٦) الاجدل : الصقر

من المهبات الركض ظلَّ كأنه على الجرح حتى يستغيث بما كل
 اخالط منهم من أردت بمخلط وإن أنا عنهم أنأ عنهم بمزِيل^(١)
 أَنَّهُ عَنَى نفسه وكأنه بنى الرمث والغضياء مريح معتلي^(٢)

« ومنها مرهوب » للجميمح بن الطلاح الأَسدي اعطاه إياه خراشة بن علبة
 المرّي . وكان الجميمح غزا فمقر به فجاء الى صديق له من بني مرة بن عوف بن سعد
 ابن ذُبيان يقال له خراشة بن علبة : وخرراشة ابنٌ يقال له نزال أسير في بني سليم
 وكان لخرراشة فرس يقال له مرهوب رائع وكان ابنه أسيراً فيهم يتغلون بفدائه
 ويسومون خراشة أن يفديه بفرسه فيأبى فحمل عليه الجميمح وترك ابنه أسيراً فقال
 الجميمح :

نفسى الفداء لمن لما تكايدنى كسب الجياد حشا سر جى بمرهوب
 وقلّت الخيل عندى واختلت لها وحصنى الشرك أرباب المئاحيب
 هذا الثناء وان يجلبك مأربة فى المال ذانكبة أو غير منكوب
 اصبر لها وتجدنى دائماً خلقى والقول منه كثير غير مرقوب

« ومنها النعامة » وهو اسم لعدة أفراس : اسم لفرس الحرث بن عباد .
 ولها يقول :

قرباً مربوطاً (النعامة) منى لفتح حربٍ وائل عن حيال^(٣)
 واسم فرس خالد بن نضلة الأَسدي قال يوم النِसार لما أسر حنثر بن بحر
 وهب بن وبر بن الأَضبط بن كلاب ، ودودان بن خالد احد بني نفيل :
 تدارك ارخاء (النعامة) حنثراً ودودان أدت فى الحديد مكبلاً^(٤)

(١) المخلط كمنبر من يخالط الامور ويزايدها وهو مخلط مزيل كما يقال رائق فائق ، والنأى :
 البعد (٢) أنهه : أكف ، والغضياء مجتمع الغضا أو منبتها ، والمريح : السهم الذى يغالى به
 وهو سهم طويل له اربع قذذ (٣) لفتح : حمات ، والحيال أن يضرب الفعل الناقاة فلا تحمل
 وهذا مثل ضربه لان الناقاة اذا حالت وضربها الفعل كان أسرع للقاحها وانما يعظم أمر الحرب لما
 تولد منها من الامور التى لم تكن تحتسب (٤) الكبل : القيد وكبلت الاسير كبلت : قيدته
 والتشديد مبالغة

واسم فرس مرداس بن معاذ الجشمي وكان يقال لها ابنة صمعر قال فيها: —
 ولم أزج في ظل اللواء ظهيرةً خنوفاً اذا صاح الرقيب ونفراً^(١)
 اذا الكلب لم يعرف حليمةً أهله وخالط في يوم الصباح وأنكرا^(٢)
 وقلت لهم شلوا مع القوم اني مطرف أولى القوم يا ابنة صمعرا^(٣)
 فلم أقِ نفسي و (النعامة) عامداً كلوم السلاح أن أصاب وتعقرا^(٤)
 ظلت كأني للرماح دريئة أقلب سربالاً من الدم أحمرأ^(٥)

واسم فرس مسافع بن عبد العزى الضمري قال :

ووالله لا أنسى النعامة ليلةً ولا يومها حتى أوسد معصي^(٦)
 مسحة غيطان الفضاء ولقوة اذا طوطئت كأنها هي منسم^(٧)
 ومنها « ابن النعامة » فرس عنبرة وكان يؤثردأى يفضله على سائر خيله
 ويسقيه اللبن وكانت امرأته تلومه على ذلك فخاطبها وقال :

لا تذكرى فرسى وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجرى !
 ان الغبوق له وأنت مسوءة فتأوهى ماشئت ثم تحوبى !
 كذب العتيق وماء شن بارد إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهبي
 إن الرجال لهم إليك وسيلة ان يأخذوك تكحلي وتخضبي !
 ويكون مركبك القعود وحندجه وابن النعامة عند ذلك مركبي

(١) الزجو : السوق ، وفرس خنوف : يميل رأسه الى فارسه من نشاطه (٢) الحليمة :
 الزوجة (٣) شل الدرع لبسها وشله : طرده ، والشلال القوم المتفرقون ، وطرف الخيل تطريقاً :
 رد أوائلها على أواخرها ، قال الشاعر :

وقد علمت اولى المغيرة أننا نظرف خلف الموقصات السوابقا

(٤) الكلوم : الجروح (٥) الدريرة كالخطيئة الحلقة يتعلم الرامي الطعن والرمى عليها ، قال
 عمرو بن معديكرب :

ظلت كأني للرماح دريئة اقاتل من أبناء جرم وفرت

(٦) المعصم وزان مقود : موضع السوار من الساعد ، ووسنبده إياه اذا جعله تحت رأسه
 (٧) فرس مسح بالكسر أى جواد سريع ، والغيطان جمع غوط وهو المطمئن الواسع من
 الارض ، والقوة التي تلتجح لأول قرعة ، وطأطأ فرسه : دفعه بفخذه وحركه للاسراع

وأنا امرؤ إن يأخذوني عنوةً أقرن إلى شر الركاب وأجنب
إني احاذر أن تقول ظعيتي هذا غبارٌ ساطعٌ فقلب
وهذه أبيات بعيدة المرمى تحتاج إلى كشف وبيان ؛ فقوله (مثل جلد الأجر)
أى لا تلومين في إيثار فرسى فابغضك واهجر مضجك وأحمامك كما يتحامي
الأجر من الأبل ويبعد عنها لئلا يعديها . وقبل معناه اضربك فيبقى أثر الضرب
عليك كالجر ب فيكون تهددها بالضرب الأليم . وقوله (ان الغبوق له الخ) الغبوق
شرب اللبن بالعشى والعشى ما بين الزوال إلى الغروب ، وقيل من الزوال إلى
الصباح . ومسوءة أى آت اليك ما يسوؤك بإيثار فرسى عليك . والتأوه التحزن
وأن تقول آه توجعاً . والتحوب التوجع ويقال هو اللعاء على الشئ . وقوله
(كذب العتيق الخ) أى عليك بالعتيق وهو اغراء . والعتيق هو التمر القديم .
قال الدينورى فى كتاب النبات : يقال عتق وعتق بالفتح والضم إذا تقادم والعتيق
اسم للتمر علم وانشد هذا البيت . والشن القربة الخلق والماء يكون فيها ابرد منه
فى القربة الجديدة ، يقول : عليك بالتمر فكليه والماء البارد فاشربه ودعيني
أوثر فرسى باللبن وان تعرضت لشرب اللبن فاذهبي وانما يتوعددها بالطلاق . وقوله
(ان الرجال الخ) ويروى إن العدو والوسيلة القربة وقيل المنزلة القربة . قال
الأعلم فى شرح مختار شعر عنبرة : هذا منه وعيد وتخويف ان تسبى فيستمع بها
الرجال قال تكحلى وتخضبي ، والمعنى إن أخذوك تكحلت وتخضبت لهم ليستمتعوا
بك . وقوله (ويكون الخ) القعود بفتح القاف ما اتخذ من الأبل للركوب خاصة
والحدج بكسر المهملة وآخره جيم مركب من مراكب النساء وروى بدله رحله ،
وابن النعمان اسم فرسه يقول ان أخذوك حملت صببة على قعود ونجوت أنا على
فرسى ، وقوله (وانا امرؤ الخ) العنوة بالفتح القسر والقهر والركاب الأبل التى
يحمل عليها الأثقال ، وأقرن أى الصق بها واجعل مقروناً اليها واجنب اقاد .
يقول : ان أخذت عنوة قرنت إلى شر الأبل وجنبت كما تجنب الدابة . وقوله

(انى أحاذر الخ) الظعينة الزوجة مادامت فى الهودج ، والتلبب : التحزم أى تحزم للمحاربة . وقيل : هو الدخول فى السلاح . وقوله (هذا غبار) يعنى غبار الخيل عند الغارة والساطع المستطير فى السماء . .

ومنها (ناصح) لسويد بن شداد العبشمى وفيها كان يقول :
أناصحُ بَرِّزُ للسباقِ فإنها غداةَ رهانٍ جمعتهُ الحلائبُ (١)
فانك مجلوبٌ على ضحى غدٍ ومالك إن لم يجلب الله جالبُ
قال أبو الندى : هذا الشعر للحريث بن مراغة الحبلى وناصح له لا لسويد ابن شداد (٢)

« ومنها النبز » فرس طارق بن ضمرة وفيه يقول نبزة أخو طارق بن ضمرة حين تراهن خديج بن قيس بن عمرو بن قطن . وطارق بن ضمرة بن جابر بن قطن على فرسيهما المجنحة والنبيز وسبقه . فلما كان بعد ذلك ذعر الناس فركبوا فادرك طارق على المجنحة بلا فلما حواها انقطعت فرسه فادركه خيب الناس فاقسموا تلك الابل وطارق غلام . فقال فى ذلك ضمرة أخو طارق بن ضمرة :

أبقى رهان أبى ربيعة غدوةً منها ولم يك بعدها تعقيب
وتسوقها رجلا جداية حُلبٍ وتسد لبة صدرها وتصوب (٣)
غيبت عن ذاك الصنيع وأهله والعز يشهد مرةً ويغيب

ومنها « نحلة (٤) » لسبيع بن الخطيم التيمى قال فيها :

(١) برز بروزاً : خرج الى البراز أى الفضاء كتبرز وظهر بعد الحفاء ، والحلائب جمع حلبة كسجدة وهى خيل تجمع للسباق من كل أبواب ولا تخرج من وجه واحد ، قال الفيومي : يقال جاءت الفرس فى آخر الحلبة أى فى آخر الخيل وهى بمعنى حلبة ولهذا جمعت على حلائب (٢) قلت جاء فى القاموس مانصه : والناصح فرس الحرث بن مراغة أو فضالة بن هند وفرس سويد بن شداد ، انتهى ، وهذا يفند ما ادعاه أبو الندى نعم يجوز أن يكون الحرث بن مراغة قال هذا الشعر فى فرسه ٠٠٠ (٣) الجداية : الغزال كذا فى القاموس ، وفى الصحاح والمحكم هو الذكر والانى من أولاد الأطباء اذا بلغ ستة أشهر أو سبعة ، والحلب كسكر نبت ينبت فى القبيظ بالقيعان وشيطان الاودية ويلزق بالارض حتى يكاد يسوخ ولا تأكله الابل انما تأكله الشاء والطباء وهى مغزرة مسنة وتحتل عليها الأطباء يقال تيس حلب وتيس ذو حلب وهو أسرع الأطباء (٤) فى القاموس :

تقول (نحلة) اودعني ، فقلت لها عول عليّ بابكار هراجيب (١)
 لجت عليّ يمين لا أبدلها من ذات قرطين بين النحر واللوب (٢)
 قال أبو محمد الاعرابي : سألت أبا الندى عن معنى البيتين . فقال : كان
 خطب اليّ عمه بنته فقال أعطني مهرها نحلة فقال لا ولكن خذ إبلاً فردد عمه ولم
 يخطبه « ومنها اليجموم » فرس النعمان بن المنذر قال الأعشى :

ويأمر (لليجموم) كلّ عشيةٍ بقتٍ وتعليقٍ فقد كان يسنق (٣)
 وله أيضاً عليّ ما ثبت في ديوانه :

واليكّ اعلمتُ المطيةَ من سهل (العراق) وأنت بالقفرِ
 أنت الرئيسُ إذا همُ نزلوا وتواجهوا كالأسد والنمرِ
 أو فارس (اليجموم) يتبعهم كالطلق يتبع ليلةَ البهرِ
 ولأنت اشجعُ من اسامةٍ إذ يقع الصُراخُ ولج في الذعرِ
 ولأنت أجودُ بالمطاء من الريان لما ضنُّ بالقطرِ
 ولأنت أحياء من مخبأةٍ عن ذراء تقطن جانب الكسْرِ
 ولأنت أبين حين تنطقُ من (لقمان) لما عيَّ بالأمرِ
 لو كنت من شيءٍ سوى بشرٍ كنتَ المنور ليلة القدرِ

وفارس اليجموم : هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة . واليجموم اسم فرسه
 والطلق الليلة التي لا حر فيها ولا برد وليلة البهر ليلة البدر حين بهر النجوم . وفي
 القاموس اسامة بالضم معرفة علم الأسد والاسامة لغة فيه . والصُراخ بالضم الصوت
 الشديد يكون للاستغاثة وغيرها . والريان قال ياقوت في معجم البلدان جبل ببلاد
 طيء لا يزال يسيل منه الماء وضم بالبناء للمفعول أي بخل وتقطن بالقاف أي تسكن

ونحلة فرس لكندة واسبيع بن الخطيم (١) الهراجيب : الطوال الضخام (٢) القرط ما يعلق
 في شحمة الاذن (٣) القت : الفصصة اذا يبست ، وقال الازهرى القت حب برى لا يفتته
 الآدمي فاذا كان حام قحط وفقد أهل البادية ما يقتاتون به من لبن وتمر ونحوه ، دقوه وطبخوه
 واجتزوا به على ما فيه من الحشونة ، وسنق الفصيل من اللبن كفروح : بشم وأنخم

والكسر بكسر الكاف الشقة السفلى من الخباء . ولقمان هو كما قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين هو لقمان بن عاد الأكبر . وكانت العرب تعظم شأنه في النباهة والقدر وفي العلم وفي الحكيم وفي اللسان وفي الحلم وهو غير لقمان المذكور في القرآن العظيم الشأن .

ومنها (الهراوة) للريان بن حويص العبدى وكانت لاتدرك وتسمى (هراوة الاعزاب) لانه تصدق بها على أعزاب قومه فكان العزب منهم يغزو عليها فاذا استفاد مالا وأهلاً دفعها الى آخر من قومه فكانوا يتداولونها كذلك فضربت مثلاً . قال لبيد:

لا تسقى بيديك ان لم أتمس نعم (الضجوع) بغارة أسراب
تهدى أوائلهن كل طمرة جرداء مثل (هراوة الاعزاب) (١)
قال أبو محمد الاعرابي : سألت أبا الندى عن الضجوع فقال هو قتادة بن كعب
ابن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب أخو جواب بن كعب . وقال عمرو
المحاربي من عبد القيس :

سقى جدث الريان كل عشية من المزن وكاف العشى دلوح (٢)
أقام لفتيان العشيرة سهوة لهم منكح من جريها وصبوح (٣)
فيامن رأى مثل الهراوة منكحاً اذا بل أعطاف الجياد بجروح
وذى ابل لولا الهراوة لم يثب له المال ما انشق الصباح يلوح
وذكر أبو بكر محمد بن دريد أن الهراوة تسمى آوة وبعضهم يسميها الهراوة .
وهذا الذي أوردناه ، كاف فيما قصدناه ، وهذا الباب ، بحر عباب ، كم الف فيه
من كتاب .

(١) الطمرة : المستعدة للعدو أو المستنفرة للوثب من الخيل ، والجرداء : السباقة ، والضجوع على ما في التاج موضع وقيل رحبة لهم ، وقيل الضجوع رملة بعينها معروفة (٢) الجدث محركة : القبر وتقول شر الاحداث ، نزول الاجداث ، والوكاف : المطر المنهل ، والمزن : السحاب الواحدة مزنة ، وسحابة دلوح كثيرة الماء (٣) السهوة الفرس السهلة ، والصبوح بالفتح شرب الفداء

طرف من أخبار مشاهير فرسان العرب .

إعلم أن العرب في الجاهلية لم يزالوا في كره وفرّ وغارات ومحاربات . أُرخصوا نفوسهم في طلب العزّ وإشادة المجد وهانت عليهم الحياة دون وصمة تلحقهم ، ومذلة تشينهم ، حتى أصبحوا كلهم فرسانا كياة ، بل ليوث غابات ، وكان قائلهم يقول (وهو النابغة الجعدي) :

وإنا لقومٌ مانعودٌ خيلنا إذا ما التقينا أن تَحميداً وتنفرا
وتنكر يومَ الروع الوانَ خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون اشقرا (١)
وليس بمعروف لنا أن نردها صحاحاً ولا مستنكراً أن تعقرا
إلى أن قال : —

حَسَبْنَا زَمَانًا كُلَّ بِيضَاءِ شَحْمَةٍ لياليَ إذ نغز وُجْدَانًا وَحَمِيرًا (٢)
إلى أن لقينا الحى بكر بن وائل ثمانين ألفاً دارعين وُحَسْرًا (٣)
فلما قرعنا النبعَ بالنبعِ بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا (٤)
سقيناهم كأساً سقونا بمنلها ولكننا كنا على الموت أصبرا

واستيعابهم لا تقوم به متون الكتب المفصلات ولكننا نذكر طرفاً من

(١) يوم الروع هو يوم الحرب ، والجون من الأبل والخيل الأدهم ، والاشقرا الأحمر في غرفة حمرة يحمر منها العرف والذئب ، والمغرة بالضم لون ليس بناصب الحمرة أو شقرة بكثرة ، ومعنى تحيد في البيت الأول : تتنحى وتبعد (٢) يقول كنا نطمع في أمر فوجدناه على خلاف ما كنا نظن وهذا من قولهم في المثل : (ماكل بيضاء شحمة) ومثله (ماكل سوداء تمر) ووجدنا بضم الجيم بطن من كهلان من القحطانية وحمير قبيلة من بني سبأ من القحطانية وهم بنو حمير بن سبأ (٣) الدارع الذي عليه درع ، والحاسر من لا مغرله ولا درع أو لاجنة (٤) النبع شجر صلب تعمل منه القسي ، وقوله عيدانه الضير فيه طائد إلى النبع وقيل عيدانه يعني القوم الذين حاربوه لأنه شهدهم بالصبر ، ضرب ذلك مثلاً لتكافؤ الفريقين جلادة وصبراً

هذا وقد نسب بعضهم هذا الشعر لابي الهذيل زفر بن الحرث الكلابي كبير قيس في زمانه وهو في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الجزيرة وكان من الأمراء وشهد وقعة صفين مع معاوية رضي الله عنه أميراً على أهل قنسرين ، وشهد وقعة مرج راهط تلك الوقعة المشهورة مع الضحاك ابن قيس ، قيل وفيها يقول هذا الشعر ، ومرج راهط بالإضافة موضع بالشام

أخبار بعض من اشتهر منهم بالفروسية ومقاومة الأقران ، وضربت به الأمثال
وذكرته الشعراء عند المفاخرة والمنافرة وهم عدد كثيرون. منهم :

ربيعة بن مكرم

وهو من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة وكان يُعقرُ على قبره في الجاهلية
ولم يعقر على قبر أحدٍ غيره . ومر على قبره حسان بن ثابت رضى الله تعالى
عنه (١) فقال :

نَفَرْتُ قَلُوصِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ بُنَيْتُ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهَوْبٍ (٢)

لَا تَنْفِرِي يَا نَاقُ مِنْهُ فَانْه شَرَّيْبُ خَمْرِ مِسْعَرٍ لِحُرُوبٍ (٣)

لَوْلَا السَّفَارُ وَطُولُ قَفْرِ مَهْمَةٍ تَرَكْتَهَا تَحْبُو عَلَى عُرْقُوبٍ

وكان بنو قراس بن غنم بن كنانة انجد العرب . كان الرجل منهم يعدل
عشرة من غيرهم وفيهم يقول على بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه لاهل الكوفة:
من فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخبب أهد لكم الله بي من هو شر لكم وأبدلني بكم
من هو خير منكم ووددت والله أن لي بجميعكم وأنتم مائة ألف . ثلاثمائة من بني
فراس بن غنم .

هنالك لودعوت اتاك منهم فوارس مثل ارمية الحميم (٤)

(١) نسب هذا الشعر في ديوان مختارات أشعار القبائل الى حفص بن الاخيف الكناني وقال
محمد بن سلام : الصحيح أن هذه الايات لعمر بن شقيق أحد بني فهر بن مالك ، ومن الناس من
يروها لكرز بن حفص بن الاخيف العامري وعمرو بن شقيق أولى بها ، وهذا الشعر قيل
في قتل ربيعة بن مكرم الكناني أحد مرسان مضر المدود بن وشجمانهم المشهورين قتله نبيشة بن
حبيب السلمى في يوم الكديد ، وقبل هذا الايات قوله :

لا يبعدن ربيعة بن مكرم وسقى الغواذى قبره بذنوب

الغواذى جمع غادية وهي سحابة الصباح ، والذنوب بفتح الذال الدلو العظيمة استعير هنا للغيث ، يتفجع
على ربيعة ويدعوه بالرحمة والرضوان (٢) نفرت : فزعت ، والقلوص من النوق الشابة ،
وقوله من (حجارة حرة) المراد بها قبر ربيعة والحرة أرض ذات حجارة سود (٣) مسعر على وزن
منبر آلة في إيقاد الحرب ، والسفار : السفر ، والمهمه المفازة البعيدة الاطراف ، والحبو المشى على
اليدين والبطن ، وعرقوب الدابة في رجليها بمنزلة الركبة في يدها (٤) الارمية جمع رمى كغنى
قطع صفار من السحاب أو سحابة عظيمة القطر والوقع ، والحميم القليظ والمطر الذي يجيء بعد

ومنهم :

عنزة العيسى بن شداد

قال الكلبي : شداد جده غلب على اسم أبيه وإنما هو عنزة بن عمرو بن شداد وقال غيره شداد عمه تكفله بعد موت أبيه فنُسب إليه . ويقال إن أباه ادعاه بعد الكبر وذلك أنه كان لأمةٍ سوداء يقال لها (زبيبة) وكانت العرب في الجاهلية إذا كان لاحدهم ولد من أمة استعبده وكان لعنزة اخوة من أمه عبيد وكان سبب ادعاء أبي عنزة إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بني عبس فاصابوا منهم فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم وفيهم عنزة فقال له أبوه كرت يا عنزة فقال : « العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر » قال : كرت وانت حر ، فقاتلهم واستنقذ ما في أيدي القوم من الغنيمة فادعاه أبوه بعد ذلك وهو أحد (أغربة العرب) وهم ثلاثة . والثاني خفاف كغراب واسم أمه ندبة كتمرة . والثالث السليلك بالتصغير واسم أمه السلكة بضم ففتح وأم الثلاثة سود . وكان عنزة أشجع أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده وكان شهد حرب (داحس) و (الغبراء) وحمدت مشاهدته فيها وقتل فيها ضمضاً المري أبا الحصين بن ضمضم وأبا أخيه هرم ولذلك قال في معلقته :

ولقد خشيتُ بان أموتَ ولم تدرْ للحرب دائرةٌ على ابني ضمضم^(١)
 الشانبي عرَضِي ولم أشتمهما والناذرين إذا لم القهما دمي
 إن يفعلوا فلقد تركتُ أباهما جزرَ السباع وكلَّ نسرٍ قشعم^(٢)

وهذا آخر المعلقة . قال أبو عبيدة : إن عنزة بعد ما أوت عبس إلى غطفان بعد يوم جبلة وحمل الدماء احتاج وكان صاحب غارات فكبر وعجز عنها وكان

اشتداد الحر (١) الدائرة اسم للعادثة سميت بها لأنها تدور من خير إلى شر ومن شر إلى خير ثم استعملت في المكروهة دون المحبوبة (٢) النسر القشعم: الكبير المسن ، يقول إن يشتماني لم يستغرب منهما ذلك فاني قتلت أباهما وصيرته جزر السباع وكل نسر كبير مسن

له يد على رجل من غطفان فخرج يتجازاه فمات في الطريق . ونقل عن أبي عبيدة أيضاً : أن طيئاً تدعى قتلَ عنزة ويزعمون أن الذي قتله (الأسد الرهيص) وهو القائل :

أنا (الأسد الرهيص) قتلت (عمراً) و (عنزة الفوارس) قد قتلتُ
والله أعلم والعنتر في اللغة الذباب الأزرق الواحد عنزة ونونه ليست بزائدة
ومنهم :

ملاعب الاسنة

وهو عامر بن مالك وسمى ملاعب الاسنة بقول أوس بن حجر (١) :
ولاعب أطراف الاسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع (٢)
قال ابن قتيبة : وملاعب الاسنة عم لبيد انتهى . وكان أخذ أربعين مرباعاً (٣)
في الجاهلية وهو من الفرسان الذين يضرب بهم المثل في الشجاعة والاقدام .
ومنهم :

زيد الخيل

هو كما قال صاحب الاستيعاب زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي .
قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في وفد طي في سنة تسع فاسلم وسماه رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم (زيد الخيل) وقال له ما وصف لي أحد في الجاهلية
فرايته في الاسلام الا رأيتك دون الصفة غيرك واقطع له أرضين في ناحيته . يكنى
(أبامكنف) وكان له أبنان مكنف وحرث وقيل حرث أسلم وصحبا النبي صلى
الله عليه وسلم وشهدا قتال الردة مع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه . وكان
زيد الخيل شاعراً محسناً خطيباً لسناً شجاعاً بهمة (٤) كريماً . وكان بينه وبين كعب

(١) حجر بفتحين (٢) الكتيبة : الطائفة من الجيش مجتمعة والجمع كتاب
(٣) مرباع ربع الفئمة كان رئيس القوم يأخذه لنفسه في الجاهلية ثم صار خمساً في الاسلام
(٤) الشجاع لا بهتدي من أين يؤتى .

ابن زهير هجاء لان كعباً اتممه بلخذ فرس له . مات زيد الخليل منصرفه من عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محموماً فلما وصل الى بلده مات . وكان قبل اسلامه قد أسر عامر بن الطفيل وجز ناصيته . هذا ماأورده صاحب الاستيعاب . وقيل له زيد الخليل خمسة أفراس كانت له . وكان طويلاً جسيماً موصوفاً بطول الجسم وحسن القامة وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه في الارض كأنه راكب حماراً . وهو القائل : —

تمنى مزيدٌ زيداَ فلاقى أخائقة إذا اختلف العوالي (١)
 كنية جابرٍ اذ قال : ليني أصادفه واتلف بعض مالي (٢)
 تلاقينا فما كنا سواءً ولكن خراً عن حال الحلال (٣)
 ولولا قوله يا زيد قدنى لقد قامت نويرة بالمآلى (٤)
 شككت نيا به لما التقينا بمطرود المهزة كالخلال (٥)

ومزيد رجل من بنى أسد كان يتمنى أن يلقى زيد الخليل فلقية زيد الخليل فطعنه فهرب منه . وجابر رجل من غطفان تمنى أن يلقى زيدا حتى صبحه زيد . فقالت له امرأته كنت تتمنى زيدا فعندك فالتقيا فاختلفا طعنيتين وهما دارعان فاندق رمح جابر ولم يغن شيئاً وطعنه زيد برمحه له كان على كعب من كعابه ضبة من حديد فانقلب ظهراً لبطن وانكسر ظهره . فقالت امرأته وهي ترفعه منكسراً ظهره

(١) قوله اخائقة أى صاحب وثوق بشجاعته وصبره فى الحرب ، والموالى جمع طالية والمالية من الرمح مايلى الموضع الذى يركب فيه السنان يعنى وقت اختلاف الرماح ومجيئها أذهاها للطعان .
 (٢) المنية بالضم اسم للتمنى وفي الاصل الشيء الذى يتمنى ويستشهد النحويون بهذا البيت على أن حذف نون الوقاية من ليتنى شاذ خاص بالضرورة وظاهر الخلاصة أنه نادر ، قال : وليتى فشاوليتى ندرا . ولا يخفى أن النادر والشاذ بينهما فرق (٣) قوله خر أى سقط و(حال) الاول ظهر الفرس والثانى معنى فى الحال أى سقط من حاله (٤) نويرة اسم امرأة جابر ، والمآلى جمع مثلاة وهي الخرقة التى تكون مع النائحة تأخذ بها الدمع أى لولا ذلك لقتله
 (٥) شككته بالرمح : طعنته ، والخلال : عود يجعل فى لسان الفصيل لثلا يرضع ، والخلال العود الذى يخجل به الثوب أى يشب

« كنت تسمى زيداً فلاقيت اخاتقة » ومعنى اليتيم : أن مزيداً تمني أن يلقى زيداً كما تمني جابر ، وكلاهما لقي منه ما يكره . ومنهم :

عامر بن الطفيل

واسم جده مالك بن كلاب العامري وهو ابن عم لبيد الصحابي ، وكنية عامر في الحرب أبو عقيل ، وفي السلم أبو علي . وكان أصيبت إحدى عينيه في بعض الحروب . قال ابن الأثير في شرح المفضليات : كان عامر من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدةً وأبعدها اسماً حتى بلغ أن قيصر كان اذا قدم عليه قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ فان ذكر نسباً عظم عنده حتى وفد عليه علقمة بن علاثة فانتسب له فقال ابن عم عامر بن الطفيل فغضب علقمة . وكان ذلك مما أوغر صدره ^(١) وهيجه الى أن دعاه الى المنافرة . وكان عمر بن معد يكرب وهو فارس اليمن يقول : ما أبالي أي ظعينة لقيت على ماء من من أمواه معدٍ ما لم يلقى دونها عبداها أو حراها . ويعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي ، وعنى بالعبد بن عنزة العبسي والسليكي ابن السلكة . قال الاشم : ويقال كانت المنافرة أن علقمة بن علاثة شرب الخمر فضربه عمر الحد فلحق بالروم فارتد ، فلما دخل على ملك الروم قال : انتسب فانتسب له علقمة . فقال : انت ابن عم عامر بن الطفيل ؟ فقال الا أراني لا أعرف ههنا الا بعامر فغضب فرجع فاسلم وتقدم ^(٢) بيان المنافرة عند الكلام على المفاخرات . ولما قدمت وفود العرب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سنة تسع من الهجرة قدم وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أخو لبيد الصحابي لأمه وكانا رئيسي القوم ومن شياطينهم ، فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يريد الغدر به وقد قال له

(١) أي ملاءمة غيظاً (٢) انظر الجزء الاول ص ٢٧٨

قومه : يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي
عن تتبع العرب عقبي فأنا اتبع عقب هذا الفتي من قريش . ثم قال لأربد : اذا
قدمنا على الرجل فأني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فلما قدما
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان
أمره به فجعل أربد لا يحير شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال له عامر أتجعل
لى نصف ثمار المدينة وتجعلنى ولى الأرض بعدك فأسلم فأبى عليه صلى الله تعالى
عليه وسلم فانصرف عامر وقال : أما والله لا ملأناها عليك خيلاً ورجالاً . فلما
ولى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اكفنى عامر بن الطفيل ، فلما
خرجا من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال عامر لأربد : ويحك يا أربد
أين ما كنت امرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجلاً أخوف عندى
على منك ، وأيم الله لأخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا أبالك لا تعجل على والله
ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى
غيرك أفاضربك بالسيف وخرجا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانا ببعض الطريق
بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه فقتله الله فى بيت امرأة من بنى
سلول فجعل يقول : يا بنى عامر أغدة كغدة البكر^(١) فى بيت امرأة من بنى سلول
ثم خرج أصحابه حين واروه التراب حتى قدموا أرض بنى عامر فقالوا : ما وراءك
يا أربد ؟ قال : لاشئ والله لقد دعانا الى عبادة شئء لوددت أنه عندى الآن فارميه
بالنبيل حتى أقتله نخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه فأرسل الله عليه
وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما . وقد أشار الى ذلك أخوه لأمه لبيد العامرى
بقوله يرثيه :

أخشى على (أربد) الختوف ولا أرهب نوء السماك والأسد^(٢)

(١) الغدة لحم يحدث من داء بين الجلد واللحم يتحرك بالتحريك والغدة للبعير كالطاعون
للإنسان واغدة البعير صار ذاغدة والبكر : الفتى من الأبل (٢) الختوف جمع حتف وهو الموت،

فجنى البرق والصواعق بالفا رس يوم الكريهة النجد^(١)
وروى ابن النبارى في شرح المفضليات : لما مات عامر نصبت بنو عامر
نصاباً ميلاً في ميل حتى على قبره لا تنشر فيه راعية ولا يرعى ولا يسلكه راكب
ولا ماش . وكان جبار بن سلمى بن عامر بن مالك غائباً فلما قدم قال : ما هذه
الأنصاب ؟ قالوا : نصبناها حتى على قبر عامر . فقال : « ضيقتم على أبي علي
إن أبا علي بن من الناس بثلاث كان لا يعطش حتى يعطش الجمل وكان لا يضل حتى
يضل النجم وكان لا يجيز حتى يجيز السيل » . ولعامر وقائع في مذحج وخثعم وغطفان
وسائر العرب . ومنهم :

عمرو بن معد بكرب

ينتهي نسبه الى كهلان بن سبأ ، ومعدى اشتقاقه مثل اشتقاق معدان ويزيد
عليه بأنه يجوز أن يكون من العدوان ، وكرب يجوز أن يكون من الكرب الذي
هو أشد الغم ومن كرب في معنى قارب أو من اكربت اللو اذا شدتها بالكرب
وهو الحبل الذي يشعل الرأقى . قال ابن جنى : فسرته ثعلب أنه عداه الكرب
أى تجاوزه وانصرف عنه . وكنية عمرو أبو ثور وهو الفارس المشهور صاحب
الغارات والوقائع في الجاهلية والاسلام . قال في الاستيعاب : وفد على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في سنة تسع . وقال الواقدي : في سنة عشر في وفد زيد
فاسلم انتهى . وأقام مدة في المدينة ثم رجع الى قومه وأقام فيهم سامعاً مطيعاً وعليهم
فروة بن مسيك فلما توفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد . قال النووي
في تهذيب الأسماء واللغات : ارتد مع الأسود العنسى فسار اليه خالد بن سعيد
فقاتله فضربه خالد على عاتقه فانهزم وأخذ خالد سيفه فلما رأى عمرو الامداد من
أبي بكر أسلم ودخل على المهاجر بن أبي أمية بغير أمان فأوثقه وبعث به إلى أبي بكر

والنواظر ، والسماك الاعزل والرامح نجمان نيران ، والاسد أحد البروج الاثني عشر
(١) يوم الكريهة يوم الحرب

فقال له أبو بكر : أما تستحي كل يوم مهزوماً أو مأسوراً لو عززت هذا الدين لرفعك الله تعالى . قال : لا جرم لأقبلن ولا أعود فأطلقه وعاد إلى قومه ثم عاد إلى المدينة فبعثه أبو بكر إلى الشام فشهد اليرموك انتهى . وله في اليرموك بلاء حسن وقد ذهبت فيه إحدى عينيه ثم بعثه عمر إلى العراق وله في القادسية أيضاً بلاء حسن وهو الذي ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزمت الأعاجم وكان سبب الفتح ومات سنة إحدى وعشرين من الهجرة . وفي كيفية موته خلاف : قيل مات عطشاً يوم القادسية ، وقيل قتل فيه ، وقيل بل مات في وقعة نهاوند بعد الفتح ، وقيل غير ذلك ، وعمره يومئذ مائة وعشرون سنة وقيل مائة وخمسون ولم يذكره السجستاني في العمريين . روى أن رجلاً رآه وهو على فرسه فقال : لا نظر ما بقي من قوة أبي ثور فادخل يده بين ساقه وجنب الفرس ففطن لها عمرو فضم رجله وحرك الفرس فجعل الرجل يعدو مع الفرس ولا يقدر أن ينزع يده حتى إذا بلغ منه صاح به فقال له يا ابن أخي مالك ؟ قال : يدي تحت ساقي نخلي عنه وقال له ان في عمك بقية ، وعمرو بن معد يكرب هو القاتل :

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها	جداول زرع أرسلت فاسبطرت
فجاشت إلى النفس أول مرة	فردت على مكروها فاستقرت
علام تقول الرمح يُثقل عاتقي	إذا أنا لم أظعن إذا الخيل كرت ^(١)
لما الله جرماً كلما ذرَّ شارق	وجوه كلاب هارشت فازبأرت ^(٢)
فلم تُغنِ جرم نهداها إذ تلاقيا	ولكن جرماً في اللقاء ابذعرت ^(٣)
ظلت كأني للرماح دريئة	أقاتل عن أبناء جرم وفرت ^(٤)

(١) شرح المؤلف البيتين الاولين فسكفانامؤنتهما ، ولناخذ بشرح الايات الباقية : العاتق : موضع الرداء من المنكب أو هو ما بين المنكب والعنق . وكرت الخيل : عطفت (٢) لحاء الله أي قبحه ، وجرم : قبيلة . وذرت الشمس : بداقرنها أول الطلوع ، والشارق : الشمس ، وجوه كلاب نصب على الدم ، والمهارشنة : المواثبة وأزبأرت : تهيأت للقتال (٣) نهد قبيلة ، ومعنى ابذعرت : تفرقت (٤) دريئة أي مرضة

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ولكن الرماح أُجرت^(١)
 وقصة هذه الأبيات هو ما حكاه المفضل الطبرسي في شرح الحماسة أن جرماً
 ونهداً وهما قبيلتان من قضاة كانتا من بني الحرث بن كعب فقتلت جرم رجلاً
 من أشراف بني الحرث فارتحلت عنهم وتحولت في بني زبيد فخرجت بنو الحرث
 فقوت جرم واعتلت بأنها كرهت دماء نهد فهزمت يومئذ بنو زبيد فقال عمرو
 هذه الأبيات يلومها ثم غزاها بعد فانتصف منهم . فقوله زوراً هو جمع ازور وهو
 الموعج الزور بالفتح أي الصدر يقول لما رأيت الفرسان منحرفين للطعن وقدخلوا
 أعنة دوابهم وأرسلوها علينا كأنها أنهار زرع أرسلت مياها فاسبطت أي امتدت
 والتشبيه وقع على جرى الماء في الأنهار لا على الأنهار فكأنه شبه امتداد الخيل
 في انحرافها عند الطعن بامتداد الماء في الأنهار وهو يطرد ملتويًا ومضطرباً وهذا
 تشبيه بديع . وقوله فجاشت الخ جاشت ارتفعت من فزع وهذا ليس لكونه جباناً
 بل هذا بيان حال النفس ونفس الجبان والشجاع سواء فيهما يدهمها عند الوهلة
 الأولى ثم يختلفان فالجبان يركب نفرتة والشجاع يدفعها فيثبت قال أبو عبيدة قال
 عبد الملك بن مروان وجدت فرسان العرب ستة نفر ثلاثة منهم جزعوا من الموت
 عند اللقاء ثم صبروا وثلاثة لم يجزعوا . قال عمرو : —

فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكر وهها فاستقرت

وقال ابن الاطنابة :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي^(٢)

(١) اجرت من الاجرار وهو شق لسان الفصيل لئلا يرضع أمه ويجعل فيه عويد ، يقول
 لو أنهم ابلوا في الحرب بلاء حسناً لمدحتهم وذكرت بلاءهم ولكنهم قصروا فاجروا لساني فما
 أنطق بمدحهم والافتخار بهم (٢) يستشهد في النحو بهذا البيت على أن العرب جزمتم بعد
 الظرف — يعني الواقع اسم فعل وهذا معنى بيت الخلاصة : —

والامران كان بغير افعال فلا تنصب جوابه وجرمه اقبالا

قال في التصريح : فجزم (تحمدي) في جواب اسم الفعل وهو مكانك فانه في معنى اثبتى ،
 وقوله مصدر مبتدأ خبره مكانك تحمدي على حد قولي لا اله الا الله، وجشأت : ارتفعت وجاشت

وقال عنبرة :

ان يتقون بي الاسنة لم اخم عنها ولكني تضايق مقدمي^(١)

فأخبر هؤلاء الثلاثة انهم هابوا ثم قدموا وقال عامر بن الطفيل : —

أقول لنفس ما أريد بقاءها اقلي المراحم انى غير مدبر^(٢)

وقال قيس بن الخطيم :

وانى فى الحرب الضروس موكل باقدام نفس ما أريد بقاءها^(٣)

وقال العباس بن مرداس :

أشدُّ على الكتيبة لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها^(٤)

فأخبر هؤلاء أنهم لم يجزءوا . وشرح الابيات يطول . وربما عد فى مثل هذا

المقام من الفضول . ومنهم :

دريد بن الصمة

روى ابو بكر بن دريد عن أبى عبيدة قال : خرج دريد بن الصمة فى فوارس

من بنى جشم حتى اذا كانوا فى واد لبني كنانة يقال له الأخرم — وهم يريدون

الغارة على بنى كنانة . رفع لهم رجل فى ناحية الوادى ومعه ظعينة^(٥) ، فلما رآه

قال لفارس من أصحابه صح به « خل الظعينة وانج أنت بنفسك وهم لا يعرفونه »

غثت من الغثيان ، وقوله مبتدأ الاظهر انه عطف بيان على وضربى فى البيت الذى قبله : —

أبت لى عفتى واى ابائى	واخذى الحمد بالثمن الريح
واجشامى على المكروه نفسى	وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت	مكانك تحمدى أو تستريحى
لادفع عن مآثر صالحات	واحمى بعد عن عرض صحيح

يقال ان معاوية رضى الله عنه يوم صفين هم بالفرار فما منعه الايهات

(١) الاتقاء : الحجز بين الشئتين تقول اتقيت العدو بترسي أى جعلت الترس حاجزاً بينى

وبين العدو ، والحيم : الجبن ، والمقدم : موضع الاقدام

(٢) الضروس : الشديدة ، وفلان موكل بكذا . لازم له ومقبل عليه (٣) الشدة بالفتح :

الجملة فى الحرب ، والكتيبة : الطائفة من الجيش مجتمعة ، والختف : الهلاك (٤) قال الفيومى :

ويقال للمرأة ظعينة فعيلة بمعنى مفعولة لان زوجها يظعن بها ويقال الظعينة الهودج وسواء كان

فانتهى اليه الفارس فصاح به وألح عليه . فلما رأى ابيه ألقى زمام الراحلة وقال للظعينة : -

سِيرِي عَلَى رِسَالِكَ سِيرَ الآمَنِ سِيرَرَدَاحِ ذَاتِ جَاشِ مَا كُنْ (١)
إِنْ ائْتَنَائِي دُونَ قَرْنِي شَائِنِي أَيْلِي بِلَائِي وَاخْبُرِي وَعَايِنِي (٢)
ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه وأعطاه الظعينة ، فبعث دريد^٣ فارساً آخر
لينظر ما صنع صاحبه . فلما انتهى اليه ورآه صريعاً صاح به فتصامم عنه فظن أنه لم
يسمع فغشيه^٤ فألقى زمام الراحلة الى الظعينة ثم رجع وهو يقول:

خَلَّ سَبِيلَ الحِرَّةِ المُنْبِعِ إِنْكَ لَاقِي دُونَهَا رَبِيعِ
فِي كَفِّهِ خَطِيئةٌ مَطْبِعِهِ أَوْ، لَا . نَحْنُهَا طَعْنَةً سَرِيعِ
فَالطَّمَنُ مَنِي فِي الوَعْيِ شَرِيعِ (٣)

ثم حمل عليه فصرعه ، فلما ابطأ على دريد بعث فارساً ثالثاً لينظر ما صنعا .
فلما انتهى اليهما رأها صريعين ونظر اليه يقود ظعينته ويجر رحله فقال له خلَّ
سبيل الظعينة . فقال للظعينة اقصدي قصد البيوت ثم اقبل عليه يقول : -
ماذا تريد من شتيم عابس ألم تر الفارس بعد الفارس ؟
ارداها عامل رمح يابس

ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رحله . وارتاب دريد وظن أنهم قد أخذوا
الظعينة وقتلوا الرجل . فلحق ربيعة وقد دنا من الحى ووجد أصحابه قد قتلوا .
فقال أيها الرجل : إن مثلك لا يقتل ولا أرى معك رمحاً والخيل^٥ نائرة بأصحابها
فدونك هذا الرمح فإني منصرف الى أصحابي فثبّطهم^(٤) عنك ، فانصرف

فيه امرأة أم لا والجمع ظمائن وظعن بضمين ويقال الظعينة في الاصل وصف للمرأة في هودجها
ثم سميت بهذا الاسم وان كانت في بيتها لأنها تصير مظعونة

(١) قوله على رسالك بالكسر أى على هينتك ، والرداح : الثقبلة الاوراك (٢) القرن وزان
حمل من يقاومك في علم أو قتال أو غير ذلك (٣) الخطية : الرمح المنسوب الى خط اسم أرض وقد
مر تفسيرها ، والوعى مقصور : الجلبة والاصوات ومنه وعى الحرب ، وقال ابن جنى : الوعى
بالمهمل الصوت والجلبة ، وبالمعجمة الحرب نفسها ، والشريعة : الدين (٤) ثبّطه عن الامر عوقه

دريد وقال لأصحابه : إن فارس الظعينة قد حماها وقتل أصحابكم وانتزع رمحي
ولا مَطْمَعَ لَكُمْ فِيهِ فَانصروا فَانصرف القوم . فقال دريد في ذلك : -

مَا نَ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ حَامِي الظعينة فَارِسًا لَمْ يُقْتَلْ
أَرْدَى فَوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نُهْرَةً ثُمَّ اسْتَمَرَ كَأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ (١)
مُتَهَلِّلاً تَبْدُو أُسْرَةً وَجْهَهُ مِثْلَ الحِصَامِ جَلَّتْهُ كَفُّ الصَيْقَلِ (٢)
يَزْجِي ظَعِينَتَهُ وَيَسْحَبُ ذَيْلَهُ مَتَوَجِّهًا يُعْمِنَاهُ نَحْوَ المَنْزَلِ (٣)
وَتَرَى الفَوَارِسَ مِنْ مَخَافَةِ رَمْحِهِ مِثْلَ البَغَاثِ خَشِينِ وَقَعِ الأَجْدَلِ (٤)
يَالَيْتَ شَعْرَى مِنْ أبُوهِ وَأُمِّهِ يَأْصَاحُ مِنْ يَكُ مِثْلَهُ لَمْ يُجْهَلْ

وقال ربيعة

إِنْ كَانَ يَنْفَعُكَ اليَقِينُ فَسَائِلِي عَنِي الظعينة يَوْمَ وَادِي الأَخْرَمِ
إِذْ هِيَ لِأَوَّلِ مَنْ أَتَاهَا مُهْبِتَةٌ لَوْلَا طَعَانُ رُبَيْعَةَ بِنِ مَكْدَمِ
إِذْ قَالَ لِي أَدْنَى الفَوَارِسِ مِيتَةٌ خَلَّ الظعينة طَائِعًا لَا تَنْدَمِ
فَصَرَفْتُ رَاحِلَةَ الظعينة نَحْوَهُ عَمْدًا لِيَعْلَمَ بَعْضَ مَا لَمْ يَعْلَمِ
وَهْتَكْتُ بِالرَمْحِ الطَوِيلِ أَهَابَهُ فَهَوَى صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَالْفَمِ (٥)
وَمَنْحَتِ آخَرَ بَعْدَهُ جِيَّاشَةً نَجْلَاءَ فَاعْرَةَ كَشِدْقِ الأَضْجَمِ (٦)
وَلَقَدْ شَفَعْتُهُمَا بِآخَرَ ثَالِثٍ وَأَبِي الفَرَارِ لِي الغَدَاةَ تَكْرَمِي

ثم لم تلبث بنو كنانة أن أغارت على بني جشم فقتلوا وأسروا دريد بن

وبطأ به عنه كشيطة فيهما (١) النهزة بالضم الفرصة تجدها من صاحبك ويقال فلان نهزة
المختلس أي هو صيد لكل أحد (٢) تهلل الوجه : تلالاً ، والاسرة جمع سرأوهو خط الوجه
والجبهة ، والحسام : السيف القاطع أو طرفه الذي يضرب به ، والصيقل : شحاذ السيوف
وجلاؤها (٣) قوله يزجي أي يسوق سوفاً رفيقاً ، راجع معنى الظعينة التي مر تفسيرها قريباً
(٤) البغاث من الطير مالا يصيد ولا يرغب في صيده لانه لا يؤكل ، والاجدل : الصقر
(٥) يقال هتك الست وغيره يهتك فانهتك وتهتك جذبه فقطعه من موضعه أو شق منه جزءاً
فبدا ماوراءه ، والاهاب ككتاب الجلد (٦) النجلاء : الطعنة الواسعة ، والفاعرة : الفاتحة ،
والشدق : جانب الفم ، والضجم : عوج في الفم وميل في الشدق وقد يكون عوجاً في الشفة
والذفن والعنق

الصمة فأخفى نفسه فبينما هو عندهم محبوبون إذ جاءه نسوة يتهادين إليه فصرخت
احداهن فقالت هلكتم وأهلككم ماذا جرّ علينا قومنا هذا والله الذي أعطى ربيعة
رحمة يوم الظعينة ، ثم القت عليه ثوبها وقالت يا فراس أنا جارةٌ له منكم هذا صاحبنا
يوم الوادي فسألوه من هو ؟ فقال : أنا دريد بن الصمة . فمن صاحبي ؟ قال :
ربيعة بن مكدم . قال : وما فعل ؟ قال : قتلته بنو سليم . قال : فما فعلت الظعينة ؟
قالت المرأة أنا هيّة وأنا امرأته فحبسه القوم وامروا أنفسهم ، فقال بعضهم لا ينبغي
لدريد أن تكفر نعمته على صاحبنا . وقال آخرون والله لا يخرج من أيدينا إلا
برضى المخارق الذي أسره فانبعثت المرأة في الليل - وهي ربيعة بنت جندل الطعان -
تقول : -

سنجزى دُرَيْدًا عن ربيعة نعمةً	وكلُّ امرئٍ يجزى بما كان قدما
فان كان خيراً كان خيراً جزاؤه	وان كان شراً كان شراً مذمماً
سنجزيه نعمةً لم تكن بصغيرةٍ	باعطائه الرمح الطويل المقوماً
فقد أدركت كفاه فينا جزائه	وأهلٌ بأن يجزى الذي كان أنعماً
فلا تكفروه حق نعاء فيكم	ولا تركبوا تلك التي تملأ الفنا
فلو كان حياً لم يضيق بثوابه	ذراعاً غنياً كان أو كان معدماً
ففكوا دريداً من إيسار مخارقٍ	ولا تجعلوا البؤسى الى الشر مسلماً

فلما أصبحوا اطلقوه فكسته وجهازته ولحق بقومه ، فلم يزل كافاً عن غزو بني

فراس حتى هلك . ومنهم :

زيد الفوارس

وهو ابن حصين بن ضرار الضبي وهو جاهلي وذكره الآمدي في (المؤتلف
والمختلف) ولم يرفع نسبه ولا ذكر له شيئاً من شعره . وهذه نسبه من جمهرة ابن
الكلبي : زيد الفوارس بن حصين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب
ابن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن الياس
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . كان من أشهر الفرسان وطالت رياسته ،

وشهد يوم القرنين ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه وزيد الفوارس كان فارسهم ، ولهذا قيل له زيد الفوارس. وهو القائل :

دلّمت ان لم تسألني أيّ امرئٍ بلوى النقيعة اذ رجالك غيبٌ (١)
 اذ جاء يوم ضوؤه كظلامه بادى الكواكب مقطرًا شهب (٢)
 عوذ وبهثة حاشدون عليهم حلق الحديد مضاعفًا يتلهب
 وأوا تكبهم الرماح كأنهم ائل جافت أصوله او ائاب (٣)
 لو غدوة حتى اغاث شريدهم جو العشاوة فالعيون فزئقب
 قبركت زراً في الغبار كأنه بشقيقتي قدمية متلب (٤)

قال أبو محمد الاعرابي كان سبب هذه الأبيات انه اغار زرين بن ثعلبة أحد بني عوذ بن غالب بن قطيمة بن عبس في بني عبس وعبد الله بن غطفان فأصابوا نعماً لبني بكر بن سعد بن ضبة فطردوها ، فأناهم الصريخ ورئيسهم يومئذ زيد الفوارس حتى أدركوهم بالنقيعة تحت الليل فقتلوا زراً والجند بن تيجان من بني مخزوم وابن أزم من بني عبد الله بن غطفان . فقال زيد الفوارس هذه الأبيات في ذلك . ومنهم :

أمية بن مرثان الكنانى

وينتهى نسبه الى مضر وكان من سادات قومه وفرسانهم وله أيام مأثورة مذكورة وابنه كلاب بن أمية أدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم مع أبيه ثم هاجر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وروى صاحب الأغاني بسنده الى الزهرى عن عروة بن الزبير قال : —

- (١) دلّمت العشق والهيم : حيره وأدهشه ردهت المرأة على ولدها تدليها اذا فقدته
 (٢) انمطر الشديد العبوسة (٣) الائل : شجر وهو نوع من الطرقات ، الائاب : شجر ينبت في بطون الاودية بالبادية وهو على ضرب التين ينبت ناعماً كأنه على شاطئ نهر وهو بعيد من الماء وجاف الشجرة : قلعها من أصلها (٤) القدمية محرّكة ضرب من الادم ، والمتلب المتحزم بالسلاح وغيره وكل يجمع لثيابه متلب

هاجر كلاب بن أمية بن الاسكر الى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب (رض) فأقام بهامدة ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام فسألها أي الأعمال أفضل في الاسلام؟ فقالا الجهاد فسأل عمر فاعزاه في جيش وكان أبوه قد كبر وضعف فلما طالت غيبة كلاب عنه قال:

لَمَنْ شَيْخَانِ قَدْ نَشِدَا كَلَابَا	كِتَابَ اللَّهِ لَوْ قَبِلَ الْكِتَابَا
أُنَادِيهِ فَيُعْرَضُ فِي إِبَاءِ	فَلَا وَأَبِي كَلَابِ مَا أُصَابَا
إِذَا سَجَعَتْ حَمَامَةٌ بَطْنَ وَجِ	إِلَى بَيْضَاتِهَا دَعَا كَلَابَا (١)
أَتَاهُ مَهَاجِرَانِ تَكْنَفَاهُ	فَفَارَقَ شَيْخَهُ خَطَأً وَنَجَابَا
تَرَكْتَ أَبَاكَ مَرْعِشَةً يَدَاهُ	وَأَمَّا لَا تَسْبِيغَ لَهَا شَرَابَا (٢)
تَمْسَحُ مَهْرَهُ شَفَقًا عَلَيْهِ	وَتَجْنِبُهُ أَبَا عَرَهَا الصَّعَابَا (٣)
فَأَنَّكَ وَابْتِغَاءَ الْأَجْرِ بَعْدِي	كَبَاغِي الْمَاءِ يَتَّبِعُ السَّرَابَا (٤)

فبلغت عمر رضى الله تعالى عنه فلم يردد كلاباً فاهتز أمية وخلط جزعاً عليه ثم أتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحوله المهاجرون والأَنْصَارُ فوقف عليه وأنشأ يقول: -

أَعَاذَلْ قَدْ عَدَلْتِ بغيرِ عِلْمٍ	وَمَا تَدْرِينَ عَاذَلْ مَا أَلَاقِي
فَمَا كُنْتِ عَاذَلْتِي فَرْدِي	كَلَابَا إِذْ تَوَجَّهَ لِلْعِرَاقِ
وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ كَلَابِ	غَدَاةً غَدٍ وَأَذْنَ بِالْفِرَاقِ (٥)
فِي الْفَتْيَانِ فِي عَسْرٍ وَيَسْرٍ	شَدِيدِ الرِّكْنِ فِي يَوْمِ التَّلَاقِ
فَلَا وَأَبِيكَ مَا بِالْبَيْتِ وَجَدِي	وَلَا شَغْفِي عَلَيْكَ وَلَا اشْتِيَاقِي

(١) سَجَعَتْ الحَمَامَةُ سَجْعاً : هدرت وصوتت ، ووج اسم واد بالطائف (٢) قوله لا تسبيغ يقال ساغ الشراب يسوغ سوغاً سهل مدخله واسغته اساغته جعلته سائغاً ويتعدى بنفسه في لغة وقوله تعالى ولا يكاد يسيغه أى يتبلعه ، وقوله في البيت المتقدم (تكنفاه) أى أحاط به (٣) المهر: ولد الخيل ، والاباعر: الصعاب التي تركت ولم تتركب (٤) السراب ما تراه نصف النهار كأنه ماء وفي التنزيل (كسر اب ببيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً) (٥) اللبانة بالضم: الحاجة ، وأذنه الامروبه اعلمه

وابقائى عليك اذا شتونا وضمت تحت نحرى واعتناقى
 فلو فلق الفؤاد شديداً وجد لهم سواد قلبى بانفلاق
 سبأستعدى على الفاروق رباً له رفع الحجيج إلى بساق^(١)
 وادعو الله مجتهداً عليه يبطن الأخشبين إلى دفاق^(٢)
 إن الفاروق لم يردد كلاباً إلى شيخين هامهما زواقي^(٣)

قال فبكى عمر بكاءً شديداً وكتب إلى سعد بن أبي وقاص بالكوفة يأمره
 باقتال كلاب بن أمية إلى المدينة فلما دخل عليه قال له : ما بلغ من برك بأبيك
 قال : كنت أ كفيه أمره وكنت أعتد إذا أردت أن أحلب لبناً أغزر ناقة
 في إبله وأسمها فأريجها فأتركها حتى تستقر ثم أغسل أخلافها^(٤) حتى تبرد ثم
 أحلب له فأسقيه . فبعث عمر إلى أمية فجاء يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى
 فقال له : وكيف أنت يا أبا كلاب ؟ فقال : كما ترى يا أمير المؤمنين . قال : فهل
 لك من حاجة ؟ قال نعم ، أشتى أن أرى كلاباً فأشبهه شمةً وأضمه ضمة قبل أن
 أموت فبكى عمر وقال : ستبلغ في هذا ما تحب ان شاء الله ثم أمر كلاباً أن يحتلب
 لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث إليه بلبنها ففعل فناوله عمر الاناء قال : دونك
 هذا يا أبا كلاب فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال لعمر : الله ! يا أمير المؤمنين ! إنى
 لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الاناء فبكى عمر ، وقال له : هذا كلاب عندك

(١) بساق بالضم ويقال بصاق بالصاد : جبل بمرقات وقيل واد بين المدينة والجار

(٢) الاخشبان : جيلامة أبو قبيس والاحمر وجيلامنى ، ودفاق : واد (٣) الهام جمع هامة
 وهى الرأس والهامة الصدى والبومة وكانت العرب تقول أن عظام الموتى وقيل أرواحهم تصير هامة
 أى بومة فتطير فنفاه الاسلام ونهاهم عنه (التاج) وقال المسعودى : من العرب من يزعم أن النفس
 طائر يتبسط في الجسم فإذا مات الانسان أو قتل لم يزل يطيف به مستوحشاً يصدح على قبره ويزعمون
 أن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم وهو أبداً مستوحش ويوجد
 في الديار المعطلة ومصارع القتلى والقبور وأنها لم تزل عند ولد الميت ومخلفه لتعلم ما يكون بعده
 فتخبره انتهى ، والزواقي جمع زاق من زقا يزقى زقياً إذا صاح وكل صائح زاق ومنه قيل للديكة
 الزواقي (٤) جمع خلف وهو من ذوات الخلف كالثدي للانسان وقيل الخلف طرف الضرع

حاضر قد جئناك به فوثب اليه ابنه فضمه اليه وقبله وجعل عمر يبكي ومن حضره
وقال لـكـلاب : الزم أبويك ما بقيا ثم شأنك بنفسك بعدها وأمر له بإعطائه
وصرفه الى أبيه فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبواه . وأمّية الكنانى هو القائل :
الاسائل هو ازن يوم لاقوا فوارس من كنانة معلمينا (١)
لدى شرب وقد جاشوا وأوجشنا فأوعب في النفير بنو ايننا (٢)
ومنهم :

عمرو بن كلثوم

وهو صاحب المعلقة الشهيرة وينتهى نسبه الى تغلب بن وائل قال أبو عبيد
البركى فى شرح نواذر القالى : عمرو بن كلثوم شاعر فارس جاهلى وهو أحد
فتاك العرب وهو الذى فتك بعمرو بن هند الملك . وكنيته أبو الأسود وأخوه
مرة هو الذى قتل المنذر بن النعمان وأمه اسماء بنت مهلهل بن ربيعة ولما تزوج
مهلهل هنداً بنت عتيبة ولدت له جارية فقال لأمها : اقلبيها وغيبها ، فلما نام
هتف به ها تف يقول * كم من قى مؤمل * وسيد شمرذل (٣) * وعدد لا يجهل *
فى بطن بنت مهلهل * فاستيقظ فقال : أين بنتى ؟ فقالت : قتلها . فقال : لا وآله
ربيعة وكان أول من حلف بها ثم رباها وسماها (أسماء) وقيل (ليلي) وتزوجها
كلثوم بن مالك . فلما حملت بعمرو أتتها آت فى المنام فقال : * يالك ليلي من
من ولد * يقدم اقدم الأسد * من چشم فيه العدد * أقول قولاً لا نفذ . فلما
ولدت عمراً أتتها ذلك الآتي فقال :

أنا زعيم لك أم عمرو بما جد الجد كريم النحر

(١) قوله معلمينا من أعلم نفسه اذا وسماها بسما الحرب (٢) قوله جاشوا أي فزعوا ،
واوعب بنو فلان : جاؤا اجمعين و جاؤا موعبين اذا جمعوا ما استطاعوا من جمع ، وانطلق القوم فاعبوا
أي لم يدعوا منهم أحداً ، ونفروا الى الشىء اسرعوا اليه ويقال للقوم النافرين للحرب أو غيرها تغير تسميته
بالمصدر كما فى المصباح (٣) لغة فى الشمرذل وهو الفتى السريع من الابل وغيرها الحسن الخلق

اشجع من ذى لبد هزبرٍ وقاص أقرانٍ شديد الأسر^(١)

يسودهم في خمسة وعشر

وكان كما قال سادهم وهو ابن خمس عشرة سنة ومات وهو ابن مائة وخمسين سنة . وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : عمرو بن كلثوم جاهلي قديم وهو قاتل عمرو بن هند الملك وكان سبب ذلك أن عمرو بن هند قال ذات يوم : هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي ؟ قالوا : لا نعلمها الا ليلي أم عمرو بن كلثوم . قال : ولم ذلك ؟ قالوا : لأن أباه مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل أعز العرب وبعلمها كلثوم بن مالك فارس العرب وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو منه فأرسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزيروا أمه فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة في جماعة من بني تغلب وأقبلت ليلي في ظعن من بني تغلب وأم عمرو بن هند برواقه فضرب ما بين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا ، ودخل عمرو بن كلثوم رواقه ودخلت ليلي بنت مهلهل على هند قبتها ، وهند أم عمرو بن هند عمه امرئ القيس الشاعر ، وليلي بنت مهلهل هي بنت أخي فاطمة بنت ربيعة أم امرئ القيس ، فدعا عمرو بن هند بمائة فنصبها ثم دعا بالطرف فقالت هند : يا ليلي ناوليني ذلك الطبق ! فقالت : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها ! فأعدت عليها فلما الحت صاحت ليلي واذلاًه يالتغلب ! ! فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه فقام الى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق وليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو بن هند حتى قتله ! ونادى في بني تغلب فانتهبوا جميع ما في الرواق واستاقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة ! وابنه عتاب بن عمرو بن كلثوم قاتل بشر بن عمرو بن عدس ، وأخوه مرة بن كلثوم قاتل المنذر بن النعمان بن المنذر ولذلك قال الأخطل :

(١) ذولبد : كنية الاسد، والهزبر : الاسد، ووقص : منقه : كسره ، والاسر : شدة الخلق

ابن كليب إن عمي اللدا قتل الملوك وفككا الاغلال^(١)
ومنهم :

السنفري الحارثي القحطاني

وكان من الفرسان المذكورين والشعراء المفلحين وهو كما في الجمهرة وغيرها من بني الحرث بن ربيعة بن الأواس بن الحجر بن الهنء بن الأزد ، وهو بفتح الشين وآخره ألف مقصورة هو اسمه والأواس بفتح الهمزة والحجر بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم والهنء بتثنية الهاء وسكون النون وبعدها همزة . وزعم بعضهم أن السنفري لقبه ومعناه عظيم الشفة وإن اسمه ثابت بن جابر ، وهذا غلط كما غلط العيني في زعمه أن اسمه (عمرو بن براق) بفتح الباء وتشديد الراء المهملة بل هما صاحباها في التلصص . وكان الثلاثة أعدى العدائين في العرب لم تلحقهم الخيل ، ولكن جرى المثل في السنفري ققيل « أعدى من السنفري » ومن حديثه ما ذكره أبو عمرو الشيباني كما نقله ابن الأنباري في شرح المفضليات وحزمة الاصبهاني في الدررة الفاخرة ، قال : أغار ناطشراً وهو ثابت بن جابر ، والسنفري الأزدي ، وعمرو بن براق على بجيلة بفتح الباء وكسر الجيم فوجدوا بجيلة قد أقعدوا لهم الماء رسداً فلما مالوا له في جوف الليل قال لهم تأبط شراً : إن بالماء رسداً واني لأسمع وجيب قلوب القوم أي اضطراب قلوبهم قالوا : والله ما نسمع شيئاً ولا هو الا قلبك يجيب فوضع يده على قلبه فقال : والله ما يجيب وما كان وجاباً . قالوا : فلا والله ما لنا بد من ورود الماء فخرج السنفري . فلما رآه الرصد عرفوه فتركوه فشرب ثم رجع الى أصحابه فقال والله ما بالماء أحد ولقد شربت

(١) البيت من قصيدة له يفخر فيها بقومه ويهجو جريراً وعن عميه عمر أو مرة ابن كثوم وقيل عن بهما ابن هبيرة التغلبي والهندي بن عمران الاصغر وقيل غير ذلك وبنو كليب قوم جرير ، والاغلال : القيود واحدها غل ، ومن نسب البيت الى الفرزدق فقد أخطأ استه الحفرة لان رواة الاخبار اتفقوا على أن عميه اللذان افتخر بهما وقال انهما « قتل الملوك وفككا الاغلال » على الاختلاف فيهما من بني تغلب وتغلب قوم الاخطل لا قوم الفرزدق

من الحوض فقال تأبط شراً : بلى لا يريدونك ولكن يريدونى ثم ذهب ابن براق فشرّب ثم رجع فلم يعرضوا له ، فقال : ليس بالماء أحد . فقال تأبط شراً : بلى لا يريدونك ولكن يريدونى . ثم قال للشنفرى : اذا أنا كرعت فى الحوض فان القوم سيشدون على فيأسرونى فاذهب كأنك تهرب ثم ارجع فكن ^(١) فى أصل ذلك القرن ^(٢) فاذا سمعتنى أقول « خذوا خذوا » فتعال فاطلقنى . وقال لابن براق : انى سأمرّك ان تستأسر للقوم فلا تبعد منهم ولا تتمكنهم من نفسك . ثم اقبل تأبط شراً حتى ورد الماء فلما كرع فى الحوض شدّوا عليه فأخذوه وكتفوه بوتر وطار الشنفرى فأتى حيث أمره وانحاز ابن براق حيث يرونه . فقال تأبط شراً يا بجيلة هل لكم فى خير هل لكم أن تياسروا لنا فى الفداء ويستأسر لكم ابن براق ؟ فقالوا : نعم ويلىك يا ابن براق إن الشنفرى قد طار فهو يصطلى نار بنى فلان وقد علمت الذى بيننا وبين أهلك فهل لك أن تستأسر وياسرونا فى الفداء ؟ فقال : أما والله حتى أروز ^(٣) نفسى شوطاً أو شوطين ، فجعل يعدو فى قبل ^(٤) الجبل ثم يرجع ، حتى اذا رأوا أنه قد أعيا وطمعوا فيه اتبعوه . ونادى تأبط شراً « خذوا خذوا » فذهبوا يسعون فى أثره فجعل يطمعهم ويبعد عنهم ورجع الشنفرى الى تأبط شراً فقطع وثاقه فلما رآه ابن براق قد قطع عنه انطلق وكروا الى تأبط شراً فاذا هو قائم فقال : أعجبكم يا معشر بجيلة عدو ابن براق ؟ أما والله لأعدون لكم عدواً أنسيكموه ثم انطلق هو والشنفرى . انتهى .

« ومن المشهورين » فى العدو السليك بن السلكة وهو تميمى من بنى سعد والسليك بالتصغير فرخ الحجلة ^(٥) والأنى سلكة بضم السين وفتح اللام وهى

(١) قوله كن أى استتر (٢) الاصل اسفل الشىء والقرن : الجبل الصغير أو قطعة تنفرد من الجبل (٣) أى أجرب ، ومن سجعات الاساس « كم رزته روزاً ، فلم أرعنده فوزاً » (٤) القبل من الجبل سفحه (٥) قال فى المصباح الحجل : طير معروف الواحدة حجلة وزان قصب وقصبه وجمعت الواحدة أيضاً على حجلي ولا يوجد جمع على فعلى بكسر الفاء الاحجلى وظهر بنى انتهى ، ويعرف الآن (بالكسكك) بضم فسكون فضم وهى شائعة فى لسان البغداديين واظنها فارسية والله أعلم

اسم أمه وكانت سوداء وإيها نسب . وذكر أبو عبيدة السليك في العدائين مع المنتشر بن وهب الباهلي وأوفى بن مطر المازني . والمثل للسليك من بينهم فقيل « أعدى من السليك » ومن حديثه فيما ذكره أبو عبيدة كما نقله حمزة الاصبهاني في الدررة الفاخرة : أن السليك رآته طلائع (١) الجيش من بكر بن وائل جاؤا متجردين ليغيروا على نبي تميم ولا يعلم بهم فقالوا : إن علم بنا السليك أنذر قومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين فلما هاجاه خرج يعدو كأنه ظبي فطارده يوماً أجمع ، ثم قال : اذا كان الليل أعياء فيسقط فنأخذه . فلما أصبحنا وجدنا أثره قد عثر بأصل شجرة وقد وثب وانحطمت قوسه فوجدنا قطعة منها قد ارتزت (٢) بالأرض ، فقالا : لعل هذا كان من أول الليل ، ثم فتر فتبعناه فاذا أثره متفاجأً قد بال في الأرض وخذها (٣) : فقالا : ماله قاتله الله ! ما أشد متنه ! (٤) والله لا نتبعه ! فانصرفا . ووصل السليك الى قومه فأندرهم فكذبوه لبعده الغاية وجاء الجيش فأغاروا عليهم .

رجعنا الى حديث الشنفرى ، روى الاصبهاني في الأغاني وابن الأبارى في شرح المفضليات أن الشنفرى أسرته بنو شباة وهم حى من فهم بن عمرو ابن قيس عيلان وهو غلام صغير فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرج (بسكون الفاء وآخره جيم) رجلاً من فهم ، ثم أحد بنى شباة ففدته بنو شباة بالشنفرى فكان الشنفرى فى بنى سلامان يظن أنه أحدهم حتى نازعته ابنة الرجل الذى كان فى حجره وقد كان اتخذها ابناً فقال لها : اغسلى رأسى يا أخية فانكرت أن يكون أخاها فلطمته فذهب مغاضباً الى الذى هو فى حجره فقال له : اخبرنى من أنا ؟ فقال له : أنت من الأوس بن الحجر . فقال : أما انى سأقتل منكم مائة رجل بما اعتديتمونى . ثم إن الشنفرى لزم دار فهم

(١) جمع طليمة وهى القوم يبعثون امام الجيش يتعرفون طالع العدو بالكسر أى خبره

(٢) أى ثبتت (٣) أى حفرها حفراً مستطيلاً (٤) أى ظهره

وكان يُغِير على بني سلامان على رجلية فيمن تبعه من فهم وكان يغير عليهم وحده أكثر وما زال يقتل منهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً حتى قعد له في مكان أسيد بن جابر السلاماني بفتح الهمزة وكسر السين ومع أسيد ابن أخيه وحازم البقي وكان الشنفرى قتل أخا أسيد بن جابر فمر عليهم الشنفرى فأبصر السواد بالليل فرماه . وكان لا يرى سواداً إلا رماه ، فشك^(١) ذراع ابن أخى أسيد الى عضده فلم يتكلم وكان حازم منبطحاً يرصده فقطع الشنفرى بضربة أصبعين من أصابع حازم حتى لحقه أسيد وابن أخيه فأخذوا سلاح الشنفرى وأسروه وأدوه الى أهلهم . وقالوا له : أنشدنا . فقال : «انما النشيد على المسرة » فذهبت مثلاً . ثم ضربوا يده فقطعوها ثم قالوا له حين أرادوا قتله : أين نُقبرك ؟ فقال :
 لا تُقبروني إن قبري محرمٌ عليكم ولكن أبشري أم عامر^(٢)
 إذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى ثم مائرى^(٣)
 هنالك لا أرجو حياة تسرنى سجيس الليالى مبسلاً بالجرائر^(٤)

وكانت حلقة الشنفرى على مائة قتيلٍ من بني سلامان فبقى عليه منهم رجل الى أن قتل فر رجل من بني سلامان بجمجمته فضربها برجله فعقرته . فتم به عدد المائة وذرع خطو الشنفرى يوم قتل فوجد أول نزوة نزاها احدى وعشرين خطوة ، والثانية سبع عشرة خطوة ، والثالثة خمس عشرة خطوة . وكان حرام ابن جابر أخو أسيد بن جابر المذكور قتل أبا الشنفرى . ولما قدم منى وبها حرام ابن جابر قيل للشنفرى هذا قاتل أبيك فشده عليه فقتله ثم سبق الناس على رجلية وقال : —

(١) أى طعن (٢) أم عامر كنية الضبع يقول : لا تدفنوني فانه محرم عليكم دفنى بل اتركوني يا كنى الضبع (٣) اذا ظرف لقوله ابشري وتم ظرف أيضاً بدل من (عند الملتقى) ، والسائر بمعنى الباقي (٤) سجيس الليالى امتدادها ، قال ابن فارس فى كتابه الاتباع والمزاوجة : ولا أفعله سجيس عجيس يريدون الدهر انتهى ، وقال الاصمعى : لا آتيك سجيس عجيس أى الدهر وسجيسه آخره ومنه قيل للماء الكدر سجيس لانه اخر ما يبقى والعجيس تأكيد وهو فى معنى الآخر وروى أبو عمرو وسديس عجيس وهو كما قيل للدهر الازلم الجذع ، والمبسلى والجرائر : الجرائم

قتلتُ (حراماً) مهدياً ببلدِ بيطن منى وسطَ الحجيج المصوّتِ
فرصد له أسيد بن جابر فأمسكه مع ابن أخيه . وقيل في سبب قتل الشنفرى
غير هذا وهو مسطور في شرح المفضليات والأغانى . ومنهم :

الحرث بن عباد الربيعى

قال أبو ريش فى شرح الحماسة : كان الحرث بن عباد بن ضبيعة بن قيس
ابن ثعلبة من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين . وكان اعتزل حرب بنى وائل
وتنحى بأهله وولده وولد أخوته وأقاربه وحلّ وتر قوسه ونزع سنان رمحہ ولم
يزل معتزلاً حتى إذا كان فى آخر وقائعهم خرج ابن أخيه بجير بن عمرو بن عباد
فى أثر ابل له نَدَّتْ (١) يطلبها فعرض له مهلهل فى جماعة يطلبون غرة بكر بن وائل
فقال لمهلهل امرؤ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم (وكان من أشرف
بنى تغلب . وكان على مقدمتهم زمناً طويلاً) : لا تفعل فوالله لئن قتلته ليقتلن
منكم كبش لا يسأل عن خاله من هو وإياك أن تحقر البغى فان عاقبته وخيمة وقد
اعتزلنا عمه وأبوه وأهل بيته وقومه فأبى مهلهل إلا قتله فطعنه بالرمح وقتله وقال :
بوءٍ بشسع (٢) نعل كليب (يقال أبأت فلاناً بفلان فباء به اذا قتله به ولا يكاد
يستعمل هذا الا والثانى كفاء للأول) فبلغ فعل مهلهل عم بجير وكان من أحلم
أهل زمانه وأشدهم بأساً . فقال الحرث نعم القتل قتل أصلح بين ابنى وائل .
فقبل له : انما قتله بشسع نعل كليب فلم يقبل ذلك . وأرسل الحرث الى مهلهل :
إن كنت قتلت بجيراً بكليب وانقطعت الحرب بينكم وبين اخوانكم فقد طابت
نفسى بذلك فأرسل اليه مهلهل : انما قتله بشسع نعل كليب فغضب الحرث ودعا
بفرسه . وكانت تسمى (النعامة) فجزّ ناصيتها وهلب (٣) ذنبها وهو أول من فعل
ذلك بانخيل وقال : —

(١) ند البعير : نفر وذهب على وجهه شاردأ (٢) قبال النعل (٣) هلب ذنب الفرس : جزم

قرباً مربطاً (النعامة) منى لَقَحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيَالِ
 لا بجيرٍ أغنى قتيلاً ولا ره طُكَيْبٍ تَزَاجَرُوا عَن ضَلَالِ
 لم أكنُ من جُنَاتِهَا عَلِمَ الآءُ وإني لجرها اليومَ صَالِي
 قرباً مربطاً (النعامة) منى إِنْ قَتَلَ الغَلامَ بِالشِّعْ غَالِي

(ولقحت حملت والحِيَالُ أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل وهذا مثل ضربه لأن الناقة إذا حالت وضربها الفحل كان أسرع للقاحها وإنما يعظم أمر الحرب لما تولد منها من الأمور التي لم تكن تحتسب) ثم ارتحل الحرث مع قومه حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل وعليهم يومئذ الحرث بن همام بن مرة بن ذهل ابن شيبان بن ثعلبة فقال الحرث بن عباد له : إن القوم مستقلون قومك وذلك زادهم جرأة عليكم فقاتلهم بالنساء ! قال له الحرث بن همام : وكيف قتال النساء ؟ قال : قلد كل امرأة أداة من ماء وأعطها هراوةً واجعل جمعهن من ورائكم فإن ذلكم يزيدكم اجتهاداً وعلّموا بعلامات يعرفنها فإذا مرت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونعشته وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته وأتت عليه فأطاعوه . وحلقت بنوبكر يومئذ رؤسها استبسلاً للموت وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نساءهم واقتتل الفرسان قتالاً شديداً وانهمزمت بنو تغلب ولحقت بالظعن بقية يومها وليتها واتبعهم سرعان^(١) بكر بن وائل وتخلف الحرث بن عباد . فقال لسعد بن مالك القائل :

يَبُؤْسَ للحربِ التي وضعت أراها طَفاستِرا حوا^(٢)

أتراني ممن وضعته ؟ قال : لا ، ولكن لا مخبأ لعطر بعد عروس . ومعناه ان لم تنصر قومك الآن فلن تدخر نصرك . ومنهم :

(١) سرعان الناس محرّكة : أوائلهم ويسكن (٢) قوله يابؤس للحرب ، اللام فيه لتأكيد الإضافة أي يابؤس الحرب ووضعت تركت ، والأراهط جمع رهط : الجماعة من الناس والمعنى أسفاً على داهية الحرب التي تركها أراهط فاستراحوا من شدائدها المورثة للشدائد التي بها نيل المكارم وهذا البيت مطلع قصيدة سعد بن مالك بن ثعلبة جد طرفة بن العبد ، وهي قوله بعد البيت :

سعد بن مالك

وجده ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل
قال الامدى فى المؤلف والمختلف : كان سعد هذا أحد سادات بكر بن وائل
وفرساتها فى الجاهلية وكان شاعراً وله أشعار جياذ فى كتاب بنى قيس بن ثعلبة .
قال : وشاعر آخر اسمه سعد بن مالك بن الاقيصر القريعى أحد بنى قريع بن
سلامان بن مفرج . وكان فارساً شاعراً . ومنهم :

مهلهل بن ربيعة التغلبى

قال الآمدى اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم
ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب وهو الشاعر المشهور ويقال اسمه
عدى انتهى . وقال ابن قتبية فى كتاب الشعراء : مهلهل بن ربيعة هو عدى
ابن ربيعة وسعى مهلهلاً لأنه هلهل الشعر أى أرقه ، ويقال إنه أول من قصده
القصيد ، قال الفرزدق « ومهلهل الشعراء ذاك الأول » وهو خال امرئ القيس

والحرب لا يبقى لجا حمها التخيل والمراح
الا الفتى الصبار فى النجدات والفرس الوقاح
والنثرة الحصداء والبيض المكمل والرماح
وتساقط الاوشاظ والذنيات اذ جهد الفضح
والسكر بعد المر اذ كره التقدم والنطاح
كشفت لهم عن ساقها وبدامن الشر الصراح
فاهم ييضات الحدو دهناك لا النعم المراح
بئس الخلائف بعدنا اولاد يشكروا القاح
من صد عن نيرانها فانا بن قيس لا براح
صبراً بنى قيس لها حتى ترمحوأوتراحوأ
ان الموائل خوفها يعتاقه الاجل المتاح
هيئات حال الموت دو ن الفوت واتضى السلاح
كيف الحياة اذاخت منا الظواهر والبطاح
أين الاعزة والاسسنة عند ذلك والسباح

ابن حجر صاحب المعلقة انتهى . والصحيح هنا ويدل له انه ذكر اسمه في شعره
فقال : -

ضربت صدرها الى وقالت ياعدى لقد وقتك الاواقى (١)
ولم يقل أحد قبله عشرة أبيات وقال الغزل ومعنى بالنسيب في شعره
ويقال سعى مهلهلا بقوله « هل هلت أنارُ مالكا أو صنبلًا » (٢) قال ابن سلام :
زعمت العرب أنه كان يتكثر ويدعى في قوله بأكثر من فعله . وكان شعراء
الجاهلية في ربيعة أولهم المهلهل والمرقشان وسعيد بن مالك . والمهلهل أخو كليب
الذى هاج بمقتله حرب البسوس وهى حرب بكر وتغلب ابني وائل . وكان من
خبرها ما حكاه ابن عبد ربه فى العقد الفريد والاصبهانى فى الأغنى وقد تداخل
كلام كل منهما فى كلام الآخر ؛ قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب : لم
تجتمع معد كلها الا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهم عامر وربيعه وكليب
وهو عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحرث وهو قائد معد يوم
البيداء حين تمذحجت مذحج ومارت الى تهامة وهى أول وقية كانت من تهامة
واليمن . والثانى ربيعة بن الحرث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب
ابن كعب وهو قائد معد يوم الميلان وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن . والثالث
كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه (أعز من كليب وائل) وقاد معداً كلها
ففض جموع اليمن وهزمهم فاجتمعت عليه معد كلها وجعلوا له قسم الملك وتاجه

(١) وقتك : حفظتك ، والاواقى جمع وانية وهى ما يقى الانسان ويحفظه من الافذار
السابقة أى لقد نججتك المقادير وحفظتك من القتل والمعنى ضربت هذه المرأة صدرها اشفاقاً على
من القتل كذا قال ابن سيده ، قال الفهرى : والصحيح ما قاله غيره من أنها ضربت صدرها
متعجبة من كيدته وقوته وهو من فعل النساء وكان مهلهل قد أسر فى تلك الحروب فذكر أمره
ولم يعلم بمكانه وأخذ منهم ذمة وعهداً على أن لا يقتلوه فلما رأته هذه وعلمت ما أخذ لنفسه من
الذمة ضربت صدرها اليه متعجبة من كيدته وفوزه ونجائه وقالت لقد وقتك الاواقى أى لقد
نجاك الله من أمور عظام أشرفتك على الموت

(٢) اوله : « لما توغل فى الكراع هجينهم » ، هذه رواية القاموس ويقال ان الذى فى
شعره توغر ، وقوله مالكا صوب بعضهم رواية جابر بدل مالك ، والكراع : انف الحرة

وتحيتته وطاعته فغبر بذلك حيناً من دهره ثم دخله زهو شديد وبغي على قومه ، حتى بلغ من بغيه انه كان يحكى مواقع السحاب فلا يرعى حماه وكان يحكى من لم رعى مدى صوت كلب فيختص به ويشاركهم في غيره ويجير على الدهر فلا يخفر ذمته^(١) ويقول وحش أرض كذا في جوارى فلا يهاج ولا يورد مع إبله أحد ولا توقد نار مع ناره حتى قالت العرب (أعز من كليب وائل) . وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة وكان كليب قد تزوج بنت مرة بن ذهل ابن شيبان وأخوها جساس بن مرة وكانت لجساس خالة تسمى البسوس بنت منقذ التيمية جاورت ابن اختها جساساً وكان لها ناقة يقال لها (سراب) ولها تقول العرب (أشأم من سراب) و (أشأم من البسوس) فمر ابل كليب بسراب وهي معقولة بفناء البسوس فلما رأت سراب الابل خلخلت عقلاها وتبعته ابل كليب فاختلطت بها حتى انتهت الى كليب وهو على الحوض ومعه قوس وكنانة فلما رآها أنكرها فرماها بسهم في ضرعها فنفرت سراب وولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب^(٢) دماً ولبناً فبرزت البسوس صارخة يدها على رأسها تصيح واذلاًه ، وأنشأت تقول :

لعمري لو أصبحت في دار منقذٍ لما ضيم سعدٌ وهو جار لبياتي

ولكنني أصبحت في دار غربةٍ متى يعدُّ فيها الذئب يعدُّ على شاتي

فيا سعدُ لا تفرر بنفسك وارحل فانك في قوم عن الجار أموات

فلما سمع جساس صوتها سكنها وقال : والله ليقتلن غداً جمل عظيم أعظم عقراً من ناقتك فبلغ كليباً فظن أنه أراد قتل عليان وهو فحل كريم له فقال :

(١) يقال خفر بالهد يخفر من باب ضرب اذا وفي به وخفرت الرجل حميته وأجرته من طالبه ، وخفرت بالرجل أخفر من باب ضرب غدرت به ، واخفرت بالالف نقضت عهده

(٢) أى يجرى ويسبل

« هيهات دون عليان خرط القتاد »^(١) ثم انتجع الحمى^(٢) فمروا على نهر يقال له (شبيث) فهاهم كليب عنه ثم على آخر يقال له (الأحص) فهاهم عنه حتى نزلوا على السائب فرجساس بكليب وهو على غدير الذنائب منفرداً . فقال : طردت ابلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً . فقال كليب : ما منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون . فقال له جساس : هذا كفعلك بناقة خالتي . قال : أوقد ذكرتها لو وجدت في غير ابل مرة لاستحلت تلك الابل فعطف عليه جساس فطعنه فأزراه ووجد الموت . فقال : يا جساس إسقني فقال « هيهات تجاوزت شبيثاً والأحص^(٣) » وروى أن البسوس لما صرخت وأحمت جساساً ركب فرساً له وتبعه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان ومعه رمحه حتى دخلا على كليب الحمى فضربه جساس فقصم صلبه وطعنه عمرو بن الحرث من خلفه فقطع قطنه^(٤) فوقع كليب يفحص برجله فلما فرغ من قتله جاء الى أهله وأخبرهم بأنه قتل كليباً ثم هرب وكان همام بن مرة أخا جساس وكان ينادم المهلهل أخا كليب وكان قد صادقه وآخاه وعاهده أن لا يكتم عنه شيئاً فجاءت أمة اليه فأمرت اليه قتل جساس كليباً فقال له مهلهل ما قالت لك ؟ فلم يخبره فدكره العهد فقال : أخبرت أن أخى قتل أخاك فقال است أخيك أضيق من ذلك فسكت وأقبلا على شرايهما فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخائف فلم تلبث الخمر أن صرعت مهلهلاً فأنسل همام فأتى قومه بنى شيبان وقد قوضوا الخيام وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا حتى نزلوا بماء يقال له النهي ولما ظهر قتل كليب وأفاق

(١) من امثال العرب في الامر دونه مانع قوهم من دون ذلك خرط القتاد لان شوك القتاد مانع من خرط ورقه وشرك القتاد مضروب به المثل في الحشونة والشدة كما قال أبو تمام :
بنا خدر كأن القلب أسمى يجربه على شوك القتاد

(٢) انتجع : طلب الكلاء في موضعه (٣) شبيث : ماء لبي الاضبط يبطن الجريب في موضع يقال له دارة شبيث ، والاحص : موضع هناك ، وقد مر ذكرهما في الجزء الاول ومعناه ليس حين طلب الماء ، يضرب لمن يطلب شيئاً في غير وقته (٤) فوقع كليب : وهو ما بين الوركين

مهلهل اجتمعت اليه وجوه قومه فاستعد لحرب بكر وترك النساء والغزل وحرم القمار والشراب وأرسل الى بني شيبان وهو في نادى قومه فقالت الرسل : انكم أتيتم عظيماً بقتلكم كليباً بناب^(١) من الابل فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمه وانا كرهنا العجلة عليكم دون الاعذار اليكم ونحن نعرض عليكم أحد خلال أربع لكم فيها مخرج ولنا مقنع . فقال مرة : ماهى ؟ قالوا : نحى لنا كليباً أو تدفع الينا جساساً قاتله نقتله به أو هماماً فانه كفاء له أو تمكنا من نفسك فان فيك وفاء من دمه . فقال : اما احياي كليباً فهذا ما لا يكون . وأما جساس فانه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد احتوت عليه . وأما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومه فلن يسلموه الى فادفعه اليكم ليقتل بجزيرة غيره . وأما أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل فيها فما تعجل من الموت ولكن لكم عندي احدى خصلتين ؛ أما احداها فهو لاء بنى الباقون فعلقوا في عنق من شتم نسعة^(٢) وانطلقوا به الى رحالكم فاذبحوه ذبح الخروف ، والا فالف ناقة سوداء المقله أقوم لكم بها كفيلاً من بكر بن وائل فغضب القوم وقالوا قد أسأت في الجواب وسمتنا اللبن من دم كليب ووقعت الحرب بينهم ولحقت زوجة كليب بأبيها وقومها ودعت تغلب النمر بن قاسط فانضمت اليها وصاروا يداً معهم على بكر ولحقت بهم عقيلة بن قاسط واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بني شيبان ومساعدتهم على قتال اخوتهم وعظموا قتل جساس كليباً بناب من الابل فظعننت لجيم عنهم وكفت يشكر عن نصرتهم وانقبض الحرث بن عباد في أهل بيته وهو أبو بجير وفارس النعامه قال أبو المنذر : أخبرني خراش أن أول وقعة على ماء كانت بنو شيبان نازلة عليه ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان الحرث بن مرة فكانت الدائرة لتغلب وكانت الشوكة في شيبان واستحرت القتل فيهم إلا أنه لم يقتل في ذلك اليوم أحد من بنى مرة ثم التقوا

(١) الناب : الناقة المسنة (٢) بالكسر سير منسوج

بالذئائب وهو أعظم وقعة كانت لهم فظفرت بنو تغلب وقتلت بكر مقتلة عظيمة .
 وفيها قتل شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وهو جد الحوفزان
 وهو جد معن بن زائدة ، والحوفزان هو الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس
 ابن شراحيل قتله عتاب بن قيس بن زهير بن جشم وقتل الحرث بن مرة بن ذهل
 ابن شيبان قتله كعب بن زهير بن جشم وقتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرو بن
 مندوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وقتل من بنى تيم الله جميل بن مالك بن تيم الله
 وعبد الله بن مالك بن تيم الله وقتل من بنى قيس بن ثعلبة وكان شيخاً كبيراً
 فهؤلاء من أصيب من رؤساء بكر يوم الذئائب ثم التقوا بواردات وعلى الناس
 رؤسائهم الذين سمينا فظفرت بنو تغلب واستحرت القتل في بنى بكر ، فيومئذ
 قتل شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة وسيار بن حارث
 ابن سيار ، وفيه قتل همام بن مرة أخو جساس فر به مهلهل مقتولاً فقال له : والله
 ما قتل بعد كليب قتيل أعز على فقداً منك وقتله ناشرة . وكان همام رباه وكفله
 كما كان ربي حذيفة بن بدر قرواشاً فقتله يوم الهباءة ثم التقوا بعنيزة فظفرت
 بنو تغلب ثم كان بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك الدائرة فيها لبني تغلب
 على بنى بكر . وقال مهلهل يَصِفُ الأيام وينعاه على بكر في قصيدة طويلة أولها : —
 أَلَيْتَنَا بِنَى حُسْمٍ أَنْ يَرَى إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي (١)

(١) قال أبو علي (ذى حسم) : موضع ، وتحورى : ترجعي ، يقال ماله لاجار الى أهله أى لارجع
 اليهم ويقال نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة والكور مأخوذ من
 كور العمامة كأنه رجع عما كان أحكمه من الخير وشده ومثل من أمثالهم « حور في محارة »
 يضرب مثلاً للرجل ينقص بعد الزيادة وقال أبو عبيدة الحور الهلكة ، وها أنا ذا كرقصيدة
 المهلهل برمتها لما فيها من الفوائد التاريخية ولرقتها وحزالة تعبيرها وحسن أسلوبها قال بعد البيت
 المتقدم

فان يك بالذئائب طال ليلى	فقد ابكى من الليل القصير!
وانفذني يياض الصبح منها	لقد أنقذت من شر كبير
كأن كواكب الجوزاء عوذ	مبظفة على ربع كبير

وقال مهلهل لما اسرف في القتل
 اكثرت قتلى بنى بكر برهم
 آليت بالله لا ارضى بقتلهم
 حتى ابهرج بكرةً أينما وجدوا
 قال أبو حاتم : ابهرج ادعهم بهرجا لا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية
 ويقال المبهرج من الدراهم من هذا . وقال أيضاً : يالبكر انشروا لى كليياً . (١)

كان الجدى في مشاة ربق
 كان النجم اذولى سحيرا
 كواكبها زواحف لا غبات
 كواكب ليلة طالت وعمت
 وتسالني بديلة عن أيها
 فلو نبش المقابر عن كليب
 يوم الشعثين لقر عيناً
 وانى قد تركت بواردات
 ينوء بصدرة والرمع فيه
 هتكت به بيوت بنى عباد
 وهام بن مرة قد تركنا
 على ان ليس عدلا من كليب
 فدى لبنى الشقيقة يوم جاؤا
 كان رماحهم أشطان بثر
 فلا وأبى جلبة ما أفأنا
 ولكننا نهكنا القوم ضرباً
 قتيل ما قتيل المرء عمرو
 تركنا الخيل ما كفة عليهم
 كأننا غدوة وبني أيينا
 فلولا الريح أسمع أهل حجر

(١) تمامه « يالبكر أين أين الفرار » وقوله يالبكر بفتح اللام التي للتعجب أو التهديد

الآيات وله أشعار كثيرة في رثاء أخيه كليب . ثم إن المهلهل أسرف في القتل ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر أوقع . وكانت أكثر بكر قدمت عن نصره نبي شيبان لقتلهم كليباً وكان الحرث بن عباد قد اعتزل تلك الحروب وقال « لا ناقة لى في هذا ولا جمل » فذهبت مثلاً فاجتمعت قبائل بكر إليه فقالت : قد قفى قومك فأرسل بجيراً ابن أخيه الى مهلهل وقال له : قل له إني قد اعتزمت قومي لأنهم ظلموك وخليتك وإياهم وقد ادركت نارك وقتلت قومك فأنى يجير اليه فقتله مهلهل كما تقدم شرحه . فبعد ذلك نهض الحرث للحرب فقاتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب وكان أول يوم شهده الحارث بن عباد يوم قضة وهو يوم تحلاق اللحم وفيه أسر الحارث بن عباد مهلهلاً وهو لا يعرفه واسمه عدى بن ربيعة فقال له : دنى على عدى وأخلى عنك فقال له : عليك العهد بذلك ان دلتك عليه . قال : نعم . قال : فانا عدى فجزّ ناصيته وتركه وقال فيه : —

لهف نفسي على عدى ولم أء رف عدياً إذ امكنتى اليدان .

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان قتلها حجر بن ضبيعة . ثم أن مهلهلاً فارق قومه ولم يزل مقبلاً في أخواله نبي يشكر ضجراً من الحرب وأرسل الحارث بن عمرو بن معاوية الكندي وهو جد امرؤ القيس بن حجر في الصلح بينهم والتملك عليهم وقد كانوا قالوا أن سفهاءنا غلبوا علينا وأكل القوي منا الضعيف فالرأى أن نملك علينا ملكاً نعطيه البعير والشاة فيأخذ من القوي ويرد الظالم ولا يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فلا تنقطع الحروب ، فأصلح بينهم وشغلهم بحرب اللخمين من نبي غسان ملوك الشام . وبقي مهلهل وحيداً عند أخواله الى أن مات . قيل : وجد ميتاً بين رجلى جمل هاج عليه وقيل بل مات أسيراً . وذلك أنه لما نزل اليمن

وحينئذ لا حذف في الكلام ويحتمل أنها لام الاستغاثة والمستغاث له محذوف تقديره لكليب ، وقوله انشروا بفتح الهمزة من انشر الرباعي وهو عبارة عن احياء الموتى واخراجهم من قبورهم والفرار الهروب

نزل في بني جنب وجنب من مذحج فخطبوا اليه ابنته فقال لهم انى طريد بينكم
فمتى أنكحتكم قالوا اقتسروه فأجبروه على تزويجها وساقوا اليه في صداقها أدمًا فقال:
انكحها فقدّها الاراقم في جنب وكان الحباء من آدم

من أبيات ثم انحدر فلقية عوف بن مالك أبو أسماء صاحبة المرقش الاكبر فأسره
فمات في أسره : قال السكري في أشعار تغلب : أسر مهلهلا عوف بن مالك أحد
بني قيس بن ثعلبة ، أتوا عوف بن مالك أحد بني قيس فقالوا : أرسل معنا مهلهلا
فأرسله معهم فشرب فلما رجع جعل يتغنى بهجاء بكر بن وائل فسمعه عوف بن
مالك فغاضه فقال : لا جرم إن لله على نذراً أن لا يشرب عندي قطرة ماء ولا خمرأ
حتى يورد الخضير بمجمتين مصغراً وهو بعير لعوف لا يرد الماء الا سبعاً فقال
له أناس من قومه : بدس ما حلفت فبعثوا الخيول في طلب البعير فأتوا به بعد
ثلاثة أيام ومات مهلهل عطشاً . وقيل بالقتل وكان السبب في قتله أنه أسن وخرف
وكان له عبدان يخدمانه فملاه وخرج بهما الى سفر فيبينا هو في بعض الفلوات
عزما على قتله فلما عرف ذلك كتب على قتب رحله وقيل أوصاهما :

من مبلغ الحيين أن مهلهلاً الله دركما ودر أبيكما

ثم قتلاه ورجعا الى قومه فقلا مات وأنشدهم قوله . فقال بعض ولده (قيل هي
ابنته) : ان مهلهلا لا يقول مثل هذا الشعر وانما أراد : —

من مبلغ الحيين أن مهلهلاً أمسى قتيلاً في الفلاة مجدلاً^(١)

الله دركما ودر أبيكما لا يبرح العبدان حتى يُقتلا

فضر بوالعبدين حتى أقرأ بقتله والله أعلم بحقيقة الحال . ومنهم :

(١) قوله مجدلاً يقال جدله وجد له فانجدل وتجدل رماء وصرعه على الجدالة أى الارض

معاذ بن صرم الخزاعي

كان فارس خزاعة في وقته . ومن خبره أن أمه كانت من عك^(١) وكان
يكثُر زيارة أخواله فاستعارَ منهم فرساً وأتى قومه فقال له رجل يقال له جحيش
ابن سوّدة وكان له عدواً : تسابقتي على أن من سبق صاحبه أخذ فرسه ، فسابقه
فسبق معاذ وأخذ فرس جحيش وأراد أن يغيظه فطعن أبطل الفرس وهو الخاصرة
بالسيف فسقط . فقال جحيش : لا أم لك قتلتَ فرساً خيراً منك ومن والديك فرجع
معاذ السيف فضرب مفرقه فقتله . ثم لحق بأخواله وبلغ الحى ماصنع ، فركب أخ
لجحيش وابن عم له فلحقاه فشد على أحدهما فطعنه فقتله . وشد على الآخر فضربه
بالسيف فقتله وقال في ذلك : —

وكنْتُ قديماً في الحوادث ذافتك	قتلت جحيشاً بعدَ قتلِ جوادهِ
نحراً صريعاً مثلَ عائرةِ النسك ^(٢)	قصدتُ لعمرٍ بعد بدرٍ بضربة
خزاعة أجدادى وانى الى عك	لكى يعلمَ الأقسامُ أنى صارمُ
وجرتى ان كنت من قبل في شك	فقد ذقت يا جحش بن سوّدة ضربتى
خضيبَ دم جاراته حوله تبكى	تركت جحيشاً ثوباً ذاتوايح
وتقشر جلدى محجرباً من الحك ^(٣)	ترنّ عليه أمه بانتعابها
ويزرى بقوم إن تركهم تركى ^(٤)	ليرفع أقواماً حولى فيهم
وعطرى غبار الحرب لا عبق المسك ^(٥)	وحصنى سراة الطرف والسيف معلى

(١) قال الجوهري : عك بن عدنان أخو معد وهو اليوم في اليمن ، وهو بعينه قول الليث ومثله في معارف ابن قتيبة وطبقات محمد بن سلام وهذا قول لائمة النسب وقيل غير ذلك مما يطول ذكره .
(٢) عائرة النسك : كان الرجل من العرب في الجاهلية اذا بلغت ابله ألفاً طار عين بعير منها فأراد بعائرة
النسك ألفاً من الابل تعور عين واحد منها (والنسك العبادة) كأنهم كانوا يفعلون ذلك تعبداً
(٣) رن رن رناً صاح عند البكاء ، وقال ابن الاعرابي : الرنة صوت في فرح أو حزن ،
والانتحاب : البكاء بصوت طويل ومد ، ومحجر العين ما دار بها (٤) أزرى بالشئ : أزرأه :
تهاون به (٥) الحصن : المكان الذى لا يقدر عليه لارتفاعه ، والسراة : الظهر ومنه الحديث

تتوق غداةً الروح نفسى الى الوغى كتوق القطا تسمو الى الوشل الرك (١)
ولست برعديدٍ اذا راع معضلٌ ولا فى نوادى القوم بالضيق المسك (٢)
وكم ملكٍ جدلتهُ بمهندٍ وسابغةٍ بيضاء محمكة السك (٣)

فأقام فى أخواله زماناً ، ثم إنه خرج مع بنى أخواله فى جماعة من فتيانهم
يتصيدون . فحمل معاذ على عيرٍ فلحقه ابن خال له يقال له الغضبان ، فقال خل
عن العير فقال لا ولا نعمت عين . فقال له الغضبان أما والله لو كان فىك خير
لما تركت قومك . فقال معاذ «زر غباً تزدد حباً» فأرسلها مثلاً . ثم أتى قومه فأراد
أهل المقتول قتله . فقال لهم قومه : لا تقتلوا فارسكم وان ظلم فقبلوا منه الدية .
ويروى هذا المثل عن النبى صلى الله عليه وسلم واليه أشار الشاعر : -

اذا شئت ان تُقلَى فزر متواتراً وان شئت أن تزداد حباً فزرغباً
« وقال آخر »

عليك باغباب الزيارة إنها اذا كثرت كانت الى المهجر مسلكا
المتر أن القطر يسأم دأباً ويسأل بالأيدي اذا هو أمسكا
ومنهم :

فسح سراً البعير وذفراه ، والطرف : الكريم من الحيل العتيق قال الراغب وهو الذى يطرف
من حسنه ، والمقل وزان مسجد : الملجأ ، والعبق : الرائحة الطيبة الذكية (١) تاقت نفسه
الى الشيء اشتاقت ونازعت اليه ، والوغى : الجلبة والاصوات ومنه وغى الحرب وقال ابن جنى :
الوعى بالمهمة الصوت والجلبة وبالمعجمة الحرب نفسها ، والوشل محرقة الماء النليل يتعلب من
جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً ولا يتصل قطره أو لا يكون ذلك الا من أعلى الجبل ، والرك
بالفتح ويكسر المطر القليل الضعيف أو هو فوق الدث (٢) الرعديد : الجبان يرعد عند
القتال جيناً وراع أفزع ، والمعضل : الامر السديد تضيق على الانسان به الحيل ، والنوادي
جمع نادى وهو المجلس مادام القوم مجتمعين فيه واذا تفرقوا عنه فليس بندى كما فى المحكم
والصباح وقيل غير ذلك وفى هذا رد على من زعم من لغوى العصر كإبراهيم اليازجى ومن
على شاكلته من كل ضيق العطن من ان النوادى غير مستعمل فى جمع النادى ، والمسك : العقل
(٣) جدله : رماء وصرعه على الجدالة أى الارض ؛ والمهند : السيف المطبوع من حديد
المهند ، والسابغة : الدرع التامة الوافرة الطويلة ، والسك : الدرع الضيقة الحلق وفى العباب
البينة الحلق

(١) بشامة بن هزله النهشلي

وهو من الفرسان الحائزين قصب السبق في كل ميدان . له وقائع كثيرة ،

وهو القائل :

انا محبوكِ ياسلمى فحيينا وان سقيتِ كرام الناس فاسقيننا (٢)
وان دعوتِ الى جُلِّي ومكرمة يوماً سراة كرام الناس فادعيننا (٣)
انا بنى نهشل لاندعى لابِ عنه ولا هو بالابناء يشرينا (٤)
ان تُبتدر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا (٥)
وليس يهلك منا سيدٌ ابداً الا اقتلينا غلاماً سيداً فينا (٦)
نكفيه ان نحن متنا ان يسب بنا وهو اذا ذكر الآباء يكفيننا
انا نرخص يوم الروع أنفسنا ولو نسام بها في الأمن اغلينا (٧)
بيضٌ مفارقنا تغلى مراجلنا نأسو بأموالنا آثاراً أيدينا (٨)
انا لمن معشر أفتى أوائلهم قول الكماة ألا أين المحامونا (٩)
لو كان في الألف منا واحد فدعوا «من فارس» خالهم اياه يعنونا (١٠)

(١) قال البغدادي الظاهر انه اسلامي ولم أر له ترجمة في كتب الانساب انتهى وفي القاموس وشرحه : وبشامة بن حزن النهشلي شاعر (٢) فحيينا من التحية بمعنى السلام وقيل معنى سقيت دعوت يعني ان دعوت الكرام بالسقيا فادعى لنا أيضا (٣) الجلي تانيث الاجل ، والسراة جمع سري وهو الشريف والكريم يقول : ان اشدت بذكر خيار الناس مجلبة نابت أو مكرمة عرضت فاشيدي بذكرنا أيضا وهذا الكلام القصد منه الوصول الى بيان شرفه ولا سقى ثم ولا تحية (٤) بنى نهشل منصوب على الاختصاص ولورفعه لقال انا بنو نهشل ومعنى لاندعى لاب لا تنتسب لاب غير أينا ، وقوله ولا هو بالاباء الخ . معناه انه راض بنا كما نحن راضون به (٥) يقال ابتدرنا الغاية والى الغاية أى استبقنا اليها ، وقوله لمكرمة أى لاكتساب مكرمة والمصلى من أسماء خيل الحلبة وهي عشرة (٦) الاقتلاء . الاقتطام والاخذ عن الام (٧) يوم الروع يوم الحرب ، والالف في أغلينا الاشباع (٨) يياض المفارق كناية عن نقاء العرض وانتفاء الدم واليبس ، وتغلى مراجلنا أى حروبنا ، ونأسو : نداوي ومعناه انهم أغنياء لا يطعم الناس في مقاصتهم بل يكتفون منهم بأخذ الدية (٩) الكماة جمع كأم كما يقال فاز وغزاة وذلك من قولهم كمن نفسه في السلاح اذا توارى فيه ، يقول انى من جماعة أفتتهم الاطاعة والاغاثة والنجدة والاقدام في الحروب (١٠) خالهم أى ظنهم معناه انهم لشدة بأسهم وقوة حماسهم لا يعترفون بشجاعة غيرهم

إذا البكاة تنحوا ان يصيبهم حدّ الظبابة وصلناها بأيدينا^(١)
ولا تراهم وان جلّت مصيبتهم مع البكاة على من مات يبكونا
وزركب الكره أحياناً فيفرجه عنا الحفاظ وأسياف^(٢) تواتينا^(٣)
والفرسان كثيرون لا يستوعبهم مثل هذا المقام . وقد ذكر أبو عبيدة
في كتاب (مقاتل الفرسان) شيئاً كثيراً من ذلك وهو كتاب جليل لم يسبق
اليه فمن أراد الاستيفاء فعليه بذلك الكتاب . فان فيه بغيته ، ويجد هناك ضالته ،
والله ولي التوفيق .

الكلام على نيران العرب في الجاهلية

قد أروع العرب بإيقاد النيران ينهبون بها على عوارض حدثت ، وحوادث
عرضت ، وهي كثيرة .

منها (نار القرى) وهي نار توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل ،
وتسمى أيضاً (نار الضيافة) وكانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة لتكون أشهر
وربما يوقدونها بالمندى الرطب (وهو عطر ينسب الى مندل وهو بلد من بلاد
الهند ونحوه مما يتبخر به) ايتهدى اليها العميان وأشبارهم ناطقة بذلك . وهذه
النار عندهم أجل سائر النيران ، بسبب أنها تهدي الى بيوتهم الضيفان ، وكانوا
يتمدحون بها في شعرهم . قال الأعشى : —

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة^(٢) إلى ضوء نار في يفاع^(٣) تحرق^(٣)
تشب^(٤) لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق^(٤)

(١) الظبابة جمع ظببة وهي حد السيف ، وقوله وصلناها بأيدينا هذا الكلام كناية عن علو
همتهم في الحرب وطول باعهم فيها (٢) الكره المكروم وركوبه كناية عن وقوعهم فيه
وقصدهم اليه ، والحفاظ المحافظة والذب عن المحارم ، وتواتينا : توافقتنا

(٣) اليفاع مثل سلام مارتقع من الارض (٤) المقرور من أصابه القربالضم البرد أو يختص
بالشتاء وعنى بالمقرورين الندى والمخلق ، الندى الجود والمخلق لقب عبد العزيز بن حنتم بن شداد
ابن ربيعة بن عبد الله بن عبيد بن كلاب العامري ، وضبطه صاحب اللسان كما حدث لانه حصان له

ومنها (نار المزدلفة) وهي التي توقد حتى يراها من دفع من عرفة وأول من أوقد النار بالمزدلفة قصي بن كلاب وهي على ما يقال باقية الى اليوم .
ومنها (نار التحالف) كانوا اذا أرادوا الحلف أوقدوا ناراً وعقدوا حلفهم عندها ودعوا بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ، ويحل العقد ، وكانوا يطرحون فيها الملح والكبريت فاذا استشاطت قالوا للحالف « هذه النار تهددتك » فان كان مبطلاً نكل وان كان بريثاً حلف ولهذا سموها أيضاً (نار المهول) وانما خصوها لانها لا ينتفع بها من بين أنواع الحيوان غير الانسان .
ومنها (نار الغدر) كانوا اذا غدر الرجل بجاره أوقدوا النار بمنى أيام الحج على أحد الأخشين (١) ثم صاحوا هذه غدره فلان ليحذره الناس .

عضه في خده وكانت العضة كالحلقة هذا قول أبي عبيدة ، أو أصابه سهم عزب فكوى بحلقة مقرض فبقى أثرها في وجهه ، وهذا أحد من رفته ما قيل فيه من الشعر بعد التحول وذلك أن الاعشى قدم مكة وتسامع الناس به وكانت للمحلق امرأة طاقلة وقيل بل أم فقالت له : إن الاعشى قدم وهو رجل مفوه مجذود في الشعر مامدح أحداً الا رفته ، ولا هجا أحدا الا وضعه ، وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر ذو بنات وعندنا لقحة نعيش بها فلو سبقت الناس اليه فدعوته الى الضيافة ونحرت له واحتات لك فيما تشتري به شرابا يتعاطاه لرجوت لك حسن العاقبة فسبق اليه المحلق فانزله ونحله ووجد المرأة قد خبزت خبزاً وأخرجت نجياً فيه سمن وجاءت بوطن لبن فلما أكل الاعشى واصحابه وكان في عصاة قيسية قدم اليه الشراب واشتوى اليه من كبد الناقة واطعمه من اطايها فلما جرى فيه الشراب وأخذت منه الكاس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه وذكر البنات فقال الاعشى كيف أمرهن واصبح بمكاف ينشد قصيدته :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشوق

ورأى المحلق اجتماع الناس فوقف يستمع وهو لا يدري أين يريد الاعشى بقوله إلى ان سمع :

نقى الذم عن آل المحلق جفنة كجاية الشيخ العراق تفهق

ترى القوم فيها شارعين وبينهم مع القوم ولدان من النسل دردق

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق

تشب لمقرورين بصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

رضيعي لبان ندى أم تجالفا بأسحم داج عوض لا تتقرق

ترى الجوديجرى ظاهر افوق وجهه كإزان متن الهندواني رونق

فما أتم القصيدة الا والناس ينسلون إلى المحلق يهنؤنه والاشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جربا

يخطبون بناته لمكان شعر الاعشى فلم تسم واحدة منهن الا في عصمة رجل أفضل من أيها ألف ضعف

(١) الاخشبان جبال مكة وهما أبو قيس وقبيعةان ويقال بل هما أبو قيس والاحمر وقال ابن وهب

الاشخبان جبال من اللذان تحت العقبة وكل خشن غليظ من الجبال فهو خشب .

ومنها (نار السلامة) وهي التي توقد للقادم من سفر سالماً غانماً .
ومنها (نار الطرد) كانوا يوقدون بها خلف من يمضي ولا يشتهون رجوعه
وكانوا يقولون في الدعاء عليه « أبعده الله وأسحقه وأوقد ناراً أثره »
ومنها (نار الالهبة ^(١)) للحرب كانوا اذا أرادوا حرباً وتوقعوا جيشاً أوقدوا
ناراً على جبلهم ليلبغ الخبير فيأتونهم .

ومنها (نار الصيد) وهي نار توقد للظباء لتعشى اذا نظرت اليها ويطلب
بها أيضاً بيض النعام .

ومنها (نار الاسد) وهي نار يوقدون بها اذا خافوه وهو اذا رأى النار استهالها
فشغلته عن السابلة . وقال بعضهم : اذا رأى الاسد النار حدث له فكر يصدده عن
ارادته والضعف اذا رأى النار تحير وترك النقيق .

ومنها (نار السليم) توقد للطلوع اذا سهر والمجروح اذا نزع والمضروب
بالسياط ولمن عضه الكلب الكلب لئلا يناموا فيشتد بهم الأمر ويؤدي الى
الهلاك .

ومنها (نار الفداء) وذلك أن الملوك اذا سبوا القبيلة خرجت اليهم السادة
للفداء فكرهوا أن يعرضوا النساء نهراً فيفتضحن ، وفي الظلمة يخفي قدر
ما يجبسون لانفسهم من الصفي فيوقدون النار ليعرضن .

ومنها (نار الوسم) كانوا يقولون للرجل ما نارك ؟ على الاستخبار عن الابل
أى ماسمتك وما علامتك في ابلك فيبينها لهم . وحكى أن بعض لصوص العرب
قرب إبلا للبيع في (سوق عكاظ) فقبل له : ما نارك ؟ وكان أغار عليها من كل
وجه وإنما مثل عن ذلك لانهم يعرفون ميسم كل قوم وكرم ابلهم من لؤمها .
فقال :

تسألني الباعةُ أين نارها إذ زعزعتها فسمت أبصارها ^(٢)

(١) بالضم المدققة واهبة الحرب عدتها (٢) الباعة جمع بائع ، والنار السمة والعرب تقول

كلُّ نَجَارٍ اِبِلٍ نَجَارُهَا وَكُلُّ نَارِ الْعَالَمِينَ نَارُهَا (١)
ويروى أن البيتين هكذا : -

تسألني الباعة ما نجارها إذ زعزعوها فسمت أبصارها
فكل دار لا ناس دارها وكل نار العالمين نارها

ومنها (نار الاستمطار) كانت العرب في الجاهلية الأولى اذا احتبس عنهم المطر يجمعون البقر ويعقدون في أذنانها وعراقيبها (٢) السلع (٣) والعُشْر (٤) ويصعدون بها في الجبل الوعر ويشعلون فيها النار ويزعمون ان ذلك من أسباب المطر وسيأتي الكلام على هذه النار عند البحث عن عوائدهم التي جبهها الاسلام .

وأما (نار الحرّتين) (٥) فقد كانت في بلاد عبس فاذا كان الليل فهي نار تسطع وفي النهار دخان يرتفع وربما بدر منها عنق فأحرق من مرّ بها فحفر لها خالد ابن سنان فدقها فكانت معجزة له كذا في الأوائل لا سمعيل الموصلی . وروى الكلبي أنه كان يخرج منها عنق مسيرة ثلاثة أيام لا يمر بشيء الا أحرقه وأن خالد ابن سنان أخذ من كل بطن من بني عبس رجلاً فخرج بهم نحوها ومعه درّة حتى انتهى الى طرفها وقد خرج منها عنق كأنه عنق بعير فاطط بهم فقالوا هلكت

ما نار هذه الناقة ؟ أي ماسمتها سميت ناراً لأنها بالنار توسم ويروى ابن دارها موضع أين نارها ، والزهزعة : الحركة الشديدة ، وسما بصره : علا (١) النجار بالكسر والضم الاصل والحسب ويقال اللون ، وقوله كل نجار ابل نجارها مثل في المخطط قال الجوهري أي فيه كل لون من الاخلاق ولا يثبت على رأي واحد نقله عن أبي عبيدة ونصه وليس له رأي يثبت عليه ومن أمثالهم (نجارها نارها) أي سميتها تدل على نجارها يعني الابل (٢) جمع عرقوب بالضم وهو من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في بدنها (٣) محرّكة شجر مر ، قال أبو حنيفة الدينوري أخبرني امرابي من أهل الشراة أن السلع يثبت بقرب الشجرة ثم يتعاقبها فيرتقي فيها جبلاً خضراً لا ورق لها ولكن قضبان تلتف على الفصون وتتشبك وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار فاذا أبيض أسود فتأكله القروود فقط ولا يأكله ولا السائمة ، قال ولم اذقه وأحسبه مرأ قال واذا قصف سل منه ماء لزج صاف له سعايب (٤) كصرد شجر فيه حراق مثل القطن لم يقتدح الناس في أجود منه ويحشى في الخاد لنعومته وقال ابو حنيفة الشمر من العضاء وهو من كبار الشجر وله صمغ حلبي وهو عريض الورق يثبت صعداً في السماء (٥) هي التي ذكرها الشاعر بقوله :

ونار الحرّتين لها زفير يصم لهوله الرجل السميع

والله امتياخُ بنى عبس آخر الدهر . فقال خالد : كلا وجعل يضربه بالدرة ويقول :
 بدا بدا كل هدى الله يوحى أنا عبد الله خالد بن سنان فضرب حتى رجع فجعل
 يتبعه والقوم يتبعونه كأنه ثعبان ينحط في حجارة الحوة^(١) حتى انتهى إلى قائب^(٢)
 فانساب^(٣) فيه فدخل خلفه طويلاً فقال ابن عم له يقال له عروة بن شبه لا أرى
 خالداً يخرج اليكم فخرج ينطف وهو يقول زعم ابن راعنة المعزى إني لا أخرج
 بقبيل لهم بنو راعنة المعزى

وأما (نار السعالى) فهو شئ يقع للمتغرب والمتقفر قال أبو المضراب عبيد
 بن أيوب : -

والله در الغول أى رفيقة لصاحب دو خائف متقفر^(٤)
 أرنت بلحن بعدلحن وأوقدت حوالى نيراناً تبوخ وتزهر^(٥)
 وأما (نار الجباحب) فكل نار لا أصل لها مثل ما يقتدح من نعال الدواب وغيرها
 وأما (نار البراعة) فهي طائر صغير اذا طار بالليل حسبته شهاباً وضرب
 من الفراش اذا طار بالليل حسبته شراراً . وأول من أورى نارها أبو جباحب
 ابن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاة . فقالوا
 (نار أبي جباحب) ومن حديثه ما ذكر عن ابن الكلبي قال كان أبو جباحب رجلاً
 من العرب فى سالف الدهر بنجيلاً لا توقد له نارٌ بليل مخافة أن يقتبس منها فان
 أوقدها ثم أبصرها مستضى اطفأها فضربت العرب به المثل فى البخل والخلف

(١) بالضم سواد الى الحضرة والحوة جانب الوادى (٢) هو حفر فى الارض (٣) أى مشى
 مسرعاً وفى الحديث : ان رجلاً شرب من سقاء فانسابت فى بطنه حية ، فنهى عن الشرب من فم
 السقاء ، أى دخلت وجرت مع جريان الماء (٤) الغول بالضم احد الغيلان وهو جنس من
 الجن والشياطين وهم سحرتهم كفى حياة الحيوان ، وقال الجوهري هو من السعالى والجمع أغوال
 وغيلان وكل ما اغتال الانسان فاهلكه فهو غول ، والدو : الفلاة الواسعة البعيدة الاطراف ،
 والمتقفر : المتطلب والمتبع ، وفى حديث يحيى بن يعمر « ظهر قبلنا ناس يتقفرون العلم » أى يتطلبونه
 (٥) أرنت : صاحت ، واللحن : اللغة بلغة بنى كلاب وبه فسر قول عمر (رض) : تعلموا
 اللحن فى القرآن أى تعلموا كيف لفة العرب فيه الذين نزل القرآن بلغتهم كذا فى التاج وانشد
 هذا البيت وآخر قبله ، وبأخت النار : سكنت وفترت ، وزهرت النار زهوراً أضاءت

فقالوا (اخلف من نار أبي جباح) وقال ابن الشجري في أماليه : جباح رجل كان لا ينتفع بماله لبخله فنسب اليه كل نار لا ينتفع بها فقيل لما تقدحه حوافر الخيل على الصفا نار الجباح ، قال النابغة في وصف السيوف : (ويوقدن بالصفاح نار الجباح ^(١)) . وجعل الكميت اسمه كنية للضرورة في قوله : —
يرى الراؤن بالشفرات منها كنار (أبي جباح) والظيونا ^(٢)

وقال القطامي

الا انما نيران قيس اذا شتوا لطارق ليل مثل نار الجباح ^(٣)
انتهى وهذا هو التحقيق لا ما ذكره الموصلي تبعاً للعسكري في أوائله قال ابن قتيبة في أبيات المعاني في نار التحالف : كانوا يحلفون بالنار ، وكانت لهم نار يقال أنها كانت بأشواف اليمن لها سدة فاذا تفاقم الأمر بين القوم فخلف بها انقطع بينهم وكان اسمها (هولة) و (المهولة) ، وكان سادنها إذا أتى برجل هيبه من الخلف بها ولها قيم يطرح فيها الملح والكبريت فاذا وقع فيها استشاطت وتنفضت فيقول « هذه النار قد تهددتك » فان كان مريباً نكل ^(٤) وان كان بريئاً حلف قال الكميت : —

هم خوفونا بالمعنى هولة الردى كما شب نار الخالفين المهولة ^(٥)

وقال الكميت وذكر امرأة :

(١) الصفاح كرمات حجارة عراض دقاق الواحدة صفاحة (٢) الشفرات جمع شفرة وشفرة السيف : حده ، وظبة السيف : طرفه وأصلها ظبو والهاء عوض من الواو والجمع أظب في أقل العدد مثل أدل وظبات وظبون بالواو والنون ومعنى البيت يرى الراؤن في شفرات السيوف وحدها لمعناً وبريقاً كنار هذا الطائر والظيونا معطوف على الشفرات ، وترك الشاعر صرف أبي جباح لانه جعل جباح اسماً لمؤنث وروى وقود موضع كنار (منها) الضمير فيه للسيوف (٣) شتا الرجل بالبلد أقام به شتاء وشتا القوم أجذبوا في الشتاء خاصة ، والطارق : الآتي بالليل وسمى لحاجته الى دق الباب وفي الحديث نهي المسافر أن يأتي أهله طروقاً أي ليلاً (٤) نكص ورجع (٥) الهوة الوهدة العميقة والحفرة البعيدة المقر ، والردى : الهلاك ، وشب النار : أوقدها ، والهول كمحدث المحاف وهو سادن النار الذي يطرح الملح فيها .

فقد صرّتُ عمّا لها بالمشيب زوالاً لديها هو الأزول^(١)
كهولةٍ ما أوقد المحلفون لدى الخالفين وما هولوا^(٢)
وقال أوس :^(٣)

إذا استقبلته الشمس صدّاً بوجهه كما صد عن نار المهول حالفُ
وقال أيضاً في نار الأهبة : كانوا إذا أرادوا حرباً أو توقعوا جيشاً وأرادوا
الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبل لتجتمع إليهم عشائرهم فاذا جدوا وأعجلوا أوقدوا
نارين وقال الفرزدق :

ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا نارين أشرفتا على النيران
وكانوا يضربون المثل بنار الغضا في الحرارة لأن الغضا من بين سائر العيدين
لا يصلح الا للوقود فكانه خلق للنار لا غير قيل إن جمره يبقى أكثر من يوم
(ونار الحلقى) يضرب بها المثل في سرعة الايقاد والانطفاء
(ونار العرفج) وتسمى (نار الزحف) وذلك لأن العرفج اذا التهبت فيه
النار أسرع وعظمت فمن كان يقربها يزحف عنها . ثم لا يلبث أن تنطفىء من
ساعتها فيحتاج الذي زحف عنها الى أن يرجع اليها من ساعتها فلا يزال المصطلي
بها كذلك ويضرب بها المثل فيمن لا يستقر على حال « ومن الاستعارات » في
النار (نار الشرف) و (نار المسرة) و (نار الحرب) وقد أوع الشعراء بوصفها
في أشعارهم قديماً وحديثاً .

صفة اقتراح العرب بالزند والزندة

لما ذكرنا نيران العرب ومذاهبهم فيها ناسب التنبيه على منشأ مادتها عندهم
وقد ذكر أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات صفة الزند والزندة وكيفية القتل
فلا بأس بإيراده هنا . قال : أفضل ما اتخذت منه الزناد شجرتا المرخ والعفار بفتح

(١) عن اللحياني هو يزول في الناس أي يكثر الحركة ولا يستقر وزول أزول على المبالغة
وقال أبو السمع الأزول ان يأتيه امر يمنع الفرار (٢) الهولة : نار السدنة التي يحلفون عليها
(٣) وهو ابن حجر يصف حمار وحش

العين المهملة بعدها فاء فتكون الاثني وهي الزندة السفلى مرخاً ويكون الذكر وهو
الزند الاعلى عفاراً . أخبرني بعض علماء الاعراب أن لعفار شجر يشبه صغار
شجر الغبيراء^(١) منظره من بعيد كمنظرة : وأما المرخ فقد رأيت ينبت قضيباناً
مسحة طوالاً لا ورق لها . ولفضل هاتين الشجرتين في سرعة الوري وكثرة النار
سار قول العرب فيهما مثلاً فقالوا : (في كل الشجر نار . واستمجد المرخ والعفار)
أي ذهباً بالمجد فكان الفضل لهما ولذلك قال الاعشى :

زنادك خير زناد الملو كخالط فيهن مرخ عفارا

ويختار أن تكون الزندة من المرخ والزند من العفار . ومن فضيلة المرخ
في كثرة النار وسرعة الوري ما ذكر أبو زياد الكلابي فإنه قال ليس في الشجر كله
أوري زناداً من المرخ قال وربما كان المرخ مجتمعاً ملتفاً وهبت الريح فحك بعضه
بعضاً فأوري فاحترق الوادي كله . ولم تر ذلك في شيء من الشجر . ثم بعد أن
ذكر الاشجار التي تتخذ منها الزناد قال : وصفة الزندة عود مربع في طول الشبر
أو أكثر وفي عرض أصبع أو اشف وفي صفحاتها فُرَضٌ وهي نقر الواحدة منها
فُرَضَةٌ وتجمع فُرَاضاً أيضاً . والزند الأعلى نحوها غير أنه مستدير وطرفه أرق من
سائره « فلما وصف الاقتداح بها » فإن المقتدح إذا أراد أن يقتدح بالزند وضع
الزندة ذات الفراض بالارض ووضع رجله على طرفيها ثم وضع طرف الزند الاعلى
في فُرَضَةٍ من فراض الزنده وقد تقدم فيها في الفُرَضَةِ مجرى النار الى جهة الارض
بحز وقد حزه بالسكين في جانب الفُرَضَةِ ثم قتل الزند بكفه كما يقتل المثقب وقد
التى في الفُرَضَةِ شيئاً من التراب يسيراً يبتغي بذلك الخشنه ليكون الزند أعمل
في الزندة وقد جعل الى جانب الفُرَضَةِ عند مفضي الحزورية تأخذ فيها النار فإذا
قتل الزند لم يلبث الدخان أن يظهر ثم يتبعه النار فتتحدر في الحز وتأخذ في الريبة
وتلك النار هي السقط . انتهى كلامه باختصار كثير من لب اللباب ، والله الموفق .

(١) قال المجد : الغبراء نبات كالغبيراء أو الغبراء ثمرته والغبيراء شجرته أو بالعكس

الكلام على ملوك العرب في الجاهلية

وما يناسب ذلك

كان للعرب في الجاهلية ملوك واقبال ، وسادات يتولون أمورهم في سائر الاحوال ، واني ذاكر في هذا المقام ، من ملوك النواحي ماخصه العلماء الأعلام .

ملوك اليمن

قال ابن قتيبة وغيره : أول من حي بتحية الملك (أبيت اللعن وانعم صباحاً) يعرب بن قحطان فولد له يشجب وولد ليشجب سبأ . وقيل إنه أول من سبى السبي من ولد قحطان واسمه عبد شمس وقيل عامر . وأول الملوك من ولده حمير بن سبا ملك حتى مات هرمياً ولم يزل الملك في ولد حمير لا يمدو ملكهم اليمن حتى مضت قرون وصار الملك الى الحرث الرأش وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً فخرج من اليمن وغزا وجلب الاموال فراش الناس وبذلك سعى . وفي عصره مات لقمان صاحب النسور وهو لقمان الذي بعثته عاد في وفدها الى الحرم يستسقى لها فلما اهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات سمر ، من أظب عفر^(١) ، في جبل وعر ، لا يمسه القطر ، أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاختر النسور . فكان آخر نسوره يسمى لبد أو قد ذكرت الشعراء قال النابغة :

أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد^(٢) وسماه لبداً معتقداً فيه أنه أبد فلا يموت ولا يذهب ويزعمون أنه حين كبر قال له : أنهض لبد ، فانت نسر الابد ! ولقمان هذا هو ممن آمن بهود عليه السلام وهلك قومه لكفرهم به فأهلكهم الله تعالى بالريح سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ،

(١) أظب جمع ظبي وعفر جمع أعفر وهو ماتعلو يياضه حمرة أو الذي في سراته حمرة واقرباه يفض أو الايض ليس بالشديد البياض (٢) يروى امست خلاء وامسى أهلها الخ ، وأخنى عليهم الدهر : أتى عليهم واهلكهم

فلم تدع منهم أحداً . وسلم هود ومن آمن معه وارسلت عليهم يوم الاربعاء فلم تدر
الاربعاء وعلى الارض منهم حتى . وأما لقمان المذكور في القرآن فهو غيره . وكان
ملك الرأش مائة وخمسة وعشرين سنة وذكر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم :
انشد ابن قتيبة له : -

وأحمد اسمه ياليت انى أعمّر بعد مبعثه بعام
ثم ابرهة ذو المنار بن الرأش وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة ثم افريقيس
ابن ابرهة وهو الذى بنى أفريقية وبه سميت وكان ملكه مائة وستين سنة . ثم
العبد بن ابرهة وهو ذو الاذعار سعى بذلك لقوم سباهم منكرو الوجوه تزعم
اليمين انهم النسناس وكان ملكه خمسة وعشرين سنة . ثم هدهاد بن شرحبيل بن
عمرو بن الرأش وهو أبو بلقيس ملك سنة واحدة . ثم بلقيس الى أن أسلمت على
يدى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام . ثم ناشر بن عمرو بن يعفر بن
شرحبيل وكان ملكه خمسة وثمانين سنة . ثم شمر بن افريقيس وهو الذى أخرب
مدينة سمرقند وبه سميت شمر كند ومعنى كند أخربها وهو الذى سعى يرعش
لارتعاش كان به . وكان ملكه مائة وسبعاً وثلاثين سنة . ثم ابنه الأقرن بن شمر
يرعش وكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة . ثم ابنه كليكرب ولم يغز حتى مات وكان
ملكه خمسة وثلاثين سنة . ثم ابنه تبع بن كليكرب وهو أبو كرب تبع الأوسط
وكان يغزو بالنجوم ويعمل أعماله كلها بأحكامها . ويقال انه آمن بالنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وهو القائل فيه :

شهدت على (احمد) أنه رسول من الله بارى النسمة (١)

ولو مدّ عمرى الى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

ومن شعره

قد كان ذو القرنين قبلى مسلماً ملكا تدين له الملوك وتحشد

(١) قوله بارى أى خالق ، والنسمة جمع نسمة وهي نفس الروح

من بعده بلقيس كانت عمى ملكتهم حتى أتاها الهدى
وكان إيمانه قبل أن يبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسبعائة سنة وهو
الذى غزا جديساً وقتل اليمامة التى سميت جو اليمامة وقصتها شهيرة . . ثم عمرو
ابن تبع أخو حسان وكان ملكه ثلاثاً وستين سنة . ثم عبد كلال بن مشوب وكان
على دين عيسى عليه السلام يسراً إيمانه وكان ملكه أربعاً وسبعين سنة . ثم تبع
ابن حسان وهو الأصغر وكان الحرث بن عمرو بن حجر جد امرئ القيس ابن أخته
وتبع هذا هو الذى عقد الحلف بين ربيعة واليمن وهو الذى ادخل فى اليمن دين
اليهود وكان ملكه ثمانى وسبعين سنة . ثم أخوه لأمه مرثد بن عبد كلال .
وقيل مزيد وكان ملكه احدى وأربعين سنة . ثم ابنه وليعة بن مرثد ملك سبعاً
وثلاثين سنة . ثم ابرهة بن الصباح ملك ثلاثاً وسبعين سنة وكان يكرم معداً ويعلم
ان الملك كائن فى ولد النضر بن كنانة . ثم حسان بن عمرو بن تبع بن كلى كرب
ملك سبعاً وخمسين سنة ومدحه خالد بن جعفر بن كلاب لما شفعه فى أسارى من
قومه . ثم ذو الشناتر . واسمه نخينة ينوف ولم يكن من أهل بيت المملكة لكنه
من أبناء المقاول قتله ذو نؤاس . وكان غلاماً من أبناء الملوك حسن الوجه له
ذؤابتان أراداه على نفسه فرماه بخنجر كان قد أعده له فقتله ورضيته حميراً لا نفسها
لما أراحها من ذى شناتر . وذو نؤاس صاحب الأخدود الذى ذكره الله تعالى
وكان يهودياً نخذ الأخدود لقوم من أهل نجران تنصروا على يدى رجل من
قبل آل جفنة دعاهم الى اليهودية فأبوا فخرقهم . ثم ظهرت الحبشة على اليمن فخاربوا
ذائؤاس أشد حرب فلما أيقن بالهلاك اعترض بفرسه فكان آخر العهد به . ثم
قام بعده ذو جدن فهزمته الحبشة واقتحم البحر فهلك . وملك اليمن ابرهة الأشرم
وهو الذى زحف الى مكة بالفيل فهلك جيشه وابتلى بالأسكلة فحمل الى اليمن فهلك
بها . وملك بعده ابنه يكسوم ومات سيرته باليمن واستجاش عليه سيف بن
ذى يزن كسرى فجيش له جيشاً عظيماً وقد مات يكسوم . وولى بعده مسروق أخوه

وهو أخو سيف لأمه فقتلت الحبشة وسبيت نساؤهم وأقام سيف ملكاً من قبل كسرى حتى غدره خدامه من الحبشة ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده . ثم بُعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأنكشفت به الظلمة ، واهتدت بهديه الأمة ، واستقر الملك في نصابه ، بعد الخلفاء الأربعة من أصحابه ، ممن وجبت طاعته ، وصحت بيعته ، كذا في عمدة ابن رشيقي ببعض زيادة . وفي لب الباب بعد أن تكلم في الأذواء :
 ومنهم ذو الكلاع الأكبر وذو الكلاع الأصغر وأدرك الأصغر الإسلام كتب إليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع جرير بن عبد الله البجلي فأسلم وأعتق يوم أسلم أربعة آلاف عبد وهاجر بقومه في أيام أبي بكر رضي الله عنه إلى المدينة ثم سكنوا حمص (واشتقاق الكلاع بضم الكاف وفتحها من الكلع بالتحريك وهو شقاق ووسخ يكون في القدم يقال منه كلعته رجلاه) . ومنهم ذو عشكلان (بفتح العين وسكون المثناة وهو اسم مرتجل) . وذو ثعلبان بالضم (وهو ذكر الثعالب) وذو زهران وذو مكارب (أي ذو مفاصل شداد جمع مكرب ككرم) . وذو مناخ (بالضم) وكان نزل ببعلبك . وذو ظليم واسمه حوشب (وهو العظيم البطن والظلم ذكر النعام) وشهد ذو ظليم صفين مع معاوية . انتهى المقصود من نقله . وقد رأيت كتاباً حافلاً في ملوك اليمن وبيان ما كانوا عليه وما وقع لهم من الوقائع والحوادث والله أعلم .

ملوك الشام من العرب الجاهلية

كان بالشام سليح وهم من غسان ويقال من قضاة . أول ملوكهم النعمان ابن عمرو بن مالك ، ثم من بعده ابنه مالك ، ثم ابنه عمرو بن مالك إلى خروج مزيقياء وهو عمرو بن عامر من اليمن في قومه من الأزد وسمى مزيقياء لأنه كان يمزق كل يوم حلة لا يعود إلى لبسها ثم يهبها وسمى عامر ماء السماء^(١) لأنه كان

(١) ماء السماء لقب عامر بن حارثة الأزدي وهو أبو عمرو مزيقياء الذي خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم فسمي بذلك لأنه كان إذا أجدب قومه ما بهم — أي احتمل رؤيتهم أي قوتهم —

يحتجى في المحل فينوب عن الغيث بالرغد . ثم ابن حارثة الغطريف ابن امرىء
القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن قاتل الجوع . ثم دراء بن الأزد ومعه
رجل يقال له جندع بن سنان فنزلوا بلاد عك فقتل جندع ملك بلاد عك . واقترقت
الأزد والملك فيهم حينئذ ثعلبة بن عمرو بن عامر فانصرف عامله فحارب جرهم
واجلاهم عن مكة واستولوا عليها زماناً ثم أحدثوا إحدائاً . وجاء قصي بن كلاب
فجمع معداً وبذلك سمي مجعاً واستعان ملك الروم فأعانه وحارب الأزد فغلبهم
واستولى على ملكه دونهم فلما رأته الأزد ضيق العيش بمكة ترحلت وأنخرعت
خزاعة^(١) لولاية البيت وبذلك سميت فسار بعض الأزد الى السواد فملكوا عليهم
مالك بن فهم وهو أبو جذيمة الأبرش ، وسار قوم الى يثرب وهم الأوس والخزرج
وسار قوم الى عمان ، وسار قوم الى الشام وفيهم جندع بن سنان وأتاه عامل الملك
في خرج وجب عليه فدفع اليه سيفه رهناً ، فقال الرومي أدخله في كذا من أم الآخر
فغضب جندع وقنعه^(٢) به فقتله فقيل « خذ من جندع ما أعطاك » وسارت مثلاً ،
وولوا الشام ، فكان أولهم الحارث بن عمرو ، ومحرق سمي بذلك لأنه أول من
حرق العرب في بيوتها وهو الحارث الأكبر يكنى أبا شمر . ثم ابنه الحارث بن

حتى يأتيهم الخصب فقالوا هو ماء السماء لانه خلف منه وقيل لولده بنو ماء السماء وهم ملوك الشام ،
قال بعض الانصار :

انا ابن مزيقيا عمرو وجدى أبوه عامر ماء السماء

وماء السماء أيضاً لقب أم المنذر بن امرىء القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمي
وهي ابنة هوف بن جشم من النجر بن قاسط وسميت بذلك لجمالها وقيل لولدها بنو ماء السماء وهم
ملوك العراق قال زهير :

ولازمت الملوك من آل نصر وبعدهم بني ماء السماء

وفي حديث أبي هريرة أمكم هاجر يا بني ماء السماء يريد العرب لانهم كانوا يتبعون قطر السماء
فينزلون حيث كان (١) خزاعة بلالام حتى من الازد سمو بذلك لانهم لما ساروا مع قومهم من مأرب
فانتهوا الى مكة تمخزعوها عن قومهم أي تخلفوا عنهم وأقاموا بمكة ، وفي الصحاح : لأن الازد لما
خرجت من مكة لتتفرق في البلاد تخلفت عنهم خزاعة واقامت بها . قال الشاعر :

فلما هبطنا يطن مر تخزعت خزاعة عنا في حلول كراكر

(٢) قنع رأسه بالسيف : غشاه به ضرباً

أبي شمر وهو الحارث الاعرج وأمه مارية ذات القرطين^(١) وهي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية الكندي وأختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار^(٢) الكندي . عن أبي عبيدة قال : كان أبو قيس بن رفاعة يَفِدُ سنة إلى النعمان اللخمي بالعراق وسنة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام . وقال له يوماً وهو عنده : يا ابن رفاعة بلغني عنك أنك تفضل النعمان علي ؟ فقال : « وكيف أفضله عليك أبيت اللعن فوالله لقفاك أحسن من وجهه . ولا منك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولحرمانك أجود من نداءه ، ولقليلك أنفع من كثيره ، ولثمالك أغزر من غديره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجدولك أغمر من بحوره ، وليومك أفضل من شهره . ولشرك أبر من دهوره ، ولزندك أوري من زنده ، ولجيدك أغر من خده ، وانك لمن غسان أرباب الملوك ، وانه لمن لحم الكثيري النوك ، فكيف أفضله عليك ؟ » وإلى الحارث الاعرج زحف المنذر الأكبر فانهزم جيشه وقتل هو ثم الحرث الأصغر . ثم الحرث الاعرج بن الحرث الأكبر . ومن ولد الحرث الاعرج عمرو بن الحرث وكان يقال له أبو شمر الأصغر . وله يقول النابغة الذبياني : —

على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب^(٣)

(١) القرط الشنف أو الملق في شحمه الاذن وفي المثل خذه ولو بقرطي مارية قال في التاج : هي بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية الكندي أم الحرث بن أبي شمر الغساني وهي أول عرية تقرطت وسار ذكرها قرطيها في العرب وكانا نفيسي القيمة قيل أنها قوما بأربعين ألف دينار وقيل كانت فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما وقيل هي امرأة من اليمن أهدت قرطيها إلى البيت يضرب في الترغيب في الشيء وإيجاب الحرص عليه أي لا يفوتك على حال وان كنت تحتاج في احرازه إلى بذل النفائس

(٢) قال أبو عبيدة أخبرني ابن الكلبي أن حجراً أنما سمي آكل المرار لان ابنة كانت له سبهاها ملك من ملوك سليج يقال له ابن هبولة فقالت له ابنة حجر كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل آكل المرار يعني كاشراً عن انيابه فسمى بذلك وقيل غير ذلك ، والمرار بالضم شجر مر من أفضل العشب وأضخه إذا أكلته الابل قلصت عنه مشافرها فبذت أسنانها واحده مرارة (٣) قوله ليست بذات عقارب أي هينة غير ممنونة والعقارب المنن على التشبيه وعيش ذو عقارب إذا لم يكن سهلاً وقيل فيه شروخ شونة قال الاعمش :

حتى إذا فقد الصبو ح يقول عيش ذو عقارب

والنعمان بن الحرث هو أخو الحرث الأصغر . وله يقول النابغة :
هذا غلامٌ حسنٌ وجهه مستقبل الخير سريع التمام
والنعمان هذا ثلاثة بنين عمرو وحجر والنعمان . ومن ولد الاعرج أيضاً
المنذر والأبهم أبو جبلة ، وجبلة آخر ملوك غسان وكان طوله اثني عشر شبراً
وهو الذي تنصر ^(١) في أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

ملوك الحيرة من العرب

الحيرة هي أرض في العراق بلدة كانت قريبة من الكوفة . قال الهمداني
في كتاب (جزيرة العرب) : سار تبع أبو كرب في غزوته الثانية فلما أتى موضع
الحيرة خلف هناك مالك بن فهم بن غنم بن دوس على أنقاله وتخلف معه من ثقل
من أصحابه في نحو اثني عشر ألفاً وقال تحيروا هذا الموضع فسمي الموضع الحيرة
(وهو من قولهم تحير الماء إذا اجتمع وزاد وتحير المكان بالماء إذا امتلأ) ، فمالك
أول ملوك الحيرة وأبوهم وكانوا يملكون ما بين الحيرة والانبار وهيت ونواحيها
وعين التمر وأطراف البرارى الغمير والقطقطانة وحفية وكان مكان الحيرة أطيب
البلاد وأرقه هواءً وأخفه ماءً وأعدبه تربة واصفاه جواً قد تعالى عن عمق الارياض ،
واتضع عن حزونة الغائط واتصل بالمزارع والجنان والمتاجر العظام لأنها كانت من
ظهر البرية على مرفأ ^(٢) سفن البحر من الهند والصين وغيرهما انتهى . . قال
ابن رشيقي في العمدة : وملك بعد مالك بن فهم ابنه جديمة بن مالك وهو الابرش
والوضاح وكان ملكه ستين سنة . ثم عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمي

(١) حدثنا شيخنا المؤلف أنه عثر بعد تأليف هذا الكتاب وطبعه على نسخة مخطوطة قديمة
من كتاب (ما اختلف فيه) واختلف معناه) لابن الشجري ، فرأى فيه تكذيب قصة جبلة مع امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيه أن جبلة ارتد من نفسه ، وهذا الكتاب أرسله صاحبه بواسطة
الإستاذ الى بعض الوراقين في مصر للطبع فانكره عامه الله ببدله ويقال أنه قد باعه لبعض الافرنج
والطامة أعظم ! والكتاب نفيس جم الفوائد كبير المنفعة فريدى باب نادر الوجود (٢) يقال رفاً
السفينة يرفؤها رفاً ادناها من الشط والموضع مرفأ بالفتح ويضم ككرم واختاره الصاغاني

وعمر و هذا هو ابن أخت جذيمة الأبرش وفيه قيل « شب عمرو عن الطوق »^(١) ثم امرؤ القيس بن عمرو بن عدى . ويقال بل الحرث بن عمرو وانه هو الذي كان يدعى محرقاتاً . ثم النعمان بن امرئ وهو النعمان الأكبر الذي بنى الخورنق ، وكانت له خمس كتائب الرهائن والصنائع والوضائع والأشاهب ودوسر أما (الرهائن) فإنهم خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ، ثم يجيئ بدلمهم خمسمائة أخرى وينصرف أولئك الى أحيائهم فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في أموره . وأما (الصنائع) فبنو قيس وبنو تيم اللات ابني ثعلبة وكانوا خواص الملك لا يرحون بابه . وأما (الوضائع) فأنهم كانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملوك العرب وكانوا أيضاً يقيمون سنة ثم يأتي بدلمهم الف رجل وينصرف أولئك وأما (الأشاهب) فاخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من اعوانهم سموا الأشاهب لأنهم كانوا بيض الوجوه . وأما (دوسر) فأنها كانت أخشن كتائبه وأشدّها بطشاً ونكايَةً « وكانوا من كل قبائل العرب وأكثرهم من ربيعة سميت دوسراً اشتقاقاً من الدسر وهو الطعن بالثقل لثقل وطئها قال الشاعر :

ضربت (دوسر) فيهم ضربةً أثبتت أوتادَ ملكٍ فاستقر^(٢)

وكان ملك العرب عند رأس كل سنة وذلك أيام الربيع تأتيه وجوه العرب وأصحاب الرهائن وقد صير لهم أكلاً عنده وهم ذوو الآكال فيقيمون عنده شهراً ويأخذون آكلهم ويبدلون رهائهم وينصرفون الى أحيائهم ؛ (والآكال سادة الأحياء الذين يأخذون المربع^(٣)) . ثم المنذر بن امرئ القيس وهو المنذر الأكبر بن ماء السماء أبو النعمان الأكبر . ثم المنذر بن المنذر وهو الأصغر .

(١) يضرب مثلاً للشيء يكبر عنه الانسان وياه عنى السرى بقوله :

تصاحي فاضحي بعد سلوته شبا وطود عمرو طوقه بعد ماشيا

(٢) البيت للمثقب العبدى يمدح عمرو بن هند (٣) بكسر الميم ربع الغنية كان رئيس القوم يأخذه لنفسه في الجاهلية ثم صار خمساً في الاسلام

ثم أخوه عمرو بن المنذر وهو عمرو بن هند وسمى محرراً أيضاً^(١) لانه حرق بني تميم . وقيل بل حرق نخل اليمامة . ثم النعمان بن المنذر صاحب النابغة الذبياني وهو آخر ملوك نخم . ثم ولى بعده إياس بن قبيصة الطائي ثمانية أشهر . واضطرب ملك فارس وضعف . وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم وأتى الله تعالى بالاسلام فمزأهه بالنبي عليه الصلوة والسلام .

قصة عمرو بن عدى اللخمي

أول ملوك الحيرة من نخم مع خبر عدى

ملك عمرو بن عدى الحيرة بعد خاله جذيمة مائة وثمان عشرة سنة وهو أول من ملك من ملوك نخم وكان مدة ملك نخم بالحيرة خمسمائة سنة ، وكان من حديث عدى أن جذيمة قال ذات يوم لندمائه : لقد ذكر لي غلام من نخم في اخواله من بني إياد له ظرف وأدب فلو بعثت إليه ووليته كأسى ، والقيام على رأسى ، لكان الرأى . فقالوا : الرأى مارآه الملك فليبعث اليه ففعل فلما قدم عليه قال : من أنت ؟ قال : أنا عدى بن نصر فولاه مجلسه فعمشته رقاش بنت مالك أخت

(١) كان عمرو بن هند شديد البأس وكان له أخ مسترضع في بني تميم فخرج يوم يتصيد فمر بابل لرجل من بني تميم فرأى فيها ناقة حسنة فرماها فقمرها فبجاء صاحبها فلما رآها معقورة وثب عليه فقتله ، فنذر عمرو بن هند أن يقتل من بني تميم مائة بدلاً منه ففزعهم يوم ادارة فسبى ما أصاب في بلادهم واقبل يقتلهم على الثنية وآلى ليقتلهم حتى يبلغ الدم الى الارض وليحرقهم تخفيل له أيها الملك لترفعن السبف أوقد أفئيتهم ! فقال والله لا تركنهم أو تأنوني بمائة رجل من خيارهم فطلبوا فلم يوجد منهم الا تسعة وتسعون رجلاً فلما جرى بهم أمر بحفر زبية فاحتفرت له ، ثم قال اضرموا ناراً والقوا فيها الحطب فاججت نار عظيمة فقال القوا فيها رجلاً رجلاً وبقى واحد من نذره فبيناهم كذلك اذهم برجل راكب قد طلع عليهم وكان من البراجم فأبصر الدخان ووجد قنار لحومهم (أى ريج لحومهم وعظامهم المحرقة) على بعد فظن أنه طعام يصنع للناس فاقبل نحوهم فلما بلغ ورأى مارأى جزع فقال عمرو انظروا من الرجل فأخذ فأتى به اليه فقال من أنت ؟ فقال أبيت اللعن انا وافد البراجم ، فقال عمرو : (ان الشقى وافد البراجم) ، ثم أمر به فحذف في النار فتم نذره ، والبراجمة من بني تميم ، وفي ذلك يقول جرير يعير الفرزدق :

واخزاكم عمرو كما قد خزيتم وادرك عماراً شقى البراجم

جذيمة فقالت له : يا عدى اذا سقيت القوم فامزج لهم وعرق للملك (أى امزج له قليلاً كالعرق) فاذا أخذت الخمر منه فاخطبني اليه فانه يزوجك فاشهد القوم ان فعل . ففعل الغلام وخطبها فزوجه واشهد عليه وانصرف اليها فعرفها فقالت : عرس بأهلك . فلما أصبح غدا متضمخاً بالخلوق ^(١) فقال له جذيمة : ماهذه الآثار يا عدى ؟ قال : آثار العرس . قال : وأى عرس ؟ قال . عرس رقاش . فنخر ^(٢) وأكب على الأرض ورفع عدى جرابمزه ^(٣) فأسرع جذيمة في طلبه فلم يجده وقيل بل قتله وبعث اليها : -

حدثيني وأنت لا تكذبيني أبحر زنيته أم بهجين ^(٤)

أم بعبد فأنت أهل لعبد أم بدون فأنت أهل لدون ^(٥)

فأجابته رقاش .

أنت زوجتي وما كنت أدري وأثنى النساء للزين

ذاك من شربك المدامة صرفاً وتماديك في الصبا والمجون ^(٦)

فنقلها جذيمة اليه وحصنها في قصره فاشتملت على حمل وولدت غلاماً فسمته عمراً حتى إذا ترعرع حلتة وعطرته ثم ازارته خاله فاعجب به وألقيت عليه محبة منه . ثم ان جذيمة نزل منزلاً وأمر الناس أن يجتنوا له الكفاة فكان بعضهم إذا وجد شيئاً منها يعجبه أثر به نفسه على جذيمة وكان عمرو بن عدى يأتيه بخير ما يجد فعندها يقول عمرو :

هذا جنائ وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه

ثم ان الجن استهوته فطلبه جذيمة فلم يسمع له خبراً فكف عنه ثم أقبل رجلاً

(١) التضمخ لطنخ الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر ، والخلوق على وزن صبور ضرب من الطيب

(٢) أى مد الصوت والنفخ في خياشيمه (٣) أى نكس وفر (٤) رواية الفاموس :

(حدثيني وأنت غير كذوب) ، والهجين : اللثيم (٥) عبد ولد من أمة أو من أبوه خير من

أمه ، والدون : الخسيس (٦) المدامة : الخمر ، وصر فأى لم تمزج ، والمجون : الهزل

من بنى القين يقال لأحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالخ و يروى فارح^(١) - من الشام وهما يريدان الملك بهدية فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها أم عمرو فنصبت لها قدراً وهيأت لها طعاماً فينماها يأكلان إذ أقبل رجل أشعث الرأس قد طالت أظفاره وساءت حاله ومدّ يده فناولته القينة طعاماً فأكله ، ثم مدّ يده فقالت القينة أعطى العبد كراعاً فطلب ذراعاً فأرسلتها مثلاً . ثم ناولت صاحبها من شرايهما وأوكت سقاءها . فقال عمرو بن عدى :

صددت الكأسَ عنا أمَّ عمرو وكان الكأسُ مجراها اليمين
وما شر الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا نُصبحينا^(٢)

ويروى هذا الشعر لعمرو بن كلثوم التغلبي . ويقال ان عمرو بن كلثوم أدخله في معلقته فقال له الرجلان : من أنت ؟ قال : أنا عمرو بن عدى فقاما إليه وسلما عليه وقلما أظفاره وقصرا من شعره وألبساه من طرائف ثيابهما . وقالا : ما كنا نهدى الى الملك هدية هي أنفس عنده ولا هو عليها أحسن عطاء من ابن اخته قد رده الله عليه فلما وقفا بباب الملك بشراه فسرَّ به وصرفه الى أمه وقال : لكما حكما . فقالا : حكما منادمتك ما بقيت وبقينا . قال : ذلك لكما . فهما ندمانا جذيمة المعروفان وإياها عنى متمم بن نويرة بقوله في مرثيته لأخيه مالك بن نويرة وكنا كندمانى جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا^(٣)

(١) في القاموس ابنا فارح (بالراء والجيم) قال الشارح كذا في العباب ويقال ابنا فالج أيضاً باللام كما في شرح الدرديدية لابن هشام اللخمي (٢) قوله صددت المشهور صببت أى صرفت وصبحت فلاناً أى ناولته صبوحاً من لبن أو خمر ، وقد زعم بعض الرواة أن هذين البيتين لعمرو بن معديكرب وأخذهما عمرو بن كلثوم في معلقته (٣) الحقة من الدهر مدة لا وقت لها ، ويضرب المثل بمالك وعقيل لطول ما نادماه كما يضرب بإجماع الفرقدين ، والبيتان من قصيدته المشهورة المتخيرة في المرائي ونذكر بعضاً منها فمن ذلك قوله :

أقول وقد طار السنن في ربابه وغيث يسح الماء حتى تريبا
سقى الله أرضاً حلح أقبر مالك ذهاب الغوادي المدجنات فأمرها
وآثر بسيل الوادين بديمة ترشح وسمياً من التبت خروها
تحيته منى وان كان نايساً واضحى تراباً فوقة الارض بلقما

فلما تفرقنا كآنى ومالكاً لطلول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا
وقال أبو خراش الهذلى يرثى أخاه عروة :

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا ندبما صفاء مالك وعقيل
وروى أن جديمة كان لا ينادم أحداً كبيراً وزهواً وكان يقول : أنا أعظم
من أن أنادم الا الفرقدين فكان يشرب كأساً ويصّب لكل واحد منهما كأساً
فلما أتى مالك وعقيل نادماه أربعين سنةً ما أعاد عليه حديثاً ثم ان أم عمرو جعلت
فى عنقه طوقاً من ذهبٍ لنذر كان عليها ثم أمرته بزيارة خاله فلما رأى لحيته والطوق
فى عنقه قال «شب عمرو عن الطوق» فذهبت مثلاً وأقام عمرو مع خاله جديمة قد
حمل عنه عامة أمره الى أن قتل

فما وجد اظآر ثلاث روائم
بذكرن ذا البت الحزين بيته
بأوجع منى يوم فارقت مالكا
وكنا كندمانى جزيمة الخ البيتين
وعشنا بنجر فى الحياة وقبلنا
فان تكن الايام فرقن بيننا
تقول ابنة العمري مالك بعدما
فقلت لها: طول الاسى اذ سألتنى
وفقد بنى ام تفتاوا فلم أكن
ولست اذاما الدهر أحدث نكبة
ولا فرح ان كنت يوماً بغبطة
ولكننى امضى على ذلك مقدماً
فعمرك الا تسمينى ملامة
وقصر كانى قد شهدت فلم أجد
فلو ان مالتى أصاب متالعا

وفىها:

وفىها:

لقد كفن المنهال تحت ردايمه
ولا برم تهدى النساء لعرسه
ليبيا أطان اللب منه سباحة
تراه كنصل السيف بهزل لندى
اذا ابتدر القوم القداح واوقدت
بمثنى الايادى ثم لم تلف مالكا
فتى غير مبطان العشية أروعا
اذا القشع من برد الشتاء تقعقا
خصيبا اذا مارا تد الجذب أو ضعا
اذا لم تجيد عند امرى السؤ مطما
لهم نار ايسار كفى من تضجعا
على الفرث يحمى اللحم ان يتمزا

قصة قصير مع الزباء وخبر قتل جذيمة

كان جذيمة من أفضل الملوك رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدهم نكايَةً . وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق كما مر . وكانت منازلها ما بين الأنبار وبقعة وهيت وعين التمر وأطراف البر والقطةطانة والخيرة فقصد في جموعه عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العاملي من عاملة العماليق فجمع عمرو جموعه ولقيه فقتله جذيمة وفض جموعه فانفلوا وملكوا بعده عليهم ابنته الزباء . وكانت من أحزم النساء ما روى في نساء زمانها أجمل منها ، وكانت كبيرة الهمة فخافت أن يغزوها ملوك العرب فأنخذت لنفسها نفقاً^(١) في حصن كان لها على شاطئ الفرات وسكرت الفرات في وقت قلة الماء وبنت في بطنه أزجا^(٢) من الآجر^(٣) والكلس^(٤) متصلاً بذلك النفق وجعلت نفقاً آخر في البرية متصلاً بمدينة أختها ثم أجرت الماء عليه فكانت اذا خافت عدواً دخلت النفق . فلما استجمع لها أمرها أرادت أن تغزو جذيمة نائرة بأبيها فقالت لها أختها . وكانت ذات رأي وحزم : الرأي ابغى اليه فاعلميه أنك قد رغبت في ان تزوجيه وتجمعي ملكك الى ملكه وسليه أن يجيبك فان اغتر ظفرت به بلا مخاطرة . فكتبت اليه بذلك فاستخفه الطمع وشاور أصحابه فكل صوب رأيه في قصدها واجابتها إلا (قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن نمارة بن نخم) فقال : « هذا الرأي فائر ، وغدر حاضر ، فان كانت صادقة فلتقبل اليك والآن فلا تملكها من نفسك » فلم يوافق جذيمة قوله وزحل اليها ، فلما دخل عليها أمرت بقطع

(١) محرقة سرب في الارض له مخلص الى مكان آخر ومنه قوله تعالى فان امتطعت أن تبغني نفقاً في الارض أو سلماً في السماء (٢) في القاموس الازج محرقة ضرب من الاية وفي الصحاح والمصباح واللسان : الازج بيت يبنى طولاً ويقال له بالفارسية أوستان (٣) هو اللبن بكسر الباء اذا طبخ بمد الهمة والتشديد أشهر من التخفيف الواحدة آجرة وهو عرب بالكسر النورة وأخلطها قال عدى بن زيد العبادي :

شاده مرمر أوجلاه كلساً فلطير في ذراه وكور

رواهش^(١) ونزف دمه^(٢) الى أن مات فخرج قصير الى عمرو بن عدى ابن أخت
جذيمة ، فقال : هل لك في أن أصرف الجنود اليك على ان تطلب بدم خالك ،
فجعل ذلك له فأتى القادة والاعلام فقال : أنتم القادة والرؤساء وعندنا الاموال
والكنوز فانصرف اليه منهم بشر كثير وملكوا عمرو بن عدى فقال قصير :
انظر ما وعدتني به في الزباء . قال : وكيف وهي (امنع من عقاب الجو^(٣)) فقال
إذا أبيت فاني جادع أنفي وأذني ومحتال لقتلها فاعنى وخلاك ذم . فقال له عمرو :
أنت أبصر فجدع قصير أنه ثم انطلق حتى دخل على الزباء . فقال : أنا قصير
لا ورب البشر ما كان على ظهر الأرض أحد كان أنصح لجذيمة مني ولا أغش
لك حتى جدع عمرو بن عدى أنفي وأذني فعرفت أني لم أكن مع أحد أثقل عليه
منك . فقالت : أي قصير تقبل ذلك منك ونصرفك في بضاعتنا فأعطته مالا
للتجارة فأتى بيت مال الخيرة فأخذ مما فيه بأمر عمرو بن عدى ما ظن أنه يرضيها
وانصرف اليها به ، فلما رأت ما جاء به فرحت به وزادته ولم يزل بها حتى آنت
به ، فقال لها يوماً إنه ليس من ملكة ولا ملك الا وينبغي لها ان تتخذ نفقاً تهرب
اليه عند حدوث حادثة . فقالت : إني قد فعلت ذلك تحت سريري هذا يخرج
الى نفق تحت سرير أختي وأرته إياه فأظهر سروراً بذلك وخرج في تجارته كما كان
يفعل وعرف عمرو بن عدى ما فعله فركب عمرو في أنفي دارع على ألف بعير
في جوالق حتى اذا صاروا اليها تقدم قصير ودخل على الزباء ، فقال : اصعدى
حائط مدينتك فانظري الى مالك فاني قد جئت بمال صامت^(٤) وقد كانت أمنته
فلم تكن تهمة . فلما نظرت إلى ثقل مشى الجمال قالت وقيل انه مصنوع
منسوب اليها :

(١) هي عروق ظواهر الكف (٢) أي سال دمه حتى افرط (٣) مثل يضرب في الرفعة
والمنعة ويقال ان أول من تكلم به هو عمرو بن عدى (٤) الصامت من المال الذهب والفضة
والناطق منه الحيوان من الابل والغنم

ماللجمال مشيها وئيدا أجنذلاً يحملن أم حديدا^(١)

الأبيات المشهورة . فلما دخلت الأبل خرجوا من الجوالق فثاروا بأهل
المدينة ضرباً بالسيف ودخلوا عليها قصرها فهربت تريد السرب فوجدت قصيراً
قائماً عنده بالسيف فانصرفت راجعة واستقبلها عمرو بن عدى فضربها وقيل
بل مصت خاتمها ، وقالت « بيدي لا بيد عمرو » وخربت المدينة وسبيت الذراري
وغنم عمرو كل شيء كان لها ولأبيها وأختها ، والله مالك الأمر كله^(٢)

(١) مشى مشياً وئيداً أى على تؤدة ، والجندل ما يقله الرجل من الحجارة وقيل هو الحجر كله

(٢) قلت : وقد ذكر عدى بن زيد العبادى غدر الزباء بجذيمة الأبرش فى قصيدة طويلة
فاحببت أن أورد منها ما يناسب المقام ، قال :

الم تسمع بخطب الأولينا	الا يابها المترى المرجي
(جذيمة) ينتحى عصباً ثميناً	دعا (بالبقعة) الامراء يوماً
وكان يقول لوتبع اليقيناً	فظاوع أمرهم وعصى (قصيراً)
ليملك بضعها ولأن تدينا	ودست فى صحيفتها اليه
على أبواب حصن مصلتينا	ففاجأها وقد جمعت فيوجاً
ويدي للفتى الحين الميناً	فاردته ورغب النفس يردى
ولم أرمثل فارسها هجيناً	وحدثت (العصا) الانباء عنه
والفى قولها كذباً وميناً	وقددت الاديم لرامشيه
وهن المندبات لمن منينا	ومن حذر الملاوم والنخازى
ليجدهه وكان به ضنيناً	أطف لاتفه الموسى قصير
طلاب الوتر مجدوعاً مشيناً	فاهواه لمارته قاضحى
غوائله وما أمنت أميناً	وصادفت امرءاً لم تخش منه
يجر المال والصدر الضفيناً	فلما ارتد منها ارتد صلباً
وقنع فى المسوح الدارعيناً	اتتها العيس تحمل مدهاها
بشكته وما خشيت كميناً	ودس لها على الانفاق (صمراً)
يصك به الحواجب والجيناً	فجلها قديم الاثر عضباً
تكن (زباء) حاملة جنيناً	فأضحت من خزائنها كأن لم
وأى معبر لا يبتليناً	وابرزها الحوادث والمنايا
عطقن له ولو فرطن حيناً	اذا أمهلن ذاجد عظيم
ولو ائرى ولو ولد البتينا	ولم أجد الفتى يلهو بشيء

ألقاب الملوك الدائرة بين العرب

وما يناسب ذلك

كانت العرب تسمى (قيصر) لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم قال المسعودى فى كتابه مروج الذهب : وتفسير (قيصر) أى شق عنه وذلك أن أغسطس الذى هو الثانى من ملوكهم ماتت أمه وهى حامل به فشق بطنها فكان هذا الملك يفتخر فى وقته بان النساء لم تلده وكذلك من حدث بعده من ملوك الروم انتهى . وتسمى من ملك الفرس (بكسرى) و (النجاشى) لمن ملك الحبشة و (المقوقس) لمن ملك الاسكندرية . و (فرعون) لمن ملك مصر كافراً . و (بطليموس) لمن ملك الهند . ولهم أعلام أجناس غير ذلك ذكرها الحافظ عماد الدين المعروف بابن كثير الدمشقى فى تاريخه المسمى بالبداية والنهاية . واذواء اليمن بعضهم ملوك وبعضهم أقبال والقبيل دون الملك . قال فى الصحاح : والقبيل ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم والمرأة قبيلة واصله قيل بالتشديد كأنه الذى له قول أى ينفذ قوله والجمع أقوال وأقبال أيضاً ومن جمعه على أقبال لم يجعل الواحد منه مشدداً والمقول بالكسر القبيل أيضاً بلغة أهل اليمن والجمع المقول . وفى القاموس : القبيل الملك أو من ملوك حمير يقول ماشاء فينفذ كالقبيل أو هو دون الملك الأعلى ، وفيه أيضاً أن التبابعة ملوك اليمن الواحد كسكر ولا يسمى به إلا اذا كانت له حمير وحضرموت . وفى كتاب أسرار اللغة : أرداف الملوك فى الجاهلية الوزراء فى الاسلام والردافة كالوزارة قال لبيد :

وشهدت أندية الافاقة عالياً كعبى وأرداف الملوك شهود

والاقبال لحمير كالبطاريق للروم والقواد للعرب انتهى . وفى لب الباب : الردف بكسر فسكون هو الذى يجلس على يمين الملك فاذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس واذا غزا الملك قعد الردف فى موضعه وكان خليفته على الناس

حتى ينصرف واذا عادت كتيبة الملك أخذ الردف ربع الغنيمة ، وكان لهم « عرفاء » والعريف عندهم القيم بأمر القبيلة والمحلة يلي أمرهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم ، وهو الذي عناه طريف بقوله :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة^١ بعثوا الي عريفهم يتوسم^(١)

(١) كانت فرسان العرب اذا كان أيام عكاظ في الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضاً تقنعوا حتى لا يعرفوا ، وذكر عن طريف بن تميم العنبري هذا انه كان لا يتقنع كما يتقنعون فوافي عكاظ سنة وقد حشدت بكر بن وائل وكان طريف قبل ذلك قد قتل شراحيل الشيباني فقال حصيصة بن شراحيل أروني طريفاً فاروه اياه فجعل كلما مر به طريف تأمله ونظر اليه حتى فطن له طريف فقال له : مالك تنظر الي مرة بعد مرة ؟ فقال : اتوسمك لا عرفك فله على لثن لقبك في حرب لاقتلك أولتقتلي فقال طريف عند ذلك :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة
فتوسموني اني انا ذالكم
تحتي الاغر وفوق جلدي نثرة
حولي أسيد والهجوم ومازن
بعثوا الي عريفهم يتوسم ؟
شاكي السلاح في الحوادث معلم
زغف ترد السيف وهو مثلم
واذا حلت فحول بيتي خضم

ثم ان بني طائفة حلاء بني ربيعة من ذهل بن شيبان خرج منها رجلاان يصيدان فمرض لهما رجل من بني شيبان فدعر عليهما صيدهما فوثبا عليه فقتلاه فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلها فأبى بنو ربيعة عليهم ذلك فقال هاني بن مسعود وهو رئيسهم : يا بني ربيعة ان اخوانكم قد أرادوا ظلمكم فأنجازوا عنهم فغار قومهم فساروا حتى نزلوا بمناض ماء لهم فأبى عبد لرجل من بني ربيعة وسار الى بلاد تميم فاخبرهم أن حيا جريدا من بني بكر بن وائل نزل على مناض وهم بنو ربيعة والحى الجريد المنتقى من قومه فقال طريف : هؤلاء ثاري يا آل تميم انماهم أكلة رأس وأقبل في بني عمرو بن تميم فاندرت بهم بنو ربيعة فاتحاز بهم هاني بن مسعود رئيسهم الى علم مناض وأقاموا عليه وسبحوا بالاموال والسرح وصحبهم تميم فقال لهم طريف : افزعوا من هؤلاء الاكلب يصف لكم ماوراءهم ، فقال له بعض رؤساء قومه : اتقاتل أكلباً أحرزوا أنفسهم وتترك اموالهم ما هذا برأى ! وأبواعليه ، وقال هاني لاصحابه لا يقاتل رجل منكم فلهقت تميم بالنعم والعيال فأغاروا عليهما فلما ملأوا أيديهم من الغنيمة قال هاني لاصحابه : احموا عليهم فهزموهم وقتل يومئذ طريف بن العنبري قتله حصيصة الشيباني ابن شراحيل وقال في ذلك .

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل
واتيت حياً في الحروب محلهم
فوجدت قوماً يذموني ذمارهم
واذا دعوا ببني ربيعة شمروا
حشدوا عليك وعجلوا بقراهم
سلبوك درعك والأغر كليهما
سفهأ وأنت بعلم قد تعلم
والجيش باسم ايهم يستهزم
بسلا اذا هاب الفوارس اقدموا
بكتائب دور السماء تعلم
وحوا ذمار ايهم ان يشتموا
وبنو أسيد اسلموك وخضم

يريد أن له على كل قبيلة جنائيةً فإذا وردوا عكاظ طلبه الكافل بأمرهم وهذا مدح في العرب للجري منهم . وقيل إنما بمثوا إليه لأنه لا يتم اظهار مفاخرهم الا بحضوره لانه الرئيس على كل شريف ، والقاضي على كل مجد منيف ، وقد جاء ذكر العريف في حديث رواه أبو داود في سننه قال حدثنا مسدد حدثنا بشر بن الفضل حدثنا غالب بن القطان عن رجل عن أبيه عن جده : انهم كانوا على منهل من المناهل فلما بلغهم الاسلام جعل صاحب الماء لقومه مائة من الابل على أن يسلموا فأسلموا وقسم الابل بينهم وبدا له أن يرتجعها منهم فأرسل ابنه إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ائت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقل له أبي شيخ كبير وهو عريف الماء وانه يسألك أن تجعل لي العرافة بعده فأتاه فقال إن أبي يُقرئك السلام . فقال : عليك وعلى أبيك السلام . فقال : إن أبي جعل لقومه مائة من الابل على أن يسلموا فأسلموا وحسن اسلامهم ثم بدا له أن يرتجعها منهم أفهو أحق بها أم هم ؟ قال : ان بدا له أن يسلمها اليهم فليسلمها وان بدا له أن يرتجعها منهم فهو أحق بها منهم فان أسلموا فلهم اسلامهم وان لم يسلموا قوتلوا على الاسلام . فقال : إن أبي شيخ كبير وهو عريف الماء وانه يسألك أن تجعل لي العرافة بعده فقال ان العرافة حق ولا بد للناس من عرفاء ولكن العرفاء في النار . قوله العرافة حق يريد أن فيها مصلحة للناس ورفقا في الأمور ألا ترى أنه قال ولا بد للناس من عرفاء . وقوله العرفاء في النار معناه التحذير من التعرض للرئاسة والتأمر على الناس لما في ذلك من المحنة والفتنة وانه اذا لم يقيم بحقه ولم يؤد الامانة فيه أثم واستحق من الله سبحانه العقوبة وخيف عليه دخول النار « وأما الرائد » فهو الذي كان يتقدم القوم لطلب الماء والكلأ للنزول عليه . وكان اكل قبيلة من العرب رائد له بصر وخبرة بحال الأراضى والمياه وغير ذلك . قال الشاعر :

وقال رائدهم : ارسوا نزاولها فكل حتف امرئ يجرى بمقدار

أى أقيموا نقاتل فان موت كل نفس يجرى بقدر الله تعالى لا الجبن ينجيه
ولا الاقدام يرديه .

شروط السؤدد عند العرب

قال الجاحظ في كتاب شرائع المروءة : كانت العرب تسود على أشياء أما
مضر فتسود ذا رأيها ، وأما ربيعة فمن أطعم الطعام ، وأما اليمن فعلى النسب ،
وكان أهل الجاهلية لا يسودون الا من تكاملت فيه ست خصال : السخاء والنجدة
والصبر والحلم والتواضع والبيان وصار في الاسلام سبعا . وقيل لقيس بن عاصم :
بِمَ سُدَّتْ قَوْمِكَ ؟ قال ببذل الندى وكف الأذى ونصرة المولى ، وتعجيل
القرى . وقد يسود الرجل بالعقل والعفة والادب والعلم . قال بعضهم : السؤدد
اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة . وروى عن أبي بكر قال أخبرني الرياحي عن
العتبي عن رجل من الانصار من أهل المدينة قال قال معاوية لعرابة بن اوس
ابن حارثة الانصاري : بأى شئ سدت قومك يا عرابة ؟ قال اخبرك يا معاوية
بأنى كنت لهم كما قال حاتم . قال : وكيف ؟ قال فأنشده :

فاصبحتُ في أمر العشيرة كلها كذى الحلم برضى ما يقول ويعرف
وذلك أنى لأعدى سرايمهم ولا عن أخى حراتهم اتكف (١)
وانى لأعطي سائلى ولربما أكلف ما لا أستطيع فأكلف
وانى لمدوم اذا قيل حاتم نبا نبوة انّ الكريم يعنف
وانى - والله - لأعفو عن سفيهم ، وأحلم عن جاهلهم ، وأسعى في حوائجهم
وأعطي سائلهم ، فمن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن فعل أحسن من فعلى فهو أفضل

(١) السرماء الاشراف ، ونكف عنه : انف منه وامتنع ، ورواية البيت في ديوان حاتم المطبوع في
لندن سنة ١٨٧٢ م :

وانى أرمى بالمدواة أهلها وانى بالاعداء لا اتكف (فليحقق)

منى ، ومن قصر عن فعلى فأنا خير منه . فقال معاوية : لقد صدق الشماخ
اذ يقول فيك : -

رأيت عرابة الأوسى يسمو الى الخيرات منقطع القرين
اذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابة بالمين^(١)
وقال الاصمعي : ذكر أبو عمرو بن العلاء عيوب جميع السادة وما كان
فيهم من الخلال المذمومة الى أن قال : مارأيت شيئاً يمنع من السؤدد الا قدرأيناه
في سيد ، وجدنا الحدائة تمنع السؤدد وساد أبوجهل بن هشام وماطر شاربه ودخل
دار الندوة^(٢) وما امتوت لحيته . ووجدنا البخل يمنع السؤدد ، وكان أبو سفيان
بخيلاً عاهراً . وكان عامر بن الطفيل بخيلاً قاهراً وكان سيدياً والظلم يمنع من السؤدد ،
وكان كليب بن وائل ظالماً وكان سيد ربيعة ، وكان حذيفة بن بدر ظالماً وكان
سيد غطفان والحق يمنع السؤدد ، وكان عيينة بن حصن أحمق وكان سيدياً وقلة
العدد تمنع السؤدد ، وكان شبل بن معبد سيدياً ولم يكن بالبصرة من عشيرته
رجلان والفقر يمنع السؤدد . وكان عتبة بن ربيعة مملقاً^(٣) وكان سيدياً . وينبغى
أن الذى يسوده قومه لا يسودونه الا لشيء من الخصال الجميلة والامور المحموده
رأها قومه فيه فسودوه لأجلها والله الموفق .

(١) ذكر المبرد وابن قتيبة ومحمد بن سعد أن الشماخ خرج يريد المدينة فلقبه عرابة بن
أوس فسأله عما أقدمه المدينة فقال : أردت اذا متار لاهلى وكان معه بمران فأوقرها عرابة تمراً
وبراً وكساء واكرمه فخرج من المدينة وامتدحه بالقصيدة التى يقول فيها :
رأيت عرابة الاوسى يسمو الخ ...

(٢) هى بمكة ، معروفة بناها قصى بن كلاب لانهم كانوا يندون فيها أى يجتمعون للمشاورة كما
في الصحاح وقال ابن السكبي وهى أول دار بنيت بمكة بناها قصى ليصلح فيها بين فريش ثم صارت
لمشاورتهم وعقد اللوية فى حروبهم ، وكانت الجارية اذا حاضت ادخلت دار الندوة ثم شق عليها
بعض ولد عبد مناف درعها ثم درعها اياه وانقلب بها اهلها فحجبوها ولا يعذر غلام اى يجتنن
الافيهما وكانت مخصوصة بولد عبد الدار ايضاً (٣) من الاملاق وهو الفقر

بيوتات العرب

إعلم أن كل أحد يدعى لنفسه سابقة ويمت^(١) بفضيلة غير أن الصحيح ما اتفق عليه العلماء وتداولته الرواة . قال ابن الكلبي : كان أبي يقول « العدد من تميم في بني سعد ، والبيت في بني دارم والفرسان في يربوع والبيت من قيس في غطفان ثم في بني فزارة والعدد في بني عامر والفرسان في بني سليم والعدد من ربيعة ، والبيت والفرسان في شيبان » قال ابن سلام الجمحي : كان يقال « اذا كنت من تميم ففاخر بمنظلة وكأثر بسعد وحارب بعمر . واذا كنت من قيس ففاخر بغطفان وكأثر بهوازن وحارب بسليم . واذا كنت من بكر ففاخر بشيبان وكأثر بشيبان وحارب بشيبان » . قال أبو عبيدة : ليس في العرب أربعة أخوة أتجب ولا أعد ولا أكثر فرساناً من بني ثعلبة بن عكابة . وكان يقال له الأغر والحصن وبنوه شيبان وذهل وقيس وتيم الله . قال : وفارس غطفان الربيع بن زياد العبسي وفاتكها الحارث بن ظالم وحكما هرم بن قطبة وجوادها هرم بن سنان المرى وشاعرها النابغة الذبياني . وفارس بن تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بني يربوع . وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم العنبري . وفارس دارم عمرو بن عمرو بن عدس . وفارس سعد فدكي بن المنقري . وفارس الرباب زيد الفوارس ابن حصين الضبي . وفارس قيس عامر بن الطفيل . وفارس ربيعة بسطام بن قيس . قال أبو عبيدة : بيوتات العرب ثلاثة : فبيت قيس في الجاهلية بنو فزارة ومركزه بنو بدر . وبيت ربيعة بنو شيبان ومركزه ذو الجدين . وبيت تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زرارة . وقال أبو عمرو بن العلاء : بيت بني سعد اليوم آل الزبرقان بن بدر من بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد . وبيت بني ضبة بنو ضرار بن عمرو الرديم . وبيت بني عدى بن عبد مناة آل شهاب من

(١) الت التوصل والتوصل بقرابة او حرمة او غير ذلك

بنى ملكان . وبيت التيم آل النعمان بن جساس . قال الجمحي : فارس اليمن في
بنى زبيد عمرو بن معد يكرب . وشاعرها امرؤ القيس وبيتها في كندة الأشعث
ابن قيس لا يختلف في هذا وإنما اختلف في نزار . قال : وأما الشرف ما كان قبل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واتصل في الاسلام وقال أبو أياس البصرى كان
بيت قيس في آل عمرو بن الظرب العدواني . ثم في غنى في آل عمرو بن يربوع
ثم تحول الى بنى بدر فجاء الاسلام وهو فيهم . وقال الاخفش : على بن سليمان فرعا
قريش هاشم وعبد شمس . وفرعا غطفان بدر بن عمرو بن لوذان ومسيار بن
عمرو بن جابر . وفرعا حنظلة رباح وثلعة ابنا يربوع . وفرعا ربيعة بن عامر بن
صعصعة جعفر وأبو بكر ابنا كلاب . وفرعا قضاة عذرة والحريث بن سعد ، قاله
ابن رشيقي في العمدة . ومن كان له شرف في الجاهلية لم يغيره الاسلام وعلى ذلك
ورد الحديث : الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا .
ووجه التشبيه ان المعدن لما كان اذا استخراج ظهر ما اختفى منه ولا تتغير صفته
فكذلك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها بل من كان شريفاً في الجاهلية فهو بالنسبة
الى أهل الجاهلية رأس فان أسلم استمر شرفه ، وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين
في الجاهلية . وأما قوله اذا فقهوا ففيه اشارة الى أن الشرف الاسلامي لا يتم إلا
بالتفقه في الدين ، وعلى هذا فتنقسم الناس أربعة أقسام مع ما يقابلها . الاول شريف
في الجاهلية أسلم وتفقه ويقابله مشروف في الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه . الثاني شريف
في الجاهلية أسلم ولم يتفقه ويقابله مشروف في الجاهلية لم يسلم وتفقه . الثالث شريف
في الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه ويقابله مشروف في الجاهلية أسلم ثم تفقه . الرابع شريف
في الجاهلية لم يسلم وتفقه ويقابله مشروف في الجاهلية أسلم ولم يتفقه . فأرفع الاقسام
من شرف في الجاهلية ثم أسلم وتفقه ويليه من كان مشروفاً ثم أسلم وتفقه ، ويليه
من كان شريفاً في الجاهلية ثم أسلم ولم يتفقه ، ويليه من كان مشروفاً ثم أسلم ولم
يتفقه . وأما من لم يسلم فلا اعتبار به سواء كان شريفاً أو مشروفاً وسواء تفقه أو

لم يتفقه . والمراد بالخيار والشرف وغير ذلك من كان متصفاً بمحاسن الاخلاق كالكرم والدفعة والحلم وغيرها متوقفاً لمساويها كالبخل والفجور والظلم وغيرها .

أول من سن الجوائز من ملوك العرب

قال أبو جعفر النحاس : أصل الجائزة أن يعطى الرجل ما يميزه لينذهب الى وجهه وكان الرجل إذا ورد ماء قال . لقيمه : أجزني ، أى اعطنى ماء حتى اذهب لوجهتى وأجوز عنك ثم كثر حتى جعلت الجائزة عطية . قال الراجز : -

يا قيِّم الماء فدتك نفسى أحسن جوازي وأقل حبسى

وقال ابن قتيبة : أصل الجائزة والجوائز ان قطن بن عوف^(١) بن أصرم من بنى هلال بن عامر بن صعصعة أحد رؤساء العرب ولى فارس لعبد الله بن عامر فربه الأحنف بن قيس فى جيشه غازيا الى خراسان فوقف لهم على قنطرة الكر فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه فكان يعطيهم مائة مائة فلما كثروا عليه قال أجيزوهم فأجيزوا فهو أول من سن الجوائز . قال الشاعر :

فِدَى لِّلْأَكْرَمِينَ بَنِي هَلَالٍ عَلَى عِلَاتِهِمْ عَمِي وَخَالِي
هُمْ سَنُوا الْجَوَائِزَ فِي مَعَدِّي فَصَارَتْ سَنَةً أُخْرَى اللَّيَالِي

وكان كثيراً ما تكون الجائزة بالبدره وهى عشرة آلاف درهم سميت بذلك لوفورها . قال بعضهم : ومنه سمى القمر ليلة أربع عشرة بدرأً لتمامه وامتلأته من النور . ويقال : بل لمبادرته الشمس . وقيل : بل البدره جلد السخلة إذا فطمت أو الجذع من المعز يملأ مالاً فسمى المال بدره باسم الوعاء مجازاً . والصلة ما أخذه الرجل من السلطان أول ما يتصل به ثم كثر ذلك حتى قيل لهبة الملك صلة . والله أعلم .

(١) وفى عمدة ابن رشيق (ج ٢ ص ٢٤٢) : عبد عوف

دراهم العرب في الجاهلية

اعلم أن الدراهم كانت في الجاهلية على نوعين مختلفين بغلية وطبرية نوع عليه نقش فارس ، والآخر نقش الروم . فالبغلية نسبة الى ملك يقال له رأس البغل وهي السود ، كل درهم منها ثمانية دوانيق والطبرية نسبة الى طبرية الشام وزن كل درهم منها أربعة دوانيق وهي العتق وفي هذا المقام تفصيل ذكره الامام الماوردي في الاحكام السلطانية وكذا غيره من العلماء الاعلام

تحية ملوك العرب في الجاهلية

وما يناسب ذلك

اعلم أن عادة الناس الجارية بينهم أن يجي بعضهم بعضاً عند لقاءه وكل طائفة لهم في تحيتهم ألفاظ وأمر اصطلاحوا عليها ، فكان العرب يقولون في تحيتهم بينهم في الجاهلية « أنعم صباحاً وانعموا صباحاً » فيأتون بلفظ انعموا من النعمة بفتح النون وهي طيب العيش والحياة ويصلونها بقولهم (صباحاً) لأن الصباح أول النهار فاذا حصلت فيه النعمة استصحب حكمها واستمرت اليوم كله فخصوها باوله ايديناً بتعجيلها وعدم تأخرها الى أن يتعالى النهار . وكذلك يقولون « أنعموا مساء » . فان الزمان هو صباح ومساء . فالصباح من أول النهار الى ما بعد انتصافه والمساء من بعد انتصافه الى الليل . ولهذا يقول الناس « صباحك الله بخير ومساءك الله بخير » فهذا هو معنى « أنعم صباحاً ومساءً » الا أن فيه ذكر الله . وفي اللب عند شرح قوله :

الأعم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعين من كان في العصر الخالي
قوله « عم صباحاً » هذه الكلمة تحية عند العرب يقال « عم صباحاً وعم
مساء وعم ظلاماً » والصباح من نصف الليل الثاني الى الزوال . والمساء من الزوال

الى نصف الليل الاول . قال ابن السيد فى شرح شواهد أدب الكاتب : يقال وعم يعم كوعد يعد وومق يمق ، وذهب قوم الى أن يعم محذوف من ينعم وأجازوا عم صباحاً بفتح العين وكسرها كما يقال أنعم صباحاً وأنعم ، وزعموا أن بعض العرب أنشأ « ألام صباحاً أيها الطلل البالى » بفتح العين . وحكى يونس أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن قول عنبرة (وعى صباحاً دار عبلة واسمى) (١) فقال هو من نعم المطر اذا كثر ونعم البحر اذا كثر زبده كأنه يدعو لها بالسقيا وكثرة الخير وقال الاصمعى والفراء : انما هو دعاء بالنعيم والاهل وهو المعروف وما حكاه يونس نادر غريب انتهى « وكان الفرس » يقولون فى تحيتهم « هزار صال بمانى » أى تعيش ألف سنة . وكل أمة لهم تحية من هذا الجنس أو ما أشبهه ولهم تحية يخصصون بها ملوكهم من هيات خاصة عند دخولهم عليهم كالسجود ونحوه ، وألفاظ خاصة يتميز بها تحية الملك من تحية السوقة ، كما كان العرب فى الجاهلية يخصصون ملوكهم عند التحية بقولهم « أبيت اللعن » أى أبيت أن تأتى من الأخلق المدمومة ما تلعن عليه وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام ، وكانت منازلهم الحيرة وما يليها . وتحية ملوك غسان « ياخير الفتيان » وكانت منازلهم الشام . وتحية بعض القبائل « اسلم كثيراً » وحكى ثعلب عن الفراء أن المشيخة كانوا يضيفون أبيت الى اللعن على الغلط لانه اذا أضافه خرج ذماً فيقول أبيت اللعن كأنهم شبهوه بالاضافة على الغلط وقال : أراد بيت اللعن أى يامن هو بيت اللعن والقول هو الاول . والمقصود من كل التحايا الحياة ونعيمها ودوامها ولهذا سميت تحية وهى تفعلة من الحياة ليلزمه من الكرامة لكن ادغم المثلان فصار تحية . وقد شرع الملك القدوس السلام تبارك وتعالى لأهل الاسلام تحية بينهم « سلام عليكم » . وكانت أولى من جميع تحيات الأمم التى منها ما هو محال

(١) صدره : (يادار عبلة بالجواء تكلمى) والجواء بلد فى نجد والبيت من مملقته الشهيرة

وكذب نحو قولهم « تيش ألف سنة » وما هو قاصر المعنى مثل « أنعم صباحاً »
ومنها ما لا ينبغي الا لله مثل السجود . فكانت التحية بالسلام أولى من
ذلك كانه لتضمنها السلامة التي لا حياة ولا فلاح الا بها فهي الاصل المقدم على
كل شئ ومقصود العبد من الحياة انما يحصل بشيئين بسلامته من الشر
وحصول الخير كانه . والسلامة من الشر مقدمة على حصول الخير وهي الاصل
ولهذا انما يهتم الانسان بل كل حيوان بسلامته أولاً ثم غنيته ثانياً . على
أن السلامة المطلقة تتضمن حصول الخير فانه لو فاته حصل له الهلاك والعطب
والنقص والضعف . فقوات الخير يمنع حصول السلامة المطلقة فتضمنت
السلامة نجاته من كل شر وفوزه بالخير فانتظمت الاصلين اللذين لا تتم الحياة
الا بهما مع كونها مشتقة من اسمه السلام ومتضمنة له وحذف التاء منها لما
ذكرنا من ارادة الجنس لا السلامة الواحدة . ولما كانت الجنة دار السلامة من
كل عيب وشر وآفة بل قد سلمت من كل ما ينقص العيش والحياة كانت
تحية أهلها فيها سلام والرب يحيمهم فيها بالسلام والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »

أديان العرب قبل الاسلام

اعلم أن العرب من عدنان وقحطان كانوا قبل ظهور عمرو بن لحي الخزاعي
فيهم على بصيرة من أمرهم يتعبدون بشريعة خليل الرحمن سيدنا ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وقد تلقوها من ولده نبي الله تعالى اسماعيل عليه السلام وهي
الحنيفية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يعتقدون أن الله تعالى واحد
لا شريك له ولا وزير ، ولا معين ولا ظهير . موصوف بصفات الكمال من
الحياة والقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام وغيرها من الصفات
التي أنبتها لنفسه في كتبه وجاءت على لسان رسله سالكين الطريق المستقيم فهو

موصوف بما وصف به نفسه كما يليق بجلال قدسه وأن ذاته لا تشبه الذوات كما أن صفاته لا تضاهي الصفات ليس كمثل شئ وهو السميع البصير وانه تبارك وتعالى منزّه عن كل مالا يليق به من صفات الأجسام وحوادث الأعيان والاجرام وانه المتفرد بملك الضرّ والتفيع والعطاء والمنع وغير ذلك من خواص الالهية التي لا يملكها إلا الآله ، عالمين أن لا معبود بحق في الوجود سواه فهو الآله الواحد الملتجأ في جميع الامور اليه ، المتوكل في كل الشؤون عليه ، يستحيل وصفه بالظلم اذ هو المالك المقسط العدل ولا يجب عليه شئ بل هو المتفضل على خلقه وله الفضل تعالى عن كل شبيهه ومعارض عالٍ على عرشه دانٍ بعلمه من خلقه أحاط علمه بالأمر ، وأنفذ في خلقه سابق المقدر ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فخلق عاملون بسابق علمه لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعا ، ولا يجدون الى صرف المعصية عنها دفعا ، خلق الخلق بمشيئته من غير حاجة كانت به ولم يزالوا يترددون من قدر الى قدر ، وأمره سبحانه نافذ فيهم فلا ينجيهم حذر ، والناس بأجلهم ميتون ، وبعد الضغطة في القبور مسؤولون ، وبعد البلاء ينشورون ويوم القيامة الى ربهم يحشرون ، وكما بدأهم له من شقاء وسعادة يومئذ يعودون وقد آمنوا بكل ما أنزل على نبيهم عليه الصلوة والسلام ، من أصول وفروع وأحكام ، وكانوا يصلون ويصومون ، ويحجون ويزكون ويصلون الارحام ، ويعينون على نوائب الحق ويكرمون الأضياف كل الاكرام ، الى غير ذلك من الأخلاق الحميدة ، والاعمال المرضية السديدة ، فلما طال الامد وبعثوا عن زمن النبوة كثر فيهم الجهل وقلت معرفتهم بما جاءت به شريعتهم من الهدى والدين المبين وجروا على شهوات أنفسهم واتبعوا كل ناعق وراجت عليهم الآراء الفاسدة ، والمذاهب الخبيثة الكاسدة ، حتى افرقت كلمتهم كل الاقتراب سيما بعد أن ظهر فيهم الخزاعي وشرع لهم من الدين ما لم يأذن به الله مما سيأتي

بيانه إن شاء الله تعالى ، فهناك انقسمت العرب في التعبد الى أقسام ، واقتروا الى أصناف حسب أدت بهم الوسوس والاهوام .

الموحدون من العرب

وهم من استبصر ببصيرته فاعترف بوجود الله وتوحيده ، ولم يدرك دعوة محمد صلى الله عليه وسلم بل بقي على أصل فطرته ونظر بعين بصيرته فلم يغير ولم يبدل وهم البقايا ممن كان على عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ملتزمين ما كانوا عليه من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة^(١) والوقوف على عرفة وهدى البدن^(٢) والاهلال^(٣) بالحج والعمرة وغير ذلك وهؤلاء اقتروا فمهم من بقي على أصل التوحيد وما استفاض من أفراد الله تعالى في عبادته التي تظافت على الارسال به جميع الرسل . ومنهم من اتبع من بقيت شريعته ولم تنسخ ملته كعيسى بن مريم عليه السلام . وهذا الصنف نزر يسير لم يكونوا إلا عدداً معلوماً في كل عصر الى زمن البعثة المحمدية .

(١) هي الحج الاصغر مأخوذة من الاعتمار وهو الزياره ، والتفصيل في الكتب الفقهية
(٢) جمع بدنة قالوا هي ناقة أو بقرة وزاد الازهري أو بعير ذكر قال ولا تقع البدنة على الشاة وقال بعض الأئمة البدنة هي الابل خاصة ويبدل عليه قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها سميت بذلك لعظم بدنها وانما ألحقت البقرة بالابل بالسنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم : تجزى البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ففرق الحديث بينهما بالمعطف اذ لو كانت البدنة في الوضع تطلق على البقرة لما ساغ عطفها لان المعطوف غير المعطوف عليه وفي الحديث ما يبدل عليه قال اشركنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج والعمرة سبعة منا في بدنة فقال رجل لجابر أنشرك في البقرة ما نشرك في الجزور فقال ما هي الا من البدن والمعنى في الحكم اذ لو كانت البقرة من جنس البدن لما جهلها أهل اللسان ولفهمت عند الاطلاق أيضاً (٣) أهل الملبى رفع صوته بالتلبية وأهل الحرم بالحج اذا لم يرفع صوته ، وقال الليث : المهل يهل بالاحرام اذا أوجب الحرم على نفسه تقول أهل بحجة أو بعمرة في معنى أحرم بها وانما قيل للاحرام اهلال لرفع الحرم صوته بالتلبية وأصل الاهلال رفع الصوت وقال الراجز :

يهل بالفرقد ركبائها كما يهل الراكب المعتمر

عبدة الأصنام

وهم الذين أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا الرسل وعبدوا الأصنام وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا اليها بالمناسك^(١) والمشاعر^(٢) وأحلوا وحرموا وهم الدهماء من العرب وإقرارهم بالخالق هو الذي يسمى توحيد الربوبية . وهو الذي أقرت به الكفار جميعهم ولم يخالف أحد منهم في هذا الأصل إلا الثنوية وبعض المجوس . وسيأتي الكلام على ما قالوه فيما يناسب من الأصناف . وأما غيرهما من سائر فرق الكفر والشرك فقد اتفقوا على أن خالق العالم ورازقهم ومدبر أمرهم ونافعهم وضارهم ومجبرهم واحد لا رب ولا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا نافع ولا ضار ولا مجبر غيره . كما قال سبحانه وتعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله » « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله » « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله » « قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله » . وكانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى والتقرب اليه لكن بطرق مختلفة . فرقة قالت : ليس لنا أهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقربنا اليه تعالى كما قال حكاية عنهم « ما نعبدكم إلا ليقربونا الى الله زلفى » . وفرقة قالت الملائكة ذووجاه ومنزلة عند الله فاتخذنا أصنامنا على هيئة الملائكة ليقربونا الى الله . وفرقة قالت جعلنا الأصنام قبلة لنا في عبادة الله تعالى كما أن الكعبة قبلة في عبادته . وفرقة اعتقدت أن على كل صنم شيطاناً موكلًا بأمر الله فمن عبد الصنم

(١) جمع منسك بفتح السين وكسرهما يكون زماناً ومصدراً ويكون اسم المكان الذي تذبج فيه النسبكية وهي الذبيحة وزنا ومعنى وفي التنزيل «ولسلك أمة جعلنا منسكاً» بالفتح والكسر في السبعة ومناسك الحج عباداته وقيل مواضع العبادات ومن فعل كذا فعليه نسك أى دم يريقه
(٢) مواضع المناسك

حق عبادته قضي الشيطان حوائجه بأمر الله . والا أصابه الشيطان بنكبة بأمر الله وهذا الصنف هم الذين أخبر عنهم التنزيل في قوله سبحانه « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنزاً أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلاً مسحوراً » فرد عليهم سبحانه بقوله « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق » . وشبهات العرب كانت مقصورة على إنكار البعث ووجد إرسال الرسل . فعلى الأول قالوا « اذا متنا وكنا تراباً وعظاماً انا لمبعوثون أو أبأؤنا الأولون » الى غير ذلك من الآيات وذكروا ذلك في أشعارهم . قال قائلهم :
حياةٌ ثم موتٌ ثم نشرٌ حديثٌ خرافةٌ يا أمَّ عمرو^(١)!

وقال شداد بن الأسود بن عبد شمس بن مالك يرثى كنفار قريش يوم بدر لما قتلوا وألقاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في القليب (وهى البئر التي لم تطو^(٢)) :

وماذا بالقليبِ قليبِ بدرٍ من الشيزى تزين بانسنام
وماذا بالقليبِ قليبِ بدرٍ من القينات والشرب الكرام
تحيينا السلامة أم بكرٍ فهل لى بعد قومي من سلام
يحدثنا الرسول بان سنحيا وكيف حياةٌ أصداءٍ وهامٍ

والشيزى بكسر المعجمة وسكون التحتانية بعدها زاي مقصور ؛ وهو شجر

(١) النشراحياء الميت ، وخرافة : رجل من بني عذرة استهوته الجن فلما خلت عنه رجع الى قومه وجعل يحدثهم بالاحاييب التي رأها فكذبوه فكانت العرب اذا سمعت حديثاً لأصل له قالت حديث خرافة ثم كثر هذا في كلامهم حتى قيل الإباطيل والترهات خرافات ، وخرافة كناية ولا يدخله الالف واللام لانه معرفة أى ان تريد به الخرافات الموضوعه من حديث الليل ، ونسب بعضهم هذا البيت لابن الزبيرى (٢) أى لم تبين قال الشاعر :

فان الماء ماء أبى وجدى وبدرى ذو حفرت وذوطويت
أى الذى حفرتة وبنيته بالحجارة

يتخذ منه الجفان. والقصاع : الخشب التي يعمل فيها الثريد . وقال الأصمعي :
هي من شجر الجوز تسود بالدم . والشيزى جمع شيز والشيز يغاظ حتى ينحت
منه فأراد بالشيزى ما يتخذ منها ، وبالجفنة صاحبها كأنه قال : ماذا بالقلب من
أصحاب الجفان الملائى بلحوم أسنمة الابل وكانوا يطلقون على الرجل المطعام جفنة
لكثرة إطعامه الناس فيها . وأغرب الداودى فقال الشيزى الجمال ! قال : لأن
الابل اذا سمنت تعظم أسنمتها ويعظم جمالها ، وغلظه ابن التين . قال : وانما
أراد أن الجفنة من الثريد تزين بقطع اللحم من السنام . والقينات : جمع قينة
بفتح القاف وسكون التحتانية بعدها نون هي المغنية وتطلق أيضاً على الأمة
مطلقاً . والشرب بفتح الشين المعجمة وسكون الراء : جمع شارب والمراد بهم الندامى
وأصداء : جمع صدى ، وهو ذكر البوم . وهام جمع هامة وهو الصدى أيضاً وهو
عطف تفسيري . وقيل الصدى الطائر الذي يطير بالليل . والهامة جمجمة الرأس
وهي التي يخرج منها الصدى بزعمهم . وأراد الشاعر انكار البعث بهذا الكلام
كأنه يقول إذا صار الانسان كهذا الطائر كيف يصير مرة أخرى انساناً . وقال
أهل اللغة كان أهل الجاهلية يزعمون أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير
هامة فتزقو وتقول اسقوني اسقوني . واذا أدرك بثأره طارت فذهبت . قال الشاعر :
يا عمرو ان لا تدر شتى ومنقصتى اضربك حتى تقول الهامة اسقوني !
ويروى أنه اذا مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ أو أجزاء منه فانتصب
طيراً هامة فرجع الى رأس القبر كل مائة سنة . ولا يخفى أن هذا نوع من القول
بالتناسخ المبرهن على بطلانه وقد ورد لاهامة ولا طيرة ولا عدوى ولا صفر .
وأما على الثانى فكان انكارهم لبعث الرسل فى الصورة البشرية أشد واصرارهم
على ذلك أبلغ وأخبر عنهم التنزيل بقوله تعالى « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ
جاءهم الهدى الا أن قالوا ابعث الله بشراً رسولا » الى غير ذلك من الآيات ،
فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتى ملك من السماء وقالوا لولا أنزل عليه

ملك ، ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيح والوسيلة منا الى الله تعالى هي الاصنام المنصوبة . أما الامر والشريعة من الله الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام التي هي الوسائل بزعمهم وكثير من الآيات القرآنية ترد عليهم أتم رد ، ومحل ذلك كتب التفسير ونحوها .

ذكر شيء من أخبار الأصنام وسبب اتخاذ العرب لها

وكيف أزالها النبي صلى الله عليه وسلم

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي في كتاب الاصنام : حدثني أبي وغيره ان اسماعيل بن ابراهيم صلى الله تعالى عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثيرة حتى ملؤا مكة ونفوا من كان فيها من العماليق فضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً فتنفسحوا في البلاد والتماس المعاش وكان الذي سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم ، فحيثما حلوا وضعوه وطاقوا به كطوافهم بالكعبة صباية بها وجباً وهم على ارث أبيهم اسماعيل من تعظيم الكعبة والحج والاعتمار ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم كقوم نوح وفيهم بقايا على دين أبيهم اسماعيل مع ادخالهم فيه ما ليس منه . فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام فنصب الاوثان وسبب السائبة ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحي الحامي^(١) عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي وهو أبو خزاعة . وكان الحرث هو الذي يلي أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقتل جرهما بيني اسماعيل ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت^(٢) ثم انه مرض

(١) راجع بحث السائبة والوصيلة والبحيرة والحامي في أوائل الجزء الثالث

(٢) سداته وتولى حفظه وفي الحديث قالت ينوقصى فينا الحجابة ، والمفاتيح تكون بأيديهم

مرضاً شديداً فقبل له أن بالبقاء من الشام حمة^(١) ان أئتها برأت فاتاها فاستحم
بها فبرأ ووجد أهبا يعبدون الأصنام فقال : ما هذه ؟ فقالوا : نستسقي بها المطر
ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول
الكعبة^(٢) وحدث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس^(٣) ان أسافاً رجل من
جرهم يقال له اساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم ، وكان يتعشها في أرض
اليمن فاقبلوا حجاجاً فدخلوا الكعبة فوجدوا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر
بها في البيت فمسخا فوجدوهما مسيخين فوضعهما موضعهما فعبدهما خزاعة
وقريش ومن حج البيت من العرب . وكان أول من اتخذ تلك الاصنام من ولد
اسماعيل وغيرهم سموها باسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين اسماعيل
هذيل بن مدركة اتخذوا «سُواعاً»^(٤) فكان لهم (برهاط) من أرض ينبع
وكانت سدنته بنى لحيان يعبده من يليه من مضر . وفي ذلك يقول رجل من
العرب :

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت (هذيل) على سُواع^(٤)
واتخذت مذبح وأهل جرش « يغوث » وكان باكة اليمن بيد أنعم بن عمرو
المرادى واتخذت خيوان « يعوق » فكان بقرية لهم يقال لها خيوان من صنعاء على
ليلتين ، تعبده همدان ومن والها من اليمن . واتخذت حمير « نسرأ » فعبدوه
بارض يقال لها بلخع وكان بيد رجل من ذى رعين يقال له معديكرب تعبده
حمير ومن والها فلم يزالوا يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ، ولم أسمع حميراً
سمت به أحداً ولم أسمع له ذكراً في أشعارها ولا أشعار العرب . وأظن ذلك كان

(١) بالفتح وتشديد الميم : كل عين فيها ماء حار ينبع يستسقى به الاعلاء (٢) أبو صالح
لم ير ابن عباس ، قالوا : واوهى الطرق عن ابن عباس طريقة الكلبي عن ابي صالح فان انضمت
اليه رواية محمد بن مروان السدي الصغير فذلك سلسلة الكذب (٣) بالضم في قوله تعالى (لاتذرن
ودا ولا سواعا) والفتح لغة فيه وبه قرأ الخليل (٤) يروى قيلهم بدل قبلتهم كما في التاج وبعده :
يظل جنبه برهاط صرعى عتائر من فخائر كل راع

لانتقال حمير أيام تبع عن عبادة الاصنام الى اليهودية . وكان لحمير أيضاً بيت بصنعاء يقال له « رثام » بهمزة بعد الراء المكسورة يعظمونه ويتقربون عنده بالذبايح وكانوا فيما يذكرون يكلمون منه . فلما انصرف تبع من مسيره الذي سار فيه من العراق قدم معه الخبران اللذان ضحياه من المدينة فامراه بهدم رثام وتهود تبع وأهل اليمن فمن ثم لم اسمع بذكر رثام ولا نسر في شيء من الاشعار ولا الاسماء ولم تحفظ العرب من أشعارها الا ما كان قبيل الاسلام . قال أبو المنذر : ولم أسمع في رثام وحده شعراً وقد سمعت في البقية . هذه الخمسة الاصنام التي كان يعبدها قوم نوح وذكرها الله تعالى في كتابه بقوله (ولا تدرنّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) فلما صنع هذا عمرو بن لحي دانت العرب للاصنام ، فكان أقدمها مناة (١) وسمت العرب عبد مناة وزيد مناة وكان منصوباً على ساحل البحر بناحية (المشلل) بقديد بين المدينة ومكة . وكانت العرب جميعاً تعظمه وتدبح حوله وكان أشد اعظاماً له الأوس والخزرج . وكان أولاد معد على بقية من دين اسماعيل . وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه ومناة هي التي ذكرها الله تعالى بقوله (ومناة الثالثة الأخرى) وكانت هذيل وخزاعة وجميع العرب تعظمها الى أن خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث علياً فهدهما وأخذ ما كان لها فأقبل به الى انبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث ابن أبي شمر ملك غسان أهدهما : أحدهما اسمه (مخنم) والآخر (رسوب) فوهبهما لعلي فيقال أن ذا الفقار سيف علي

(١) وزنه فعلة من منيت الدم وغيره اذا صببته لان الدماء كانت تمنى عبده تقرباً اليه ومنه سميت الاصنام الذي وفي الحديث لا والدمي لا أرى بما تقول بأساً وكذلك مناة الطاغية التي كانوا يهلون اليها بقديد والحظ من هذا المطلع ما في قوله تعالى « ومناة الثالثة الأخرى » من الفائدة جعلها ثلاثة ثلاث والعزى واخرى بالاضافة الى مناة التي كان يعبدها عمرو بن الجوح وغيره من قومه فهما مناتان واحداها عن الأخرى بالاضافة الى صاحبها

أحدها ويقال ان علياً وجدها في (الفلس) صنم لطيء حين بعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهدمه. ثم اتخذوا اللات بالطائف وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلتُّ عندها السويق (١) وكان سدّتها من ثقيف وكانوا بنوا عليها بناء . وكانت قريش وسائر العرب تعظمها وسمت زيد اللات وتيم اللات . وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المغيرة بن شعبه فهدمها وحرقها بالنار (٢) ثم اتخذوا العزى وسمى بها عبد العزى بن كعب وكان الذي اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بواد من نخلة الشامية عن يمين المصعد الى العراق من مكة فوق ذات عرق بتسعة أميال فبنى عليها بيتاً وكانوا يسمعون فيه الصوت وكان أعظم الأصنام عند قريش وكانت تطوف بالكعبة وتقول «واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فآمن الغرائق العلى (٣) وان شفاعتهن لترجيى» وكانوا يقولون « بنات الله » تعالى

(١) لت الرجل السويق لتاً من باب قتل به بشيء من الماء وهو أخف من البس، والسويق ما يعمل من الخنطة والشعير معروف (٢) روى بعض من الف في السير أن المغيرة قال لابي سفيان : ألا أضحكك من ثقيف فقال بلى فاخذ المعول وضرب به اللات ضربة ثم صاح وخر على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سروراً بأن اللات قد صرعت المغيرة واقبلوا يقولون « كيف رأيتها يا مغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم أنها تهلك من طادها ويحكم الأترونها ما تصنع » فقام المغيرة يضحك منهم ويقول لهم يا خبيثاء والله ما قصدت الا الهزء بكم ثم أقبل على هدمها حتى استأصاها وأقبلت عجائز ثقيف تبكي حولها وتقول (اسلمها الرضاع اذكر هو المصاع) أى أسلمها اللثام حين كرهوا القتال ورويت في ذلك روايات أخرى ، فان احببت الوقوف عليها فليكن بالسير (٣) هى الاصنام وهى في الاصل الذكور من طير الماء وقال ابن الانبارى : الغرائق الذكور من الطير واحدها غرنوق وغرنيق قال أبو خيرة سمي به لبياضه وقيل هو الكركى شبهت الاصنام التى تعلق وترفع في السماء على زعمهم . . واعلم أن حديث الغرائق الذي صار مشهوراً عند المتأخرين لوجوده في اكثر كتب التفسير التي تناولها الايدى ، هو من مفتريات الاحاجم ومختلقات الملبسين المفسدين ولو صبح لكان أكبر شبهة على الدين فكف على حذر — وقد ينفع الحذر — مما تراه في كتب الاحاجم واياك والتقليد الاعمى فانه رأس البلاء ، وأصل كل داء ، واحسن من تكلم على هذا البحث هو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده (رض) فانه نبي الشك والارتياب واتى بالحكمة وفصل الخطاب فليكن به ولا تسمع قول عمرو وزيد ففي جوف الفرا كل الصيد

الله عن ذلك علواً كبيراً ، وهن يشفعن اليه فلما بعث الله رسوله أنزل عليه (أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ؛ ألم الذكرو له الاثنى تلك اذا قسمة ضيزى^(١)) وحمّت لها قريش شِعْباً^(٢) من وادي حِراض^(٣) يقال له سُقام^(٤) يضاهون به حرم الكعبة وكان لها منحرنحرون فيه هداياها يقال له الغنغب وكانت قريش تخصها بالاعظام فلذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل وكان قد تأله في الجاهلية وترك عبادة الاصنام :

تركتُ اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمى بنى غنم أزورُ
ولا هبلاً أزور وكان رباً لنا فى الدهر إذ حلمى صغير

وكان سدنة العزى بنى شيبان من بنى سليم . وكان آخر من سدنها دبية^(٥) فلم تنزل كذلك حتى بعث الله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فماب الاصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها فاشتد ذلك على قريش فلما كان يوم الفتح دعا خالد بن الوليد فقال انطلق إلى شجرة بطن نخلة فاعضدها^(٦) فانطلق فقتل دبية وحدثني أبى عن أبى صالح عن ابن عباس . قال : كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سمرات^(٧) بيطن نخلة ، فلما بعث النبي خالد بن الوليد قال له ائت بطن نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد الاولى فأتاها فعضدها فلما جاء اليه عليه الصلاة والسلام فقال هل رأيت شيئاً قال لا . قال فاعضد الثانية فعضدها ثم أتى النبي

(١) أى جائرة (٢) الطريق فى الجبل (٣) كغراب مروض قرب مكة بين المشاش والغدير فوق ذات عرق الى البستان قيل كانت به العزى وقيل بالنخلة الشامية وقد جاء ذكره فى الحديث ، قال الفضل بن العباس اللهبى :

وقد كانت وللايام صرف تدمن من مراتبها حراضا

كذا فى القاموس وشرحه التاج (٤) بالضم وقد يفتح (٥) كسمية وهودية بن حرمس السلمى (٦) عضد الشجرة عضداً من باب ضرب قطعها وفى حديث نجرم المدينة نهى أن يعضد شجرها أى يقطع (٧) السمر بضم الميم : شجر صفار الورق قصار الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس وليس فى العضاه شىء أجود خشباً من السمر ينقل الى القرى . فتغمى به البيوت واحدها سمرة بهاء

صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هل رأيت شيئاً قال لا . قال فاعضد الثالثة فأثاها فاذا هو بخناسة نافشة شعرها واضعة نديها على عاتقها تصرف بانباها (١) وخلفها دبية السلي ، فلما نظر الى خالد قال :

فياعزُّ شدي . شدة لا تكذبى على خالد ألقى الحمارَ وشمرى
فانك أن لا تقتلى اليوم خالداً تبونى بادل عاجلاً وتُصْرَى

« فقال خالد رضى الله تعالى عنه »

ياعزُّ كفرانك لا سبحانك انى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فاذا هي حُمة (٢) ، ثم عضد الشجرة وقتل دبية ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره . فقال (تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب) قال أبو المنذر : ولم تكن قريش ومن بمكة يعظمون شيئاً من الأصنام اعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة . فاما العزى فكانت تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية وكانت ثقيف تخص اللات . وكانت الأوس والخزرج تخص مناة وكلهم كان معظماً للعزى ولم يكونوا يرون فى الخمسة الاصنام التى رفعها عمرو بن لحي كرايهم فى هذه . وكانت قريش أصنام فى جوف الكعبة وحوها . وكان أعظمها (هبل) عندهم وكان فيما بلغنى من عقيق أحر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من الذهب وكان أول من نصبه خزيمه بن مدركة وكان يقال لها هبل خزيمه . وكان قدامه سبعة أقداح مكتوب فى أولها صريح والآخر ملصق ، فاذا شكوا فى مولود اهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح فان خرج صريح الحقوه وان كان ملصقاً رفعوه ، وقدحا على الميت وقدحا على النكاح وثلاثة لم تفسر لى فاذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً أتوه فاستقسموا بالقداح عنده فما خرج عملوا به وانتهوا اليه . وكان لهم (أساف) و (نائلة) لما مسخا حجرتين وضعا عند الكعبة ليتعظ الناس

(١) صرف الانسان والبعير نابه وبنابه بصرف صريفاً حرقه فسمعت له صوتاً

(٢) وزان رطبة ما حرق من خشب ونحوه والجمع بحذف الهاء

بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها وكان أحدهما بلبصق الكعبة والآخر
في موضع زمزم ، فنقلت قريش الذي كان بلبصق الكعبة الى الآخر وكانوا ينحرون
ويذبحون عندها . فلما ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتح مكة دخل
المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بسية قوسه (١) في عيونها
ووجوهها ويقول (جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) ثم أمر بها فكفتت
على وجوهها ثم اخرجت من المسجد فحرقت . فقال في ذلك راشد بن عبد الله السلمي :
قلت : هلم الى الحديث فقلت : لا يا ابي الآله عليك والاسلام
أوما رأيت محمداً وقبيله بالفتح حين تكسر الاصنام ؟
رأيت نور الله اضحى ساطعاً والشرك يغشى وجهه الاظلام
وكان لهم أيضاً «مناف» وسمت به عبد مناف ولا أدري أين كان ولا من نصبه
ولم تكن الحيض من النساء تدنو من أصنامهم ولا تمسح بها إنما كانت تقف ناحية منها
وكان لاهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر
ما يصنع في منزله ان يتمسح به واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع اذا دخل منزله ان
يتمسح به فلما بعث الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وأتاهم بتوحيد الله وعبادته
قالوا (أجعل الآلهة الها واحداً ان هذا لشيء عجاب) يعنون الأصنام واشتهرت العرب
في عبادتها فمنهم من اتخذ بيتاً . ومنهم من اتخذ صنماً ومن لم يقدر عليه ولا على بناء
بيت نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت
وسموا الأصاب فاذا كانت تماثيل دعوا الأصنام والأوثان وسموا طوافهم
(الدوار) . فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر الى
أحسنها فاتخذها رباً وجعل الثلاث اثنى لقدره واذا ارتحل غيره فاذا نزل منزلاً آخر
فعل مثل ذلك فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون اليها وهم على ذلك

(١) سية القوس خفيفة الياء ولا مائها محذوفة وترد في النسبة فيقال سيوى والهاء عوض عنها ،
طرفها المنحنى

عارفون بفضل الكعبة عليها . وكانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن ، وفيهم نزلت (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وكان من تلك الأصنام « ذو الخلصة^(١) » وكان مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج وكان له بيت بين مكة والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت تعظمه وتهدي له خثعم ودوس وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة . قال رجل منهم :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلى وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العداة زورا^(٢)

وكان أبوه قُتِلَ فأراد الطلب بثأره فأثى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم ينهيه عن ذلك فقال هذه الآيات . ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حجر الكندي . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لجرير ألا تكفيني ذا الخلصة فسار اليه بمائة وخمسين راكباً من أحس^(٣) فقاتله خثعم وباهلة

(١) قال السهيلي : هو بيت دوس والخلص في اللغة نبات طيب الريح يتعلق بالشجر له حب كغيب الثعلب وجمع الخلصة خلص قال ووقع في كتاب أبي الفرج ان امرأ القيس بن حجر حين وثرته بنو أسد بقتل أبيه استقسم عند ذى الخلصة بثلاثة أزلام وهي الزاجر والأمر والمرضى فخرج له الزاجر فشب الصنم ورماه بالحجارة وقال له اعضض بيظر أمك وقال : (لو كنت يا ذا الخلص الموتورا) الى آخره ولم يستقسم أحد عند ذى الخلصة بعد حتى جاء الاسلام وموضعه اليوم مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم ذكره المبرد عن أبي عبيدة انتهى وذو الخلصة محركة ويقال بضمين وحكى ابن دريد فتح الاول واسكان الثاني وضبطه بعضهم بفتح أوله وضم ثانيه والاول الاشهر عند المحدثين (٢) نصب زوراً على الحال من المصدر الذى هو النهى اراد نهياً زوراً وانتصاب المصدر على هذه الصورة انما هو حال أو مفعول مطلق فاذا حذف المصدر واقت الصفة مقامه لم تكن الاحالا والدليل على ذلك أنك تقول ساروا شديداً وساروا رويداً فان رددته الى مالم يسم فاعله لم يجوز رفعه لانه حال ولو لفظت بالمصدر فقلت ساروا سيراً رويداً لجاز أن تقول فيما لم يسم فاعله سير عليه سير رويد هذا كله معنى قول سيبويه فدل على أن حكمه اذا لفظ به غير حكمه اذا حذف والسر في ذلك ان الصفة لا تقوم مقام المفعول اذا حذف لا تقول كلمت شديداً ولا ضربت طويلاً يتبع ذلك اذا كانت الصفة عامة والحال ليست كذلك لانها تجرى مجرى الظرف وان كانت صفة فوصفها معها وهو الاسم الذى هو حال له ومن هذا الباب قوله تعالى « أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً » ، والموتور من قتل له قتل فلم يدرك بدمه ، والعداة جمع عدو (٣) في القاموس وشرحه : بنو احس بطن من ضبيعة كما في العباب وبطن آخر من بجيلة وهو ابن الفوث بن اعمار

فظفر بهم وهدم بيت ذى الخليفة وأضرموا فيه النار وذو الخليفة اليوم عتبة باب
مسجد تبالة . وكان لملك وميلكان ابني كنانة بساحل جدة صنم يقال له «سعد»
وكان صخرة طويلة فأقبل رجل من بني ملكان بابل له مؤبلة^(١) ليقفها عليه
ابتغاء بركته فيما يزعم فلما أدناها منه ورأته وكان يهراق^(٢) عليه الدماء نفرت منه
فذهبت في كل وجه فغضب ربه فتناول حجراً فرماه به وقال (لا بارك الله فيك
ألهما انفرت على أبلي) ثم خرج في طلبها حتى جمعها . ثم انصرف وهو يقول :

أتينا الى (سعد) ليجمع شملنا فشتتنا (سعد) فلا نحن من سعد

وهل (سعد) إلا صخرة بتنوفة من الارض لا يدعو لني ولا رشد^(٣)

وكان عمرو بن الجوح سيداً من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرفهم
وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له « مناة » أيضاً فلما أسلم فتيان بني
سلمة معاذ بن جبل وابنه ومعاذ بن عمرو وغيرهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا
يدجلون^(٤) بالليل على صنم عمرو فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة
وفيها عذرات^(٥) الناس منكساً على رأسه فاذا أصبح عمرو قال (ويلكم من عدا
على آلهتنا هذه الليلة ؟) قال ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجدته غسله وطهره وطيبه .
ثم قال : والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزيتك فاذا أمسى ونام غدوا ففعلوا
بصنمه مثل ذلك فيغدو يلتمسه فيجد به مثل ما كان من الاذى فيغسله ويطهره
ويطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له (والله اني لا أعلم من يصنع بك ما ترى
فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك) فلما أمسى ونام غدوا عليه فأخذوا
السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني
سلمة فيها عذرات من عذرات الناس فعدا عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان به فخرج

(١) كمظمة اتخذت للقنية (٢) أي يصب (٣) التنوفة : المغازة والقر من الارض وقيل

الارض الواسعة البعيدة ما بين الاطراف أو الغلاة التي لا ماء فيها ولا انيس وان معشبة والجمع تنائف

(٤) يقال أدلج أدلاجاً مثل أكرم أكراماً سار الليل كله فهو مدلج فان خرج آخر الليل فقد

أداج بالتشديد (٥) أي خروهم وفائظهم

يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه
وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن إسلامه . فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف
وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصره من أمره ويشكر الله تعالى إذ أنقذه مما كان
فيه من العمى والضلالة :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن^(١)

أف للملك آله مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن^(٢)

الحمد لله العلي ذي المن الواهب الرازق ديان الدين^(٣)

هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبر مرتين

وكان لدوس ثم لبني منهب بن دوس صنم يقال له « ذو الكفين » فلما أسلموا

بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الطفيل بن عمرو الدوسي فخرقه وهو يقول :

يا ذا الكفين لست من عبادك . ميلادنا أكبر من ميلادك

اني حشوت النار في فؤادك

وكان لبني الحرث بن يشكر من الازد صنم يقال له « ذو الشرى » وكان

القضاة ونحس وجذام وعاملة وغطفان صنم في مشارف الشام يقال له « الاقيصر »

(١) القرن : الحبل ، وفي الحديث : الحياء والايان في قرن أي مجموعان في جبل (٢) أف : كلمة تضجر ، ومستدن : من السدانة وهي خدمة البيت وتعظيمه ، والغبن في الرأي يقال غبن رأيه

كما يقال سفه نفسه فنصبوا لأن المعنى خسر نفسه واوبقها وافسد رأيه ونحو هذا (٣) قوله ديان الدين :

جمع دينة وهي العادة ويقال لها دين أيضاً قال بن الطرية واسمه يزيد :

أرى سبعة يسهون للوصل كلهم له عند ليلى (دينه) يستدبها

فألقيت سهمي بينهم حين أوخشوا فاصار لي في القسم الأئمنها

ويجوز أن يكون أراد بالدين الأديان أي هو ديان أهل الأديان ولكن جمعها على (الدين) لأنها ملل ومحل كما

قالوا في جمع الحرة حرائر لأنهن في معنى السكراتم والعقائل وكذلك مرائر الشجر وان كانت الواحدة مرة

ولكنها في معنى فعيلة لأنها عسيرة في الذوق وشديدة على الأكل وكريهة إليه . . . ويروي بعد الآيات هذا

الشر :

بأحمد المهدي النبي المرتين

وكان لمزينة صنم يقال له « نهم » وبه سمت عبد نهم . وكان سادته خزاعي بن عبد نهم من مزينة فلما سمع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثار الى الصنم فكسره وأنشأ يقول :

ذهبت الى (نهم) لأذبح عنده عتيرة نسك كالذي كنتُ أفعل^(١)
فقلت لنفسي حين راجعت عقلها : أهذا آله أبكم^٢ ليس يعقل ؟
أبيت ! فديني اليوم دين (محمد) آله السماء الماجد المتفضل
ثم لحق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم وضمن اسلام قومه مزينة وكان
لازد السراة صنم يقال له « عأم » بالهمزة وكان لعنزة صنم يقال له « سُعَيْر »
فخرج ابن أبي خلاص الكلبي على ناقته فمرت به وقد عثرت عنده عتيرة فنفرت
ناقته منه . فأنشأ يقول :

نفرت قلوصى من عتائر صرعت حول (السُعَيْر) يزوره ابنا يقدم^(٢)
وجموعُ يذكرُ مهطعين جنابةً ما إن يجير اليهم بتكلم^(٣)
قال أبو المنذر يقدم ويذكر ابنا عنزة فرأى بنى هؤلاء يطوفون حول
السعير . وكان لبكر بن وائل صنم يقال له « عوض » قال قائلهم :
حلفت بمائراتِ حول (عوض) وأنصابِ تركزِ لى (السُعَيْر)
فقد حلف بالدماء المائرات أى الجاريات على وجه الارض حول عوض .
ومن عادة المشركين أنهم كانوا يذبحون ذبائح لاصنامهم فلولا أن (عوضاً)
صنم لما ذبح له شئٌ ولما حلف بالدماء التى حوله تعظيماً له ويدل على كونه صنماً
ذكره مع (السُعَيْر) وهو بالتصغير . والبيت قائله رُشيد بن رُمَيْض (بالتصغير
فيهما) العنزي . وبعده :

(١) العتيرة : شاة كانوا يذبحونها في رجب لاصنامهم فنهى الشارع صلى الله عليه وسلم بقوله : (لا فرع ولا عتيرة) والجمع عتائر ، والنسك : التطوع بقربة (٢) القلوص كصبور : الناقة الشابة ، والصرع : الطرح على الارض (٣) أمطع : مد عنقه و صوب رأسه كاستهطع ، وكعحسن من ينظر في ذل وخضوع لا يقلع بصره

أجوب الأرض دهرًا أروع ولا يلقى بساحته بعيرى
وكان نحو لان صنم يقال له « عميانس » يقسمون له من أنعامهم وحروثهم
قسمًا بينه وبين الله تعالى بزعمهم فما دخل في حق الله تعالى من حق عميانس ردوه
عليه وما دخل في حق الصنم من حق الله الذي سموه له تركوه . وفيهم نزل
فيا بلغنا (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بزعمهم
وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم
ساء ما يحكمون) وكان لجديلة طيء صنم يقال له « اليعسوب » وكان لهم صنم أخذته
منهم بنو أسد فتبدلوا اليعسوب بعده قال عبيد :

فتبدلوا (اليعسوب) بعد آلهم صنمًا فقرروا يا (جديل) وأعدبوا
أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا . وكان للأزد في الجاهلية ومن جاورهم
من طيء وقضاة صنم يقال له « باجر » بالوحدة وبالجم المفتوحة وربما كسرت
وكانوا يعبدونه إلى غير ذلك مما يطول . وعن أبي رجاء العطاردي قال : لما بعث
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعنا به لحقنا بمسيمة الكذاب فلحقنا بالنار قال :
وكننا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجرًا أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه فإذا
لم نجد حجرًا جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به . وقال
أيضًا كنا نعد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكننا نعد إلى الحجر
الأبيض فنعبده زمانًا ثم نلقيه . وعن أبي عثمان النهدي يقول : كنا في الجاهلية
نعبد حجرًا فسمعنا منادياً ينادى : يا أهل الرجال إن ربكم قد هلك فالتمسوا رباً !
قل : فخرجنا كل صعب وذلول فيينا نحن كذلك نطلبه إذا نحن بمناد ينادى :
انا قد وجدنا ربكم أو شبهه ! وإذا حجر فنحرقنا عليه الجزور .

ولما فتح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة وجد حول البيت ثلاثمائة
وستين صنمًا فجعل يطعن بسية قوسه في وجوهها وعيونها ويقول : (جاء الحق وذهب
الباطل ان الباطل كان زهوقاً) وهي تنساقط على رؤوسها ثم أمر بها فأخرجت

من المسجد وحرقت . وكان لبني الحرث كعبة بنجران يعظمونها وكان
برهة الاشرم بنى بيتاً بصنعاء سماها (القليس) بفتح القاف وكسر اللام وضبطه
صاحب القاموس بضم القاف وفتح اللام المشددة بناها بالرخام وجيد الخشب
المذهب وكتب الى ملك الحبشة : انى قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها أحد
ولست تاركاً العرب حتى أصرف حجهم عن الكعبة . فبلغ ذلك بعض نساء
الشهور فبعث رجلين من قومه وأمرهما أن يخرجوا حتى يتغوطا فيها ففعلوا فلما
بلغه ذلك غضب وخرج بالفيل والحبشة فكان من أمره ما أسلفناه فى أوائل
الجزء الاول من هذا الكتاب . وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت
وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ، وتهدى لها كما تهدى
للكعبة وتطوف بها كما تطوف بالكعبة وتنحرف عندها كما تنحرف عند الكعبة .
قال أبو المنذر : المعمول من خشب أو ذهب أو فضة صورة انسان فهو صنم
واذا كان من حجارة فهو وثن . هذا ملخص ما ذكره من الأصنام . ولأبى
عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كتاب الأصنام أيضاً وقد أبداع فيه . وفى تاريخ
مكة للإمام الازرقى تفصيل كيفية عبادة العرب لها على أتم وجه . وكتب السير
لا تخلو عن شىء من ذلك .

أسباب أخر لعبادة الأصنام

قال ابن القيم فى كتابه (اغاثة اللفان) : وتلاعب الشيطان بالمشركين
فى عبادة الأصنام له أسباب عديدة ، تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم فطائفة
دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الاصنام على صورهم
كما يروى عن هشام عن أبيه ، أنه قال : كان ود وسواع ويعوث ويعوق ونسر
قوماً صالحين فماتوا فى شهر فجزع عليهم ذوو أقاربهم فقال رجل من بنى قاييل :
يا قوم هل لكم أن تعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير انى لا أقدر أن

أجعل فيها أرواحاً؟ قالوا : نعم ! فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول وكانت عملت على عهد برد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم . ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم القرن الأول . ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا : ما عظم أولونا هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله ! فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله اليهم (ادريس) فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكاناً علياً ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال السكابي عن أبي صالح عن ابن عباس حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً وهو يومئذ ابن اربعمائة سنة وثمانين سنة فدعاهم الى الله في نبوته عشرين ومائة سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله أن يصنع الفلك ففرغ منها وركبها وهو ابن ستائة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاث مائة سنة وخمسين سنة فكان بين آدم ونوح الفاسنة ومائتا سنة فأهبط الماء هذه الاصنام من أرض الى أرض حتى قذفها الى أرض (جدة) فلما نصب الماء بقيت على الشط ونسفت الريح عليها حتى وارتها

قلت : ظاهر القرآن يدل على خلاف هذا وان نوحاً لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاماً وأن الله أهلكتهم بالغرق بعد أن لبث فيهم هذه المدة . . قال الكلبي : وكان عمرو بن لحي كاهناً وله رثى^(١) من الجن فقال (عجل السير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة ، ائت جدة ، تجذفها أصناماً معدة . فلوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب الى عبادتها نجب) فأتى نهر جدة فاستشارها فحملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة فلجابه عوف بن عنبرة ابن زيد اللات فدفع اليه ودأ فحمله فكان بوادي القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبدود فهو أول من سمى به وجعل عوف ابنه عامراً سادناً فلم يزل بنوه

(١) على وزن غنى ويكسر : جنى يتعرض للرجل يريه كهانة أو طباً وفي حديث قال لسواد بن قارب : أنت الذي أتاك الرئيك بظهور رسول الله ، قال : نعم .

مسدنين حتى جاء الله بالاسلام . قال الكلبي : فحدثني مالك بن حارثة أنه رأى وداً قال وكان أبي يعنى بالابن اليه فيقول (اسقه آهلك) فاشربه . قال : ثم رأيت خالد بن الوليد كسره فجعله جذاذاً (١) . وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث خالد بن الوليد لهبده فحالت بينه وبين هدمه بنو عنبرة وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدده وكسره . قال الكلبي : فقلت لمالك بن حارثة « صف لي وداً حتى كأني أنظر اليه » قال : كان تمثال رجل كاعظم ما يكون من الرجال قد زبر (أى نقش) عليه حلطان متزر بحلة مرتد باخرى عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء وقصعة فيها نبل يعنى جعبة . . وأجابت عمراً المذكور كثير من القبائل وقد ذكرنا قريباً ما يعنى عن الاعادة . ولهذا لعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المتخذين على القبور المساجد والسرج ونهى عن الصلوة الى القبور وسأل ربه سبحانه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً وقال : اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وأمر بتسوية القبور وطمس التماثيل (٢) فأبى المشركون الا خلافه في ذلك كله اما جهلاً واما عناداً لاهل التوحيد ولم يضرهم ذلك شيئاً . وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين وأما خواصهم فانهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم وجعلوا لها بيوتاً وسدنة وحجائباً وحجاً وقرباناً ولم تزل هذه في الدنيا قديماً وحديثاً فمنها بيت على رأس جبل باصبهان كان به أصنام أخرجها

(١) أى فتناً ، ومنه قيل للسويق الجديد ؛ ويقال : جد الله دابرهم أى استأصلهم (٢) ليعتبر المسلمون في اقطار الارض بكلام تبيهم الاعظم ! فإين هو من عنايتهم اليوم بتشييد القباب على القبور؟ وإين هو من تعظيمهم الموتى تعظيماً يآباه العقل والشرع؟ وإين هو من السجود على أعتاب المشاهد والتبرك بالاحجار؟ وإين هو من سوق الهدايا والقرابين إلى مشاهد الاولياء؟ فإين هذا الضلال المبين؟ وما هذا المروق من الدين؟ فهل أيتيم أيها المسلمون الاخلاف أو امر نبيكم فضا رعتكم أهل الجاهلية عباد اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى . أم أضالكم أحباركم احبار السوء فأنتم على آثارهم مهتدون؟

لا يعجبك ما ترى من قبة ضربوا على موتاهم وطراف

هجموا على الحق المبين يباطل وعلى سبيل القصد بالاسراف

بعض ملوك المجوس وجعله بيت نار . ومنها بيت ثان وثالث ورابع بصنعاء بناه بعض المشركين على اسم الزهرة فخربه عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه . ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم . وأشد الأمم في هذا النوع من الشرك الهند قال يحيى بن بشر : إن شريعة الهند وضعها لهم رجل يقال له (برهمن) ووضع لهم أصناماً وجعل أعظم بيوتها بيتاً بمدينة من مدائن الهند وجعل فيه صنمهم الأعظم وزعم انه بصورة الهيولى الأكبر وفتحت هذه المدينة في أيام الحجاج واسمها اللتان فاراد المسلمون قلع الصنم فقيل (ان تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من المال) فامر عبد الملك بن مروان أن يتركه ، فالهند تهج اليه من نحو ألفي فرسخ ولا بد لمن يحججه أن يحمل معه من النقد ما يمكنه من مائة الى عشرة آلاف لا يكون أقل من هذا ولا أكثر فيلقيه في صندوق هناك عظيم ويطوف بالصنم فاذا ذهبوا ورجعوا الى بلادهم قسم ذلك المال فثلثه للمسلمين وثلثه لعارة المدينة وحصونها وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه . وأصل هذا المذهب من مشركى الصابئة وهم قوم ابراهيم الذين ناظرهم في بطلان الشرك وكسر حججهم بعلمه وآلهتهم بيده فطلبوا تحريفه وهو مذهب قديم في العالم وأهله طوائف شتى .

فمنهم عباد الشمس

زعموا أنها ملك من الملائكة لها نفس وعقل وهى أصل نور القمر والكواكب وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها وهى عند ملك الفلك فتستحق التعظيم والسجود والدعاء . ومن شريعتهم فى عبادتها أنهم اتخذوا لها صنماً بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص قد بنوه باسمه وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع وله سدنة وقوام وحجبة يأتون البيت ويصلون فيه لها ثلاث كرات فى اليوم ويأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويصلون ويدعونه ويستشفون

به . وهم اذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها واذا غربت واذا توسطت الفلك ولهذا يقارنها الشيطان في هذه الاوقات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم له ولهذا نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن تحرى الصلاة في هذه الاوقات قطعاً للمشابهة الكفار ظاهراً وسداً لذريعة الشرك وعبادة الاصنام .

وطائفة أخرى اتخذت القمر صنماً

وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلى ومن شريعة عبادته انهم اتخذوا له صنماً على شكل عجل ويبد الصنم جوهرة يعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياماً معلومة من كل شهر ثم يأتون اليه بالطعام والشراب والفرح والسرور . فاذا فرغوا من الاكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه . ومنهم من يعبد أصناماً اتخذوها على صورة الكواكب وروحانيتها بزعمهم وينوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكلي يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه ومتى أردت الوقوف على هذا فانظر في كتاب (السر المكتوم في مخاطبة النجوم) المنسوب الى ابن خطيب الرى تعرف سر عبادة الاصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها . وكل هؤلاء مرجعهم الى عبادة الاصنام فانهم لا تستمر لهم طريقة الا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون اليه ويعكفون عليه . ومن ههنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناماً زعموا أنها على صورتها فوضع الصنم انما كان في الاصل على شكل معبود غائب فجعل الصنم على شكله وهيئته وصورته ليكون نائباً منابه وقائماً مقامه ، والا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه آلهه ومعبوده .

(ومن أسباب عبادة الاصنام) أيضاً أن الشياطين تدخل فيها وتخطبهم منها وتجبرهم ببعض المغيبات وتدلمهم على بعض ما يخفى عليهم وهم لا يشاهدون الشياطين فجعلتهم وسقطتهم يظنون أن الصنم نفسه هو المتكلم المخاطب وعقلاهم يقولون ان

تلك روحانية الاصنام وبعضهم يقول : انها الملائكة وبعضهم يقول انها العقول
المجردة وبعضهم يقول هي روحانيات الاجرام العلوية وكثير منهم لا يسأل عما عهد
بل اذا سمع الخطاب من الصنم اتخذه آلهة ولا يسأل عما وراء ذلك . وبالجملة فاكثروا
أهل الارض مفتونون بعبادة الاصنام والاولتان ولم يتخلص الا الخنفاء اتباع ملة
ابراهيم وعبادتها في الارض من قبل نوح كما تقدم وهياكلها ووقوفها وسدتها
وحجابها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبق الارض قال امام الخنفاء صلى
الله تعالى عليه وسلم (واجنبى ونبى أن نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيرًا من
الناس) : والامم اتى أهلها الله بانواع الهلاك كلهم كانوا يعبدون الاصنام كما
قص الله تعالى ذلك عنهم في القرآن وانجى الرسل واتباعهم من الموحدين ويكفى
في معرفة كثرتهم وأنهم أكثر أهل الارض ما صح عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم أن بعث النار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون . وقد قال تعالى (فابى
أكثر الناس الا كفورا) وقال (وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن
سبيل الله) . وقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) . وقال (وما وجدنا
لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) ولو لم تكن الفتنة بعبادة الاصنام
عظيمة لما قدم عبادها على بذل النفوس وأموالهم وأبنائهم ، فهم يشاهدون مصارع
اخوانهم وماحل بهم وما يزيدهم ذلك الاحباب لها وتهظيما ويوصى بعضهم بعضاً
بالصبر عليها وتحمل أنواع المكارة فى نصرتها وعبادتها وهم يسمعون أخبار الامم
التي فتنت بعبادتها وماحل بهم من عاجل العقوبات ولا يثنيهم ذلك عن عباداتها .
فتنة الاصنام أشد من فتنة عشق الصور وفتنة الفجور بها . والعاشق لا يثنيه
عن مراده خشية عقوبة فى الدنيا والآخرة وهو يشاهد مايجل باصحاب ذلك من
الآلام والعقوبات والضرب والحبس والنكال والفقر غير ماأعد الله تعالى له
فى الآخرة وفى البرزخ ولا يزيد ذلك الا اقداما وحرصا على الوصول والظفر بحاجته .
فهكذا الفتنة بعبادة الاصنام وأشد فان تأله القلوب بها أعظم من تألهها للصور التي

يراد منها الفاحشة بكثير . والقرآن بل وسائر الكتب الالهية من أولها الى آخرها
مصرحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله وانهم أعداء الله تعالى ورسله وانهم أولياء
الشیطان وعباده وانهم هم أهل النار الذين لا يخرجون منها وهم الذين حلت بهم
المثلاث (١) . ونزلت بهم العقوبات . وان الله سبحانه برئ منهم هو وجميع رسله
وملائكته وانه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل لهم عملاً . وهذا معلوم بالضرورة من
الدين الخنيف وقد أباح الله لرسوله واتباعه من الحنفاء دماء هؤلاء وأموالهم ونساءهم
وأبناءهم وأمرهم بتطهير الارض منهم حيث وجدوا وذمهم بسائر أنواع الذم
وتوعدهم بأعظم أنواع العقوبة فهؤلاء في شق ورسل الله في شق . (ومن أسباب
عبادة الاصنام) الغلو في المخلوق وأعطائه فوق منزلته حتى جعل فيه حظ من الالهية
وشبهوه بالله سبحانه وهذا هو التشبيه الواقع في الامم الذي ابطله الله سبحانه وبعث
رسله وانزل كتبه فانكاره الرد على أهله فهو سبحانه ينفي وينهى أن يجعل غيره
مثلاً له ونداً له وشبهاً له لأن يشبهه هو بغيره اذ ليس في الامم المعروفة أمة جعلته
سبحانه مثلاً لشيء من مخلوقاته فجعلت المخلوق أصلاً وشبهت به الخالق . فهذا
لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم وانما الاول هو المعروف في طوائف أهل
الشرك غلوا فيمن يعظمونه ويحبونه حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الالهية
بل صرحوا أنه الآله وانكروا جعل الآلهة آلهما واحداً وقالوا (اصبروا على آلهتكم)
وصرحوا بانه آله معبود يرجى ويخاف ويعظم ويسجد له ويحلف باسمه وتقرب له
له القرابين الى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغى الا لله فكل مشرك
فهو مشبه لآلهه ومعبوده بالله سبحانه وان لم يشبهه به من كل وجه حتى ان الذين
وصفوه سبحانه بالنقائص والعيوب كقولهم ان الله فقير وان يدالله مغولة وانه
استراح لما فرغ من خلق العالم والذين جعلوا له ولداً وصاحبة تعالى الله عن ذلك
علواً كبيراً لم يكن قصدهم ان يجعلوا المخلوق أصلاً ثم يشبهون به الخالق

(١) المثلاث: العقوبات واحدها مثلة ، ويقال للمثلاث : الاشياء والامثال مما يعتبر به

تعالى بل وصفوه بهذه الاشياء استقلالاً لا قصد أن يكون غيره أصلاً فيها وهو مشبه به . ولهذا كان وصفه سبحانه بهذه الامور من أبطال الباطل لكونها في نفسها نقائص وعيوب ليس جهة البطلان في اتصافه بما هو التشبيه والتمثيل فلا يتوقف في نفيها عنه على ثبوت انتفاء التشبيه كما يفعله بعض أهل الكلام الباطل حيث صرحوا بانه لا يقوم دليل عقلي على انتفاء النقائص والعيوب عنه وانما تنفى عنه لاستزامها التشبيه والتمثيل .

وأطال الكلام ابن القيم في هذا المقام الى ان قال : والمقصود أنه لم يكن في الامم من مثله بخلقه وجعل المخلوق أصلاً ثم شبهه به . وانما كان التمثيل والتشبيه في الامم حيث شبهوا أو ثابهم ومعبودتهم به في الآلهية وهذا التشبيه هو أصل عبادة الأصنام والقرآن مملوء من ابطال أن يكون في المخلوقات من يشبه الرب تعالى أو يماثله فهذا هو الذي قصد بالقرآن ابطالاً لما عليه المشركون والمشبهون العادلون بالله غيره قال تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) . وقال (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) فهؤلاء جعلوا المخلوق مثلاً للخالق والند الشبه يقال فلان ند فلان وند ندّه أى شبهه ومثله . ومنه قول حسان :

أتهجوه ولست له بِنْدٍ فشر كما لخير كما الفداء (١)

« وقال جرير »

أينما يجعلون الى ندا وما يتم لذي حسب لديد

ثم قال بعد كلام : فتبين أن المشبهة هم الذين يشبهون المخلوق بالخالق في

(١) الاستفهام الانكار ، أى ما كان يفغى لك أن تهجوه ولست من ا كفائه ونظرائه فلم تنصفه ، وقوله فشر كما لخير كما الفداء مع عامه أن رسول الله (ص) خيرها بالاربية — جار على أسلوب الكلام المنصف وهو أن ينصف المتكلم من نفسه او ممن يتكلم من جهته فيضطر السامع الى الاذعان له ولا يجد سبباً لالانكاره والمنازعة فيه . نحو (انا واياكم لعلى هدى او فى ضلال المبين) فان من المعلوم ان المتكلم ومن معه على هدى وان المخاطبين فى ضلال وانما بهم الامر بين الفريقين ليكون ادعى للمخاطب الى الاذعان للحق وترك العناد حيث يرى المتكلم ساوى بينه وبين نفسه وانصفه

العبادة والتعظيم والخضوع والخلف به والندرة له والسجود له والعكوف عند بيته وحلق الرأس له والاستغاثة به والتشريك بينه وبين الله تعالى في قولهم ليس الا الله وانت وأنا متكلم على الله وعليك وأنا في حسب الله وحسبك وما شاء الله وشئت وهذا لله ولك وأمثال ذلك فهؤلاء هم المشبهة ، فمن تدبر هذا الفصل حق التدبر تبين له كيف وقعت الفتنة في الارض بعبادة الاصنام وتبين له سر القرآن في الانكار على هؤلاء المشبهة الممثلة والله سبحانه الهادي الى سواء الطريق .

وصنف من العرب دهريون

وهؤلاء قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها وقلوا ما حكاه الله تعالى عنهم (ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) وهؤلاء فرقان : فرقة قالت « ان الخالق سبحانه خلق الافلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فحرقته ولم يقدر على ضبطها وأمسك حركتها » وفرقة قالت « ان الأشياء ليس لها أول البتة وانما تخرج من القوة الى الفعل فاذا خرج ما كان بالقوة الى الفعل تكونت الأشياء مركباتها وبسائطها من ذاتها لا من شيء آخر » وقلوا « ان العالم لم يزل ولا يزال ولا يتغير ولا يضمحل ولا يجوز أن يكون المبدع يفعل فعلاً يبطل ويضمحل الا وهو يبطل ويضمحل مع فعله وهذا العالم هو المسك لهذه الاجزاء التي فيه » وهؤلاء هم المعطلة حقاً . وفي كتاب الملل والنحل للشهرستاني عند الكلام على الدهرية ما حاصله : وهم قوم انكروا الخالق والبعث والاعادة وقلوا بالطبع المحيي والدمر المميت وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد بقوله تعالى (ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) اشارة الى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي وقصر الحياة والموت على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر . وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون . فاستدل عليهم بضروريات فكرية فقال عز وجل (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين

أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض أولم ينظروا الى ما خلق الله . قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين . يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) . فثبتت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة . وقال سبحانه (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم ^(١) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقال عز اسمه (افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد) . وفي كتاب (مفتاح دار السعادة) ردّاً لقول من يقول بالطبيعة : وكأني بك أيها المسكين تقول هذه المكونات كلها من فعل الطبيعة وفي الطبيعة عجائب وأسرار فلو أراد الله أن يهديك لسألت نفسك بنفسك وقلت اخبريني عن هذه الطبيعة أهي ذات قائمة بنفسها لها علم وقدرة على هذه الافعال العجيبة أم ليست كذلك بل عرض وصفة قائمة بالمتبوع تابعة له محمولة فيه ؟ فان قالت لك هي ذات قائمة بنفسها لها العلم التام والقدرة والارادة والحكمة فقل لها هذا هو الخالق البارئ المصور فلم تسميه طبيعة فهلا سميته بما سمى به نفسه على السن رسالة ودخلت في جملة العقلاء السعداء فان هذا الذي وصفت به الطبيعة صفته تعالى . وان قالت لك بل الطبيعة عرض محمول مفتقر الى حامل وهذا كله فعلها بغير علم منها ولا ارادة ولا قدرة ولا شعور أصلا وقد شوهد من آثارها ما شوهد فقل لها هذا مالا يصدقه ذو عقل سليم كيف تصدر هذه الافعال العجيبة والحكم الدقيقة التي تعجز عقول العقلاء عن معرفتها وعن القدرة عليها ممن لافعل له ولا قدرة ولا حكمة ولا شعور وهل التصديق بمثل هذه الادخول في سلك المجانين والمبرسمين ^(٢) ، ثم قل لها بعد ولو ثبت لك ما ادعيت فمعلوم أن هذه الصفة

(١) اي بالية ، يقال : رم العظم اذا بلى (٢) البرسام علة يهذى فيها ، وهو ورم حار يمرض

ليست يخالفة لنفسها ولا مبدعة لذاتها فمن ربها ومبدعها وخالقها؟ من طبعها وجعلها تفعل ذلك؟ فهي إذاً من أدل الدليل على باريها وفاطرها وكمال قدرته وعلمه وحكمته فلم يجذبك تعطيلك رب العالم وجحدك لصفاته وأفعاله الا لمخالفتك لموجب العقل والفطرة ولو حكمتك الى الطبيعة لأريناك انك خارج عن موجبها فلا أنت مع موجب العقل ولا الفطرة ولا الطبيعة ولا الانسانية أصلاً وكفى بذلك جهلاً وضلالاً . فان رجعت الى العقل وقلت لا يوجد حكمة الا من حكيم قادر عليم ولا تدبير متقن محكم الا من صانع قادر مختار مدبر عليم بما يدبر قادر عليه لا يعجزه ولا يصعب عليه ولا يتووده . قيل لك : فقد أقررت - ويحك - بالخلاق العظيم الذي لا إله غيره ولا رب سواه فدع تسميته طبيعة أو عقلاً فعلاً أو موجباً بذاته وقل هذا هو الخالق الباري المصور رب العالمين وقيوم السموات والارضين رب المشارق والمغرب الذي أحسن كل شئ خلقه وأتقن ما صنع فمالك جحدت أسماءه وصفاته بل وذاته وأضفت صنعه الى غيره وخلقته الى سواه مع انك مضطر الى الاقرار به وازافة الابداع والخلق والربوبية والتدبير اليه ولا بد فالحمد لله رب العالمين انتهى . والامدى كلام لطيف مع القائلين بالطبيعة في كتابه (أبكار الافكار) فارجع اليه . ولولا أن هذا الداء قد سرى في أكثر أقطار الارض لما تعرضنا لرده فان ذلك ليس من موضوع الكتاب . ومن قال بالدهر أثبت له صفات الكمال كالعلم والقدرة وغير ذلك . قال قائلهم (٢) :

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تسمى
 وطلوعها حمراء صافية وغروبها صفراء كالورس (٣)
 تجرى على كبد السماء كما يجرى حمام الموت في النفس (٤)

للحجاب الذي بين الكبد والامعاء ثم يتصل الى الدماغ ، وقد برسم الرجل فهو مبرسم وكأنه مركب من (بر) و(سام) وبر بالفارسية الصدر وسام هو الموت نقله الازهرى (١) أى لا يشقه ولا يشق عليه (٢) قيل : القائل تبع بن الاقرن ، وقال القالى : هو روح بن رباح ، وقيل غيرها (٣) الورس : نبت اصفر يزرع باليمن ويصنع به . وقيل : صنف من الكركم . وقيل يشبهه (٤) حمام الموت : قضاء الموت وقدره

أَيُّومَ أَعْلَمَ مَا يَجِيءُ بِهِ وَمَضَى بِفَصْلِ قَضَائِهِ أَمْسٍ^(١)
ويعتقضى ما تقرر أنه لافرق بين القائلين بالدهر والطبيعيين ، وبعضهم يفرق
ففي (شرح المقاصد) للسعد التفتازاني في تفصيل فرق الكفار : قد ظهر أن
الكافر اسم لمن لا إيمان له فان أظهر الإيمان خصّ باسم المنافق وان طرأ كفر
بعد الإسلام خصّ باسم المرتد لرجوعه عن الإسلام فان قال بالهين أو أكثر
خصّ باسم المشرك لاثباته الشركة في الألوهية وان كان متدينا ببعض الأديان
والكتب المنسوخة خصّ بالكتابي كاليهودي والنصراني وان كان يقول بقديم
الدهر وامسناد الحوادث إليه خصّ باسم الدهري وان كان لا يثبت الباري سبحانه
خصّ باسم المعطل وان كان مع اعترافه بنبوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واظهار
عقائد الإسلام يبطن عقائد هي كفر بالاتفاق خصّ باسم الزنديق وهو في الاصل
منسوب الى (زند) اسم كتاب أظهره (مزدك) في أيام (قباد) وزعم أنه
تأمل كتاب المجوس الذي جاء به (زرادشت) الذي يزعمون أنه نبينهم انتهى .
وهو اصطلاح جديد ولا مشاحة فيه .

وصنف من العرب يصبو الى الصابئة

وهم من يعتقد في الانواء^(٢) اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك
ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا بنوء كذا وسيجيء
تفصيل ذلك عند الكلام على علومهم . والصابئة أمة كبيرة من الامم الكبار ،
وقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً بحسب ما وصل اليهم من معرفة دينهم
وهم ينقسمون الى مؤمن وكافر . قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى

(١) اليوم : منصوب على الظرفية بنى مقدره وهو متعلق بأعلم وهو على تقدير لا أعلم وامس
فاعل مضي محله رفع وهذا مذهب الحجازيين لتضمنه معنى لام التعريف والكسرة فيه لالتقاء الساكنين
ولبنائه عندهم شروط وليس هذا محل ذكرها ، والبيت من شواهد النحو (٢) جمع نؤ وهو النجم
مال للغروب ، أو سقوط النجم في المغرب مع النجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق

والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فذكرهم في الامم الأربع الذين تنقسم كل أمة منهم الى ناجٍ وهالك . وذكرهم أيضاً في الامم الست الذين اتقسمت جملتهم الى ناجٍ وهالك كما في قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشرکوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) فقد ذكر الامتين اللتين لا كتاب لهما ولا ينقسمون الى شقي وسعيد وهم المجوس المشركون في آية الفصل ولم يذكرهم في آية الوعد بالجنة وذكر الصابئين فيهما ، فعلم أن فيهم الشقي والسعيد وهؤلاء كانوا قوم ابراهيم الخليل عليه السلام وهم أهل دعوته وكانوا بحران في دار الصابئة وكانوا قسمين صابئة حنفاء وصابئة مشركين . والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر ويصورونها في هياكلهم . ولتلك الكواكب عندهم هياكل مخصصة وهي المتعبدات الكبار كالكنائس للنصارى والبيع لليهود ، فلهم هيكل كبير للشمس ، وهيكل للقمر وهيكل للزهرة ، وهيكل المشتري ، وهيكل للمريخ ، وهيكل لعطارد ، وهيكل لزحل ، وهيكل للعلّة الأولى ولهذا الكواكب عندهم عبادات ودعوات مخصصة ويصورونها في تلك الهياكل ويتخذون لها أصناماً مخصوصة ويقربون لها القرابين ولها صلوات خمس في اليوم والليلة نحو صلوات المسلمين

وطوائف منهم يصومون شهر رمضان ويستقبلون في صلواتهم الكعبة ويعظمون مكة ويرون الحج إليها ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويحرمون من القرابات في النكاح ما يحرم المسلمون وعلى هذا المذهب كان جماعة من أعيان الدولة ببغداد منهم هلال بن المحسن الصابي ، صاحب الديوان الانشائي وصاحب الرسائل المشهورة وكان يصوم مع المسلمين ويعبد معهم ويزكي ويحرم المحرمات وكان الناس يعجبون من موافقته للمسلمين وليس على دينهم . « وأصل دين هؤلاء » فيما زعموا أنهم يأخذون محاسن ديانات العالم ومذاهبهم ويخرجون من قبائح ما هم عليه قولاً

وعملاً ولهذا سموا صابئة أى خارجين فقد خرجوا عن تقييدهم بجملة كل دين وتفصيله الا ما رأوه فيه من الحق . وكانت كفار قريش تسمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صابئاً والصحابة الصباة يقال صبا الرجل بالهمز اذا خرج من شيء الى شيء وصبا يصبو اذا مال . ومنه قوله تعالى (والا تصرف عنى كيدهن أصب الين) أى أميل . والمهموز والمعتل يشتركان فالمهموز ميل عن الشيء والمعتل ميل اليه . واسم الفاعل من المهموز صابئ بوزن قارىء ومن المعتل صاب بوزن قاض وجمع الاول صابئون كقارئون والثانى صابون كقاضون بوحد قرىء بهما . والمقصود أن هذه الامة قد شاركت جميع الامم وفارقهم . والحنفاء منهم شاركوا أهل الاسلام فى الخنيفية والمشركون شاركوا عباد الاصنام ورأوا أنهم على صواب وأكثرت هذه الامة فلاسفة والفلاسفة يأخذون بزعمهم بمحاسن ما دلت عليه العقول ، وعقلاؤهم يوجبون اتباع الانبياء وشرائعهم وبعضهم لا يوجب ذلك ولا يجرمه وسفهاؤهم وسفلتهم يمنعون ذلك . ولهذا لم يكن هؤلاء ولا الصابئة من الامم المستقلة التى لها كتاب ونبي وان كانوا من أهل دعوة الرسل فما من أمة الا وقد أقام الله سبحانه عليها حجة وقطع عنه حجتها لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وتكون حجته عليهم . والمقصود ان الصابئة فرق : فصابئة حنفاء ، وصابئة مشركون ، وصابئة فلاسفة ، وصابئة يأخذون بمحاسن ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقييد بجملة ولا نحلة ، ثم منهم من يقر بالنبوات جملة ويتوقف فى التفصيل ، ومنهم من يقر بها جملة وتفصيلاً ، ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلاً وهم يقرون أن للعالم صانعاً فاطراً حكماً مقدساً عن العيوب والنقائص . ثم قال المشركون منهم « ولا سبيل لنا الى الوصول الى جلاله الا بالوسائط فالواجب علينا ان نتقرب اليه بتوسطات الروحانيات القربية منه » وهم الروحانيون والمقربون المقدسون عن المواد الجسمانية وعن القوى الجسدانية ، بل قد جبلوا على الطهارة فنحن نتقرب اليهم ونتقرب

بهم اليه فهم أربابنا وآلهتنا وشفعاؤنا عند رب الأرباب واله الآلهة فما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالواجب علينا ان نطهر نفوسنا عن الشهوات الطبيعية ونهذب أخلاقنا عن علائق القوى الغضبية حتى تحصل المناسبة بيننا وبين الروحانيات وتتصل أرواحنا بهم فينبغي أن نسأل حاجاتنا منهم ونعرض أحوالنا عليهم ونصوب في جميع أمورنا اليهم فيشفعون لنا الى آلهنا وآلهم ، وهذا التطهير والتهذيب لا يحصل الا باستمداد من جهة الروحانيات وذلك بالتضرع والابتهال بالدعوات من الصلوات والزكوات وذبح القرابين والبخورات والعزائم ، فينبغي أن يحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة الرسل بأن نأخذ من المعين الذي أخذت منه الرسل فيكون حكمنا وحكمهم واحداً ونحن وإياهم بمنزلة واحدة قالوا « والانبيا أمثالنا في النوع وشركاؤنا في المادة وأشكالنا في الصورة يأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب وما هم الا بشر مثلنا يريدون ان يتفضلوا علينا » . فهؤلاء كفروا بالاصلين اللذين جاءت بهما جميع الرسل والانبيا من أولهم الى آخرهم . أحدهما عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه من آله ، والثاني الايمان برسله وما جاؤا به من عند الله تصديقاً وقراراً وانقياداً وامثالاً . وليس هذا مختصاً بمشركي الصابئة كما غلط فيه كثير من أرباب المقالات بل هذا مذهب المشركين من سائر الامم لكن شرك الصابئة كان من جهة الكواكب والعلويات . ولذلك ناظرهم امام الحنفاء صلوات الله وسلامه عليه في بطلان آلهيتها بما حكاه سبحانه في سورة الانعام أحسن مناظرة واينها ظهرت فيها حجته ودحضت فيها حججهم ، فقال بعد ان بين بطلان الهية الكواكب والقمر والشمس باقولها وان الآله لا يليق به ان يغيب ويأفل لا يكون الا شاهداً غير غائب - كما لا يكون الا غالباً قاهراً غير مغلوب ولا مقهور ، نافعاً لعابده يملك لعابده الضر والنفع فيسمع كلامه ويرى مكانه ويهديه ويرشده ويدفع عنه كل ما يضره ويؤذيه ، وذلك ليس الا الله وحده فكل معبود سواه باطل فلما رأى امام الحنفاء أن الشمس والقمر والكواكب ليست بهذه المثابة

صعد منها الى خالقها و فاطرها و مبدعها فقال (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات
والارض) . وفى ذلك اشارة الى أنه سبحانه خالق أمكنته و محالها التى هى مفتقرة
اليها ولا قوام لها الا بها فهى محتاجة الى محل تقوم به و فاطر يخلقها و يدبرها و يربها
والمحتاج المخلوق المربوب المدير لا يكون الهاً فحاجة قومه فى الله و من حاج فى عبادة
الله فحجته داحضة فقال ابراهيم (أتعاجونى فى الله وقد هدانى) وهذا من أحسن
الكلام أى أتريدون أن تصرفونى عن الاقرار بربى و توحيدى و عن عبادته و حده
و تشككونى فيه وقد أرشدنى و بين لى الحق حتى استبان لى كاليان و بين لى بطلان
الشرك و سوء عاقبته و ان آلهتكم لا تصلح للعبادة و ان عبادتها توجب لها بدها غاية
الضرر فى الدنيا و الآخرة فكيف تريدون منى ان أنصرف عن عبادته و توحيدى
الى الشرك به وقد هدانى الى الحق و سبيل الرشاد فالحاجة و المجادلة انما فائدتها طلب
الرجوع و الانتقال من الباطل الى الحق و من الجهل الى العلم و من العمى الى الابصار ،
و مجادلتكم اياى فى الآله الحق الذى كل معبود سواه باطل تتضمن خلاف ذلك -
فخوفه بآلهتهم أن تصيبه بسوء كما يخوف المشرك الموحى بآله الذى يأله مع الله
ان يناله بسوء . فقال الخليل (ولا أخاف ما تشركون به) فان آلهتهم أقل و أحقر من
أن تضر من كفر بها و جحد عبادتها . ثم رد الأمر الى مشيئة الله و حده و انه هو
الذى يخاف و يرجى فقال (الا ان يشاء ربي شيئاً) و المعنى لا أخاف آلهتكم فانها
لا مشيئة لها ولا قدرة لكن ان شاء ربي شيئاً نأبى و أصابنى لا آلهتكم التى لا تشاء ولا
تعلم شيئاً و ربي له المشيئة النافذة قد وسع كل شىء علماً ، فمن أولى بأن يخاف و يعبد
هو سبحانه أم هى ؟ ثم قال (أفلا تتذكرون) فتعلمون بطلان ما أنتم عليه من اشراك
من لا مشيئة له ولا يعلم شيئاً بمن له المشيئة التامة و العلم التام . ثم قال (وكيف أخاف
ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً) وهذا من
أحسن قلب الحجة و جعل حجة المبطل بعينها دالة على فساد قوله و بطلان مذهبه
فانهم خوفوه بآلهتهم التى لم ينزل الله عليهم سلطاناً بعبادتها و قد تبين بطلان آلهتها

ومضرة عبادتها ومع هذا فلا تخافون شرككم بالله وعبادتكم معه آلهة أخرى فأى الفريقين أحق بالامن وأولى بأن لا يلحقه الخوف فريق الموحدين أم فريق المشركين ؟ فحكم الله سبحانه بين الفريقين بالحكم العدل الذى لاحكم أصح منه فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم « أى بشرك » أولئك لهم الامن وهم مهتدون) . ولما نزلت هذه الآية شق أمرها على الصحابة وقالوا : يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه ، فقال « انما هو الشرك ألم تسمعون قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم » فحكم سبحانه للموحدين بالهدى والامن وللمشركين بصد ذلك وهو الضلال والخوف . ثم قال (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) قال أبو محمد بن حزم : وكان الذى ينتخله الصابئون أقدم الأديان على وجه الأرض والغالب على الدنيا الى أن أحدثوا الحوادث وبدلوا شرائعهم فبعث الله اليهم ابراهيم خليله بدين الاسلام الذى نحن عليه اليوم وتصحيح ما أفسدوه وبالحنيفية السمحة التى أتانا بها محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من عند الله وكانوا فى ذلك الزمان وبعده الحنفاء . قلت : هم قسبان صابئة مشركون وصابئة حنفاء وبينهم مناظرات وقد حكى الشهرستانى بعض مناظراتهم ، والله ولى الهداية والتوفيق .

وصنف من العرب زنادقة

وهم طائفة من قريش . قال ابن قتيبة فى (كتاب المعارف) عند الكلام على أديان العرب فى الجاهلية : وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الحيرة . وفى القاموس : الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو هو معرب زن دين أى دين المرأة والاسم الزندقة . وقد ألف ابن الكمال رسالة فى بيان معنى هذا اللفظ قال فيها : وأما الذى ذهب اليه صاحب القاموس من أنه معرب زن دين فلا وجه

له كما لا يخفى و (زند) اسم كتاب أظهره (مزدك) رئيس الفرقة المزدكية من الفرق الثنوية في زمن كسرى بن أنوشروان والمزدكية غير المانوية أصحاب ماني الحكيم (١) الذي ظهر في زمن سابور بعد بعث عيسى عليه الصلاة والسلام . ثم قال بعد كلام طويل ، قال في الصحاح : الزنديق من الثنوية وهو معرب و الجمع الزنادقة والهاء عوض عن الياء المحذوفة وأصله الزناديق والاسم الزندقة أو نافيا للصانع الحكيم قائلاً لو كان له وجود لما كان الأمر كذا . والذي يظهر لي أن مراد ابن قتيبة من الزندقة التي نسبتها إلى بعض العرب اعتقاد الثنوية أو القائل بالنور والظلمة بمقتضى قوله أخذوها من الحيرة فانها كما أسلفنا في الكلام على ملوك الحيرة من بلاد الفرس وان كان سكنتها وملوكها من العرب المتدينين بدين الفرس أو دين المسيح ولو كان مراده من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية لم يكن لأخذها من الحيرة وجه فان كثيراً من قبائل العرب كانوا كذلك فتعين أن مراده ما ذكرنا فلا بد من بيان ما كان عليه الثنوية والقائلين بالنور والظلمة ليتبين المقصود .

بيان معتقدات الثنوية

وهم طائفة قالوا : الصانع اثنان ففاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قوين حساسين مدركين سميعين بصيرين وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير فالنور فاضل حسن نقي طيب الريح حسن المنظر ونفسه خيرة كريمة حكيمة نفاعه منها الخيرات والمسرات والصلاح وليس فيها شيء من الضرر ، والظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص وتتن الريح وقبح المنظر ونفسها نفس شريرة بخيلة سفهية منتنة مضرّة منها الشر

(١) هو رجل يقول: الخير من النهار والشر من الليل ، واتحل هذا المذهب وقدر دعه المتلبي

فقال :

وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر ان المانوية تكذب
وقاكردي الاعداء تسرى إليهم وزاوكفيه ذوالدلال المحجب

والفساد ، ثم اختلفوا فقالت فرقة منهم : ان النور لم يزل فوق الظلمة . وقالت فرقة : بل كل واحد منهما الى جانب الآخر . وقالت فرقة : النور لم يزل مرتفعاً في ناحية الشمال والظلمة منحطة في الجنوب ولم يزل كل واحد منهما مباناً لصاحبه وزعموا أن لكل واحد منهما أربعة أبدان وخامس هو الروح ، فأبدان النور الأربعة الماء والنور والريح والماء وروحه السيح ولم يزل متحركاً في هذه الأبدان ، وأبدان الظلمة الأربعة الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت وبعضهم يقول : الظلمة تولد شياطين ، والنور يولد ملائكة ، والنور لا يقدر على الشر ولا يجي منه والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجي منها . ولهم مذاهب سخيفة جداً وفرض عليهم صوم سبع العمر وأن لا يؤذى أحد منهم ذاروح البتة . ومن شريعتهم أن لا يدخروا الا قوت يوم وتجنب الكذب والبخل والسحر وعبادة الأوثان والزنى والسرقه ، واختلفوا هل الظلمة قديمة أو حادثة فقالت فرقة منهم : هي قديمة لم تزل مع النور ، وقالت فرقة : بل النور هو القديم ولكنه فكر فكرة ردية حدثت منها الظلمة . فدار مذهبهم على أصليين من أبطل الباطل . أحدهما : أن شر الموجودات وأخبثها وأردأها كفاء خيبر الموجودات وصد له ومناوى له يعارضه ويضاده ويناقضه دائماً ولا يستطيع دفعه وهذا أعظم من شرك عباد الأصنام الذين عبدوها لتقربهم الى الله فاتهم جعلوها مملوكة له مربوبة مخلوقة كما كانوا يقولون في تليينهم « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك » الأصل الثاني انهم نزهوا النور أن يصدر منه شر ثم جعلوه منبع الشر كله وأصله ومولده وأثبتوا آلهين وريين وخالقين فجمعوا بين الكفر بالله وأسمائه وصفاته ورسله وأنبيائه وملائكته وشرائعه وأشركوا به أعظم الشرك . وحكى أرباب المقالات عنهم أن قوماً منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن طينة العالم كانت طيبة حسنة ، وكانت نحاكي جسم النور الذي هو الباري عندهم زماناً فتأذى بها فلما طال ذلك

عليه قصد تنحيها عنه فتحول فيها واختلط بها فتركب من بينهما هذا العالم المشتعل على الظلمة والنور فما كان من جهة الصلاح فمن النور وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة . قال : وهؤلاء يفتالون الناس ويخنقونهم ويزعمون أنهم يحسنون إليهم بذلك وأنهم يخلصون الروح النورانية من الجسد المظلم . وقال بعضهم : إن الباري سبحانه لما طالمت وحدته استوحش ففكر ففكرة سوء فتجسمت فكرته فاستحالت ظلمة فحدث منها ابليس فرام الباري إبعاده عن نفسه فلم يستطع فتحرز منه بخالق الجنود والخيرات فشرع ابليس في خلق الشر ، وأصل عقد مذهبهم الذي غلبه خواصهم أثبات القدماء الخمسة الباري . والزمان . والخلاء . والهيولى^(١) . وإبليس . فالباري خالق الخيرات . وإبليس خالق الشرور ، وكان (محمد بن زكريا الرازي) على هذا المذهب لكنه لم يثبت ابليس فجعل مكانه النفس وقال بقدم الخمسة مع رشحة به من مذاهب الصابئة والديهرية والفلاسفة والبراهمة فكان قد أخذ من كل دين شرماً فيه ، وصنف كتاباً في إبطال النبوات ورسالة في إبطال المعاد فركب مذهباً مجموعاً من زنادقة العالم وقال أنا أقول إن الباري والنفس والهيولى والزمان والمكان قدماء وإن العالم محدث . قيل له : فما العلة في أحداثه ؟ قال : إن النفس اشتتت أن تتخيل في هذا العالم وحركتها الشهوة لذلك ولم تعلم ما يلحقها من الوبال إذا انحلت فيه فاضطربت وحركت الهيولى حركات مشوشة مضطربة على غير نظام وعجزت عما أرادت فأعانها الباري على أحداث العالم وحملها على النظام والاعتدال . وعلم أنها إذا ذابت وبال ما اكتسبته عادت إلى عالمها وسكن اضطرابها وزالت شهوتها واستراحت فأحدثت هذا العالم بمعاونة الباري لها . قال : ولولا ذلك لما قدرت على أحداث هذا العالم ولولا هذه العلة لما حدث هذا العالم ! نسأله سبحانه العصمة من الخذلان .

(١) هي في كلام المتكلمين أصل الشيء قال في المزمهر : فان يكن (أي لفظ الهيولى) من كلام العرب فهو صميح في الاشتقاق ووزنه فعولى ، وقيل هو مخفف هيئة اولى . والصواب انه لفظ

وصنف من العرب عبدوا الملائكة

وهم أفراد من العرب قد رد الله تعالى عليهم بقوله (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) . وقال تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول : أنتم أضلتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ؟ قالوا : سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً^(١) فقد كذبوكم بما تقولون فاستطيعون صرفاً ولا نصراً ومن يظلم منكم ندقه عذاباً كبيراً) وقد تكلم المفسرون على هذه الآيات بما لا يسعنا إيراده فمن أرادها فليرجع الى كتب التفسير

ومنهم صنف عبدوا الجن

وهم شرذمة قليلون من أهل البوادي قد حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) أى كبيراً وعتواً أو غياً بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم . فان الرجل كان اذا أمسى بقفر قال « أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه » وقال تعالى (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم) وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم)

يعنى قد استكثرتم من اضلالهم واغواؤهم . قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم : أضلتم منهم كثيراً فيجيبه سبحانه أولياؤهم من الانس بقولهم

يونانى بمعنى الاصل والمادة . وفى الاصطلاح جوهر فى الجسم قابل لما يعرض له من الاتصال والانفصال محل للصورتين النوعية والجسمية (١) البور : الهلاك

(ربنا استمتع بعضهم ببعض) يعنون استمتاع كل نوع بالنوع الآخر فاستمتع الجن بالانس طاعتهم لهم فيما يأمرونهم به من الكفر والفسوق والعصيان فان هذا أكثر أغراض الجن من الانس فاذا أطاعوهم فيه فقد أعطوهم منهاهم واستمتع الانس بالجن أنهم أعانوهم على معصية الله والشرك به بكل ما يقدرون عليه من التحسين والتزيين والدعاء وقضاء كثير من حوائجهم واستخدامهم بالسحر والعزائم وغيرها فطاعتهم الانس فيما يرضيهم من الشرك والفواحش والفجور واطاعتهم الجن فيما يرضيهم من التأثيرات والاخبار ببعض المغيبات فتمتع كل من الفريقين بالآخر . وفي كتاب (اكلام المرجان في أحكام الجنان) حدثنا الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الأعمش عن ابراهيم عن أبي معمر قال قال عبد الله بن مسعود : كان نفر من الانس يعبدون نفراً من الجن فأسلم نفر من الجن واستمسك هؤلاء بعبادتهم فأنزل الله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً) وفي رواية عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والانس كانوا يعبدونهم ولا يشعرون .

وصنف منهم عبدوا النار

وهم أشنتات من العرب وكان ذلك سرى اليهم من الفرس والمجوس وقد قيل إن عبادة النار كانت في الأرض من عهد قابيل كما ذكره أبو جعفر بن جرير انه لما قتل قابيل هاويل وهرب من أبيه آدم أتاه ابليس فقال له : ان هاويل انما قبل قربانه وأكلته النار لانه كان يخدمها ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها وسرى هذا المذهب في المجوس فبنوا لها بيوتاً كثيرة واتخذوا الوقوف والسدنة والحجاب فلا يدعونها

تخمد لحظة واحدة فاتخذ لها (أفريدون) بيتاً (بطوس) وآخر (ببخارى) ،
واتخذ لها (بهمن) بيتاً (بسجستان) واتخذها (أبو قتادة) بيتاً (بناحية بخارى)
واتخذت لها بيوت كثيرة . وعباد النار يفضلونها على التراب ويعظمونها
ويصوبون رأى ابليس وقد رمى بشار بن برد^(١) بهذا المذهب لقوله في قصيدته
الأرض سافلة سوداء مظلمة والنار معبودة مذكات النار

ويقولون : إنها أوسع العناصر خيراً وأعظمها جرماً وأوسعها مكاناً وأشرفها جوهرًا
والطفها جسمًا ولا كون في العالم إلا بها ولا نمو ولا انعقاد إلا بمجازجتها . ومن
عبادتهم لها أن يحفروا لها اخدوداً مربعاً في الأرض ويطوفون به . وهم أصناف
مختلفة « فمنهم » من يحرم القاء النفوس فيها واحتراق الأبدان بها وهم أكثر
المجوس « وطائفة أخرى » منهم تبلغ بهم عبادتهم لها أن يقربوا أنفسهم وأولادهم
لها وهؤلاء أكثر ملوك الهند واتباعهم ولهم سنة معروفة في تقريب نفوسهم
والقائم فيها فيعمد الرجل الذي يريد أن يفعل ذلك بنفسه أو بولده أو حليلته
فيجمله ويلبسه أحسن اللباس وأنقى الخلي ويركب أعلى المراكب وحوله المعازف
والطبول والبوقات فيزف الى النار أعظم من زفافه ليلة عرسه حتى اذا ما قابلها
ووقف عليها وهي تأجج طرح نفسه فيها فضج الحاضرون صيحة واحدة بالدعاء
له وغبطه على ما فعل فلم يلبث إلا بسيراً حتى يأتيهم الشيطان في صورته وهيئته
وشكله لا ينكرون منه شيئاً فيأمرهم بأمره ويوصيهم بالتمسك بهذا الدين ويخبرهم
أنه صار الى الجنة ورياض وأنهار وأنه لم يتألم بمس النار له فلا يهولهم ذلك
ولا يمنعهم أن يفعلوا مثله « ومنهم » زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين

(١) هو الشاعر العربي الشهير ، محله في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه باجماع الرواة ورثاسته
عليهم من غير اختلاف في ذلك — يعني عن وصفه . وهو من شعراء مخضرمي الدولتين الاموية
والعباسية ، ولد أعمى فما نظر الى الدنيا قط وكان يشبه الاشياء في شعره بعضها ببعض فيأتي بما لا يقدر
البصراء ان يأتوا بمثله . . . قال الجاحظ : كان بشار يدين بالرجمة ويكفر جميع الامم ويصوب رأى
ابليس عليه اللعنة في تقديم عنصر النار على الطين وذكر ذلك في شعره فقال :

الأرض سافلة سوداء مظلمة والنار معبودة مذكات النار

عاكفين عليها . ومن سنتهم الحث على الاخلاق الجميلة كالصدق والوفاء وأداء الامانة والعفة والعدل وترك اضرارها وهؤلاء شرائع في عبادتها ونواميس وأوضاع لا يخلون بها « ومن عجائب العقول وتناقضها » فان طائفة أخرى تعبد الماء من دون الله وتسمى (الخلبانية) وتزعم أن الماء لما كان أصل كل شيء وبه كل ولادة ونمو ونشوء وطهارة وعمارة وما من عمل في الدنيا الا يحتاج الى الماء ، ومن شريعتهم في عبادته أن الرجل منهم اذا أراد عبادته تجرد وستر عورته ثم دخل فيه حتى يصير الى وسطه فيقيم هناك ساعتين أو أكثر بقدر ما أمكنه ويكون معه ما يمكنه أخذه من الرياحين فيقطعها اصغارا فيلقمها فيه شيئاً فشيئاً وهو يسبحه ويمجده فاذا أراد الانصراف حرك الماء بيده ثم أخذ منه فيضعه على رأسه وجسده ثم يسجد وينصرف قال ابن قتيبة في (كتاب المعارف) وكانت المجوسية في تيمم منهم زرارة ابن عدس التيمي وابنه حاجب بن زرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم . ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسياً . وأبو الأسود جد وكيع بن حسان كان مجوسياً انتهى . وما ذكر أن حاجب بن زرارة تزوج ابنته ليس من عوائد العرب ولا من مذاهبهم وقد سرى لحاجب هذا المنكر من المجوسية والعرب كانوا يتخرجون من نكاح المحارم على اختلافهم في المذاهب والمشارب ، وهذا الذي ذكره ابن قتيبة ذكره غيره أيضاً ، قال الامام الماوردي في (اعلام النبوة) : حكى أن حاجب بن زرارة وهو سيد بني تميم نكح بنته وأولدها وقد كان سماها (دختنوس) باسم بنت كسرى وقال فيها حين نكحها مرتجلاً :

يا ليت شعري عنك دختنوس^(١) اذا أتاه الخبر المرموس^(٢)

أتسحب الذيلين أم تيمس^(٣) لابل تيمس انها عروس^(٤)

(١) الخبر المرموس : المكتوم

(٢) تسحب : تجر ، وتيمس : تنبخر ، وقد نسب هذين البيتين الزمخشري في الاساس والزبيدي في التاج والاصبهاني في الاغانى الى لقيط بن زرارة ، قال الاصبهاني (الاغانى ج ١٠ ص ٣٨) :

وهذا في قريش من الفواحش انتهى . وترجمة زرارة وابنه والاقرع بن حابس وأبي الاسود مذكورة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني وكتاب لبالب لسان العرب . والاقرع بن حابس اسلم وكان من الصحابة . قال ابن حجر في (الاصابة) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التيمي المجاشعي الدارمي قال ابن اسحق : وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشهد فتح مكة وحينئذ والطائف وهو من المؤلفات قلوبهم وقد حسن اسلامه . وقال الزبير في (النسب) كان الأقرع حكماً في الجاهلية وفيه يقول جرير وقيل غيره لما تنافر اليه هو والفرافصة أو خالد بن أرطاة :

يأقرع بن حابس يأقرعُ الما ان يصرع أخوك تصرعُ (١)

دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكانت تحت عمرو بن عدس ! وفي تاج العروس (ج ٤ ص ١٤٧) : دختنوس كضرفوط بيت لقيط بن زرارة التيمي وهي معربة أصلها دختنوش أي بنت الهنيء سماها أبوها باسم ابنة كسرى قلبت الشين سيناً لما عربت قال لقيط :

يألت شعري اليوم دختنوس اذا آناها الخبر المرموس
انخلق القرون ام تيس لابل تيس انها عروس ١٠٠٠هـ

وليس في الاصول التي بايدينا ما يشعر بانها ابنة حاجب وانه قال فيها هذين البيتين حين نكحها مرتجزاً ! بل المشهور ان لقيطاً قالهما يوم شعب جيلة ندموته ، وجعلت بنو طامر يضربونه وهو ميت فقالت دختنوس :

الا يالها الويلات ويلة من بكى لضرب بني عبس (اقيطاً) وقد قضى
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابة وما تحمل الضيم الجنادل مرردى
فلوانكم كنتم غداة لقيتم (لقيطاً) ضربتم بالاسنة والقنا
غدرتم وانكن كنتم مثل خضب اضاءت لها القناس من جانب الشرا
فما تأره فيكم ولكن تأره (شريح) أردته الاسنة أو هوى
فان تعقب الايام من فارس تكن عليكم حريقاً لا يرام اذا سما
ليجزىكم بالقتل قتلا مضمفاً وما في دماء الخمس يامل من بوا
ولو قتلنا (غالب) كان قتلها علينا من لعار المجدع للعلى
لقد صبرت للموت (كعب) وحافظت (كلاب) وما اتم هناك لمن رأى

(١) حرك مجزوم (ان) بالضم للضرورة الشعرية ، قال سييويه رحمه الله : وقد تقول ان اتيتني آتيك أي اتيك ان تأتيني ، قال زهير :

وان أتاه خليل يوم مسألة يقول لاقائب مالي ولا حرم
ولا يحسن ان تأتيني اتيك من قبل ان اذهى العاملة وقد جاء في الشعر قال جرير : يا اقرع بن

قال ابن دريد : اسم الأقرع بن حابس فراس وانما قيل له الأقرع لقرع كان برأسه
وكان شريفاً في الجاهلية والاسلام . وروى ابن شاهين انه لما أصاب عيينة بن حصين
بني العنبر قدم وفدهم فذكر القصة وفيها فكاه الأقرع بن حابس رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم في السبي وكان بالمدينة قبل قدوم السبي وفي ذلك يقول الفرزدق
يفخر بعمه الأقرع :

وعند رسول الله قام (ابن حابس) بمخطة أسوار الى المجد حازم .
له أطلق الاسرى التي في قيودها مغللة أعناقها في الشكائم (١)

وصنف من العرب عبدوا الشمس

وهم عرب حمير قبل أن يهودوا ومنهم قوم بلقيس صاحبة القصة مع سليمان
عليه السلام وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز في قوله (وتفقد الطير فقال
مالي لأرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه
أولياتني بسطان ميين فكث غير بعيد فقال أحطت بمالم تحط به وجئتك من
سبأ نبأ يقين) . روى ان سليمان عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج
فوافى الحرم وأقام به ماشاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحاً فوافى صنعاء
ظهاً فأعجبه نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن
طلب الماء فتفقدته لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهداً واقفاً
فأخطأ اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى .
ولعل في عجائب قدرة الله تعالى وما خص به من خاصة عباده أشياء أعظم من

حابس . . . البيت . . . أي انك تصرع ان تصرع اخوك الخ وقد خرج الرضى البيت على خلاف ماخرجه
سيبويه فجعل تصرع جواب الشرط مع مبتدأ محذوف مع الفاء الرابطة والتقدير فانت تصرع والجملة
الشرطية خبر (ان) وسيبويه جعل تصرع خبر ان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله .
وهذا الرجز لجرير . ويقال : انه لعمر بن الحثارم (١) الشكائم جمع شكيمة وهي في اللجام الحديدية
المتعضة في فم الفرس التي فيها الفأس كما هو نص الجوهرى وفأس اللجام هي الحديدية القائمة في اللجام اذا
كان ذا عارضة وجد

ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها . (انى وجدت امرأة تملكهم)
يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان . (وأوتيت من كل شيء ولها عرش
عظيم) قيل كان ثلاثين ذراعاً في ثلاثين عرضاً وسمكاً أو ثمانين في ثمانين من ذهب
وفضة مكللاً بالجواهر . (وجدت بها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم
الشیطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . الا يسجدوا لله الذى يخرج
الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابى هذا فاقه اليهم
ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت يا أيها الملائكة انى ألقى إلى كتاب كريم انه
من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعالو على واثتوني مسلمين . قالت يا أيها
الملائكة افتوني فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدونى . قالوا نحن أولو قوة
وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين) الى آخر الآيات الواردة
فى هذه القصة . وقد آل الأمر بها الى الايمان كما يدل عليه قوله (وصددها ما كانت
تعبد من دون الله) أى وصددها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام . (انها
كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلى الصرح^(١) فلما رآته حسبته لجة^(٢) وكشفت
عن ساقها) روى أن سليمان أمر قبل قدومها فبنى قصرأً صحنه من زجاج أبيض
وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه
فلما أبصرته ظنت ماء راكداً فكشفت عن ساقها (قال انه صرح ممرد من
قوارير^(٣) . قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقد
اختلف فى أنه تزوجها أو زوجها من ذى تبع ملك همدان . وتفصيل ما كان فى كتب
التفسير والتواريخ وقد ذكرنا سابقاً سبب عبادة الشمس وما كان يزعمه فيها
عبادها وشريعتهم فى عبادتها فلاحاجة الى الاعادة

(١) القصر ، وكل بناء مشرف من قصر أو غيره فهو صرح (٢) اللجة : معظم البحر
(٣) ممرد : مجلس ، والقوارير جمع قارورة وهى ماقر فيه الشراب ويخص الزجاج ، وقوارير
من فضة : أى من زجاج فى بياض الفضة وسقاء الزجاج عند المؤولة من المفسرين

وصنف من العرب عبدوا الكواكب

وهم طائفة من تميم عبدوا (الدبران) من النجوم ومن زعمهم الكاذب ان (العيوق) عاق الدبران لما ساق الى الثريا مهراً وهي نجوم صغار نحو عشرين نجماً فهو يتبعها أبداً خاطباً لها ولذلك سموها هذه النجوم (القلاص) وعليه قول الشاعر:

اما ابن طوقٍ فقد أوفى بدمته كما وفي (بقلاص النجم) حاديها^(١)

وبعض قبائل نخم وخزاعة وقريش عبدوا (الشعري العبور) وأول من سن ذلك لهم أبو كبشة وجزء بن غالب جد وهب بن عبد مناف أبو آمنة أم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعث الرسول وخالف قريشاً وغيرهم من العرب في عبادة الاوثان كانوا يسمونه ابن أبي كبشة لمخالفته لهم كمخالفة أبي كبشة لهم في عبادة الشعري وهي التي عناها الله تعالى بقوله (وانه هورب الشعري) وخصها بالذكر لعبادة من ذكرناها أو ان تخصصها للشعار بأن النبي عليه السلام وان وافق أبا كبشة في مخالفتهم خالفه أيضاً في عبادتها . وفي الكواكب (شعري الغميصاء) أيضاً ، أما العبور فاتها من نجوم الجوزاء وهي من النجوم التي في العظم الاول وأصحاب الصور يسمونها في (السرطان) . ويسمى (كلب الجبار) وسميت (بالعبور) لأنها على ما حكاه أصحاب اللغة في كاذيب العرب وخرافاتهم كانت و (الغميصاء) و (سهيل) مجتمعة ولذلك يقال للشعريان (أختا سهيل) فأنحدر سهيل فصار يمانياً وتبعته العبور فغيرت (الجرة) وأقامت الغميصاء فبكت لفقده سهيل حتى غمصت . والغمص في العين نقص وضعف والشعري العبور أشد ضياء من الغميصاء . والغميصاء من نجوم الذراع المبسوطة وبينها وبين العبور الجرة

(١) حاديها هو الدبران ، قال ذو الرمة :

قلاص حداها راكب متعمم هجان قد كادت عليه تفرق

وأصحاب الصور يعدونها في صورة الكلب الأكبر وهي تقطع السماء عرضاً وليس غيرها من الكواكب كذلك . وبعض طييء عبدوا (الثريا) وهي عدة كواكب مجتمعة . وبعض قبائل ربيعة عبدوا (المرزم) كمنبر ، والمرزمان نجمان مع الشعريين والمرزم بمعنى الجمع ورزم الشتاء رزمة برد وبه سمي نوء المرزم . ويقال ان أحد المرزمان يتبع الشعري العبور وأصحاب الصور يسمونه (كف الكلب) والآخر هو الكوكب الاخفى من كوكبي الذراع المبسوطة . والقمر عبدته كنانة وقد ذكرنا شرائعهم في عبادة كل ذلك

وصنف منهم على دين اليهود

كانت اليهودية في حمير بعد ان كان الغالب من المجوس وعبدة الشمس ونحو ذلك ، والسبب في ذلك أن (تبع الاصغر) وهو تبع حسان بن تبع بن كليكرب بن تبع الاقرن وهو آخر التبابعة لما ملك وكان مهيباً - بعث ابن اخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي وهو جد امرئ القيس الشاعر الى معبد وملكه عليهم وسار الى الشام وملكها غسان فاعطته المقادة واعتذروا من دخولهم الى النصرانية وصاروا الى ابن اخته الحارث بن عمرو وهو بالمشقر من ناحية هجر فاتاه قوم كانوا وقعوا الى يثرب ممن خرج مع عمرو بن عامر مزقياء وخالفوا اليهود بيثرب فشكوا اليهود وذكروا سوء مجاورتهم له . ونقضهم الشرط الذي شرطوه لهم عند نزولهم ومثوا^(١) اليه بالرحم فأحفظه^(٢) ذلك فسار اليه يثرب ونزل في سفح أحد^(٣) وبعث الى اليهود فقتل منهم ثلاثمائة وخمسين رجلاً صبراً وأراد اخرابها فقام اليه رجل من اليهود قد أتت له مائتان وخمسون سنة فقال له : أيها الملك لا تقتل على الغضب ولا تقبل قول الزور وأمرك أعظم من أن يطير بك برق أو يسرع بك لجأج وانك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية . قال : ولم؟

(١) الملت : التوسل (٢) احفظه : اغضبه (٣) سفح الجبل : مثل وجهه وزناً ومعنى

قال : لانها مهاجر نبي من ولد اسماعيل يخرج من عند هذه البنية (١) يعنى البيت الحرام فكف تبع عن ذلك ومضى يريد مكة ومعه هذا اليهودى ورجل آخر من اليهود عالم وهما الخبران فأتى مكة وكسا البيت وأطعم الناس وهو القائل :

فكسونا البيت الذى حرم الا ه ملاء معظماً وبروداً (٢)

ويقول قوم : ان قائل هذا هو تبع الاوسط. ثم رجع الى اليمن ومعه الخبران وقد دان بدينهما وآمن بموسى وما نزل فى التوراة وبلغ ذلك أهل اليمن فاختلفوا عليه وامتنعوا من متابعتة على دينه فحاکهم الى النار بان دخلها الخبران وقوم منهم فأحرقهم وسلم الخبران والتوراة فانقادوا له وتابعوه فبذلك دخلت اليهود اليمن (تبع) هذا هو الذى عقد الحلف بين اليمن وربيعه وكان ملكه ثمانى وسبعمائة سنة . وكانت اليهودية أيضاً فى بنى كنانة وكنندة وبنى الحرث بن كعب . ولعلها سرت اليهم من مجاورة اليهود لهم فى يثرب وخيبر وغير ذلك .

وصنف منهم على دين النصارى

فقد كانت النصرانية فى ربيعة وغسان وبعض قضاة وكأنهم تلقوا ذلك عن الزوم فتمد كان العرب يكثرون التردد الى بلادهم للتجارة وقد اجتمع على النصرانية فى الخيرة قبائل شتى من العرب يقال لهم (العباد) بكسر العين وتخفيف الباء منهم عدى بن زيد العبادى وميائى ذكره وخبره قريباً . وكان بنو تغلب أيضاً من نصارى العرب وكانت لهم شوكة وقوة يد . وقد صالح عمر بن الخطاب

(١) البنية على فعيلة الكعبة لشرفها اذ هي اشرف مبنى يقال : لا ورب هذه البنية ما كان كذا وكذا ، وفى حديث البراء بن معرور : رأيت ان لأجمل هذه البنية منى بظهر ، يريد الكعبة ، وكانت تدعى بنية ابراهيم عليه السلام لانه بناها وقد كثر قسمهم برب هذه البنية (٢) الملاء جمع ملاءة بالضم والمد وهى الريطة ذات لفقين كلتها نسج واحد وقطعة واحدة أو كل ثوب لين رقيق ، و (مظماً) صوابه : (معضداً) كمعظم وهو ثوب له علم فى موضع العضد ، وقيل ثوب معضد مخطط على شكل العضد وقال الفحياى هو الذى وشيه فى جوانبه ، وفى الاساس ثوب معضد : مضلع (١٦ - نى)

رضى الله تعالى عنه في أيام خلافته على ان لا يغمسوا أحداً من أولادهم في النصرانية
ويضاعف عليهم الصدقة فاذا وجب على المسلم شيء في ذلك فعلى النصراني التغلبي
مثله مرتين . ونساؤهم كرجالهم في الصدقة فاما الصبيان فليس عليهم شيء وكذلك
أرضوهم التي كانت بأيديهم يوم صولحوا فيؤخذ منهم ضعف ما يؤخذ من المسلم .
واما الصبي والمعتوه فيؤخذ ضعف الصدقة من أرضه ولا يؤخذ من ماشيته ولا
شيء عليهم في بقية أموالهم ورقيقهم . وكان أهل نجران أيضاً من نصارى العرب
وقدم وفدهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلاً
من أشرفهم منهم السيد وهو الكبير والعاقب وهو الذي يكون بعده وصاحب
رأيهم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أسلمنا . قالوا : أسلمنا . قال :
مأسلمنا . قالوا : بلى قد أسلمنا قبلك . قال : كذبتمنا يمنعكم من الاسلام ثلاث فيكما
عبادتكما الصليب وأكلكم الخنزير وزعمكما أن الله ولداً ونزل : ان مثل عيسى عند
الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون . فلما قرأها عليهم قالوا :
ما نعرف ما تقول . ونزلت آية المباهلة وهي (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من
العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل^(١)
فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :
إن الله تعالى قد أمرني ان لم تقبلوا هذا أن اباهلكم . فقالوا : يا أبا القاسم بل نرجع
فننظر في أمرنا ثم نأتيك نخلا بعضهم ببعض وتصادقوا فيما بينهم . قال السيد
للعاقب : قد والله علمتم أن الرجل نبي مرسل ولئن لاعنتموه لاستأصلكم ، وما
لاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبث صغيرهم فان اتم ابن تتبعو دوايتهم الالف

(١) أي نتباهل فالافتعال هنا بمعنى المفاعلة وافتعل وتفاعل اخوان في كثير من المواضع كاشتور
وتشاور واجتور وتجاور والاصل في البهلة بالضم والفتح فيه كما قيل اللعنة والدعاء بها ثم شاعت في مطلق
الدعاء كما يقال فلان يبتهل الى الله تعالى في حاجته ، وقال الراغب بهل الشيء والبعير اهاله وتخليته ثم
استعمل في الاسترسال في الدعاء سواء كان لعناً اولاً الا انه هنا يفسر باللعن لانه المراد الواقع كما
يشير اليه قوله تعالى (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) أي في أمر عيسى عليه السلام فانه معطوف
على نبتهل مفسر للمراد منه أي تقول لعنة الله على الكاذبين او اللهم العن الكاذبين ، انتهى من روح المعاني

دينكم فوادعوه وارجعوا الى بلادكم . وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
خرج ومعه عليّ والحسن والحسين وفاطمة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان انا دعوت فآمنوا اتم قابوا أن يلاعنوه وصالحوه على الجزية وهي الف حلة
في صفرّ والف في رجب ودرهم . وروى أنهم صالحوه على ان يعطوه في كل عام
الف حلة ، وثلاثاً وثلاثين درعاً وثلاثة وثلاثين بعيراً وأربعاً وثلاثين فرساً وكتب
لهم بذلك كتاباً وبعث اليهم عمرو بن حزم وكتب له حين بعثه الى نجران : بسم
الله الرحمن الرحيم هذا امان من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهد
من محمد النبي لعمر بن حزم حين بعثه الى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله وان
يفعل ويفعل (١) ويأخذ من المغنم خمس الله جل ثناؤه وما كتب على المؤمنين
في الصدقة من الثمار . وان نسخة كتاب النبي عليه السلام لهم التي هي في أيديهم .
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم لاهل نجران اذ كان له عليهم حكمة في كل ثمرة وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق
فأفصل ذلك عليهم وأترك ذلك كله لهم على الف حلة من حلال الاواق في كل رجب
الف حلة وفي كل صفر الف حلة مع كل حلة أوقية من الفضة فما زادت على الخراج
أو نقصت عن الاواق فبالحساب وما قضا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض
أخذ منهم بالحساب . وعلى نجران مائة رسل ومبعثهم ما بين عشرين يوماً فما دون
ذلك ولا تحبس رسل فوق شهر ، وعليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين
بعيراً اذا كان كيد باليمن ومعرفة ، وما هلك مما أعاروا رسل من دروع أو خيل
أو ركاب أو عروض فهو ضمير على رسل حتى يؤدوه اليهم ، ولنجران وحاشيتها
جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم ومالهم وغائبهم
وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ماتحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغير أسقف
من أسقفيته ولا راهب من رهبانيتها ولا كاهن من كهانته وليس عليهم رباية ولا دم

(١) العرب تقول « فعل به وفعل » أي أحسن اليه

جاهلية ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يبطأ أرضهم جيش ومن سأل منهم جزيتهم نسهمهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين ومن أكل منهم ربا من ذى قبل قدمتى منه بريئة ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر . وعلى ما فى هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله حتى يأتى الله بأمردهما نصحوا واصلحوا ما عليهم غير منقلبين بظلم . شهد أبو سفيان بن حرب . وغيلان بن عمرو . ومالك بن عوف من بنى نصر . والاقرع بن حابس الحنظلى . والمغيرة بن شعبة ، وكتب لهم هذا الكتاب عبد الله بن أبى بكر وكتب لهم بعد ذلك كل من الخلفاء الراشدين أيام خلافته مثل ذلك .

ذكر بعض من اشتهر أنه كان على دين من العرب فى الجاهلية

كان جمع من عقلاء العرب وحكامها غير موافقين لعمر بن لحي فيما ابتدع من الدين ولا متبعين ما شرع من عبادة الاصنام وغير ذلك من المنكرات ، بل كانوا مخالفين له فيما ذهب اليه من الزيغ والباطل الذى سولته له نفسه ، وتعبدوا بما ترتضيه العقول وتظاهره الشرائع المقررة وهم أفراد من القبائل المتفرقة متفاوتون فى الطبقة والاحكام . نذكر بعض من وقفنا على حاله فى الكتب المعتمدة ، وما لا يدرك كله لا يترك كله ، ليكون الكتاب بمحل من نظر الأدباء والله الموفق لما يرضاه . منهم :

قس بن ساعدة اليبانى

واياد بكسر الهمزة من معد بن عدنان . قال الذهبى : قس بن ساعدة أورده ابن شاهين وعبدان فى الصحابة وكذلك قال ابن حجر فى الاصابة ذكره أبو على ابن السكن وابن شاهين وعبدان المروزى وأبو موسى فى الصحابة . وصرح ابن السكن بانه مات قبل البعثة . وفى سيرة ابن مسيد الناس بسنده الى ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال : قديم الجارود بن عبد الله وكان سيداً فى قومه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : والذى بعثك بالحق لقد وجدت صفتك فى

الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول فانا أشهد أن لا إله إلا الله وانك محمد رسول الله ، قال : فأمن الجارود وآمن من قومه كل سيد فسر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهم . وقال : ياجارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قساً قالوا كلنا نعرفه يارسول الله وأنا من بين القوم كنت أقفو أثره كان من أوساط العرب فصيحاً عمر سبعمئة سنة أدرك من الحواريين سمعان فهو أول من تأله من العرب (أى تعبد) كأنى أنظر اليه يُقسِمُ بالرب الذي هو له ، ليلغن الكتاب أجله . وليوفين كل عامل عمله ، ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من جواه ادكارٌ وليالٍ خلا هنَّ نهارُ

(في أبيات آخرها)

والذى قد ذكرت دل على الله نفوساً لها هدى واعتبارُ
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : على رسلك^(١) ياجارود فليست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق^(٢) وهو يتكلم بكلام ما أظن أنى أحفظه . فقال أبو بكر : يارسول الله فانى أحفظه كنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته : أيها الناس اسمعوا وعوا ، فاذا وعيتم فانتفعوا ، انه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . إن في السماء خبيرا . وإن في الارض لعبرا ، مهادئ ، موضوع . وسقف مرفوع ، ونجوم تمور ، وبحار لن تغور ، ليل داج ، وسما ذات أبراج ، أقسم قس قسما حتماً أن كان في الارض رضى ليكونن بعده سخطاً ، وان لله — عزت قدرته — ديناً هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ، مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فاقاهوا ، أم تركوا فناهوا ؟ ثم أنشد أبو بكر شعراً له كان يحفظه :

في الداهيين الأولين من القرون لنا بصائرُ

(١) بالكسر أى على هينتك (٢) الاورق : الذى لونه كلون الرماد

لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر (١)
ورأيت قومي نحوها يسعى الأكبر والأصغر
لا يرجع الماضي إلى ولا من الباقيين غابر (٢)
أيقنت أني لاحاً لة حيث صار القوم صائر (٣)

والذي في كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني : عاش قس بن ساعدة
ثلاثمائة وثمانين سنة وقد أدرك نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية وأول من توكأ على
عصا وأول من قال أما بعد وكان من حكماء العرب وهو أول من كتب إلى فلان
ابن فلان . وقال المرزباني : ذكر كثير من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة . وذكر
الجاحظ في البيان والتبيين قساً وقومه قال : إن له ولقومه فضيلة ليست لأحد
من العرب لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم روى كلامه وموقفه على جملة
بِعُكَاظٍ وموعظته وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه . وهذا شرف تعجز
منه الأمانى وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفق الله تعالى ذلك لقس لا حتجاجة
للتوحيد ولا ظهاره الاخلاص وإيمانه بالبعث ومن ثم كان قس خطيب العرب
قاطبة . وفي نسبه خلاف فقيل : قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر . وقيل :
حذافة بن زهر بن إياد بن نزار . وقيل : هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى
ابن مالك بن ايدعان بن النمر بن وآئلة بن الطشان بن عوذ بن مناة بن يقيم
ابن أفصى بن دعوى بن إياد . وقيل : هو ابن ساعدة بن عمرو بن شعر بن عدى
ابن مالك والله تعالى اعلم . ومنهم :

(١) الموارد جمع مورد وهو محل الورد أى الاتيان ، والمصادر جمع مصدر وهو موضع الصدور
أى الانصراف والرجوع (٢) الغابر : الماضي (٣) أى ايقنت انى منتقل حيث انتقل القوم ،
فصائر خبران وصار بمعنى انتقل والقوم فاعله . ولا محالة ، بفتح الميم أى لا تغيير ولا تبدير وأنى
بفتح الهمزة وأيقنت جواب لما

زيد بن عمرو بن نفيل

قال صاحب الاستيعاب كان زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر القرشى العدوى يطلب دين الخنيفية دين ابراهيم عليه السلام قبل أن يبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لا يذبح للانصاب ولا يأكل الميتة والدم . قال ابن حجر فى الاصابة ذكر البغوى وابن منده وغيرهما زيدا هذا فى الصحابة وفيه نظر لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين ولكنه يجي على أحد الاحتمالين فى تعريف الصحابي وهو انه من رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمناً به هل يشترط فى كونه مؤمناً به أن تقع رؤيته له بعد البعثة فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك أو يكفى كونه مؤمناً به أنه سيبعث كما فى قصة هذا وغيره . وقد ذكر ابن اسحق أن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره الى الكعبة يقول « يا معشر قريش والذي نفسى بيده ما اصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيرى » وأخرج الفنا كهى بسند له الى عامر بن ربيعة قال لقيت زيد بن عمرو وهو خارج من مكة يريد (حراء) فقال : يا عامر انى قد فارقت قومى واتبعت ملة ابراهيم وما كان يعبد اسمعيل من بعده كان يصلى الى هذه البنية ^(١) وأنا انتظر نبياً من ولد اسمعيل ثم من ولد عبد المطلب وما أرانى أدركه وأنا أو من به وأصدقه وأشهد أنه نبي الحديث . زاد الواقدى فى حديث نحوه فان طالت بك مدة فاقراه منى السلام . وفيه : ولما اسلمت اقرأت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه السلام فرد عليه وترحم عليه وقال رأيت فى الجنة يسحب ذيو لا . وروى الواقدى عن ابنه سعيد بن زيد قال : توفى أبى وقريش بنى الكعبة وكان ذلك قبل المبعث بخمس سنين . وأما سعيد بن زيد المذكور فقد كان من السابقين الى الاسلام

(١) مضى تفسيرها قريباً .

وهاجر وشهد أحداً والمشاهد بعدها ولم يكن بالمدينة زمان بدر فلذلك لم يشهدا وهو
أحد العشرة المبشرة وكان اسلامه قديماً قبل عمر . وكان اسلام عمر عنده في بيته
لأنه كان زوج أخته فاطمة . قال الواقدي توفي بالعقيق فحمل الى المدينة وذلك سنة
خمسین من الهجرة ، وقيل احدى وخمسين وقيل سنة اثنتين . وعاش بضعا وسبعين سنة
وزعم المهيم بن عدى انه مات بالكوفة وصلى عليه المغيرة بن شعبه قال وعاش ثلاثاً
وسبعين سنة . وزعم العلامة الدواني في شرح (ديباجة العقائد العنصرية) وتبعه السيد
عيسى الصفوى في (شرح الفوائد الغيائية) أن زيد بن عمرو المذکور نبى أوحى
اليه لتكميل نفسه ، وهذه عبارته : النبى انسان بعثه الله الى الخلق لتبليغ ما أوحاه
اليه . وعلى هذا لا يشمل من أوحى الله ما يحتاج اليه اكماله فى نفسه من غير أن
يكون مبعوثاً الى غيره كما قيل فى زيد بن عمرو بن نفيل اللهم الا أن يتكلف .
أقول : هذا غير صحيح فانه لم يقل أحد من المؤرخين والمحدثين انه نبى أو ادعى
النبوة وأمره مشهور وكان حياً فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليس فى
عصره نبى غيره . قال الذهبي زيد بن عمرو بن نفيل هو الذى قال فيه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث أمة وحده وكان على دين ابراهيم ورأى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم . وتوفى قبل مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم . وكان دخل
الشام والبلقاء ، وكان نفر من قريش زيد وورقة وعثمان بن الحرث وعبيد بن
جحش خالفوا قريشاً وقالوا لهم : انكم تعبدون ما لا يضر ولا ينفع من الاصنام
ولا يأكلون ذبائحهم واجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة وقال له :
انى شامت النصرانية واليهودية فلم أرفيها ما أريد فقصصت ذلك على راهب
فقال لى : انك تريد ملة ابراهيم الخنيفية وهى لا توجد اليوم فالحق ببلدك فان الله
تعالى باعث من قومك من يأتى بها وهو أكرم الخلق على الله انتهى . ومنه تعلم
أن ما قاله الدواني لا يليق بمثله أن يذكره . وكذا ما فى (خواشى الكازرونى)
من أنه يجوز أن يكون زيد مبعوثاً الى الخلق بدليل انه كان يسند . ظهره الى

الكعبة ويقول: أيها الناس هلموا إلى فانه لم يبق على دين ابراهيم غيرى ويعلم من هذا أنه يجوز أن يكون نبياً فلا ينتقض به التعريف انتهى . وهذا مما يقضى منه التعجب وكذا جميع ما ذكره هنا أرباب حواشيه . وذكره البيضاوى عند تفسير قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا) وقال هو موحد الجاهلية انتهى . وهو القائل في فراق دين قومه وما كان لقي منهم : -

أرباباً واحداً أم الف رب	أدين إذا تقسمت الامور
عزلت اللات والعزى جميعاً	كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها	ولا صنعي بنى عمرو ازور
ولا غماً أدين وكان رباً	لنا فى الدهر اذحلمى يسير
عجبت وفى الليالى معجبات	وفى الايام يعرفها البصير
بان الله قد افى رجلاً	كثيراً كان شأنهم الفجور
وابقى آخرين يبر قوم	فيربل منهم الطفل الصغير ^(١)
وبينا المرء يعثر ثاب يوماً	كما يتروح الغصن المطير ^(٢)
ولكن أعبد الرحمن ربى	ليغفر ذنبى الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها	مى ما تحفظوها لاتبور
ترى الابرار دارهم جنان	وللكفار حامية صعب ^(٣)

« ومما يروى له وقد خالف فى ذلك ابن هشام »

الى الله أهدى مدحتى وثنائيا	وقولا رضى لاينى الدهر باقيا
الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه	آله ولا رب يكون مدانيا
الأيها الانسان اياك والردى	فانك لاتخفى من الله خافيا ^(٤)

(١) يقال ربل الطفل يربل اذا شب وعظم (٢) أى كما يثبت ورق الغصن بعد سقوطه
 (٣) نصب حامية على الحال من السمير لان نبت النكرة اذا تقدم عليها نصب على الحال وانشد
 فى مثله : لمية موحشاً طلل (٤) قوله الا ايها الانسان الخ تحذير من الردى والردى هو الموت فظاهر
 اللفظ متروك وانما هو تحذير مما يأتى به الموت ويبيديه ويكشفه من جزاء الاعمال ولذلك قال : فانك لاتخفى
 من الله خافيا

واياك لا تجعل مع الله غيره
حنانيك ان الجن كانت رجاءهم
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى
وأنت الذي من فضل من رحمة
فقلت له : اذهب وهارون فادعوا
وقولا له : آانت سويت هذه
وقولا له : آانت رفعت هذه
وقولا له : آانت منويت وسطها
وقولا له من يرسل الشمس غدوة
وقولا له : من ينبت الحب في الثرى
ويخرج منه حبه في رؤسه
وأنت بفضل منك نجيت يونساً
واني ولو سبحت باسمك ربنا

فان سبيل الرشد أصبح باديا
وأنت الهى ربنا ورجائيا (١)
ادين آها غيرك الله تانيا (٢)
بعثت الى (موسى) رسولا مناديا
الى الله (فرعون) الذي كان طاغيا (٣)
بلاوتدي حتى اطمانت كما هيا ؟
بلا عمد ارفق اذا بك بانيا ؟
منيراً اذا ماجنه الليل هاديا
فيصبح مامست من الارض ضاحيا ؟
فيصبح منه البقل يهتز رايبا ؟
وفي ذاك آيات لمن كان واعيا ؟
وقدبات في أضعاف حوت لياليا (٤)
لاكثر الا ماغفرت خطايا (٥)

(١) حنانيك بلفظ التثنية . قال النحويون : يريد حنانا بعد حنان كأنهم ذهبوا الى التضعيف والتكرار لا الى القصر على اثنين خاصة دون مزيد وقال بعض الأئمة : ويجوز ان يريد حناناً في الدنيا وحناناً في الآخرة واذا قيل هذا المخلوق نحو قول طرفة : (حنانيك بعض الشراهن من بعض) فأنما يريد حنان دفع وحنان نفع ، لان كل من أمل . لكافاً يؤمله ليدفع عنه ضيراً ، أو ليجلب اليه خيراً (٢) قوله فلن أرى ادين الها أى لاله فحذف اللام وعدى الفعل لانه في معنى أعبد آها . وقوله (غيرك الله) برفع الهاء اراد يا الله . وهذا لا يجوز فيها فيه الالف واللام الا ان حكم الالف واللام في هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها في سائر الاسماء الا ترى انك تقول يا أيها الرجل ولا ينادى اسم (يا أيها) ؟ وتقطع همزته في النداء فتقول (يا الله) ولا يكون ذلك في اسم غيره الى احكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الاسماء المعرفة . وفيها بيت حسن لم يذكره وذكره أبو الفرج في أخبار (زيد) وهو :

ادين الها يستجيب ولا أرى ادين لمن لم يسمع الدهر داعيا

(٣) قوله اذهب وهرون عطفا على الضمير في اذهب وهو قبيح اذ لم يؤكد ولو نصبه على المفعول معه لكان جيداً (٤) بعده بيت لم يذكره ووقع في جامع ابن وهب وهو :

وانبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا ذلك اصبح ضاحيا

(٥) معنى البيت اني اكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا الا ماغفرت و (ما) بفتح (ال) زائدة . وان سبحت اعترض بين اسم (ان) وخبرها كما تقول اني لا اكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا الا

فربّ العباد ألقِ سيِّباً ورحمةً عليّ وباركْ فيّ بنيّ ومالياً^(١)

وعن ابن اسحق أنه قال حدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل أن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال : لبيك حقاً حقاً ، تعبداً ورقاً ، عدت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم اذ قال :

إني لك اللهم عانٍ راغمُ
مهما تجشمتني فاني جاشم

وقال أيضاً على ما رواه ابن اسحق

وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له الأرض تحمل صخرًا ثقلا

وحاها فلما رآها استوت
على الماء أرسى عليها الجبالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له المزن تحمل عذبا زلالا

إذا هي سيقت إلى بلدة
أطاعت فصبت عليها سجالا

وقد كان الخطاب آذى زيدا حتى أخرجه الى أعلى مكة فنزل حراء مقابل مكة ووكل به الخطاب شباباً من شباب قريش وسفهاء من سفهاءهم فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة فكان لا يدخلها الا سراً منهم فاذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه أحد منهم على فراق ما هم عليه . فقال وهو يعظم حرمة علي من استحل منه ما استحل من قومه :

لأهمّ إني محرمٌ لاحله وان يتيّ أوسط المحلّه^(٢)

عند الصفا ليس بندي مضله

ثم خرج يطلب دين ابراهيم حتى بلغ الموصل والجزيرة ثم أقبل فجال الشام

والله يغفر لي لأفعل كذا . والتسييح هنا بمعنى الصلاة أي لا اعتمد — وان صليت — الاعلى دعائك واستغفارك من خطاياي (١) السيب : العطاء (٢) لاهم — العرب تحذف اللام من اللهم وتكتفي بما تبقى وكذلك تقول : لاه أبوك . وتريد الله أبوك . وكذلك تقول : لاهنك . وتريد والله انك وهذا لكثرة دور هذا الاسم على الالسنه وقد قالوا فيها هو دونه في الاستعمال : اجنك تفعل كذا وكذا ، أي من أجل انك الخ : وقوله اني محرم لاحله : محرم ساكن الحرم ، والحلّة : أهل الحل يقال للواحد والجميع حلّة

كلها حتى انتهى الى راهب بميغعة^(١) من أرض البلقاء كان ينتهي اليه علم أهل
النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية فقال له ما قال نخرج سريعاً يريد مكة
حتى إذا توسط بلاد نخم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل يبكيه :

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما تجنبت تنوراً من النار حامياً^(٢)

بدينك رباً ليس ربك مثله وتركك أوئان الطواغى كما هيا

وادراكك الدين الذى قد طلبته ولم تك عن توحيد ربك ساهيا

فأصبحت فى دار كريم مقامها تعلم فيها بالكرامة لاهيا

تلاقى خليل الله فيها ولم تكن من الناس جباراً إلى النار هالويا

وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

وذكر البخارى فى صحيحه أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام

يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إني لعلى أن

أدين دينكم فأخبرنى . فقال : لانكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب

الله ! قال زيد : ما أفر إلا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا

أستطيعه فهل تدانى على غيره ؟ قال : ما اعلمه إلا أن يكون حنيفاً . قال زيد : وما

الحنيف ؟ قل : دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله نخرج

فلقي عالماً من النصرارى فذكر مثله . فقال : ان تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك

من لعنة الله ! قال : ما أفر إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه

شيئاً أبداً وأنا أستطيع فهل تدانى على غيره ؟ قل : ما اعلمه إلا أن يكون

حنيفاً . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا

يعبد إلا الله فلما رأى زيد قولهم فى ابراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه

فقال اللهم انى أشهدك انى على دين ابراهيم . ومنهم :

(١) تروى بكسر الميم والقياس فيها الفتح لانه اسم موضع أخذ من اليفاع وهو المرتفع من الارض

(٢) رشدت : أى بالفت فى الرشدا كما يقال امعنت النظر وانعمته والايات واضحة

أمية ابن أبي الصلت

واسمه عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي . قال الاصمعي : ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة وعنصرة بعامة ذكر الحرب . وقد صدقه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض شعره ، وفي صحيح مسلم عن الرشيد بن سويد قال ردت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم . قال : هيه . فأنشدته بيتاً فقال : هيه حتى أنشدته مائة بيت . فقال : كاد ليُسلم . وفي رواية : كاد ليُسلم في شعره . وفي رواية : آمن شعره وكفر قلبه . وفي الإصابة عن ابن عباس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنشد قول أمية :

رجل ونورٌ تحت رجل يمينه . والنسر للآخرى وليث مرصد

فقال : صدق وهذه صفة حملة العرش . وفي شرح ديوانه لمحمد بن حبيب : يقال أن حملة العرش ثمانية رجل ونور ونسر وأسد هذه أربعة وأربعة أخرى فأما اليوم فهم أربعة فاذا كان يوم القيامة ايدوا بأربعة أخرى فذلك قوله تعالى (ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية) كذلك بلغني والله أعلم . ويقال : ان الذي في صورة رجل هو الذي يشفع لبني آدم في أرزاقهم ، وأما الذي في صورة نسر فهو الذي يشفع للطير في أرزاقهم وبلغني أيضاً أن لكل ملك منهم أربعة وجوه وجه رجل ووجه نور ووجه أسد ووجه نسر انتهى . وفي الاغانى بسنده لما أنشد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قول أمية ابن أبي الصلت :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا	بانخير صبحنا ربى ومسانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنها	مملوءة طبق الآفاق اشطانا
ألا نبى لنا منا فيخبرنا	مابعد غابتنا من رأس مجرانا
بيننا يرينا آباؤنا هلكوا	وبيننا تقتنى الاولاد ابلانا

وقد علمنا لو ان العلم ينفعنا ان سوف تلحق اخرانا باولانا
وقد عجبت وما بالموت من عجب ما بال أحيائنا يكون موتانا
« الى أن قال »

يارب لا تجعلني كافراً أبداً واجعل سريرة قلبي الدهر أيماناً
واخلط به بنيتي واخلط به بشري واللحم والدم ما عمرت انساناً
انى أعوذُ بمن حج الحجيج له والرافعون لدين الله أركاناً
مسلمين اليه عند حجهم لم يبتغوا بثواب الله اثماناً

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : آمن شعره وكفر قلبه . وقال ابن قتيبة
في طبقات الشعراء : وكان أمية يخبر أن نبياً يخرج قد أظل زمانه وكان يؤمل أن
يكون ذلك النبي فلما بلغه خروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفر به حسداً .
ولما أنشد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شعره قال : آمن لسانه وكفر قلبه : واتي
بالفاظ كثيرة لا تعرفها العرب وكان يأخذها من الكتب منها قوله : —

بآية قام ينطق كل شيء وخان أمانة الديك الغراب

وزعم أن الديك كان نديماً للغراب فرهنه على الحجر وغدر به وتركه عند
الحجار فجعله الحمار حارساً . ومنها قوله :

قر وساهور يسلم ويغمد (١)

وزعم أهل الكتاب أن (الساهور) غلاف القمر يدخل فيه اذا انكسف
وقوله في الشمس :

ليست بطالعة لهم في رسلها الا معذبة والا تجلد

وكان يسمى السموات صاقورة وحاقورة ، وعلمائنا لا يرون شعره حجة على
الكتاب ولما حضرته الوفاة قال : —

كل عيش وان تطاول يوماً صائرٌ مرة الى أن يزولا

(١) يقول : القمر وغلافه مختلفان فمرة ينزع من غلافه فيكون بدرأ كاملاً ومرة يرد الى غلافه
حتى يكون مستسراً ثم يبدو هلالاً فيتزايد الى ان يعود بدرأ

ليتني كنت قبل ما قد بدالى فدرؤس الجبال أوعى الوعولا^(١)
قال شارح ديوانه فى شرح بيت الشمس : قال أبو عمرو قال أبو بكر الهذلى ،
قلت لعكرمة مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أرأيت ما بلغنا عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لأمية ابن أبي الصلت آمن شعره وكفر قلبه فقال
هو حق وما أنكرتم من ذلك ؟ قال : قلنا أنكرنا قوله : -

والشمس تُصبحُ كلَّ آخريلة حمراء يصبح لونها يتورد
ليست بطالعة لهم فى رسلها الا معدبة والا تجلد

فما شأن الشمس تجلد ؟ قال : والذى نفسى بيده ما طلعت الشمس
حتى ينخسها سبعون الف ملك يقال لها اطلعى ! فتقول : لا أطلع على قوم
يعبدونى من دون الله فيأتيها ملكان حتى تستقل لضياء العباد فيأتيها شيطان يريد
أن يصدها عن الطلوع فتطالع على قرنيه فيحرقه الله تحتها وما غربت قط الا خرت
لله ساجدة فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن سجودها فتغرب على قرنيه فيحرقه
الله تحتها ! فذلك قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تطلع بين قرنى شيطان
وتغرب بين قرنى شيطان . وفى الاغانى عن الزبير بن بكار قال حدثنى عمى قال :
كان أمية فى الجاهلية نظر الكتب وقرأها ولبس المسوح^(٢) تعبداً وكان ممن
ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرم الخمر وتجنب الاوثان وصام والتمس الدين
طمعاً فى النبوة لانه كان قد قرأ فى الكتب أن نبياً يبعث فى الحجاز من العرب
وكان يرجو أن يكون هو فلما بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حسده وكان
يحرص قريشاً بعد وقعة بدر ويرثى من قتل فيها . فمن ذلك قصيدته الحائية التى
نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم روايتها التى يقول فيها
ماذا بيدى فالعنقل من مرازية ججاج^(٣)

(١) الوعول : جمع وعل وهو الشاة الجبلية (٢) جمع مسح وهو ثوب من الشعر غليظ
(٣) المرازية جمع مرزبان وهو النادى الشجاع المقدم على القوم دون الملك ، والججاج جمع

لأن رأس من قتل بها عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وهما ابنا خاله
لأن أمه رقية بنت عبد شمس . وفي الإصابة ذكر صاحب المرأة في ترجمته عن
ابن هشام قال كان أمية آمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقدم الحجاز ليأخذ
ماله من الطائف ويهاجر ، فلما نزل بدرًا قيل له : إلى أين يا أبا عثمان ، فقال : أريد
أن أتبع محمداً فتبيل له : هل تدري ما في هذا القليب ؟ قال لا . قيل : فيه شيبة
وربيعة وولان وفلان . فجمع (١) أنف ناقته وشق ثوبه وبكى وذهب الى الطائف
فمات بها ذكر ذلك في حوادث السنة الثامنة والمعروف أنه مات في السنة التاسعة
ولم يختلف أصحاب الاخبار انه مات كافراً وضح أنه عاش حتى رثى أهل بدر .
وقيل إنه الذي نزل فيه قوله تعالى (الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) وقيل إنه مات
سنة تسع من الهجرة في الطائف كافراً قبل أن يسلم الثقفيون ورأيت في ديوانه
قصيدة مدح بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أولها :

لك الحمد والمن رب العبا د أنت المليك وأنت الحكم
« إلى أن قال »

ودن دين ربك حتى التقى	واجتنبن الهوى والضجم (٢)
(محمد) أرسله بالهدى	فعاش غنياً ولم يهتضم
عطاء من الله أعطيته	وخص به الله أهل الحرم
وقد علموا انه خيرهم	وفي يتهم ذى الندى والكرم
يعيبون ما قال لما دعا	وقد فرج الله أحدى البهم (٣)
به وهو يدعو بصدق الحديث	الى الله من قبل ريب القدم
أطيعوا الرسول عباد الآله	تنجون من شر يوم الم
تنجون من ظلمات العذاب	ومن حر نار على من ظلم
دعانا النبي به خاتم	فمن لم يجبه أسراً الندم

جججج وهو السيد السمح وقيل الكريم ولا توصف به المرأة . وبدر والعنقل : موضعان
(١) أى قطع (٢) الضجم : الاختلاف (٣) البهم جمع بهمة بالضم : الخطة الشديدة

نبي هدى صادق طيب رحيم رؤف بوصل الرحم
به ختم الله من قبله ومن بعده من نبي ختم
يعوت كما مات من قد مضى يرد الى الله باري النسم
مع الأنبياء في جنان الخلود هم أهلها غير جل القسم
وقدس فينا بحب الصلاة جميعاً وعلم خط القلم
كتاباً من الله نقرأ به فمن يعتديه فقد ما اثم

وله

الأكل شيء هالك غير ربنا والله ميراثُ الذي كان فانيا
وليّ له من دون كل ولاية اذا شاء لم يمساوا جميعاً مواليا
وان يكُ شيء خالداً ومعمراً تأملُ تجدُ من فوقه الله باقيا
له ما رأيت عين البصير وفوقه سماء الاله فوق سبع سمائيا

وهذه قصيدة عظيمة تشتمل على توحيد الله تعالى وقصص بعض الأنبياء

كنوح ويوسف وموسى وداود وسليمان عليهم السلام . ويعجبنى منها قوله :

الان يفوت المرء رحمة ربه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا
يعالى وتدركه من الله رحمة ويضحى ثناء في البرية زاكيا
وقوله في آخرها

وانت الذي من فضل سيبٍ ونعمة بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقال اعنى يا ابن أمي ! فاني كثير به يارب صل لي جناحيا
وقلت لهارون : اذهب افتظاهرا على المرء فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له أنت الذي سويت هذه بلا وتد حتى اطأنت كما هيا
وقولاله آانت سويت وسطها منيراً اذا ماجنه الليل ساريا
وقولا له من أخرج الشمس بكرة فاصبح مامست من الارض ضاحيا

وقولاه من أنبت الحب في الثرى فاصبح منه البقل يهتز رابيا
فاصبح منه حبه في رؤوسه ففي ذلك آيات لمن كان واعيا
وقد سبق أن بعض الادباء نسب هذه القصيدة الى زيد بن عمرو بن نفيل
وهو غير صحيح فانها مثبتة في ديوان أمية وهي أنسب بشعره وعليه الشارحون ،
والله ولي التوفيق . ومنهم :

ارباب بن رئاب

قال ابن قتيبة في (كتاب المعارف) عند الكلام على من كان على دين قبل
مبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : ارباب بن رئاب هو من عبد القيس من شن
وكان على دين عيسى وسمعوا قبل مبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مناديا
ينادي خير أهل الارض ثلاثة رئاب الشني وبجيرا الراهب وآخر لم يأت بعد النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فكان لا يموت أحد من ولد ارباب فيدفن الا رأوا طشاً
على قبره انتهى . وكان هذا النداء من هتوف الجن فقد كثر قبيل البعثة النبوية .
وذكر الامام الماوردي في كتاب (اعلام النبوة) شيئاً كثيراً من ذلك قال يروى
عن رجل من خثعم قال : كانت خثعم لا تحل حلالا ولا تحرم حراما وكانت تعبد
أصناما فيينا نحن عند صنم منها ذات ليلة نتقاضى اليه في أمر قد شجر بيننا ذصاح
من جوف الصنم صائح :

يأيها الركب ذوو الاحكام ما اتم وطائشو الاحلام
ومسندو الحكم الى الاصنام يصدع بالحق وبالاسلام
هذا نبي سيد الأنام أعدل ذي حكم من الاحكام
ويتبع النور على الاظلام سيعلين في البلد الحرام

قد طهر الناس من الأنام

قال الخثعمي : ففرزنا منه وخرجت الى مكة وأسلمت مع النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم . ومن هتوفهم ما حكاه أبو عيس قال : سمعت قريش في الليل هاتفاً
على جبل (أبي قيس) يقول :

ان يسلم (السعدان) يصبح بمكة (محمد) لا يخشى خلاف المخالف
فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان سعد بكر وسعد تميم فلما كان
في الليلة الثانية سمعوه يقول :

ياسعدُ سعد الأوسِ كن أنت ناصراً وياسعدُ سعد الخزرجين الغطارف^(١)
أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا على الله في الفردوس منية عارف
فان ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات زخارف
فلما أصبحوا قال أبو سفيان هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد انتهى
واستيعاب ذلك كله في الكتاب المذكور وسائر كتب السير . ومنهم :

سويد بن عامر المصطلقى

روى السيد المرتضى في أماليه أن مسلم الخزاعى ثم المصطلقى قال : شهدت
رسول الله صلى تعالى عليه وسلم وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر :
لا تأمنن وان أمسيت في حرمٍ إن المنايا بكفى كل انسان
واملك طريقك تمشى غير محتشعٍ حتى يبين ما بينى لك المانى
فكل ذى صاحب يوماً يفارقه وكل زاد وان أبقية فانى
والخير والشر مقرونان في قرنٍ بكل ذلك يأتيك الجديدان
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لو أدركته لأسلم انتهى . وذلك
لان هذه الأبيات تنبئ انه كان يميل الى الخيفية ، والملة الابراهيمية . ومنهم :

(١) جمع غطريف وهو السيد الشريف والسخى السرى

أسعد أبو كرب الحميري

قال ابن قتيبة : كان أسعدُ آمنَ بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعائة سنة وقال :

شهدتُ على أحمد أنه رسولٌ من الله باري النَّسَمِ^(١)
فلو مد عمري إلى عصره لكنت وزيراً له وابنَ عمِّ
وهذا تبعُ الأوسط أكثر الغزو ولم يدع مسلماً سلكه أباه إلا سلكه
وكان يغزو بالنجوم ويسير بها ويمضي أموره بدلائلها وطالت مدته واشتدت وطأته
وملته حمير وتقل عليهم ما كان يأخذهم به من الغزو فسألوا ابنه حسان بن تبع
أن يملئهم^(١) على قتله ويملكوه فأبى ذلك عليهم فقتلوه ، ثم ندموا على قتله
فاختلفوا فيمن يملكون بعده حتى اضطرتهم الأمور إلى أن يملكوا ابنه حساناً
فملكوه واخذوا عليه موثقاً أن لا يؤاخذهم بما كان منهم في أبيه . ويقال : ان تبعاً
هذا أول من كسا الانطاع والبرود البيت وهو القائل :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتحشدُ
من بعده بلقيسُ كانت عمي ملكتهم حتى أتاهم الهددُ
ومنهم :

وكيع بن سلمة بن زهير اليبادي

قال ابن الكلبي كان وكيع بن سلمة ولي أمر البيت بعد جرم فبنى صرحاً
باصفل مكة وجعل فيه امة يقال لها (حزورة) وبها سميت حزورة مكة وجعل
في الصرح مسلماً ، فكان يرقاه ويزعم أنه يناجي الله تعالى وكان ينطق بكثير من
الخبير ، وكان علماء العرب يزعمون أنه صديق من الصديقين . وكان من قوله (مرضعة
وفاطمة ووادعة وقاصمة والقطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلم) ومن

(١) انظر ص ١٧٠ : (٢) أي يساعدهم ويشايهم

كلامه (زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا . وبالشر عقابا . إن من في الأرض عبيد لمن في السماء . هلكت جرهم وربلت أياها . وكذلك الصلاح والفساد) . فلما حضرته الوفاة جمع أياها فقال لهم : اسمعوا وصيتي (الكلام كلمتان . والامر بعد البيان . من رشد فاتبعوه . ومن غوى فارقضوه . وكل شاة برجلها معلقة) فإرسالها مثلا . قال ومات وكيع فنعي على الجبال وفيه يقول بشير بن الحجير الأيادي :

ونحن أياها عباد الآلهِ ورهط مناخيه في سلم
ونحن ولاة الحجاب العتيق (زمان النخاع) على جرهم
يقال إن الله تعالى سلط على جرهم داء يقال له النخاع فهلك منهم ثمانون كهلاً
في ليلة واحدة سوى الشباب . وفيهم قال بعض العرب :

هلكت جرهم الكرام فعلاً وولاة البنية الحجاب (١)

نحوا ليلة ثمانين كهلاً وشباباً كفى بهم من شباب

ومنهم :

عمير بن جندب الجهمي

كان هذا الرجل ممن يوحد الله تعالى في الزمن الجاهلي ولا يشرك بربه أحداً وله قصة عجيبة ذكرها صاحب القاموس في مادة فصل (٢) من كتابه . فقال : روينا عن اسمعيل ابن أبي خالد قال : مات عمير بن جندب من جهينة قبيل الإسلام فجهزوه بجهازه إذ كشف القناع عن رأسه . فقال : أين القُصَلُ ؟ و (القُصَلُ أحد بني عمه) قالوا : سبحان الله مرّ آناً فما حاجتك إليه ؟ فقال : أتيت ققيل لي (لامك الهبل) (٣) ألا ترى إلى حفرتك تنتثل . وقد كادت أمك تشكّل . أرايت أن حولناك إلى محوّل . ثم غيب في حفرتك القُصَل . الذي مشى فاحزأل (٤) .

(١) البنية : مضي تفسيرها قريباً (٢) وكان الأولى ذكرها في : ق ص ل وهي كجواهرها عجيبة !
وعجيب من صاحب القاموس وغيره إن يوردها في كتاب (٣) الهبل : الشكل وهو الموت
والهلاك وفقدان الحبيب أو الولد (٤) احزأل البعير في السير احزأل لالا : ارتفع ، قال :

إذا احزألت زمر بعد زمر

ثم ملأناها من الجنادل^(١) أتعبد ربك وتصل. وتترك سبيل من أشرك وأضل؟
فقلت : نعم . قال : فأفاق ونكح النساء وولد له أولاد . ولبث القُصَل ثلاثاً ثم
مات ودفن في قبر عمير . ومنهم :

عدي بن زيد العبادي

كان عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب من بني امرئ القيس بن زيد
مناة بن تميم . قال صاحب الأغاني : وكان أيوب هذا أول من سمي من العرب
أيوبَ وكان عدي شاعراً فصيحاً من شعراء الجاهلية . وكان نصرانياً وكذلك أبوه
وأمه وأهله فقد كانوا على دين المسيح أيضاً . قال : وكان سبب نزول آل عدي
الخيبة أن جده أيوب كان منزله اليمامة فأصاب دماً في قومه فهرب إلى أوس بن
قلام أحد بني الحرث بن كعب بالخيبة وكان بينهما نسب من قبل النساء فأكرمه
وابتاع له موضع دار بثلاثمائة أوقية من ذهب وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً ،
وأعطاه مائتين من الأبل يرعاها وفرسا وقينة واتصل بملوك الخيبر وعرفوا حقه
وحق ابنه زيد بن أيوب فلم يكن منهم ملك يملك إلا ولولد أيوب منه جوائز .
ثم إن زيدا نكح امرأة من (آل قلام) فولد له حماد نخرج زيد بن أيوب يوماً
للصيد فلقيه رجل من بني امرئ القيس الذي كان له الثأر فاغتال زيدا وهرب ،
ومكث حماد في أخواله حتى أبيع^(٢) وعلمته أمه الكتابة فكان أول من كتب
من بني أيوب نخرج من أكتب الناس حتى صار كاتب النعمان الأكبر فلبث
كاتباً حتى ولد له ولد فسماه زيدا باسم أبيه . وكان لحماد صديق من دهاقين^(٣)
الفرس اسمه فروخ ماهان . فلما حضرت الوفاة حماداً أوصى بابنه زيد إلى الدهقان
وكان من المرازبة فأخذه إليه وكان زيد قد حنق الكتابة وعلمه الدهقان الفارسية

(١) هو ما يقله الرجل من الحجارة (٢) أبيع الغلام : راهق العشرين وهو يافع لا موفع
(٣) جمع دهقان بفتح الدال وكسر ما فارسي معرب (ده خان) أي رئيس القرية ومقدم أهل
الزراعة من المعجم ولذلك تسب به العرب كما يقولون عالج

وكان ليبياً فأشار الدهقان الى كسرى أن يجعله على البريد في حوائجه فولاه وبقى زماناً . ثم ان النعمان هلك فاختلف أهل الخيرة فيمن يملكونه الى أن يعقد الأمر كسرى لرجل منهم فأشار المرزبان عليهم يزيد بن حماد فكان على الخيرة الى أن ملك كسرى المنذر بن ماء السماء ونكح زيد نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له عدياً وولد للمرزبان ابن وسماه (شاهان مرد) فلما أيفع عدى أرسله المرزبان مع ابنه الى كتاب الفارسية وتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشاب وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة^(١) وغيرها . ثم ان المرزبان لما اجتمع بكسرى قال له : ان عندي غلاما من العرب هو أفصح الناس وأكثبهم بالعربية والفارسية والملك محتاج الى مثله فأحضر المرزبان عدى بن زيد وكان جميل الوجه فائق الحسن ، وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه فرغب فيه فكان عدى أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى فرغب أهل الخيرة الى عدى ورهبوه ولم يزل بالمداين في ديوان كسرى معظماً وأبوه زيد كان حياً الى أن خمل صيته بذكر ابنه عدى .

ثم لما هلك المنذر اجتهد عدى عند كسرى حتى ملك النعمان بن المنذر الخيرة ثم بعد مدة اقروا على عدى وقلوا للنعمان إن عدياً يزعم أنك عامله على الخيرة فاعتناظ منه النعمان وأرسل الى عدى بأنه مشتاق اليه ليستزيره فلما أتى اليه حبسه وبقى في الحبس الى أن جاء رسول كسرى ليخرجه فخاف النعمان من خلاصه فغمه حتى مات وندم النعمان على قتله وعرف أنه غلب على رأيه ثم إنه خرج يوماً الى الصيد فلقى ابناً لعدى يقال له زيد فلما رآه عرف شبهه فقال له : من أنت ؟ قال : أنا زيد بن عدى فكلمه فاذا هو غلام ظريف ففرح به فرحاً شديداً فقربه واعتذر اليه من أمر أبيه . ثم كتب الى كسرى يريه ويشفع له مكان

(١) جمع صولجان بفتح الصاد واللام وهو العرد الموج . فارسي معرب . والهاء لسكان السجدة قال ابن سيده : وهكذا وجد أكثر هذا الضرب الاصحى مكسراً بالهاء وفي التهذيب : الصولجان عصا يمطف طرفها يضرب بها السكر على الدواب

أبيه فولاه كسرى وكان يلى المكاتبه عند آل ملوك العرب وفي خواص أمور الملك وكانت ملوك المعجم صفة النساء مكتوبة عندهم وكانوا يبعثون في تلك الأرضين تلك الصفة فاذا وجدت حملت الى الملك غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب . فلما كتب كسرى في طلب الصفة قال له زيد بن عدى أنا عارف بآل المنذر وعند عبدك النعمان بين بناته واخواته وبنات عمه أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة فابعثني مع ثقة من رجالك يفهم العربية حتى ابلغ ما تحبه فبعث معه رجلاً فطناً وخرج به زيد فجعل يكرم الرجل ويلطفه حتى بلغ الخيرة فلما دخل على النعمان قال له : إن كسرى قد احتاج الى نساء لنفسه ولولدو أراد كرامتك بصهر فبعث اليك . فقال النعمان لزيد والرسول يسمع : أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟ فقال الرسول لزيد بالفارسية ما المها ؟ فقال له بالفارسية كاوان أى البقر فأمسك الرسول . وقال زيد للنعمان : انما أراد الملك أن يكرمك ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب اليك به فانزلها عنده يومين . ثم كتب الى كسرى : أن الذى طلب الملك ليس عندي . وقال لزيد : اعذرني عنده فلما رجعا الى كسرى قال زيد للرسول : اصدق الملك عما سمعت فاني سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه فلما دخلا الى كسرى قال زيد : هذا كتابه فقرأه عليه فقال له كسرى : واين الذى كنت خبرتني به ؟ قال : قد كنت خبرتك ببخلهم بنسأهم على غيرهم وان ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعري على الشعب والرياش وإيثارهم السموم على طيب أرضك حتى إنهم ليسمون بها السجن فسل هذا الرسول الذى كان معي عما قال فاني أكرم الملك عن مشافهته بما قال ؟ فقال للرسول وما قال النعمان ؟ فقال له الرسول : انه قال ؛ أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطاب ما عندنا ؟ فعرف الغضب في وجهه وسكت كسرى أشهراً وسمع النعمان غضبه ثم كتب اليه كسرى ان أقبل فان لي حاجة بك نخاف النعمان وحمل سلاحه وما قدر عليه ورجأ الى قبائل العرب فلم يجره أحد وقالوا : لا طاقة

لنا بكسرى حتى نزل بنى قار في بنى شيبان سرّاً فلقى هانىء بن قبيصة فأجاره
وقال : لزمنى ذمامك وإنى ما نعتك مما امنع نفسي وأهلى وان ذلك مهلكى ومهلكك
وعندى رأى لست أشير به لأدفعك عما تريد من مجاورتى ولكنه الصواب
فقال : هاته ، قال : إن كل أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد
الملك سوقة ^(١) والموت نازل بكل أحد ولأن تموت كريماً خير من أن تتجرع
الذل أو تبقى سوقة بعد الملك امض الى صاحبك واحمل اليه هدايا ومالاً وألق
نفسك بين يديه فاما أن يصفح عنك فعدت ملكاً عزيزاً واما أن يصيبك فالموت
خير من أن تتلعب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها . قال : فكيف بحرمدى
وأهلى ؟ قال : هن فى ذمتى ولا يخلص اليهن حتى يخلص الى بنائى فقال : هذا وأبيك
الرأى . ثم اختار خيلاً وحللاً من عصب الين وجواهر وطرفاً كانت عنده ووجه
بها الى كسرى وكتب اليه يعتذر ويعلمه أنه صائر اليه فقبلها كسرى وأمره
بالقدوم فعاد اليه الرسول وأخبره بذلك وانه لم ير له عند كسرى سوءاً فمضى اليه
حتى اذا وصل الى (سابات) لقيه زيد بن عدى فقال له : انجُ نعيم ان استطعت
النجاء ! فقال له النعمان : أفعلتها يا زيد أما والله لئن عشت لأقتلك قتلة لم يقتلها
عربى قط ! فقال له زيد : قد والله أخيت لك آخية لا يقطعها المهر الأرن ^(٢) . فلما
بلغ كسرى انه بالباب غدر به ^(٣) وذلك قبيل الاسلام بمدة وغضبت له العرب
حينئذ فكان قتله سبب وقعة ذى قار . ومنهم :

(١) السوقة خلاف الملك وهم الرعية التى تسوسها الملوك . سوا سوقة لان الملوك يسوقونهم .
فينساقون لهم . وكثير من كتاب العصر يظن ان السوقة أهل الاسواق

(٢) الآخية بالمد والتشديد عروة تربط الى وتد مدقوق وتشد فيها الدابة واصليها فاعولة
والجمع الاواخى . . . والمهر ولد الخيل ، والارن كئشط وزناً ومعنى (٣) ويقال بل انه لما بلغه انه
بالباب بعث اليه فقيده وبعث به الى سجن كان له بخانقين فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات
فيه ، وقال حماد الراوية والكوفيون : بل مات بسابات فى حبسه . وقال ابن الكلبي : ألقاه تحت
أرجل الفيلة فوطئته حتى مات واحتجوا بقول الاعشى :

فداك وما انجى من الموت ربه بسابات حتى مات وهو محزرق

قال : المحزرق : المضيق عليه . وانكر هذا من زعم انه مات بخانقين ، وقالوا : لم يزل محبوساً

أبو قيس صرمة بن أبي انس

قال ابن قتيبة : وهو من بني النجار وكان ترهب ولبس المسوح^(١) وفارق الأوثان وهمم بالنصرانية ثم أمسك عنها. ثم دخل بيتاً له فاتخذ مسجداً لا يدخله طامث ولا جنب وقال : اعبد رب ابراهيم . فلما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة أسلم وحسن اسلامه . وهو القائل في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة بمكة لو يلقى صديقاً مواتياً

« وهو القائل في الجاهلية »

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسك وكل هلال
يا بني الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال
يا بني النجوم لا تظلموها إن ظلم النجوم داء عضال

ومنهم :

سيف بن ذي يزن

قال الامام الماوردي في (اعلام النبوة) لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسنين أتى وفود العرب واشرافها وشعراؤها لتهنئته ومدحه وذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم وأمينة بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان وأسد بن خويلد بن عبد العزى في ناس من أشرف قريش فلما قدموا عليه اذا هو في رأس قصر يقال له (غمدان) وهو الذي يقول فيه أمية بن أبي الصلت :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس (غمدان) دارمناك محلالاً

قال : فاستأذوا عليه فأذن لهم فدخلوا عليه ، فاذا الملك مضمخ بالعنبر^(٢)

مدة طويلة وانه اما مات بعد ذلك بحين قبيل الاسلام . . . (الاغانى : ج ٢ ص ٢٩) (١) مضى تفسيرها قريباً (٢) المضمخ : لطح الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر

يرى ويبص الطيب من مفرقه^(١) عليه بردان متزر بأحدهما مرتد بالآخر سيفه بين يديه وعن يمينه وعن يساره الملوك وأبناء الملوك والمقاول^(٢) قال : فدنا عبد المطلب واستأذن في الكلام . فقال : ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فتكلم فقد أذنا لك ، فقال عبد المطلب (ان الله أجلك أيها الملك محلاً ربيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنبئك منبتاً طابت ارومته^(٣) ، وعزت جرثومته^(٤) ، وثبت أصله ، وبسق فرعه^(٥) ، في اكرم موطن ، وأطيب معدن ، وأنت أبيت اللعن^(٦) ملك العرب وربيعها الذي ينصب به ، وأنت أيها الملك رأس العرب الذي اليه تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي تلجأ اليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن يخجل ذكر من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه ، ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا اليك الذي أبهجننا لكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهئة لا وفد المرزئة) فقال ابن ذى يزن فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ فقال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن اختنا؟ قال : نعم ابن أختكم . قال : ادن فادناه على القوم وعليه ، فقال (مرحباً وأهلاً وناقة ورحلاً . ومستنخاً سهلاً . وملكاً رجلاً . يعطى عطاء جزلاً . قد سمع الملك مقالكم . وعرف قرابتكم . وقبل وسيلتكم . فأنتم أهل الليل وأهل النهار لكم الكرامة ما أقمتم . والحباء اذا ظعنتم) قال : ثم استمضوا الى دار الضيافة والوفود فأقاموا شهراً لا يصلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف . قال : ثم انتبه انتباهة فأرسل الى عبد المطلب فأخلاه وأدنى مجلسه وقال : يا عبد المطلب إني مفوض اليك من سر على ما لو كان غيرك لم أبح له ولكن رأيتك معدنةً واطلمت عليك عليه فليكن عندك مطويّاً حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ فيه أمره . إني أجد في الكتاب المكنون ،

(١) الوبيص : اللعان . ومفرق الرأس مثال مسجد حيث يفرق فيه الشعر (٢) جمع مقول بكسر الميم وهو الرئيس وهو دون الملك (٣) الارومة بالفتح والضم : الاصل (٤) جرثومة الشيء : أصله (٥) بسق النخل بسوقاً : طال (٦) ابيت اللعن : من تحيات ملوك العرب في الجاهلية راجع ص ١٩٢ من هذا الجزء

والعلم المخزون ، الذي اخترناه لأنفسنا ، واحتجبناه دون غيره ، خيراً عظيماً ،
وخطر أجسماً ، فيه شرف الحياة . وفضيلة الوفاة للناس عامة . ولرهطك كافة . ولك
خاصة . قال عبد المطلب : أيها الملك فمثلك من سرور ، فما هو فداك أهل الوبر ،
زماً بعد زمر . قال (اذا ولد بهامة . غلام بين كتفيه شامة . كانت له الامامة
ولكم به الزعامة . الى يوم القيمة) فقال له عبد المطلب (أبيت اللعن لقد أتيت
بخبير ما أتى بمثله وافد . فلولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته من بشارته إياي
ما ازداد به سروراً) قال ابن ذى يزن (هذا حينه الذي يولد فيه أو قد يولد اسمه
احمد . يموت أبوه وأمه . ويكفله جده وعمه . قد ولدناه مراراً . والله باعته جهاراً .
وجاعل منا له انصاراً . يعز بهم أولياؤه . ويندل بهم اعداؤه . يضرب بهم الناس عن
عرض . ويستفتح بهم كرائم الأرض . تكسر الأوثان . وتحمد النيران . ويعبد الرحمن .
ويدحر الشيطان . قوله فصل . وحكمه عدل . يأمر بالمعروف ويفعله . وينهى عن المنكر
ويبطله) قال عبد المطلب (أيها الملك عز جدك وعلا عقبك . وطاب ملكك . وطال
عمرك فهل الملك سارتي بافصاح . فقد أوضح بعد الايضاح ؟) فقال ابن ذى يزن (والبيت
ذى الحجب . والامارات على النصب . إنك يا عبد المطلب لجده غير الكذب)
قال : نخر عبد المطلب ساجداً . فقال ابن ذى يزن (ارفع رأسك ثلج صدرك
وعلا أمرك . فهل احسست شيئاً مما ذكرت لك) فقال (نعم أيها الملك كان لى
ابن وكنت به معجبا رفيقا أورقيقا فزوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب
ابن عبد مناف فانت بغلام سميته محمداً مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه . بين
كتفيه شامة . وفيه كلما ذكرت من علامة) قال ابن ذى يزن (ان الذي قلت لك
لكما قلت لك فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل
الله لهم عليه سبيلا . فاطو ما ذكرت من هولاء الرهط الذين معك ، فاني لست
آمن ان يداخلهم النفاسة . من أن تكون لك الرياسة . فيبغون له الغوائل .

وينصبون له الجبائل . وهم فاعلون وأبناؤهم . ولولا انى أعلم ان الموت يجتاحنى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير يثرب دار ملكه ، فانى أجد فى الكتاب الناطق . والعلم السابق . ان يثرب استحكام أمره . وأهل نصرته وموضع قبره . ولولا انى اقيه الايات . واحذر عليه العاهات . لاعلنت على حداثة سنه ذكره . واوطيت أسنان العرب عقبه . ولكنى صارف ذلك اليك . بغير تقصير ممن معك) ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة اعبد وعشرة اماء سود ، وحلتين من حلل البرود ، وخمسة أرطال ذهب وعشرة أرطال فضة وكرشاً مملوءة عنبراً . واعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك . وقال له : اذا حال الحول فأننى بأمره . وما يكون من خبره . قال : فمات ابن ذى يزن قبل ان يحول الحول . قال : فكان عبد المطلب كثيراً يقول : يامعشر قريش لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كان كثيراً فانه الى نفاذ ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره ونخره وشرفه فاذا قيل له : وماذاك ؟ قال : ستعلمون ما أقول لكم ولو بعد حين انتهى . وهذا من هواجس النفوس من الهام العقول . فان العقل ينذر بالخواص الكائنة حدمساً . ويعلم بعد الوجود حساً . فقل حادث الاتقدم نذيره . وبحسب خاطره يكون تأثيره . ومنهم :

ورقة بن نوفل القرشى

وهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى يجتمع مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى جدجده . قال الزبير بن بكار : كان ورقة قد كره عبادة الاوثان وطلب الدين فى الآفاق وقرأ الكتب وكانت خديجة رضى الله تعالى عنها تسأله عن أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول لها : ماأراه الا نبى هذه الأمة الذى بشر به موسى وعيسى . وقال ابن كثير : قال ابن اسحق ؛ وكانت خديجة

بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ذكرت لورقة وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها (يعنى ميسرة) من امر الراهب فى السفرة التى سافر بها لخديجة الى الشام ما نزل تحت هذه الشجرة الانبى وما كان ميسرة يرى منه اذ كان الملك يظلاله . فقال ورقة : إن كان حقاً يا خديجة أن محمد النبى هذه الامة وقد عرفت أنه كائن لهذه الامة نبى ينتظر هذا زمانه قال فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول حتى متى ؟ وقال فى ذلك :

لججت وكنت فى الذكرى لجوجا لهم طالما بعث النشيجا (١)
ووصف من (خديجة) بعد وصف فقد طال انتظارى يا (خديجا)
ببطن المكتين على رجائى حديثك أن أرى منه خروجاً (٢)
بما خبرتنا من قول (قس) من الرهبان أكره أن يعوجا (٣)

(١) اللجاج : التمدى فى الامر ، والنشيج : مثل بكاء الصبي اذا ضرب فلم يخرج بكاءً ووردده فى صدره . وعن ابن الاعرابى : النشيج من الفم والتخير من الانف . وفى التهذيب : وهو اذا غص البكاء فى حلقه عند الفرعة (٢) قال الامام المحدث أبو القاسم الخثعمي السهيلي فى (روض الانف) : ثنى مكة وهى واحدة لان لها بطاحاً وظواهر . وللعرب مذهب فى اشعارها فى تثنية البقعة الواحدة وجمعها نحو قوله : « وميت بغرات » يريد بغزة . وبغادين فى بغداد . واما التثنية فكثير نحو قوله : « بالرقتين له أجر واعراس » « والحمتين سقاك الله من دار »

وقال زهير « ودارها بالرقتين » وقول ورقة من هذا « يبطن المكتين » لانه لادخال الظواهر تحت هذا اللفظ وقد اضاف اليها البطن كما اضافه المبرق حين قال « يبطن مكة مقهور ومفتون » وانما مقصد العرب فى هذا الاشارة الى جانبي كل بلدة أو الاشارة الى اعلى البلدة واسفلها فيجعلونها اثنين على هذا المغزى وقد قالوا « صدنا بقنوين » وهو قنا اسم جبل . وقول عنتر « شربت بماء الدحر ضين » هو من هذا الباب فى اصح القولين . وقال عنتر أيضاً : « بعنيزتين واهلنا بالعيم » وعنيزة : اسم موضع . وقال الفرزدق : « عشية سال المربدان كلاهما » وانما هو مربد البصرة . وقولهم : « تسأنى برامتين سلجما » وانما هو رامة . وهذا كثير وأحسن ما تكون هذه التثنية اذا كانت فى ذكر جنة وبستان فتسنيها جنتين فى فصيح الكلام اشعاراً بأن لها وجهين وانك اذا دخلتها ونظرت اليها يمينا وشمالاً رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قررة وصدرك مسرة . وفى التنزيل « عن يمين وشمال » الى قوله سبحانه « وبدلناهم بجنتيهم جنتين » وفيه « جعلنا لاهلها جنتين » الآية . وفى آخرها « ودخل جنته » فأفرد ماثنى وهى هى . وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه « ولمن خاف مقام ربه جنتان » والقول فى هذه الآية يتسع والله المستعان (٣) قس : هو ابن ساعدة الايادى خطيب العرب الموحد المشهور وقد تقدمت ترجمته قريباً

بأن (محمداً) سيسود يوماً
ويظهر في البلاد ضياء نور
فيلقى من يحاربه خساراً
فيالتي اذا ما كان ذا كم
ولوجافى الذى كرهت قريش
أرجى بالذى كرهوا جميعاً
وهل أمر السفالة غير كفر
فان يبقوا وأبق تكُنْ أمور
وان أهلك فكل قى سيلقى
من الأقدار متلفةً خروجاً

ومات ورقة في قرة الوحي رضى الله تعالى عنه قبل نزول الفرائض والاحكام
وقال الزبير في كتاب نسب قريش : ورقة بن نوفل لم يعقب . وقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم : لا تسبوا ورقة فاني رأيت في ثياب بيض . وهو الذى يقول

ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه
يجزيك أو يثني عليك وإن من
يوماً فتدركه العواقب قدما
اننى عليك بما فعلت كمن جزى

ومر ببلال بن رباح رضى الله عنه وهو يعذب برمضاء مكة فيقول احد احد
فوقف عليه فقال احد احد والله يابلال ونهاهم عنه فلم ينتهوا فقال : والله لئن
قتلتموه لاتخذن قبره جناناً وقال :

لقد نصحت لأقوامٍ وقلت لهم :
لا تعبدن إلهاً غير خالقكم
أنا النذير فلا يغركم أحد
فان دُعيتم فقولوا دونه حدد^(٢)
رب البرية فرد واحد صمد
سبحان ذى العرش لا شى يعادله

(١) قوله « فيالتي » بحذف نون الواواية وحذفها مع ليت نادر وهو في لعل أحسن منه لقرب
مخرج اللام من النون . قال ابن مالك في الالفية :

وليتنى فشا وليتى ندرا ومع لعل اعكس ...

(٢) الحدد : بفتح الحاء والذال المهملتين : المنع

سبحانه ثم سبحاناً نعوذ به وقبلنا سبح الجودي والجد (١)
 مسخر كل من تحت السماء له لا ينبغي أن يناوى ملكه أحد
 لم تغن عن هزمز يوماً خزائنه وانخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
 ولا سليمان إذ دان الشعوب له والجن والأنس تجري بينها البرد (٢)
 لاشيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الآله ويودي المال والولد

قال السهيلي : قوله حناناً أى لا تخدن قبره منسكاً ومترحماً والحنان الرحمة
 وقد الف أبو الحسن برهان الدين ابراهيم البقاعى الشافعى تأليفاً فى إيمان ورقة
 بالنبي وصحبته له صلى الله تعالى عليه وسلم ولقد أجاد فى جمعه وشدد الانكار على
 من أنكر صحبته وجمع فيه الاخبار التى نقلت عن ورقة بالتصريح بإيمانه بالنبي صلى
 الله تعالى عليه وسلم وسروره بنبوته والخبار الشاهدة له بأنه فى الجنة وما نقله
 العلماء من الأحاديث فى حقه وما ذكروه فى كتبهم المصنفة فى أسماء الصحابة ،
 وسعى تأليفه (بادل النصيح والشفقة . للتعريف بصحبة السيد ورقة) وحاصل
 ما ذكره البقاعى فى شأن ورقة بن نوفل : أنه ممن وحد الله فى الجاهلية فخالف
 قريشاً وسائر العرب فى عبادة الأوثان وسائر أنواع الاشرار وعرف بعقله الصحيح
 أنهم اخطؤا دين ابراهيم الخليل عليه السلام ووجد الله تعالى واجتهد فى طلب
 الخيفية دين ابراهيم ليعرف أحب الوجوه الى الله تعالى فى العبادة فلم يكتف
 بما هدا اليه عقله بل ضرب فى الارض لياخذ علمه عن أهل العلم . بكتب الله تعالى المنزلة
 من عنده الضابطة للأديان فأداه سؤاله أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم الى أن
 اتبع الذى أوجبه الله تعالى فى ذلك الزمان وهو الناسخ لشريعة موسى عليه السلام
 دين النصرانية ولم يتبعهم فى التبديل بل فى التوحيد ، وصار يبحث عن النبي

(١) وروى الريانى « نعوذله » بالذال المهملة واللام أى نعوذ به مرة بعد أخرى ، والجد بضم
 الجيم والميم وتخفيف الميم أيضاً بالسكون : جيل تلقاء اسنة واسنة بفتح الالف وسكون السين
 وضم النون وقيل بضم الهمزة والنون : رملة بأسفل الدهناء على طريق فلج (٢) ويزوى :
 ولا سليمان اذ تجرى الرياح له والانس والجن فيما بينها ترد

صلى الله تعالى عليه وسلم الذى بشر به موسى وعيسى عليهما السلام . فلما أخبرته ابنة عمه الصديقة الكبرى خديجة رضوان الله تعالى عليها بما رأت وأخبرت به فى شأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الخايل باظلال الغمام ونحوها ترجى أن يكون هو المبشر به ، وقال فى ذلك أشعاراً يتشوق فيها غاية التشوق الى إنجاز الأمر الموعود لينخلع من النصرانية الى دينه لأنه كان قال لزيد بن عمرو بن نفيل لما قال لهم العلماء إن أحب الدين الى الله تعالى دين هذا المبشر به : أنا استمر على نصرانيتى الى أن يأتى هذا النبى . فلما حقق الله الأمر وأوقع الارهاصات (١) بالسلام من الأبحار والأشجار على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبمناذاة اسرافيل عليه السلام للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع الاستتار وخاف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك فاشتد خوفه فنقل ذلك الى ورقة رضى الله تعالى عنه فاشتد سروره بذلك وثبتته وشد قلبه وشجعه ، فلما بدا له الأمر بفراغ نوبة اسرافيل وأتاه جبريل عليه السلام وفعل ما أمره الله به من شق صدره الشريف وغسل قلبه وايداعه الحكمة والرحمة وما يشاء الله تعالى وتبدى له جبريل وأنزل عليه بعض القرآن وأخبره به قف شعرة ورقة وسبح الله وقده وعظم سروره بذلك وشهد أنه أتاه الناموس (٢) الاكبر الذى كان يأتى الأنبياء قبله عليهم السلام وشهد أنه الذى أنزل عليه كلام الله وشهد أنه نبى هذه الأمة وتمنى أن يعيش الى أن يجاهد معه . هذا مع ما له بالنبى عليه الصلاة والسلام وزوجته الصديقة خديجة من أعظم القرب والانتساب الموجب للحب رضى الله تعالى عنه وأرضاه . ومن شعره :

(١) الارهاص : الاثبات . يقال ارهص الشيء إذا اثبته واسسه وهو مجاز ومنه ارهاص النبوة
(٢) ولانظ البخارى : فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ياليتنى فيها جندع ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوخرجى هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك انصرك نصر أمؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفى وقت الوحي

أتبكر أم أنت العشيّة راحُ وفي الصبر من اضمّارك الحزن قادحُ
 لفرقة قومٍ لا أحبُّ فراقهمُ كأنك عنهم بعد يومين نازحُ^(١)
 واخبار صدق خبرتُ عن (محمدٍ) يخبرها عنه اذا غاب ناصحُ
 فتاكِ الذي وجهتِ ياخيرَ حرّةِ بغور وفي النجدين حيثُ الصحاصحُ^(٢)
 الى سوق بصرى في الركابِ التي غدتُ وهنّ من الأجمال قعصٌ ذوائحُ^(٣)
 يخبرنا عن كل جبرٍ بعلمه وللحق أبوابٌ هن مفتحُ
 بأن ابن (عبد الله أحمد) مرسلُ الى كل من ضمت عليه الأباطحُ
 وظنى به أن سوف يبعث صادقاً كما أرسل العبدان (هود) و(صالحُ)
 و(موسى) و(ابراهيم) حتى يرى له بهاء و منشور من الذكر واضحُ
 ويتبعه حيا (لؤي بن غالب) شبابهم والأشيبون الجحاجحُ^(٤)
 فان ابق حتى يدرك الناسُ أمره فاني به مستبشرُ الودِ فارحُ
 والا فاني يا (خديجةُ) فاعلمى عن ارضك في الارض العريضة سائحُ
 ومن شعره أيضاً

وان يكُ حقاً يا (خديجةُ) فاعلمى حديثك إياها (فأحمد) مرسلُ
 و(جبريل) يأنيه و(ميكال) فاعلمى من اللوحى يشرح الصدر منزل
 يفوز به من فاز فيها بتوبةٍ ويشقى به العاني الغرير المضلل
 فريقانٍ منهم فرقةٌ في جنانه وأخرى بأجواز الجحيم تغلل
 فسبحان من تهوى الرياح بأمره ومن هو في الأيام ما شاء يفعل

(١) نزع نزوحاً اذا بعد (٢) الصحاصح : جمع صحصح وهو ما استوى من الارض وجرده .
 وارض صحاصح و صحصحان ليس بهاشيء ولا شجر ولا قرار للماء (٣) بصرى في موضعين بالضم
 والقصر أحدهما بالشام من أعمال دمشق وهي قصبه كورة حوران مشهورة عند العرب قديماً
 وحديثاً ذكرها كثير في اشعارهم . وبصرى أيضاً من قرى بغداد قرب عكراء كما في معجم
 البلدان . وقعصه وأقعصه اذا قتله قتلاً سريعاً . وقوله ذوائح صوابه ذوالح من دلح البعير اذا مر بحمله
 مثقلاً . وقال الازهرى : الدالح البعير اذا دلح وهو تشاقله في مشيه من ثقل الحمل وناقة دلوح مثقلة حملاً أو
 موقرة شحمياً (٤) جمع جحجج وهو السيد السمح وقيل الكريم

ومن عرشه فوق السموات كلها واقضاؤه في خلقه لا تبدل
ومن شعره أيضاً

بالرجال وصيرف الدهر والقدر وما لشيء قضاء الله من غير (١)
جاءت (خديجة) تدعوني لأخبرها وما لنا بخفي الغيب من خبر
جاءت لتسألني عنه لأخبرها أمراً أراه سيأتي الناس من آخر
نخبرتنني بأمرٍ قد سمعتُ به فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن (احمد) يأتيه فيخبره (جبريل) أنك مبعوث إلى البشر
فقلت : علّ الذي ترجين ينجزه لك الآله فرجى الخير وانتظري
وأرسله اليها كي نسأله عن أمره ما يرى في النوم والسهر
فقال حين أتانا منطلقاً عجباً يقف منه أعلى الجلد والشعر :
أني رأيت أمين الله واجهني في صورة اكملت من أعظم الصور
ثم استمر فكاد الخوف يذعرنني مما يسلم ما حولي من الشجر
فقلت : ظني وما أدري أصدقني أن سوف يبعث يتلو منزل السور
وسوف أبليك ان اعلنت دعوتهم من الجهاد بلا من ولا كبر
ومنهم :

عاصم بن الظرب العديوني

كان من حكماء العرب وخطبائهم كما سبق في فصلهم . وله وصية طويلة
يقول في آخرها : إني مارأيت شيئاً قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً
ولا جائياً الا ذاهباً ، ولو كان يمينت الناس الداء لحياتهم الدواء . ثم قال : إني
أرى أموراً شتى وحتى . قيل له : وما حتى ؟ قال : حتى يرجع الميت حياً ، ويعود
اللاشيء شيئاً ، ولذلك خلقت السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين . وقال :

(١) الغير : اسم من التغير عن الاحيان وانشد :

إذ أنا مغلوب قليل الغير

وَيُلَمِّهَا (١) نصيحةً لو كان من يقبلها . وقد سبق لعامر هذا ذكر في غير موضع من الكتاب وذكروا بعضاً من أحواله وسندوا بعضها فيما يناسب . ان شاء الله ومنهم :

عبد الطائفة بن ثعلب بن وبرة بن قضاة

كان يؤمن بالخالق عز وجل ويخلق آدم عليه السلام وقال في ذلك شعراً وهو هذا :

ادعوك يارب بما أنت أهله	دعاء غريق قد تشبث بالعصم
لأنك أهل الحمد والخير كله	وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلم
وأنت الذي لم يحيه الدهر ثانياً	ولم ير عبداً منك في صالح وجم
وأنت القديم الأول الماجد الذي	تبدأت خلق الناس في ا كتم العدم
وأنت الذي احللتني غيباً ظلمة	الى ظلمة في صلب (آدم) في ظلم

ومنهم :

عروف بن سهراب التميمي

كان أيضاً يؤمن بالله ويوم الحساب . وفي ذلك يقول وقد أحسن وأجاد

في مقاله :

(١) قوله ويلمها مدح خرج بلفظ الذم والعرب تستعمل لفظ الذم في المدح فتقول : اخزاء الله ما اشعره ولعنه الله ما اجراه وكذلك يستعملون لفظ المدح في الذم فيقولون للاحق يا عاقل وللجاهل يا عالم ومعنى هذا يا أيها العاقل عند نفسه أو عند من يظنه طاقلاً فسموه طاقلاً على ما يعتقده في نفسه وأما قولهم اخزاء الله ما اشعره ونحو ذلك من المدح الذي يخرجونه بلفظ الذم فلهم في ذلك غرضان أحدهما ان الانسان اذا رأى الشيء فأثنى عليه ونطق باستحسان فربما اصابه بعين وأضر به فيعدلون عن مدحه إلى ذمه لئلا يؤذوه والثاني انهم يريدون أنه قد بلغ غاية الفصل وحصل في حد من يذم ويسب لان الفاضل يكثر حساده والمعادون له والناقص لا يلتفت اليه ولذلك كانوا يرفعون انفسهم عن مهاجاة الحسيس ومجاورة السفیه ولذلك قال الفرزدق :

وان حراماً أن أسب مقاعساً يا بآئك الشم الكرام الحضارم
ولكن نصفاً لوسبيت وسبني بنوعبد شمس من مناف وهاشم

وقال أبو الطيب :

صغرت عن المديح فقلت : أهجى كأنك ما صغرت عن الهجاء

هذا وقد بقي كلام في اصراب الكلمة (ويلمها) يطلب من الاقتضاب

ولقد شهدتُ الخِصمَ يومَ رِفاعَةِ رِفاعَةٍ فأخذتُ منه خِطَّةَ المِقتالِ
وعلمتُ أن اللهَ جازٍ عبدهُ يومَ الحِسابِ بأحسنِ الأعمالِ
ومنهم :

الملكس بن أمية الكِناني

فقد كان يخطبُ العربَ بفناء الكعبةِ ويقول : أطيعوني ترضوا . قالوا :
وما ذلك ؟ قال : إنكم قد تفردتم بألهة شتى وإني لأعلم ما الله راضٍ به وإن الله
تعالى رب هذه الآلهة وأنه ليحب أن يعبد وحده فتفرقت عنه العرب حين قال
ذلك وتجنبت عنه طائفة وزعموا أنه على دين بني تميم . ومنهم :

زهير بن أبي سلمى

وكان يمر بالعضاه (١) وقد أورقت بعد يُبس فيقول : لولا أن تسبني العرب
لأمنتُ أن الذي أحياك بعد يُبس سيحي العظامَ وهي رميم . وقال في معلقته :
ألا أبلغ الأُحلافَ عني رسالةٌ وذُبيانَ هل أقسستمُ كل مُقسمٍ
الأُحلاف : أسدٌ وغطفان (٢) هنا واحدهم حلف وفلان حلف بني فلان إذا
منعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأن يكون عوناً على غيرهم . ومعنى هل أقسستمُ كل
مقسم : أي كل أقسام . يقول أبلغ ذُبيانَ وحلفاءها وقل لهم : قد حلقتم على إبرام
حبل الصلح كل حلف فتخرجوا من الحنث وتجنّبوا .

فلا تكتننَّ اللهُ ما في نفوسكم ليخفي ومها يُكتنم اللهُ يعلم
يقول : لا تكتنموا الله ما صرتم إليه من الصلح وتزعمون انكم لم تحتاجوا
إلى الصلح وإنا لم نملَّ الحربَ فإن الله يعلم من ذلك ما تكتنونه من الغدر كما فعل
حصين بن ضمضم إذ قتل العبسي بعد الصلح . وتفسير الزوزني أوضح من هذا
حيث قال : أي لا تخفوا من الله ما تضمرون من الغدر ونقض العهد ليخفي على

(١) كل شجر له شوك (٢) أقول : وطية أيضاً

الله ومهما يكتم من الله شيء يعلمه . يريد أن الله عالم بالخفيات والسرائر ولا يخفى على الله شيء من ضمائر العباد فلا تضمروا الغدر ونقض العهد فانكم لو أضمرتوه علمه الله تعالى .

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر . ليوم الحساب أو يعجل فينتقم .
أى لا تكتمن الله ما في نفوسكم فيدخر ذلك الى يوم الحساب فيحاسبكم به الله أو يعجل لكم النعمة في الدنيا . وفي شرح الزوزنى : يقول يؤخر عقابه ويرقم في كتابه فيدخر ليوم الحساب أو يعجل العقاب في الدنيا قبل المصير الى الآخرة فينتقم من صاحبه يريد لا مخلص من عقاب الذنب عاجلاً وآجلاً انتهى .
فقد اعترف في هذه الآيات بوجود الباري عز اسمه وأثبت له سبحانه صفات الكمال كالعلم والحياة والقدرة ، وأقر بالبعث والنشور والثواب والعقاب والحفظه وغير ذلك مما جاءت به الحنيفية البيضاء ، وهذا أدل دليل على يقينه وإيمانه .
ومنهم :

فهارز بن سنان بن غيث العبسى

كان مقراً بتوحيد الربوبية والالوهية ، ناهجاً منهج الملة الحنيفية وكثير من الناس ذهب الى انه كان نبياً . وفي الحديث (ذاك نبى أضاعه قومه) وذلك أنه قال لقومه (ادفنوني فاذا جاءت الطباء بعد ثلاث فاخرجوني فساأبشكم بما أمرت) فجاءت الطباء الى قبره بعد ثلاث فلم يخرجوه وقالوا تتحدث العرب عنا انا نبشنا موتانا . وأتت بنته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعته يقرأ قل هو الله أحد فقالت : قد كان أبى يقرأ هذا . وأهل هذا القول اختلفوا في الزمن الذى كان فيه فالكثير على أنه كان في الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام .
ومنهم من قال : كان قبل عيسى والبنت التى جاءت الى الرسول ليست بنته الصلبية بل كانت من ذريته ونسله . وقد وقع في بعض بلاد الحجاز في الجاهلية

نار عظيمة فقام في أمرها خالد بن سنان حتى اخمدها ومات بعد ذلك في قصة له ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى في (كتاب الجماجم) وأوردها الحاكم في المستدرک من طريق يعلى بن مهدي عن أبي عوانة عن أبي يونس عن عكرمة عن ابن عباس : أن رجلا من بني عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه : إني أطفئ عنكم نار الحدثان فذكر القصة . وفيها : فانطلق وهي تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة اشجع فذكر القصة في دخوله الشق والنار كأنها جبل سقر فضربها بعصاه حتى ادخلها وخرج وقد ذكرت طرفا من هذه القصة في مبحث نيران العرب . ويقال : إن خالد بن سنان هذا هو الذي دعا على العنقاء فذهبت وانقطع نسلها . والأصح أن الذي دعا عليها حنظلة بن صفوان وكان نبيا بعثه الله تعالى الى أهل الرس (والرس البئر) فكذبوه وقتلوه فأوحى الله تعالى الى نبي كان مع بخت نصر يقال له ارميا بن برخيا : مر بخت نصر يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم . قال الزمخشري في أمثاله عند قولهم « طارت به عنقاء مغرب » : زعموا أنها طائر كان على عهد حنظلة بن صفوان الحميري نبي أهل الرس عظيم العنق . وقيل : كان في عنقه بياض ولذلك سمي عنقاء وكان أحسن طائر خلقه الله تعالى فاختطف غلاما فأغرب به ولذلك سمي المغرب فدعا عليه حنظلة فرمى بصاعقة انتهى . وقال الهميري في حياة الحيوان هو طائر غريب تبيض بياضا كالجبال وتبعد في طيرانها سميت بذلك لأنه كان في عنقها بياض كالطوق . وقال القزويني أنه أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة تختطف الفيل كما تختطف الحدأة الفأر وكانت قديما بين الناس فتأذوا منها الى أن سلبت يوماً عروساً بحليها فدعا عليها حنظلة النبي فذهب الله بها الى بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء . وهي جزيرة لا يصل اليها الناس وفيها حيوان كثير كالفيل والكركدن والجاموس والبئر والسباع وجوارح الطير . وعند طيرانها يسمع لأجنحتها دوى كدوى الرعد القاصف والسيل وتعيش الف سنة وتزواج اذا

مضى لها خمسمائة عام . وقال العكبري في شرح المقامات كان لأهل الرس جبل شامخ فيه
طيور شتى منها العنقاء وهي طائر عظيم الخلق طويل العنق ووجهه وجه إنسان من
أحسن الطير شكلاً وكانت تأكل الطير فجاعت مرة فأخذت صبياً ثم جارية فاشتكوها
لنبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها حنظلة فذهبت وانقطع نسلها . وقيل : أصابتها
صاعقة فاحترقت . وكان حنظلة في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة
والسلام . وسميت العنقاء لطول عنقها . وقيل إنها كانت في زمن موسى . وفي
المثل (كالعنقاء تسمع بها ولا ترى كالغول) والمراد عدم رؤيتها بعد الانقراض
المذكور . وسميت مغرباً بزنة اسم الفاعل من أغرب لأنها كانت تجي بالغرائب .
وقد وقع استعمالها في هذا المثل بدون الوصف . ومنه يعلم جواز استعمالها بدون
الوصف كقول الشاعر :

لما رأيت نبي الزمان وما بهم خلّ وفيّ للشدائد أصطفى
أيقنت أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخلّ الوفيّ
وكان القاضي الفاضل ينشد كثيراً :

وإذا السعادة أحرصتك عيونها ثمّ فالخاوف كلهن أمان
واصطدّ بها العنقاء فهي حباله واقصد بها الجوزاء فهي عنان

« وقال غيره »

الجود والغول والعنقاء ثلاثة أسماء أشياء لم توجد ولم تكن
وقد أورد ابن حجر العسقلاني طرفاً من ترجمة خالد بن سنان في كتابه في
الصحابة فعليك به . ومنهم :

عبد الله القضاعي

وهو ابن تغلب بن وبرة بن قضاة وكان يؤمن بالله واليوم الآخر وكان من
حكماء العرب وفضلها الشهيرين ينهج في ديانته منهج الحنيفية كضراجه السابقين

دل على ذلك ما روى من كلامه . وبلغ نظامه ، ومثل اسمه لم يكن في الجاهلية الا نادراً بناء على ما اتخذه من القاعدة والعادة في وضع أسماهم . وسيأتي ذلك عند الكلام على مذاهبهم في أعمالهم وأفعالهم . ومنهم :

عبيد بن الأبرص الأسدي

كان عبيد هذا ينتهي نسبه الى خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وشعره يدل على توحيدته قال : —

ولتأتين بعدى قرون جمة ترعى محارم ايكة ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف والنجم يجرى انحساراً وسعودا
حتى يقال لمن تعرق دهره : ياذا الزمانه هل رأيت عبيدا ؟
مائتي زمان كاملين وبضعة عشرين عشت معمرأ محمودا
أدركت أول ملك نصر ناشئاً وبناء شداد وكان أيدا
وطلبت ذا القرنين حتى فاتني ركضاً وكدت بان أرى داودا
ما تبتغي من بعد هذا عيشة الا الخلود . ولن تنال خلودا .
وليفنين هذا وذاك كلاهما الا الآله ووجهه المعبودا

وكان من فحول شعراء الجاهلية جعله ابن سلام الجمحي في الطبقة الرابعة وقرن به طرفة وأعلقمة بن عبدة . قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء عاش عبيد هذا أكثر من ثلثمائة سنة . وكان المنذر بن امرئ القيس جد النعمان بن المنذر له يوم يؤس ويوم نعيم . وكان يقتل أول من رأى في يوم يؤسه فخرج المنذر في يوم يؤسه فلقى عبيد بن الأبرص فقتله . في قصة طويلة لا يسعها المقام (١) . ومنهم :

كعب بن لؤي بن غالب

وهو أحد أجداد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكرنا في المجتمعات

(١) أنظرها في الجزء الاول من هذا الكتاب

ما حكاه الزبير بن بكار من خطبته لقريش ، واجتماعهم عليه في كل جمعة فكان يأمرهم فيها بالاطاعة والفهم والتعلم والتفكر في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، وتقلب الأحوال والاعتبار بما جرى على الأولين والآخريين ويحثهم على صلة الأرحام ، وإفشاء السلام ، وحفظ العهد ومراعاة حق القربة والتصديق على الفقراء والأيتام ، ويذكرهم بالموت وأهواله واليوم الموعود وأحواله ، ويبشرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه من ولده ويأمرهم باتباعه ان ادركوه وانه يخرج من بيت الله الحرام . وينشد شعراً يذكر فيه ذلك ويتشوق الى مشاهدة دعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك مما بعد من فطن الالهامات ، وصادق التخيلات وهذا من أوضح البراهين على تمسكه بدين ابراهيم عليه السلام وأخذه بالحنيفية والاسلام . وذهب كثير من العلماء الى أن جميع أصول النبي عليه الصلاة والسلام من الآباء والأمهات كانوا موحدين في اعتقادهم مؤمنين بالبعث والحساب ، وغير ذلك مما جاءت به الحنيفية من الاحكام . والى ذلك يشير كلام الماوردي (في اعلام النبوة) فانه قال : لما كان انبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه استخلصهم من اكرم العناصر ، وأمدهم بأوكد الأواصر^(١) ، حفظاً لنسبهم من قدح ، ولنصبهم من جرح ، لتكون النفوس لهم أوطأ ، والقلوب لهم أصغى فيكون الناس الى اجابتهم أسرع ، ولأوامرهم أطوع . انتهى . وقد كان عبد المطلب يتلأأ من وجهه النور وتلوح في أساريره علامات الخير . وكان يأمر ولده بترك البغي والظلم ، ويحثهم على مكارم الاخلاق ، وينهاهم عن سفاسف الأمور . وكان يقول في وصاياه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الى أن هلك رجل ظلوم ولم تصبه عقوبة . فقيل لعبد المطلب في ذلك :

(١) الاواصر : جمع آصرة وهي ما عطفك على الرجل من الرحم والقراية والمعروف والمنة . يقال ما تأصرني على فلان آصرة أي ما تعطفني عليه منة ولاقراية قال الخطيب :

عطفوا على بغير آصرة فقد عظم الأواصر

أي عطفوا على بغير عهد قراية

فكر وقال : والله ان وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن باحسانه . ويعاقب فيها المسيء باساءته . . وكان مجاب الدعوة ، وقد حرم الخمر على نفسه ، وهو أول من تعبد بحراء . وكان إذا رأى هلال رمضان صفد الى حراء يطعم المساكين ويرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال . وكان يفوح مذبذبة رائحة المسك الاذفر ، وكانت قريش إذا أصابهم قحط يستسقون به فيسقيهم الله تعالى غيثاً عظيماً . وانتقلت السقاية^(١) والرفادة^(٢) والرئاسة الى عبد المطلب وأخذ عهداً من ملوك الشام واقبال حمير باليمن وصارت رحلته اليها وحفر عبد المطلب حين قوى واشتد بئر زمزم وأخرج منها ما كان ألقاه فيها عامر بن الحرث الجرهمي من غزالي الكعبة وحجر الركن فضرب الغزاليين صفائح ذهب على باب الكعبة ووضع الحجر في الركن وصار عبد المطلب سيداً عظيماً القدر ، مطاع الأمر نجيب النسل ، حتى مر به اعرابي وهو جالس في الحجر وتحوله بنوه كالأسد . فقال : إذا أحب الله انشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء فانشأ الله تعالى لهم بالنبوة دولة خلد بها ذكركم ورفع بها قدرهم حتى سادوا الأنام ، وصاروا الاعلام ، وصار كل من قرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من آبائه أعظم رياسة وتدوهاً ، وأكثر فضلاً وتأهاً .

(وأما هاشم) فقد كان يحنل ابن السبيل ويؤدى الحقوق وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلأأ في وجهه لا يراه أحد إلا قبل يده ولا يمر بشيء إلا سجد له . وكان يضرب بجوده المثل وهو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف . وأراد أمية بن عبد شمس أن يتشبه بهاشم في صنيعه فعجز عنه فشمت به ناس كثير من قريش فقال فيه وهب بن عبد قصى :

(١) هي ما كانت قريش تسقيه للحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء (٢) الرفادة : شيء كانت تترافد به قريش في الجاهلية فتخرج فيما بينها مالا وتشتري به للحجاج طعاماً وزيباً للثريد فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج

تحمل هاشم ماضاق عنه وأعيان أن يقوم به بريض
 أتاهم بالغرائر منقلات من الشام بالبر البغيض^(١)
 فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب اللحم باللحم الغريض^(٢)
 وكان اسمه عمراً فسمى هاشماً^(٣) لأنه أول من هشم الثريد لقومه في مكة
 في سنة لزبة قحطة رحل فيها إلى فلسطين فاشتري منها الدقيق وقدم به إلى مكة
 ونحر الجزر وجعلها ثريداً عم به أهل مكة حتى استقلوا فقال فيه الشاعر :
 يا أيها الرجل المحول رحله هلاً نزلت بآل عبد مناف
 الآخذون العهد من آفاقها الراحلون لرحلة الأيلاف
 والرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلم للأضياف
 والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي
 عمرو العلي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

(وأما عبد مناف) فقد كان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله واسمه المغيرة
 وعن الزبير رضى الله تعالى عنه أنه وجد حجراً منقوشاً عليه أنا المغيرة بن قصي
 أوصى قريشاً بتقوى الله وصلة الرحم وكان يبغض الأصنام وكان يلوح عليه نور

(١) الغرائر : جمع غرارة بهاء ولا تفتح وهي الجواقق (٢) لحم غريض : طرى (٣) قال
 السهيلي : المعروف في اللغة أن يقال ثردت الخبز فهو ثريد ومثرو دله بسم رداً وسمى هاشماً . وكان
 القيس كما لا يسمى الثريد هاشماً بل يقال فيه ثريد ومثرو دأن يقال في اسم الفاعل أيضاً كذلك ولكن سبب
 هذه التسمية يحتاج إلى بيان : ذكر أصحاب الأخبار أن هاشماً كان يستعين على إطعام الحاج بقريش
 فيرفدونه بأه والهم ويعينونه ثم جاءت أزمة شديدة فكره أن يكاف قريشاً امر الرأفة فاحتمل إلى الشام
 بجميع ماله واشتري به اجمع كما ودقيقاً ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكمك كله هشماً ودقه دقاً ثم صنع للحاج
 طعاماً أشبه الثريد فبذلك سمي هاشماً لأن الكمك اليابس لا يثرد وإنما هشم هشماً فبذلك مدح حتى قال
 شاعرهم فيه وهو عبد الله بن الزبير

كانت قريش بيضة فتفتقات فالح خالصه لعبد مناف
 الخالطين فقيرهم بغنيهم والظاعنين لرحلة الأيلاف
 والرائشين وليس يوجد رائش والقائلين : هلم للأضياف
 عمرو العلي هشم الثريد لقومه قوم بمكة مستنون عجاف
 انتهى ما اريد نقله . والمج بالضم صفة البيض

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وكان اسمه المغيرة فدفعته أمه إلى (مناف) وكان من أعظم أصنام مكة تعظيماً له فغلب عليه عبد مناف واستحكمت رئاسته بعد أبيه لجوده وسياسته حتى قال فيه الشاعر :

كانت قريش بيضة فتفقات فالح خالصه لعبد مناف

(وأما قصي) فكان عالم قريش وأقومها للحق وكان يجمع قومه يوم العروبة وينذركهم ويأمرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم بأنه سيبعث فيه نبي وكان ينهى عن عبادة الأصنام وخلصت الرئاسة في مكة لقصي بعد أن اجلى خزاعة عنها فجمع قريشاً وهم في أوزاع بني كنانة فمنعت بنو كنانة منهم فخار بهم بمن اطاعه حتى أفردهم منهم وجمعهم بمكة فسعى (مجعاً) وفيه يقول شاعرهم :

أبونا قصي كان يدعى مجعاً به جمع الله القبائل من فهر

فلما اجتمعوا أنزلهم بطحاء مكة في الشعاب ورؤس الجبال وقسمها رباعاً بين قومه وأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها . وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء (١) وصارت سنة في قريش كالدين الذي لا يعمل بغيره فزادت القوة بجمعهم حتى عقد الولاية وجدد بناء الكعبة ، وهو أول من بناها بعد إبراهيم واسماعيل وبني دار الندوة للتحاكم والتشاجر والتشاور وهي أول دار بنيت بمكة وكانوا يجتمعون في جبالها ثم بنى القوم دورهم بها فتمهدت لهم الرياسة ، وظهرت فيهم السياسة . وبالجملة إذا خبرت حال نسبه ،

(١) الحجابة : سداية البيت أي خدمته وهي مما أحدثه قصي . والحجابة عندهم منصب شريف تكون مفاتيح الكعبة عندهم تقلدها هذا المنصب وهو المسؤول على ما في الكعبة من الامانات ، والاموال المهداة ، وهي بيد آل شيبه ، والندوة : من محدثات قصي أيضاً وهي بمنزلة قصر الامارة ودار الحكومة وكانوا يجتمعون فيها لابرارهم وتشاورهم والندوة الجماعة ودار الندوة دار الجماعة وقيل في وجه التسمية غير ذلك . وكانت الجارية إذا حاجت ادخلت دار الندوة ثم شق عليها بعض ولد عبد مناف درعها ودرعها اياه وانقلب بها أهلها فحجبوها ولا يعذر غلام (أي يجتن) الا فيها . واللواء : منصب أحدثه قصي أيضاً وهو بمنزلة وزير الحرب في عصرنا فإذا اخرج من كان بيده اجتمعت عنده صنائد قريش لا يتخاف أحد منهم عنه وذلك اذا بانبتهم نائبة . وغيره لا يمكن من ذلك اللواء وكان هذا المنصب مخصوصاً ببني عبد الدار . اما السقاية والرفادة فقد مضى تفسيرهما في ص ٢٨٣

وعرفت طهارة مولده ، علمت أنه سلالة آباء كرام سادوا ورأسوا فإنه محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن نؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وليس في هؤلاء حامل مسترذل ، ولا مغمور مستذل ، كلهم سادة قادة اشتهروا بأحسن المكارم والفضائل . وقد ذكر ذلك مفصلاً في كتب السير ولا يسعنا إيرادها في مثل هذا المقام . ومات أبوه عبد الله بمكة وهو حمل ، وأما أمه آمنة فماتت عنه بالمدينة وهو ابن ست سنين ، والله اعلم .

بيان ما كان العرب عليه من العبادات والاعمال في الجاهلية

اعلم أن العرب قبل ظهور الاسلام لم يكونوا مكلفين بشريعة من الشرائع لا شريعة ابراهيم ولا غيرها من شرائع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لقوله سبحانه (لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ . وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) . وقد ذكر المفسرون في هذا المقام أنه لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بل كانوا في قفرة وهي الزمن بين الرسولين والمراد بالقوم هنا العرب لوجودهم في قفرة بين اسماعيل ومحمد عليهما السلام وهي ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة بناء على ان دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت مختصة بيني اسرائيل لما في الصحيحين (أُعْطِيَ خُصْمًا لَمْ يُعْطَيْنِ أَحَدٌ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا فَأَيُّ رَجُلٍ مِّنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيَتِ الشَّفَاعَةُ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً) ولا ينافي كون اسماعيل عليه السلام مرسلًا إليهم القول بعدم تكليفهم ، فان التكليف إنما يبقى اذا لم تدرس شريعة الرسول وههنا قد اندرست كما سبق . ومعلوم أن الأنبياء هم رسل الله تعالى الى

عباده بأوامره ونواهيه زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها والزاماً لما جوزته من مباحاتها لما أراد الله تعالى من كرامة العاقل وتشريف أفعاله ، واستقامة أحواله ، وانتظام مصالحه ، حين هياه للحكمة ، وطبعه على المعرفة ، ليجعله حكيماً ، وبالعواقب عليها ، لان الناس بنظرهم لا ينكرون مصالحهم بانفسهم ولا يشعرون لعواقب أمورهم بغرائزهم ولا ينزجرون مع اختلاف همهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين ، وأخبار القرون الماضية ، فتكون آداب الله فيهم مستعملة ، وحدوده فيهم متبعة ، وأوامره فيهم ممتثلة ، ووعدده ووعيده فيهم زاجراً ، وقصص من غبر من الامم واعظاً ، فان الاخبار العجيبة اذا طرقت الاسماع والمعاني الغريبة اذا أيقظت الازهان استمدتها العقول فزاد علمها وضح فهمها ، وأكثر الناس سمعاً أكثرهم خواطراً ، وأكثرهم خواطراً أكثرهم تفكراً ، وأكثرهم تفكراً أكثرهم علماً ، وأكثرهم علماً أكثرهم عملاً ، فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل ، ولا منهم في انتظام المصالح بدل ، فلما خلت أمة العرب في تلك المدة المديدة من النذير اختلت أفعالهم ، وتشوشت أحوالهم ، ومع ذلك بقيت فيهم بقايا من سنن ابراهيم وشرائعه ، وكان لهم بعض عبادات وأعمال من ذلك العهد وان عرض لبعضها تغيير بزيادة أو نقصان وقد أسلفنا شيئاً منها ونذكر هنا بعضها : « فمن ذلك » انهم كانوا مداومين على طهارت الفطرة التي ابتلى بها ابراهيم عليه السلام في قوله سبحانه (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) وهي الكلمات العشر : خمس في الرأس وخمس في الجسد . فأما التي في الرأس فالمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والفرق والسواك . وأما التي في الجسد فالاستنجاء وتقليم الأظفار وتنف الابط وحلق العانة والختان . فلما جاء الإسلام قررها سنة من السنن . وفي كتب الحديث تفصيل ذلك « ومن ذلك » أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم . قال الأفوه الأودي :
الاعلاني واعلم اني غرر فما قلت ينجيني الشقاق ولا الخذر

وما قلت يجديني ثوابي إذا بدت مفاصل أو صالى وقد شخص البصر
وجاؤا بماء بارد يغسلونني فيالك من غسل سيتبعه غير
وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم وكانت صلاتهم اذا مات الرجل
وحمل على سريره يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يدفنه ثم يقول
عليك رحمة الله . وقال رجل من كليب في الجاهلية لابن ابن له :

أعمرو ان هلكت وكنت حياً فاني مكثرت لك من صلاتي
واجعل نصف مالي لابن سام حياتي ان حيت وفي مماتي
« ومن ذلك » أن قريشاً كانوا في الجاهلية يصومون يوم عاشوراء ولعلمهم
تلقوه من الشرع السالف ولهذا كانوا يعظمون هذا اليوم بكسوة الكعبة فيه
وغير ذلك ويقال ان قريشاً أذبت ذنباً في الجاهلية فعظم في صدورهم فقبل لهم
صوموا عاشوراء يكفر ذلك . وفي بعض الأخبار أنهم كانوا أصابهم قحط ثم
رفع عنهم فصاموه شكراً « ومن ذلك » أنهم كانوا يحجون البيت ويعتمرون
ويحرمون ، قال زهير بن أبي سلمى :

جعلن القنان عن يمين وحرته^(١) وكم بالقنان من محلٍّ ومُحرِّم^(١)
وكانوا يطوفون بالبيت سبعا ويمسحون بالحجر ويسعون بين الصفا والمروة
قال أبو طالب :

وأشواط بين المروتين إلى الصفا وما فيها من صورة ومخائل
وكانوا يلبون إلا أن بعضهم كان يشرك في تليته فيقول « لبيك اللهم
لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك » . وكانوا يقفون
المواقف كلها وبذلك نطقت أشعارهم . وكانوا يهدون الهدى ويرمون الجمار

(١) القنان جبل لبني اسد ، والحزن ماغلظ من الارض ، والمحل الذي لاعهد ولاذمة له ولا
جوار ، والمحرم الذي له حرمة واذمة من أن يثار عليه ، وقيل المحل الذي دخل في اشهر الحل ،
والمحرم الذي دخل في اشهر الحرم ، والمعنى ان هؤلاء الظفن لما تحملن جعلن عن ايمانهن حزن القنان
ومن اقام به من عدو محل من نفسه وصديق محرم

ويروى عن أبي مجلز : أن أهل الجاهلية كان الرجل منهم إذا أحرم تقلد قلادة من شعر فلا يتعرض له أحد فإذا حج وقضى حجه تقلد قلادة من اذخر^(١) .
وقيل كان الرجل يقلد بغيره أو نفسه قلادة من الحاء^(٢) شجر الحرم فلا يخاف من أحد ولا يتعرض له أحد بسوء ، وكانوا لا يغيرون في الأشهر الحرم وينصلون فيها الأسننة ويهرع الناس فيها إلى معائشهم ولا يخشون أحداً وقد توارثوا ذلك على ما قيل من دين اسماعيل عليه السلام . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي زيد قال : كان الناس كلهم فيهم ملوك يدفع بعضهم عن بعض ولم يكن في العرب ملوك كذلك فجعل الله تعالى لهم البيت الحرام قياماً يدفع به بعضهم عن بعض فلو لقي الرجل قاتل أبيه أو ابنه عنده ماقتله . وقد كانت قريش ابتدعت رأى الحمس^(٣) رأيارأوه وأداروه فقالوا نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم^(٤) وولاية البيت وقطان^(٥) مكة وسكانها فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتمكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعترفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم عليه السلام . ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها إلا أنهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس والحمس أهل الحرم ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم أيام يحل لهم مايجل لهم ويحرم عليهم مايحرم عليهم . وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك . ويروى عن أبي عبيدة النحوي : أن بني عامر بن صعصعة دخلوا معهم في ذلك أيضاً . وقال عمرو بن معد يكرب

(١) الاذخر بكسر الهمزة والحاء المعجمة : نبات معروف ذكره الراثمة واذا جف ايض (٢) الحاء : بالكسر والمد والقصر لثة ما على العود من قشره (٣) الحمس : التشدد (٤) في نسخة : الحرم (٥) القطان : السكان (١٩ - ني)

أعباس لو كنت شياراً جيداً (بتثليث) ماناصيت بعدى الاحامسا
وتثليث موضع من بلادهم والشيار الحسان . يعنى بالاحامس بنى عامر بن صعصعة
وعباس هو ابن مرداس السلمى وكان أغار على بنى زبيد بتثليث . وقال لقيط بن
زرارة الدارمى فى (يوم جبلة) :

أجذم اليك أنها بنو عبس المعشر الحلة فى القوم الحمس^(١)
لأن بنى عبس كانوا يوم جبلة حلفاء فى بنى عامر بن صعصعة ويوم جبلة
يوم كان بين بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وبين بنى عامر بن صعصعة فكان
الظفر فيه لبنى عامر على بنى حنظلة . ثم ابتدعوا فى ذلك أموراً لم تكن لهم حتى
قالوا : لا ينبغى للحمس أن يأتقوا الأقط^(٢) ولا يسلوا السمن^(٣) وهم حرم ولا
يدخلوا بيتاً من شعر ولا يستظلوا ان استظلوا إلا فى بيوت الادم ما كانوا
حراماً ، ثم رفعوا ذلك فقالوا لا ينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤا به
معهم من الحل الى الحرم اذا جاؤا حجاجاً أو عماراً ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا
أول طوافهم الا فى ثياب الحمس فان لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراة ، فان
تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب الحمس فطاف فى ثيابه التى
جاء بها من الحل ألقاها إذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسه هو ولا أحد
غيره أبداً^(٤) . وكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقى^(٥) فحملوا على ذلك العرب

(١) أجذم : زجر معروف للخيل وكذلك أرحب وهب وهقط وهقب (٢) الاقط : يتخذ من اللبن
الحميض يطبخ ثم يترك حتى يحصل وهو بفتح الهمزة وكسر القاف وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح
الهمزة وكسرها مثل تخفيف كبد نقله الصافى عن الفراء (٣) سلاً السمن يسلوه سلاً :
طبخه وطالجه فاذا بزبده قال ابن هرمة :

ان لنا صرمة مخيسة نشرب البانها ونسلوها

(٤) ذكر الحلة وهم ماعدا الحمس وانهم كانوا يطوفون عراة ان لم يجدوا ثياب الحمس وكانوا يقصدون
فى ذلك طرح الثياب التى اقتروا فيها الذنوب عنهم . ولم يذكر الطلس من العرب وهم صنفت ثالث غير الحلة
والحمس : كانوا يأتون من اقصى اليمن طلساً من الغبار فيطوفون بالبيت فى تلك الثياب الطلس فسموا بذلك .
ذكره محمد بن حبيب (٥) هو الثوب الذى يطرح بعد الطواف فلا يأخذه أحد

فدانت به ، ووقفوا على عرفات وأفاضوا منها وطاقوا بالبيت عراة . أما النساء فتضع احداهن ثيابها كلها الا درعا مفرجا عليها ثم تطوف فيه . فقالت امرأة (١) من العرب وهي كذاك تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله
أحتم مثل القعب بادٍ ظله كأن حمى خبير تمله (٢)

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحل ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره . فقال قائل من العرب يذكر شيئاً تركه من ثيابه فلا يقربه وهو يحبه :
كفى حزناً كرى عليها كأنها لقي بين أيدي الطائفين حريم (٣)

يقول لاتمس فكانوا كذلك الى البعثة النبوية فنزل « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم » فامر قريش بالافاضة من حيث أفاض العزب ونزل ابطلاً لما ابتدعوه من تحريم الطعام واللبوس عند البيت حين طافوا عراة وحرمو ما جاؤا به من الحل من الطعام . قوله تعالى « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » فوضع الله تعالى أمر الحمس

(١) يذكر ان هذه المرأة هي ضباعة بنت عامر بن صعصعة ثم من بنى سلمة بن قشيرة ذكر محمد بن حبيب : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم اذ كرت له عنها كبرة فتركها فقبل انها ماتت كبداً وحزناً على ذلك . قال السهيلي : ان كان صح هذا فما آخرها من ان تكون أم المؤمنين . وزوجا رسول رب العالمين . الا قولها « اليوم يبدو بعضه أو كله » تكريمة من الله لبنييه وعلماً منه بغيرته والله أغير منه (٢) الاحتم : سوا به الاحتم وهو الركب المرتفع الغليظ والركب محركة العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره أو الركبان أصل الفخذين عليهما لحم الفرج أو خاص بهن . والقعب : القدح الضخم الغليظ الجافي (٣) قوله (حريم) أي محرم لا يؤخذ ولا ينتفع به وكل شيء مطروح فهو لقي قال الشاعر يصف فرخ قفا :

تروى لقي في صنفصف تصهره الشمس فما ينصهر

تروى بفتح التاء أي تسقى له . ومن اللفظ حديث فاحدة أم حكيم بن حزام وكانت دخلت الكعبة وهي حامل متم بحكيم بن حزام فجاءها المخاض فلم تستطع الخروج من الكعبة فوضعت فيها فلت في الانطاع هي وجنينها وطرح منبرها وثيابها التي كانت عليها فجعلت لقي لا تقرب

وما كانت قريش ابتدعت منه وجعل الناس كلهم في الافاضة من عرفات والوقوف عليها سواء

« ومن ذلك » أنهم كانوا يقطعون يد السارق اليمنى اذا سرق . وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون الرجل اذا قطع الطريق ، وكانوا يأخذون في دية النفس مائة من الابل ، ويحكمون بايقاع الطلاق اذا كان ثلاثا وللزوجة الرجعة في الواحدة والاثنين وتفريق الفراش في وقت الحيض وفي القرآن « واعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » فجاء الشرع بتأكيده ما كان والقصاص في الجروح والرجم للزاني المحصن والزانية المحصنة واتباع الحكم في المبال في الخنثى وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر والنسب . وكانوا يتواصون بدفع الظلم والوفاء بالعهود واكمال الجار والضيف . وهذه أمور مشهورة عندهم نطقت بها أشعارهم وخطبهم يحتاج ذكرها لمزيد بسط اغنى عنه ما ذكره أهل الحديث والتفسير والتاريخ « ومن ذلك » أنهم كانوا يعتبرون القسامة وهي بفتح القاف وتخفيف المهملة اليمين وهي في عرف الشرع حلف معين عند التهمة بالقتل على الانيات أو النفي وهي مأخوذة من قسمة الايمان على الخالفين . وأول قسامة كانت في الجاهلية لقينا بنى هاشم كان رجل من بنى هاشم استأجره رجل من قريش من نخد اخرى فانطلق معه في ابله فمر به رجل من بنى هاشم قد انقطعت عروة جوالقه (وهو الوعاء من جلود وثياب وغيرها وهو معرب) فقال اغشى بعقال اشد به عروة جوالقي لا تنفر الابل فاعطاه عقلاً فشد به عروة جوالقه فلما نزلوا عقلت الابل البعيراً واحداً فقال الذي استأجره ماشأن هذا البعير لم يعقل من بين الابل قال ليس له عقال قال فاین عقاله قال مرّ بي رجل من بنى هاشم قد انقطع عروة جوالقه واستغاث بي فاعطيته فخذفه (أى رماه) بعضاً كان فيها أجله فمر به رجل من أهل اليمن قال اتشهد الموسم أى موسم الحج قال ما اشهدور بماشهدته . قال هل أنت مبلغ عنى رسالة من الدهر قال نعم ذلك . قال فكتب

إذا أنت شهدت الموسم فناديا آل قريش فاذا أجابوك فناديا آل بني هاشم فان
اجابوك فاسأل عن أبي طالب فاخبره ان فلانا قتلني في عقال . ومات المستأجر
بعد ان أوصى اليماني بما أوصاه ، فلما قدم الذي استأجره أتاه أبو طالب فقتل ما فعل
صاحبنا قال مرض فاحسنت القيام عليه فوليت دفنه . قال : قد كان أهل ذلك
منك فمكث حيناً فانهم صدقوه ولم يظنوا به غير ذلك . ثم ان الرجل الذي أوصى
اليه أن يبلغ عنه وافى الموسم فقال يا آل قريش قالوا هذه قريش قال يابني هاشم
قالوا هذه بنو هاشم قال من أبو طالب قال هذا أبو طالب قال أمرني فلان ان
أبلغك رسالة ان فلانا قتله في عقال فاتاه أبو طالب فقال له اختر منا احدي ثلاث
ان شئت ان تؤدى مائة من الابل فانك قتلت صاحبنا وان شئت جلف خمسون
من قومك انك لم تقتله فان ابيت قتلناك به . فأتى قومه فقالوا انحلف فاتته امرأته من
بني هاشم كانت تحت رجل منهم وهو عبد العزى ابن أبي قيس العامري قد ولدت
له واسم ولدها منه حويطب . فقالت يا ابا طالب احب أن تجيز ابني هذا برجل من
الحسين ولا تصبر يمينه حيث تصبر الايمان أى لا تلزمه ان يحلف باعظم الايمان وهو
اليمين بين الركن والمقام ففعل فاتاه رجل منهم فقال يا ابا طالب أردت خمسين رجلاً ان
يحلفوا مكان مائة من الابل يصيب كل رجل بعيران هذان بعيران فاقبلهما غنى ولا
تصبر يميني حيث تصبر الايمان فقبلهما ، وجاء ثمانية وأربعون فحلفوا بين الركن والمقام
ان خد اشأ برئ من دم المقتول . قال ابن عباس فوالذي نفسي بيده ما حال الحول
ومن الثمانية والاربعين عين تطرف أى تتحرك . زاد ابن الكلبي وصارت رباع
الجميع لحويطب فبذلك كان أكثر من بمكة رباعاً ، وروى الفاكهي من طريق ابن أبي
نجيح عن أبيه قال حلف ناس عند البيت قسامة على باطل ثم خرجوا فترزوا تحت
صخرة فانهدمت عليهم . ومن طريق حويطب أن أمة في الجاهلية عازت بالبيت
فجاءتها سيدتها فجدبتها فشلت يدها . ومن طريق طاووس قال : كان أهل الجاهلية
لا يصيبون في الحرم شيئاً إلا عجلت لهم عقوبته . وفي كتاب (مجابى الدعوة)

لابن أبي الدنيا في قصة طويلة في معنى سرعة إجابة الدعوة في الحرم للمظلوم فيمن ظلمه ، قال فقال عمر كان يفعل بهم ذلك في الجاهلية ليتناهاوا عن الظلم لأنهم كانوا لا يعرفون البعث فلما جاء الاسلام اخر القصص الى يوم القيمة . قال وروى الفاكهي من وجه آخر عن طاووس قال : يوشك أن لا يصيب أحد في الحرم شيئاً إلا عجلت له العقوبة فكأنه أشار الى أن ذلك يكون في آخر الزمان عند قبض العلم وتناسي أهل ذاك الزمان الأمور الشرعية فيعود الأمر غريباً كما بدا . والله الهادي الى سواء السبيل

« ومن ذلك » أن منهم من كان يحرم الخمر على نفسه تكراً وصيانة لأنفسهم وهم أناس كثيرون ، قال أبو القاسم عبد الرحمن السعدي الأندلسي وتوفي بمصر في سنة خمس وخمسين وخمسمائة في كتاب (مساوي الخمر) وهو كتاب ضخيم في مجلدين . قال فيه : وقد حرم الخمر والقمار والزنى على نفسه في الجاهلية عفيف ابن معديكرب الكندي عم الأشعث بن قيس وقال في ذلك :

فلا والله لا ألقى وشرباً أنازعهم شراباً ما حيتُ
أبي لي ذاك آباء كرام وأخوال بعزيم ربيت
وقال أيضاً

وقالت لي : هلم الى التصابي ققلت : عفت عما تعلمينا
وودعت القداح وقد أراني لها في الدهر مشغوفاً رهينا (١)
وحرمت الخمر على حتى أكون بقعر ملحود دفينا

أنت ترى كيف تفهم ما في القمار من المشاركة للزنى والخمر في سوء الذكر ولا تنس قوله وحرمت الخمر فأتى بها بلفظ الجمع إشارة الى اختلاف أجناسها

(١) قوله مشغوفاً صوابه مشغوفاً والشعف حرقه يجدها الرجل مع لذة في قلبه ولذلك قال امرؤ القيس :

أقتلني وقد شعنت فتوآدها كاشعف المهنوءة الرجل الطالي
لان المهنوءة تيجد للهناء لذة مع حرقه

كالخمر المتخذة من ماء العنب ونبيد الزبيب والتمر والذرة والشعير والحنطة والعسل
وأمثال هذه إذ الكحل خور مختلفة الألوان والطعوم والأمزجة . وقد قال ابن شبرمة
منهياً على اشتراك هذه كلها في المعنى :

يا اخلاء إنما الخمر ذيب وأبو جعدة الطلاء المريب
ونبيذ الزبيب ما اشتد منه فهو للخمر والطلاء نسيب
وقال عبيد بن الأبرص :

هي الخمر تكنى الطلاء كما الذئب يكنى أبا جعدة
وقال أبو الأسود السؤلى :

دع الخمر تشربها الغواة فانى رأيت أخاها مجزئاً لمكانها
فقليل له فنبيد الزبيب فقال :

فلا يَكُنُّها أو تَكُنُّه فانه أخوها غدته أمه بلبانها

وقد أودع في كتابه هذا من مساوى الخمر ومفاسدها ما يكفي اللبيب عبرة
إذا وقف على بعض منها وأورد قصصاً عجيبة في ذلك يطول الكلام بذكر
شئ منها . وكان عامر بن الظرب الذى أسلفنا ذكره قد حرم الخمر على نفسه
فيمين حرمها وقال فيها :

ان أشرب الخمر اشربها للذتها وان ادعها فاني ماقتى قالى
لولا اللذادة والقينات لم أرها ولا رآني إلا من مديى على
سألة للفقى ما ليس في يده ذهابه بعقول القوم والمال
تورث القوم اضغاناً بلا إحنٍ مزرية بالفقى ذى النجدة الحالى
أقسمت بالله اسقيها وأشربها حتى تمزق ترب الارض أوصالى

ومن كان قد حرم الخمر فى الجاهلية قيس بن عاصم التميمى وقال فى ذلك
لعمرك إن الخمر مادت شارباً لسالبة مالى ومذهبة عقلى

وتاركة بين الضيوف قراهم ومورثة حرب الصديق بلاقتل^(١)
وحرمها صفوان بن أمية بن محرب^(٢) الكنانى . وقال فى ذلك :
رأيت الخمر سالحةً وفيها مناقبُ تفسد الرجل الحلماً
فلا والله اشربها حيانى ولا أشفى بها أبداً سقيماً
وابن قتيبة يروى هذين البيتين لقيس كما سيأتى وما ذكرته رواية ابن دريد
وقال آخر وقد حرم الزنى والخمر أيضاً فى الجاهلية :

سألت قوماً بعد طول مضاضة والسلم أبقى فى الأمور واعرف
وتركت شرب الراح وهى أميرة والمومسات وترك ذلك أشرف^(٣)
وعففت عنه يا أميم تكراً وكذلك يفعل ذوالجنى المتعفف
وحرمها سويد بن عدى الطائى وقد أدرك الإسلام وقال فى ذلك :
تركت الشعرَ واستبدلتُ منه كتابَ الله ليس له شريكُ
وقال أيضاً

إذا داعى مُنادى الصبح قلما وودعت المُدامة والندامى
وحرمت الخمر وقد أرانى بهاسدكاً وإن كانت حراماً^(٤)
قال ابن قتيبة فى كتاب الخمر ويسمى أيضاً كتاب الاشرية : وقد كان كثير
من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرموا الخمر على أنفسهم فى الجاهلية
لعلمهم بسوء مصرعها وكثرة جنائيتها . وقالت عائشة رضى الله عنها « ما شرب
أبو بكر خمرأً فى جاهلية ولا اسلام » وقال عثمان رضى الله تعالى عنه « ما تغنيت
ولا تمنيت ولا شربت خمرأً فى جاهلية ولا اسلام ولا مسست فرجى بيمينى
منذ بايعت بها رسول الله صلى تعالى وسلم » وقيل للعباس بن مرداس فى الجاهلية :

(١) رواء القالى فى اماليه :
وتاركتى من الضعاف قواهم ومورثتى حرب الصديق بلائيل
(٢) صوابه : محرب (٣) الراح : الخمر ، والمومسات جمع مومسة وهى الفاجرة وتجمع على
مواميس أيضاً (٤) قوله سدكاً أى مولماً

لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك؟ فقال « ما أنا بأخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي وأصبح سيد قومي وأمسي سفههم » وقيل له بعد ما أسن وأسلم: قد كبرت منك ودق عظمك فلو أخذت من هذا النبيذ شيئاً يقويك! فقال « أصبح سيد قومي وأمسي سفههم آليت أن لا يدخل رأسي ما يحول بيني وبين عقلي » وكان قيس بن عاصم يأنيه في الجاهلية تاجر خمر فيبتاع منه ولا يزال الخمر في جواره حتى ينفد ما عنده فشرب قيس ذات يوم فسكر سكرًا قبيحًا فجذب ابنته وتناول ثوبها ورأى القمر فتكلم بشئ ثم نهب ماله ومال الخمر وأنشد وهو يضربه:

عن تاجر فاجر جاء الاله به كأن لحينه أذنب أجمل
جاء الخبيث (بتيسانية) تركت صحبي وأهلي بلا عقل ولا مال (١)

فلما صحا أخبرته ابنته بما صنع وما قال فألى لا يذوق الخمر وقال: -

رأيت الخمرَ صالحةً وفيها خصالٌ تُفسدُ الرجلَ الحليماً
فلا واللهِ أشربها صحيحاً ولا أشفي بها أبداً سقيماً
ولا أعطى بها ثمناً حياتي ولا أدعو لها أبداً ندباً

وكان عثمان بن مظعون حرم الخمر في الجاهلية وقال: لا أشرب شراباً يذهب بعقلي ويضحك بي من هو أدنى مني وأزوج كريمي من لا أريد فينا هو بالعوالي إذ أتاه آتٍ فقال: أشعرت أن الخمر حرمت وتلا عليه الآية في المائة فقال: تباً لها لقد كان بصري بها نافداً. وكان العرب في الجاهلية يشتدون على النساء في شرب الخمر حتى لم يحفظان امرأة سكرت. وعن الأصمعي قال: كان عقيل ابن علقمة المري غيراً. فكان يسافر بينت له يقال لها (الجرباء) فسافر بها مرة فقال:

(١) قوله (بتيسانية) صحرايه (بتيسانية) بالفتح ثم السكون وهي الخمر المنسوبة الى بيسان مدينة بالاردن بالغور الشامي قال حسان:
من خمر بيسان تحيرتها ترياقة توشك فترالمعظام

فكضت وطراً من دير سعدي وربما على عرض ناطحنه بالجمجم^(١)
 ثم قال لابن له يقال له عملس^(٢) اجز فقال :
 فأصبحن بالمومة يحملن فتية^(٣) نشاوى من الادلاج ميل العمام^(٤)
 ثم قال لابنته : اجيزى يا جرباء . فقالت : -
 كأن الكرى سقاهم صرخدية^(٥) عقاراً تمشت بالمطا والقوائم^(٤)
 فقال لها : ما وصفتها هذه الصفة إلا وقد شربتها ثم أحال عليها يضربها فلما
 رأى ذلك بنوه وثبوا عليه فخلوا فخذ به سهم فقال :

إن بنى ضرجونى بالدم من يلق أبطال الرجال يكلم
 شنشنة^(٥) أعرفا من أخزم^(٥)

وقد كفانا الله تعالى فيها بقوله سبحانه (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم
 العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم
 منتهون) قال ابن قتيبة فى كتاب الخمر : وقد فضح الله بالشراب أقواماً من
 الاشراف وحدوا ودونت بالكتب أخبارهم ، ولحقت تلك السبة أعقابهم . ثم

(١) دير سعد : بين بلاد غطفان والشام ، والجمجم دير بظاهر الكوفة ، والوطر : الحاجة
 (٢) العملس لغة القوى على السير السريع والذئ الحثيث وكلب الصيد (٣) المومة : المغازة الواسعة
 ونشاوى : سكارى ، والادلاج : سير الليل كله

(٤) الكرى : النعاس ، والصرخدية : الخمر المنسوبة الى صرخد بلد ملاصق لبلاد حوران
 من أعمال دمشق وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة . قال الشاعر :
 ولذ لطم الصرخدى تركته بأرض العدى من خشية الحدثنان

الذ : ههنا النوم .. والمطا : الظهر مقصور يكتب بالالف (٥) ضرجه بالدم : ادماء ، ويكلم :
 يجرح ، والشنشنة : الطبيعة والمادة أى اشبهوا أباهم فى العقوق وهو مثل يضرب فى قرب الشبه ،
 وهو كقولهم : ان العصا من العصية ويروى نشنشة وكأنه مقلوب شنشنة . وفى الحديث أن عمر
 قال لابن عباس (رض) حين شاوره فأعجبه اشارته : شنشنة اعرفا من اخزم ويروى : نشنشة
 اعرفا من اخشن وذلك انه لم يكن لقرشي مثل رأى العباس فشبهه بأبيه فى جودة الرأى . وقال
 الليث : الاخزم الذكر وكرة خزماء قصر وترها وذكر اخزم . وكان لاعرابى بنى يعجبه فقال
 يوماً : شنشنة من اخزم . أى قطران الماء من ذكر اخزم

أخذ يعددهم فقال : منهم ومنهم مما يطول ذكره وقال بعد ذلك وربما بلغت
جناية الكأس زوال النعمة وسقوط المرتبة وتلف النفس فان الرجل ربما استخلصه
السلطان لمنادمته وأدخله موضع أنسه فيزين له الكأس غمزة القينة والعبث
بالخادم والتعرض للحرمة . وقال المأمون : الملوك تحتمل كل شيء الا ثلاثة أشياء ،
افشاء السر ، والقدح في الملك ، والتعرض للحرم . وقد بلغك من ذلك ما لا
احتياج الى ذكره . وقد يما بلى المعاقرون بمثل هذا من جرائم الكأس وقد كان
عمرو بن هند استخلص طرفة بن العبد لمنادمته فيبناها يوماً معه يشرب أشرفت
أخته عليهما فرأى طرفة ظلها في الجام الذي في يده فقال :

ألا يا أيها الظبي الـ لذي تتفرق شفتاه (١)
ولولا الملك القاعد قد التمي فاه

فسمعه عمرو بن هند فكتب له كتاباً لعامله بالبحرين وأوهمه أنه أمر له فيه
بجائزة وأمر العامل بقتله فلما ورد على العامل سقاه من الراح حتى أثمله ثم فصد له
من عرق الأ كحل حتى نُزِفَ (٢) فمات وقبره هناك مشهور يشرب عنده
الاحداث ويصبون فضل كؤوسهم عليه . . وروى أن رجلاً من طي نزل به رجل
من شيبان يقال له المكاء فذبح له الطائي شاة وسقاه من الخمر فلما سكر الطائي قال
للشيباني : هلم أفاخرك أطيُّ أكرم أم شيبان ؟ فقال له الشيباني : حديثٌ حسن
ومنادمة كريمة أحبُّ الينا من الفخار . فقال الطائي : لا والله ما مدَّ رجل يداً
أطول من يدي ومد يده . فقال له الشيباني : أما والله لئن أعدتها لأحصبها من
كوعها (٣) فاعاد فضربه الشيباني فقتله . فقال أبو زيد في ذلك لبني شيبان :

(١) هكذا اورد المؤلف وهو - كما ترى - محرف وغير مستقيم الوزن وصوابه :

الا يأتى لي الظبي الـ لذي يبرق شفتاه

(٢) قال المجد : الا كحل عرق في اليدا وهو عرق الحياة ولا تقل عرق الاكل ، ونزف دمه
كعنى : سال حتى يفرط فهو منزوف ونزيف (٣) الكوع : طرف الزند الذي يلي الابهام أو
غير ذلك ، واخضبها ادميتها

خبرتنا الركبان أن قد فخرتم وفرحتم بضربة (المكاء)
ولعمري لعازها كان أدنى لكم من تقي وحق وفاء
ظلّ ضيفاً أخوكم لآخينا في صبوح ونعمة وشواء (١)
ثم لما رآه ثابت به الخمر الا تريبه باتقاء
لم تهب حرمة النديم وحقت بالقومي للسوأة السواء (٢)
وذكر ابن قتيبة للخمرة أنواعا من المفاسد والمساوي ونبذة مما كان أهل
الجاهلية يعدونه من المنافع وهي كما ورد في القرآن « ويسألونك عن الخمر والميسر
قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ». وقد اتفق جميع أهل
الملل والنحل على قبحها بالمرّة . . وقد رأيت في بعض الصحف العربية المطبوعة
في دار السلطنة العثمانية مانصه : قد رأينا في البشير تحت عنوان (نتائج المشروبات
المسكرة) مانصه : كتب في التقويم الاخيرة أن المشروبات المسكرة . تقتل في
المانيا في السنة أربعين ألفاً ، وفي روسية عشرة آلاف ، وفي بلجيكا أربعة آلاف ،
وفي فرانسة ألف وخمسمائة وأما في أمريكا فقد مات ثلاثمائة ألف نفس في الولايات
المتحدة في مدة ثمان سنوات فيكون عدد الذين تقتلهم الخمر في أمريكا سنويا
تسعا وثلاثين ألفاً وخمسمائة نسمة . وقتلى الخمر في الممالك المذكورة في كل سنة
ثلاثاً وتسعين ألف نفس انتهى ما هو المقصود . فهل يتبغى للاريب أن يوقع
نفسه في مثل هذه المهالك سيما إن كان ممن يتعبد بالاجتناب عنها والعرب لم
يكونوا مكلفين بالنهي عنها ومع ذلك قد سمعت ما ذكرناه من كلام عقلائهم فيها ،
هذا وقد بقي من أعمالهم الموافقة لما جاءت به الخنيفية ما يطول بيانه وهي مذكورة
في غالب أبواب العلم من حديث وفقه وغير ذلك فمن جدّ وجد والله الموفق .

(١) الصبوح بالفتح شرب الغداة (٢) السوأة السواء : الخصلة القبيحة . وانظر القصة في
الاعاني (ج ١١ ص ٢٤)

بيان ما ظاه عليه العرب في الجاهلية

من الاعمال التي أبطلها الاسلام

اعلم أن ههنا نكتاً ممتعة من مذاهب العرب وتخيلاتها قد نسخها الاسلام وأبطلها وقد ساقنا الموضوع الى ذكرها . أنشد هشام بن الكلبي لامية ابن أبي الصلت :

- سنة أزمة تبرح بالناس ترى للعضاه فيها صريرا (١)
لاعلى كوكب تنوء ولا ريج جنوب ولا ترى طحورورا (٢)
ويسوقون باقر السهل للطود مهازيل خشية أن تبورا (٣)
عاقدين النيران في ثكن الأذنان منها لكي تهيج البحورا (٤)
سُلعٌ ما ومثله عُشرٌ ما عائل ما وعالت البيقورا (٥)

يروى : أن عيسى بن عمر قال ما أدري معنى هذا البيت . ويقال : إن الأصمى صحف فيه فقال وغالت البيقورا بالغين المعجمة وفسره غيره فقال عالت بمعنى اثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر والبيقور البقر وعائل غالب أو مثقل « وكانت العرب » إذا اجذبت وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يستمطروا عمدوا الى السلع والعشر فحزموها وعقدوها في أذنان البقر وأضرموا فيها النيران وأصعدوها في جبل وعر واتبعوها يدعون الله تعالى ويستسقونه وإنما يضرمون النيران في أذنان البقر تفاقولا للبرق بالنار . وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات وقال اعرابي :

(١) سنة أزمة : شديدة ، وتبرح بالناس : تجهدهم (٢) قال أبو حنيفة : نؤ النجم هو أول سقوط يدركه بالفداة اذا همت الكواكب بالمصوح وذلك في يياض الفجر المستطير . وفي التهذيب ناء النجم ينؤ نؤاً اذا سقط . . . والطحور وبالحاء والحاء : اللطخ من السحاب القليل (٣) وباقر : جماعة البقر (٤) الثكن جمع ثكنة وهي الفلاة والجماعة . . . (٥) البيقور : البقر ، والسلع بالتحريك شجر مر ، والعشر شجر فيه حراق مثل القطن لم يقتدح الناس في ايجاد منه ويحشى في الخناد ويخرج من زهره وشعبه سكر يقال له سكر العشر وفيه شيء من مرارة .

شفعنا بيقور الى هاطل الحيا فلم يُغنِ عنا ذاك بل زادنا جدباً
فعدنا الى رب الحيا فأجارنا وصير جذب الأرض من عنده خصباً^(١)
وقال آخر :

قل لبي نهشل أصحاب الحور أتطلبون الغيث جهلاً بالبقر ؟
وسلع من بعد ذاك وعُشر ليس بذنا يجلل الأرض المطر
ويمكن أن يحمل تفسير الأصمعي على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت
يقال غاله كذا واغتاله أى أهلكه ، وغالتهم غول يعنى المنية . ومنه : الغضب
غول الحلم .

وقال آخر

لما كسونا الأرض اذتاب البقر بالسلع المعقود فيها والعُشر

وقال آخر

يا (كحلُّ) قد اثقلت اذتاب البقر بسلع يعقد فيها وعُشر
فهل تجودين ببرقٍ ومطرٍ ؟

وقال آخر^(٢) يعيب العرب بفعلهم هذا :

لا درُّ درُّ أناسٍ خاب سعيهم يستمطرون لدى الاعسار بالعُشر

أجاعلٌ انت بيقوراً مسلعةً ذريعةً لك بين الله والمطر^(٣)

وقال بعض الأدباء : كل أمة قد اتخذوا في مذاهبها مذاهب ملة أخرى
وقد كانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها في الأرض وإن

(١) الحيا : المطر ، والهاطل المتتابع المتفرق العظيم لقطر ، والجذب : المحل . والخصب بكسر فسكون :
ضده (٢) هو وذاك الطائي (٣) اعلم ان صاحب القاموس ادعى في مادة (س ل ع) ان في هذا البيت
تسعة اغلاط ولم يذكرها . ولا يكاد يسلم وجود ذلك في هذا البيت كما قد بسط الكلام عليه
شيخ مشايخنا الامام أبو لثناء السيد محمود شهاب الدين الالوسي المفسر الشهير في كتابه غرائب
الاغتراب ، والاجوبة العراقية عن الاسئلة الايرانية فراجعهما ان شئت . . ومعنى الذريعة الوسيلة
والمسلعة ثيران وحش علق عليها السلع كما في شرح شواهد المغنى للسيوطي نقلا عن أئمة اللغة

لها عنده حرمة وكانوا يلطخون الابدان بأختائها ويغسلون الوجوه ببولها ويجعلونها مهوراً نساءهم ويتبركون بها في جميع أحوالهم فلعل أوائل العرب حذوا هذا الحذو واتهجوا هذا المسلك .

وللعرب في البقر خيال آخر

وذلك أنهم إذا أوردوها فلم ترد ضربوا الثور ليقتحم الماء فتقتحم البقر بعده . ويقولون أن الجن تصد البقر عن الماء وإن الشيطان يركب قرني الثور . وقال قائلهم :
إني وقتلي سُلَيْكاً حين أعقله كالثور يُضْرَبُ لما عافتِ البقر^(١)

وقال نهشل بن جري

كذاك الثور يُضْرَبُ بالهراوى إذا ما عافتِ البقر الظماء^(٢)
وقال آخر

كالثور يضرب للورود إذا تمتعتِ البقر

فإن كان ليس إلا هذا فليس ذلك بعجيب من البقر ولا بمنه من مذاهب العرب لأنه قد يجوز أن تمتنع البقر من الورود حتى يرد الثور كما تمتنع الغنم من سلوك الطرق أو دخول الدور والأخبية حتى يتقدمها الكبش أو التيس وكانحل تتبع العسوب^(٣) والكراكي تتبع أميرها ولكن الذي يدل عليه اشعارهم أن الثور يرد ويشرب ولا يمتنع ولكن البقر تمتنع وتعاف الماء وقد رأيت الثور يشرب فحينئذ يضرب الثور مع اجابته الى الورود فتشرب البقر عند ضربه وهذا هو العجب .

(١) يروى بدل قوله (حين أعقله) : ثم أعقله . وبمدينت :

غضبت للمرأة إذ نيكحت حليلته واذ يشد على وجعائها الثفر

وما لرجل اسمه انس يقول أهل الاخبار انه قلها عند قتله السليك بن السليكة وكان السليك مر بامرأة في بيت وحدها فاغتصبها فلما علم بذلك هذا تبعه فقتله وأبى ان يعطى دينه فقال : اني وقتلي سليكا . الخ وقوله ثم أعقله بالنصب على تقدير ان المصدرية عطفاً على وقتلي . ولما عافت البقر : أي لما كرهت شرب الماء الخ . يقول ان قتل سليك كان بحق فالعقل يكون ظمناً كضرب الثور عند امتناع البقر (٢) الهراوى بفتح الهاء جمع هراوة بكسر هاء وهي العصا (٣) هو أمير النحل وذكرها

قال الشاعر

فاني اذا كالتور يضرب جنبه اذا لم يعفَ شرباً وعافت صواحيبه

وقال آخر

فلا تجعلوها كالبقير وفلها يكسر ضرباً وهو للورد طائع
وما ذنبه ان لم ترذ بقراته وقد فاجأتها عند ذاك الشرائع

وقال الاعشى

لكالتور و (الجنى) يضرب وجهه وما ذنبه ان عافت الماء باقر (١)

وما ان تعاف الماء الا لتضربا

قالوا في تفسيره : لما كان امتناعها يتعقبه الضرب بحسن أن يقال عافت الماء

ليضرب وهذه اللام هي لام العاقبة كقوله :

له ملك ينادى كل يوم يدوا للموت وابنوا للخراب

وعلى هذا فسر أصحابنا قوله سبحانه (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن

والانس) (٢)

ومن مذاهب العرب أيضاً

تعليق الحلى والجلاجل على اللديغ يرون أنه يفئق بذلك ويقال إنه انما يعلق

عليه لأنهم يرون ان نام يسرى السم فيه فيهلك فشغلوه بالحلى والجلاجل واصواتها

عن النوم وهذا قول نضر بن شميل . وبعضهم يقول : انه اذا علق عليه حلى الذهب

براً وان علق الرصاص أو حلى الرصاص مات . وقيل لبعض الاعراب : أتريدون

سهره ؟ فقال : ان الحلى لا تسهر ولكنها سنة ورثناها . وقال النابغة :

قَبْتُ كَأَنِّي سَاورَتِي ضئيلةٌ من الرُقشِ في أنيابها السُّمُّ ناعٌ (٣)

يسهد من ليل التمام سليمها بحلى النساء في يديه قعاقع (٤)

(١) أراد بالجنى اسم راع (٢) معنى ذرأنا : خلقنا (٣) تساورنى : توائبنى وتقاتلنى ،
والضئيلة : الحية الدقيقة ، والرُقش الحيات المنقطعة بسواد وبياض (٤) فلان يسهد : لا يترك ان ينام

وقال بعض بني عذرة

كأني سليمٌ نالهُ كَلِمَ حِيَةٍ تَرى حوله حلَى النساءِ مَوْضِعاً

وقال آخر

وقد عللوا بالبطل في كل موضعٍ وغرّوا كما غرّ السليمُ الجلابل

وقال جميل وظرف في قوله ولو قاله العباس بن الاحنف لكان ظريفاً :

إذا مالديغ ابرأ الحللى داءهُ فحليكَ امسى يابئينة دائماً

وقال عويمر النبھاني وهو يؤكد قول النضر بن شميل :

فَبِتُّ معنًى بالهموم كأني سليمٌ نفى عنه الرقاد الجلابلُ

ومثله قول الآخر

كأني سليمٌ سَهَّدَ الحللى عينهُ فراقب من ليل التمام الكوا كبا

(وشبه مذهبهم في ضرب الثور) مذهبهم في العرّ يصيب الابل فيكوى

لصحيح ليبرأ السقيم وقال النابغة :

وكلفتني ذنب امرىء وتركتهُ كذى العرّ يُكوى غيرهُ وهو راتع

وقال بعض الاعراب

كن يكوى الصحيح يروم برءاً به من كل جرباء الاهداب

وهذا البيت يبطل رواية من روى بيت النابغة كذى العر بضم العين لان

العر بالضم قروح في مشافر الابل غير الجرب والعر بالفتح الجرب نفسه فاذا دل

الشعر على انه يكوى الصحيح ليبرأ الاجرب فالواجب ان يكون بيت النابغة

كذى العرّ بالفتح ومثل هذا البيت قول الآخر :

فالزمتني ذنباً وغيرى جرّهُ حنانيك لاتكوى الصحيح باجرها

الا ان يكون اطلاق لفظ الجرب على هذا المرض المخصوص من باب المجاز

لمشابهته له . وفي كتاب لب لباب لسان العرب عند الكلام على شرح قصيدة
النايفة التي منها :

أتوعد عبداً لم يخنك أمانةً وتترك عبداً ظالماً وهو ظالم
حملت عليّ ذنبه وتركته كذى العرّ يكوي غيره وهو رانع

مانصه ؛ قال الأصمعي : العرب بالفتح الجرب نفسه وانشد « كالعر يمكن حيناً ثم
ينتشر » والعرب بالضم قرح يأخذ الابل في مشافرها وأطرافها شبيه بالقرع وربما
تفرق في مشافرها مثل القوباء يسيل منه ماء أصفر ، قال ابن السنيدي في شرحه
لادب الكاتب : في معناه خمسة أقوال « أحدها » أن هذا امر كان يفعله جهال
الاعراب كانوا اذا وقع العر في ابل أحدهم اعترضوا بعيراً صحيحاً من تلك الابل
فكروا مشفره وعضده ونخذه يرون أنهم اذا فعلوا ذلك ذهب العر عن ابلهم كما
كانوا يعلقون على انفسهم كعوب الأرانب خشية العطب ، ويفقون عين فحل
الابل لثلا تصيبها العين وهذا قول الاصمعي وابي عمرو واكثر اللغويين .
« ثانيها » قال يونس سألت رؤبة بن العجاج عن هذا فقال : هذا قول الآخر « كالثور
يضرب لما عافت البقر » شيء كان قديماً ثم تركه الناس ويدل عليه قول الراجز :
وكان شكرُ القوم عند المنن كى الصحيحات وفق الاعين

« ثالثها » قيل انما كانوا يكونون الصحيح لثلا يتعلق الداء به لالبيراً السقيم حتى
ذلك ابن دريد « رابعها » قال أبو عبيدة : هذا لم يكن وانما هو مثل لاحقيقة أي أخذت
البري وتركت المذنب فكنت كمن كوى البعير الصحيح وترك السقيم لو كان هذا
مما يكون . قال : ونحو من هذا قولهم : « يشرب عجلان ويسكر ميسرة » ولم
يكونا شخصين موجودين « خامسها » قيل اصل هذا أن الفصيل كان اذا اصابه
العر لفساد في لبن أمه عمدوا الى أمه فكروها فتبرأ ويبرأ فصيلها يبرئها لأن ذلك
الداء انما كان سرى اليه في لبنها وهذا أغرب الأقوال وأقربها الى الحقيقة ، ومن روى
كذى العر بفتح العين فقد غلط لان العر الجرب ولم يكونوا يكونون من الجرب :

وإنما يكون من القروح التي تخرج في مشافر الابل وقوائمها خاصة وهذا ضربه مثلاً
لنفسه يقول أنا بريٌ وغيري سقيم فحملتني ذنب السقيم وتركته وقد قال الكميت :

ولأ كوى الصالح برائعٍ بهن العرّ قبلي ما كويننا

قال ابن أبي الأصبع النشد ابن أبي شرف القيرواني ابن رشيق :

غيري جني وأنا المعاقبُ فيكم فكأنني سبابة المتندم

وقال له : هل سمعت هذا المعنى ؟ فقال : سمعته وأخذته أنت وأفسدته . فقال :

من ؟ فقال : من النابغة الذبياني حيث يقول :

وكلفتني ذنب امرئٍ وتركته كذي العري كوى غيره وهوراتعُ

أما فسادُه فلأنك قلت في صدر بيتك : انك عوقبت بجناية غيرك ولم

يقاب صاحب الجناية ثم قلت في عجز بيتك : ان صاحب الجناية قد شركك

في العقوبة فتناقض معنك وذلك أنك شبهت نفسك بسبابة المتندم وسبابة

المتندم تألم في المتندم ثم يشركها المتندم في الألم فانه متى تألم عضو من الحيوان تألم

كله لأن المدرك من كل مدرك حقيقته وحقيقته على المذهب الصحيح هي جملته

المشاهدة منه والمكوى من الابل يألم وما به عر وصاحب العر لا يألم جملة فمن ههنا

أخذت المعنى وأفسدته انتهى ، وهذا تدقيق فلسفي لا مدخل له في الشعر .

(فأما مذهبهم في البلية) وهي ناقةٌ تعقل عند القبر حتى تموت فذهب

مشهور والبلية أنهم إذا مات منهم كريم بلوا ناقته أو بعيره فعمسوا عنقها

وأداروا رأسها إلى مؤخرها وتركوها في حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما

أحرقت بعد موتها وربما سلخت وملت جلودها ثماماً . وكانوا يزعمون أن من مات

ولم يبل عليه حشر ماشياً ومن كانت له بلية حشر راكباً على بليته قال حربية

ابن الأشيم الفقعسي لابنه

يا سعدُ إما أهلكنّ فاني أوصيك أن أخال الوصاة الأقربُ

لا أعرفنّ أباك يحشر خلفكم تبعاً يخرّ على اليدين وينكب

واحمل أباك على بعيرٍ صالح وتقى الخطيئة انه هو أصوب
ولعل لي مما جمعت مطية في الحشر أركبها إذا قيل: اركبوا!
وقال حربية أيضاً

إذا مت فادقني بجرّاء ما بها سوى الاصرخين أو يفوز راكب (١)
فان أنت لم تعقر عليّ مطيتي فلا قام في مال لك الدهر حالب
ولا تدفني في صويّ وادفني بديمومة تنزو عليها الجنادب (٢)

قال ابن أبي الحديد: وقد ذكرت في مجموعي المسمى (بالعقريّ الحسان) أن أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع رحمه الله تعالى ذكر في كتابه في (آراء العرب وأديانها) هذه الأبيات واستشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البلية وقلت: إنه وهم في ذلك وإنه ليس في هذه الأبيات دلالة على هذا المعنى ولا لها به تعلق وإنما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته أما لكي لا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالمهدي المعقور بمكة أو كما كانوا يعقرون عند القبور. إلى أن قال: وليس في هذا الشعر ما يدل على منذهبهم في البلية فان ظن ظان أن قوله أو يفوز راكب فيه إيماء إلى ذلك فليس الأمر كما ظنه. ومعنى البيت أدقني بفلاة جداء مقطوعة عن الانس ليس بها إلا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المغازة وهي المهلكة سموها مغازة على طريق الفأل. وقيل أنها تسمى مغازة من فوز أي هلك فليس في البيت ذكر البلية ولكن الخالع أخطأ في إيراد هذا الباب كما أخطأ في هذا الباب أيضاً في إرادته قول مالك بن الربيع: وعطل قلوصي في الركاب فاتها ستبرد اكباداً وتبكي بواكيا

فظن أن ذلك من هذا الباب الذي نحن فيه ولم يرد الشاعر ذلك وإنما أراد

(١) فوز الرجل: مات، وفوز الطريق: بدأ وظهر والرجل إذا صار إلى المغازة وقيل ركبها ومعنى فيها (٢) الصوي: الاعلام من الحجارة الواحدة صوة. وفي الحديث (إن للاسلام صوي ومناراً) أي طرائق واعلاماً يهتدى بها، والديمومة: الفلاة يدوم السير فيها بعد ما والجمع الدياميم والجنادب: جمع جنذب وهو الذكر من الجراد ونسره السيراني بأنه الصدي بصير بالليل ويقفز ويظهر

لا تركبوا راحتي بعمى وعطلوها بحيث لا يشاهدها أعادى وأصادق ذاهبة جائية
نحت راكبها فيشمت العدو ويساء الصديق . وقد اخطأ الخالع في مواضع عدة
من هذا الكتاب وأورد أشعاراً في غير موضعها وظنها مناسبة لما هو فيه . وأنا
أقول : إن الحق مع ابن أبي الحديد ، فإن بصره في هذا الباب حديد ، والعقر
على القبور غير مذهبهم في البلية وسأذكر ذلك إن شاء الله تعالى . وقال عمرو
ابن زيد المتنى يوصى ابنه عند موته في البلية :

ابني زودني اذا فارقتني في القبر راحلةً برحل فاتر
للبعث اركبها اذا قيل : اظعنوا مستوثقين معاً لحشر الحاشر
من لا يوافقني على عثراته فانخلق بين مدفع أو عائر

وقال عويمر النبهاني

أبني لا تنس البلية لأنها لأبيك يوم نشوره مركوب
وذكر أبو زيد في تشبيه رجال بالبلايا فقال :

كالبلايا رؤوسها في الولايا مانحات السموم حرّ الحدود

قال : الولايا البراذع وكانوا يقودون البرذعة ويدخلونها في عنق تلك الناقة .
وقال الشهرستاني كانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلي ظهرها
أو مما يلي كلكها أو بطنها ويأخذون ولية فيشدون وسطها ويقلدونها عنق الناقة
ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر ، وهذه الأقوال ما لها واحد ولا اختلاف
إلا في اللفظ .

ومن مذاهب العرب العقر على القبور

قال زياد الأعجم يرثي المغيرة بن المهلب :

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا والباكرين وللمجد الرايح : (١)

(١) القوافل جمع قافلة وهي الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها ، والباكرين : المسرعين في الذهاب
من أول النهار ، وأجد في الاسر : اجتهد ، والرائح : الراجع

إن الشجاعة والسماحة ضُمَّنَا قَبْرًا (بَمَرَوْ) عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ (١)
 فَذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ كَوْمَ الْجِلَادِ وَكُلِّ طَرَفٍ سَابِحٍ (٢)
 وَانْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدَمَائِمَا فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَادِمٍ وَذَبَائِحٍ (٣)
 وَهَذِهِ أَيْبَاتٌ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ عَدَّتْهَا خَمْسُونَ بَيْتًا أوردتها القالي في ذيل
 الأُمالي وَأورد أكرها ابن خلكان في ترجمة والده المهلب .

وقال الآخر (٤)

فَنَرْتُ قَلُوصِي عَنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيَتْ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهُوبِ
 لَا تَنْفِرِي يَانَاقَ مِنْهُ فَانِهِ شَرِيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُرُوبِ
 لَوْلَا السَّفَارُ وَبَعْدَ خَرَقٍ مَهْمَةٍ لَتَرَكْتُهَا نَجْبًا عَلَى الْعُرُقُوبِ
 قال ابن السيد فيما كتبه على كامل المبرد : اختلف في سبب عقرهم الابل
 على القبور فقال قوم إنما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره من
 الابل في حياته وينحره الأضياف واحتجوا بقول الشاعر :

وانضح جوانب قبره بدمايها فلقد يكون اخا دمٍ وذبايح
 وقد قال قوم إنما كانوا يفعلون ذلك اعظاماً للميت كما كانوا يذبحون للأصنام
 وقيل إنما كانوا يفعلونه لأن الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فكأنهم

(١) مرو : هنا (مرو والشاهجان) لا (مروالروذ) وكلاهما في إقليم خراسان ومن سرات اولاد
 المهلب أبو فراس المغيرة وكان أبوه يقدمه في قتال الخوارج وله معهم وقائع مشهورة أبان فيها عن
 نجدة وصرامة وكان مع أبيه في خراسان واستنا به في مرو والشاهجان وتوفي في حياة أبيه سنة ٨٢ هـ
 في رجب وهذا البيت يستشهد به النحويون على إعادة الضمير الى المؤنثين بضمير المذكورين وكان
 القياس ان يقول (ضمننا) وعده ابن عصفور من قبيل الضرورة (٢) عقر البعير بالسيف :
 اذا ضرب قوائمه به ولا يطلق العقر في غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا في المصباح ،
 والسكوم بالضم جمع كوما بالفتح وهي الناقة العظيمة السنم ، والجلاد جمع جلدة بفتحها وهي ادم
 الابل دهنا ، والطرف بالكسر : الاصيل من الخيل ، والسابح : الفرس الكثير الجرى
 (٣) النضح : الرش القليل . والنضح البل فهو ابلغ من الاول ، وهذا البيت يستشهد به
 النحويون على ان المضارع وهو (يكون) مؤول بالماضي أي ولقد كان لانه في مرثية ميت وهو
 خبار عن شيء وقع ومضى لا اخبار عما سبق لانه غير ممكن . هذا ولا يسعنا ايراد القصيدة
 لضيق المقام .. (٤) راجع ص ١٢٥ من هذا الجزء

يثأرون لهم فيها . وقيل إن الابل أنفس أموالهم فكانوا يريدون بذلك أنها قد هانت عليهم لعظم المصيبة وقد ابطلت الشريعة ذلك بمحدث لا عقر في الاسلام قال المناوي كانوا في الجاهلية يعقرون أى ينحرون الابل على قبور الموتى فنهى عنه .
(ومن تخيلات العرب ومذاهبها) ما حكاه ابن الاعرابي قال : كانت العرب اذا نفرت الناقة فسميت لها أمها سكنت من النفار قال الراجز :-

أقول والوجناء بي تقحم : ويلك قل ما اسم أمها (علمكم) (١)
علمكم اسم عبده وإنما سأل عبده ترفعاً أن يعرف اسم أمها لان العبيد بالابل أعرف وهم رعاتها وأنشد السكري :
فقلت له ما اسم أمها هات فادعها تجيبك ويسكن روعها ونفارها

ومما كانت العرب كالجمعة عليه الهامة

وذلك أنهم كانوا يقولون ليس من ميت يموت ولا قتيل يقتل الا ويخرج من رأسه هامة فإن كان قتل ولم يؤخذ بثأره نادى الهامة على قبره اسقوني فاني صديقه! وعن هذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لاهامة) . وحكى أن أبازيد كان يقول الهامة مشددة الميم احدى هوام الارض. وانها هي المتكونة المذكورة . وقيل : إن أبا عبيد قال . ما أرى أبازيد حفظ هذا . وفي مروج الذهب للمسعودي من العرب من يزعم أن النفس طائر ينسط في الجسم فاذا مات الانسان أو قتل لم يزل بطيف به مستوحشاً يصدح على قبره ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم وهو أبداً مستوحش ويوجد في الديار المظلمة ومصارع القتلى والقبور وانها لم تنزل عند ولد الميت ومخلفه لتعلم ما يكون بعده فتخبره انتهى . وقيل الهامة اثني الصدى وهو ذكر البوم وقد يسمونها الصدى والجمع اصداء . قال قائلهم :

(١) الوجناء : الناقة الشديدة الصلبة وقيل العظيمة الوجنتين

يخبرنا الرسول بان سنحيا وكيف حياة اصداء وهام!

« وقال أبو دؤاد الايادي »

سلط الموت والمنون عليهم فلمهم في صدى المقابر هام

« وقال بعضهم لابنه »

ولا تزقون لي هامةً فوقَ مرقبٍ فان زقاء الهام للمرء عائب

تنادى : ألا اسقوني ! وكل صدى به وتلك التي تبيض منها الذوائب

المرقب : الموضع الذي شرف يطلع عليه الرقيب ويقال له المرغبة أيضاً يقول

له لاترك ناري ان قتلت فانك ان تركته صاحت هامتي : اسقوني ! فان كل

صداء (وهو ههنا العطش) بابيك وتلك التي تبيض منها الذوائب لصعوبتها

وشدتها كما يقال أمر يشيب رأس الوليد ، ويحتمل أن يريد صعوبة الامر عليه

وهو مقبور اذا لم يثار به ، ويحتمل أن يريد صعوبة الامر على ابنه يعني أن ذلك

عار عليك . وقال ذو الاصبع :

يا عمرو ألا تدع شتى ومنقصتي اضربك حتى تقول الهامة اسقوني !

• « وقال آخر »

فيارب ان أهلك ولم ترو هامتي بليلى امت لا قبر أعطش من قبري

ويحتمل هذا البيت أن يكون خارجا عن هذا المعنى الذي نحن فيه وأن

يكون رى هامة الذي طلبه من ربه هو وصال ليلى وهما في الدنيا وهم يكتنون

عما يشفيهم بانه يروى هامتهم . وقال مغلس الفعسى وهو أبو قبيلة :

وان أخاكم قد علمت مكانه بسفح (قبا) تسفى عليه الاعاصر (١)

له هامة تدعو اذا الليل جنبها : نبي عامر هل للهلالى نائر

تسفى أى تدرى عليه التراب . وقال توبة بن الحمير :

(١) سفح الجبل وجبهه ، والاعاصر : الرياح التي فيها العصار وهو الغبار الشديد ، وسفت
الريح التراب ذرته ، أو حملته

ولو ان (ليلي الأخيلية) سلمت عليّ ودوني جنبد و صفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا اليها صدى من جانب القبر صائح
وقال قيس بن الملوح وهو المجنون :
ولو تلتقي أصدائنا بعد موتنا ومن دوننا رمس من الارض أنكب
لظل صدى رمسى وان كنت رمة لصوت صدى ليلي يهش ويضطرب
وبعضهم يرويه « ومن دون رمسينا من الارض سبب » وقال حميد
ابن ثور

ألا هل صدى (أم الوليد) مكلم صداى اذا ما كنت رسماً وأعظما

ومما أبطله الاسلام قول العرب بالصفير

زعموا أن في البطن حية اذا جاع الانسان عضت على شرسوفه وكبده وقيل
هو الجوع بعينه ليس أنها تعض بعد حصول الجوع . فاما لفظ الحديث (لاعدوى
ولا هامة ولا صفر ولا غول) فان أبا عبيدة معمر بن المثنى قال : هو صفر الشهر
الذى بعد المحرم . قال : نهى عليه الصلاة والسلام عن تأخيرهم المحرم الى صفر
يعنى ما كانوا يفعلونه من النسيء . قال ابن أبي الحديد : ولم يوافق أحد من
العلماء أبا عبيدة على هذا التفسير . أقول الذى رأيت في (فتح البارى) ما حاصله :
ان العرب كانت تحرم صفر وتستحل المحرم فجاء الاسلام برد ما كانوا يفعلونه
من ذلك فلذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم (لا صفر) وهذا القول مروى عن
مالك وقد فسره البخارى في صحيحه بانه داء يأخذ البطن . وقد نقل أبو عبيدة
معمر بن المثنى في (غريب الحديث) له عن يونس ابن عبيد الجرمى : أنه سأل
رؤية بن العجاج فقال : هى حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس وهى
أعدى من الجرب عند العرب فعلى هذا فالمراد بنى الصفر ما كانوا يعتقدونه
فيه من العدوى . ورجح عند البخارى هذا القول لكونه قرن في الحديث

بالعدوى انتهى . والذي يظهر أن لفظ الصفر من الالفاظ المشتركة والشارع نفي .
كل ما كان يعتقد العرب من المعاني الباطلة . والامام الطبرى رجح تفسير
البخارى من أنه داء ياخذ البطن على ماسبق واستشهد له بقول الاعشى (١) :

لا يتأرى لما في القدر يرقبه ولا يعرض على شرسوفه الصفر

والشرسوف بضم المعجمة وسكون الراء ثم مهملة ثم فاء الضلع والصفر يكون
في الجوف فرما عض الضلع أو الكبد قتل صاحبه . وقال بعض شعراء بنى عبس
يدكر قيس بن زهير لما هجر الناس وسكن الفيافي (٢) وأنس بالوحش ثم رأى
ليلة ناراً فعشى اليها فشم عندها قنار اللحم (٣) فنارعتة شهوته فظلمها وقهرها ومال
الى شجرة سلم فلم يزل يكدمها (٤) ويأكل من خبطها (٥) الى أن مات :

ان قيساً كان ميتته كرم والحى منطلق

شام ناراً (بالهوى) فهوى وشجاع البطن يخفق

في دريس ليس يستره رُبَّ حرٍّ ثوبه خلق

قوله في دريس أى ثوب مندرس حقير وقوله بالهوى اسم موضع بعينه .

وقال أبو النجم العجلي .

إنك ياخير قى تستعدى على زمان مسنا بجهد

عضا كعض صفر بكبد

(١) هو اعشى باهلة واسمه طامر بن الحرث بن رباح ويكنى أبا قحافة والبيت من شعره يرثى
به المنتشر بن وهب الباهلي ومعناه انه يمدحه بأن همته ليست في المطعم والمشرب وانعامته في طلب
المعالي فليس يرقف نضج مافي القدر اذاهم بأمر له فيه شرف بل يتركها ويمضى لما يريد ، وهذا
البيت مركب من بيتين والذي رواه أبو العباس المبرد :

لا يتأرى لما في القدر يرقبه ولا تراه امام القوم يقتفر

لا يغمز الساق من أين ولا وصب ولا يعرض على شرسوفه الصفر

وغير هذا أن يكون ما نقله فضيلة الاستاذ رواية ثانية (٢) جمع فيناة أو فيناء وهو المكان
المستوى أو المنازة التي لاماء فيها (٣) تتار اللحم : ريحه (٤) أي يعرضها بأذني في (٥) أي
ورقها

وقال آخر

أردُّ شجاع البطن قد تعلمينه وأوثر غيرى من عيالك بالطعم
فان قلت : ما معنى النفي إذا أريد بالصفير الحية أو الجوع أو وجع في البطن
يأخذ من الجوع ومن اجتماع الماء الذي يكون منه الاستسقاء مع تحققه في الحديث
(صفرة في سبيل الله خير من حمر النعم) أى جوعة ويقولون صفر الاء إذا
خلا عن الطعام . وفي حديث رواء ابن مسعود (أن رجلاً أصابه الصفير فنعت له
السكر) أى حصل له الاستسقاء فوصف له النبذ ؟ قلت المراد بالنفي نفي ما كانوا
يعتقدون أن من أصابه قبله أو أعدى فرد ذلك الشرع بأن الموت لا يكون إلا
إذا فرغ الاجل فاذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون .
(ومن خرافات العرب) أن الرجل منهم كان إذا أراد دخول قرية نخاف
وبأها أو جنبها وقف على بابها قبل أن يدخلها فتهق تهيق الحمار ثم علق عليه كعب
أرنب كأن ذلك عوذة له ورقية من الوباء والجن ويسمون هذا التهيق التعشير .
قال شاعرهم :

ولا ينفع التعشيرُ انْ جُمُ واقعٌ ولا زعزع يفنى ولا كعب أرنب^(١)
وقال الهيثم بن عدي : خرج عروة بن الورد الى خيبر في وقعة ليمتاروا فلما
قربوا منها عشروا وعاف عروة أن يفعل فعلهم وقال :
لعمري ان عشرتُ من خفية الردى نهاق حمير^(٢) إني لجزوع^(٣)
فلا وألت تلك النفوس ولا أتوا قفولاً الى الأوطان وهي جميع^(٣)
وقالوا الا انهق لا تضرك خيبر وذلك من فعل اليهود ولوع

(١) حم الامر بالضم : قضي وله ذلك قدر (٢) ويروى :
وانى وان عشرت في ارض مالك نهاق حمار . . . الخ
(٣) وأل اليه يثل وألا وؤولا ووئبلا ، ووأل مواءة ووئالا : لجأ وخلص وفي حديث علي
رضي الله عنه ان درعه كانت صدرأبلا ظهر فقيل له : لو احتزت من ظهرك . فقال : اذا أمكنت
من ظهري فلا وألت اى لا نجوت . وقال الشاعر :
لا واءلت نفسك خلتها للعامرين ولم تسكلم
وقفل من سفره قفولا : رجع

الولوع بالضم الكذب يقال ولع الرجل إذا كذب فيقال إن رفقته مرضوا
.. ومات بعضهم ونجا عروة من الموت والمرض . وقال آخر :

لا ينجينك من حمام واقع كعب تعلقه ولا تعشيرُ
« ويشابه هذا » ان الرجل منهم كان اذا ضل في فلاة قلب قميصه وصفق
بيديه كأنه يوميُّ بهما الى انسان فيهندي . قال اعرابي :

قلبت ثيابي والظنونُ تجولُ بي وترمي برجلي نحو كلِّ سبيل
فلايًّا بلايٍ ما عرفت حليتي وأبصرت قصداً لم يصب بدليل^(١)
وقال أبو العمّس الطائي

فلو أبصرني بلوي بطن اصفق بالبنان على البنان !^(٢)
فاقلب تارة خوفاً ردائي واصرخ تارة بأبي فلان !
لقلت أبو العمّس قد دهاه من الجنان خالعة العنان !

والأصل في قلب الثياب التفاؤل بقلب الحال وقد جاء في الشريعة الاسلامية
نحو ذلك في الاستسقاء .

ومن مذاهب العرب الرتم

وذلك أن الرجل منهم كان إذا سافر عمداً الى خيط فعقده في غصن شجرة
أو في ساقها فإذا عاد نظر الى ذلك الخيط فان وجدته بحاله علم أن زوجته لم تخنه
وان لم يجده أو وجدته محلولاً قال : قد خانتي وذلك العقد يسمى الرتم . ويقال
بل كانوا يعقدون طرفاً من غصن الشجر بطرف غصن آخر . وذكر ابن الاعرابي
أن رجلاً من العرب أراد سفراً فأخذ يوصي امرأته ويقول : إياك أن تفعلني وإياك فاني
عاقبك رمة بشجرة فان أحدثت حدثاً انحلت ! فقال له الراجز :

هل ينفعنك اليوم إن همت بهنَّ كثيرة ما توصي وتعتاد الرتم

(١) اللأى كالسبي : الابطاء والاحتباس والجهد والمشقة (٢) بطن بكسر الباء :
موضع

وقال آخر

خاتمه لما رأت شيباً يفرقه
وغرّه حلفها والعقد للرتم^(١)

وقال آخر

لأنحسب رتأماً عقدها
تنبيك عنها باليقين الصادق

وقال آخر

يعلل عمرو بالرتأم قلبه
وفي الحى ظي قد أحلت محارمه
فما نفعت تلك الوصايا ولا جنت
عليه سوى مالا يحب رتأمه

وقال آخر

ما الذى تنفك الرتأم
إذ أصبحت وعشقتها ملازم
وهى على لذاتها تداوم
يزورها طب الفؤاد عازم^(٢)

بكل أدواء النساء عالم

ومن أمثال العرب (أمحل^(٣) من تعقاد الرتم) قال الميداني: كان من عادة العرب إذا أراد الواحد منهم سفراً أن يعقد خيطاً بشجرة ويعتقد فيه أنه إن أحدثت امرأته حدثاً أمحل ذلك الخيط وكانوا يسمونه الرتم والرتمة. وقد كانوا يعقدون الرتم للحمى ويرون أن من حلها انتقلت الحمى إليه. قال الشاعر:

حلت رتيمة فكثت شهراً
أكابد كل مكروه الدواء

(ومن مذاهبهم) ما حكاه ابن السكيت قال: إن العرب كانت تقول إن المرأة المقلاة وهى التى لا يعيش لها ولد إذا وطئت القليل الشريف عاش ولدها. قال بشر بن أبى حازم:

تظل مقاليت النساء يطأه
يقلن ألا يلتقى على المرء مئزر

وقال أبو عبيدة: تتخطاه المقلاة سبع مرات فذلك وطؤها له. وقال

(١) المفرق كتمعد ومجلس وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر (٢) الطب بالفتح الماهر الحاذق بعلمه كالطبيب (٣) أمحل من المحال وهو الباطل

ابن الاعرابي : يمرون به ويطؤون حوله . وقيل : انما كانوا يفعلون ذلك بالشريف
يقتل غدراً أو قوداً . وقال الكميت :

وتطيل المرزات المقاتل اليه القعود بعد القيام

وقال آخر

تركن (الشعثين) برمل خبت تزورها مقاتل النساء (١)

وقال آخر

بنفسى الذى تمشى المقاتل حوله يطان له كشحاً هضياً مهشياً (٢)

وقال آخر

تباشرت المقاتل حين قالوا . نوى (عمرو بن مرة) بالحفير
(ومن نخيلات العرب وخرافتهم) أن الغلام منهم كان إذا سقطت له
سن أخذها بين السبابة والابهام واستقبل الشمس إذا طلعت وقذف بها وقال
ياشمس ابدليني بسن أحسن منها ولتجر في ظلمها اياتك أو تقول أياؤك وهما جميعاً
شعاع الشمس . قال طرفة بن العبد البكرى

سقته آية الشمس الا لثاته أسف ولم تكدم عليه ربأئمد

يصف ثغر معشوقته فقال سقاه شعاع الشمس أى كأن الشمس أعارته ضوءها .
ثم قال الا لثاته لانه لا يستحب بريقها . ثم قال أسف الأئمد على اللثة أى ذر
عليها ولم تكدم بأسنانها على شئ يؤثر فيها . ونساء العرب تذر الأئمد على
الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان والى هذا الخيال أشار شاعرهم
شادن يجلو اذا ما ابتسمت عن أقح كاقح الرمل غر (٣)
بدلته الشمس من منبته برداً أبيض مصقول الأثر (٤)

(١) الشعثان : شعثم وشعيت ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة ، عن أبى عبيد البكرى
في شرح امالى القالى ، وخبت : هو في الاصل المطمن من الارض فيه رمل وقيل غير ذلك . . .
(٢) الكشح مثال فلس ما بين الحاصرة الى الضلع الخلف ، والكشح الهضيم المنضم اللطيف ،
والمهشم : المكسر (٣) الشادن : ولد الظبية الذى قد قوى يكفى به عن الامرد الجميل
(٤) البرد بالتحريك : حب الغمام

وقال آخر

واشذب. واضح عذب الثنايا كأن رضابه صافي المدام
كسته الشمس لو نأمن سناها فلاح كأنه برق الغمام

وقال آخر

بذى اشرب عذب المذاق تفردت به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا
والناس اليوم في صبيانهم على هذا المذهب (وكانت العرب) تعتقد ان دم
الرئيس يشفى من عضه الكلب الكلب . قال الشاعر :

بُناة مكارم وأساءة جرح = دماؤهم من الكلب الشفاء^(١)
وقال عبد الله بن الزبير الاسدي

من خير بيت علمناه واكرمه كانت دماؤهم تشفى من الكلب
وقال الكمي

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى من الكلب
(ومن تخيلات العرب) انهم كانوا اذا خافوا على الرجل الجنون وتعرض
الارواح الخبيثة له نجسوه بتعليق الاقدار عليه كخرقة الحيض وعظام الموتى قالوا :
وانفع من ذلك أن تعلق عليه طامث عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك . وانشدوا
للمزق العبدى :

فلو أن عندي جارتين وراقياً وعلق انجاساً على المعلق

قالوا والتنجيس يشفى الا من العشق قال أعرابي :
يقولون علق يالك الخير رمة وهل ينفع التنجيس من كان عاشقا^(٢)
وقالت امرأة وقد نجست ولدها فلم ينفعه ذلك ومات.
نجسته لا ينفع التنجيس والموت لا تفوته النفوس

(١) الأساءة : الاطباء ، والكلب داء يشبه الجنون يأخذه فيمتر الناس (٢) الرمة :
القطعة من الحبل .

وكان أبو مهديّة يعلق في عنقه العظام والصوف حذر الموت وانشدوا
اتوني بانجاس لهم ومنجس فقلت لهم ما قدر الله كأن
(ومن مذاهبهم) أن الرجل منهم كان اذا خدرت رجلاه ذكر من يحب
أو دعاه فيذهب خدرها . وروى ان عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما خدرت
رجلاه فقبل له أدع أحب الناس اليك فقال يا رسول الله (١) . وقال الشاعر :
على أن رجلى لا يزال امدلا لها مقياً بها حتى اجيلك في فكرى
والامدلال : الاسترخاء والفتور . وقال كثير :
اذا مدت رجلى ذكرك اشتفى بدعواك من مدل بها فيهون
وقال جميل
وانت لعينى قرّة حين نلتقى وذكرك يشفينى اذا خدرت رجلى
وقالت امرأة
اذا خدرت رجلى دعوت ابن مصعب فان قلت : عبد الله ! اجلى فتورها
وقال آخر
صبّ محبّ اذا مارجله خدرت نادى (كيشة) حتى يذهب الخدر

(١) أقول : قد استدلل المشويون وعباد القبور بهذا الكلام على جواز الاستغاثة بصحاب القبور عند الشدائد ونداء غير الله سبحانه وتعالى وهو كما ترى استدلال غريب يدل على جهل فيهم عظيم . . . والجواب عنه أن هذا ليس نداء بما لا يقدر عليه الا الله تعالى فاية ما فيه ذكر المحبوب لا طلب شيء منه ولا استغاثة والالزم ان كل من ذكر محبوبه فقد استغاث به وبطلانه ظاهر . وهذا الفعل كما علمت من مذاهب العرب في الجاهلية وقد ساق فضيلة الاستاذ من اشعارهم ما يؤيد ذلك وفيه يقول أبو العتاهية :

وتخدر في بعض الاحايين رجلاه فان لم يقل ياعتب لم يذهب الخدر
أفقال ان هؤلاء لما خدرت ارجلهم استغاثوا بمن يحبونه من امرأة أو غلام ؟ لا أرى من يقول بذلك الا من خدر عقله وتركب جهله !
وقد علل بعض العلماء زوال الخدر بذكر المحبوب بأنه بمسرتة وتوجه حواسه نحوه تلتفتش حرارته الفريزية فيذهب الخدر . وقال ان فعل الجاهلية وحديث ابن عمر يؤيدان صحة ماجر به الناس في ذلك ! . . .

وقال الموصلي

والله ما خدرت رجلي وما عثرت الا ذكرتك حتى يذهب الخدر

وقال الوليد بن يزيد

اثبي هاماً كلفاً معني اذا خدرت له رجل دعاك

(ومن مذاهبهم) وهو نظير هذا الوهم أن الرجل منهم كان اذا اختلجت

عينه قال (أرى من أحبه) فان كان غائباً توقع قدومه وان كان بعيداً توقع قربه

وقال بشر :

اذا اختلجت عيني أقول لعلها فتاة بنى عمرو بها العين تلمع

وقال آخر

اذا اختلجت عيني تيقنت اني أراك وإن كان المزار بعيدا

وقال آخر

اذا اختلجت عيني أقول : لعلها لرؤيتها تهتاج عيني وتطرف

وهذا الوهم باقٍ في الناس اليوم وربما كان ذلك لدى البعض منهم

كالقاعدة المطردة .

(ومن مذاهبهم) أن الرجل منهم كان إذا عشق ولم يسئل وأفرط عليه

العشق حمله رجل على ظهره كما يحمل الصبي وقام آخر فاحمى حديدة أو ميلاً

وكوى به بين يديه فيذهب عشقه فيما يزعمون

قال اعرابي

كويتم بين رانقتي جهلاً ونار القلب يضرها الغرام (١)

وقال آخر

شكوت إلى رفيقي اشتياقي فجا آني وقد جمعا دواء

(١) الرانقة : أسفل الألية اذا كنت قائماً

وجاء بالطيب ليكوياني ولاأبني-عدهمئهما-اكتوآا
ولو أتيا(بسلمى) حين جاء لعاضاني من السقم الشفاء
واستشهد الخالع على هذا المعنى بقول كثير :

أغاضر لو شهدت غداة بتم حنو العائدات على وسادى
أويت لعاشق لم ترحيه بواقدة تلذع بالزناد

وهذا البيت ليس بصرح في هذا الباب . ويحتمل أن يكون مراده في
المعنى المشهور المطروق بين الشعراء من ذكر حرارة الوجد ولذعه وتشبيهه بالنار
إلا أنه قد روى في كتابه خبراً يؤكد المقصد الذى عزاه وادعاه وهو عن محمد بن
سليمان بن فليح عن جده قال : كنت عند عبد الله بن جعفر فدخل عليه كثير
وعليه أثر علة فقال عبد الله : ما هذا بك ؟ قال : هذا ما فعلت بي أم الحويرث
ثم كشف عن ثوبه وهو مكوى وأنشد :

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها علام تعينى وتكفى دوائيا
ولو آذونى قبل أن يرقوا بها لقلت لهم : أم الحويرث دائيا !

(ومن أوهامهم وتخيلاتهم) أنهم كانوا يزعمون أن الرجل إذا أحب
امرأة وأحبته فشق برقعها وشقت رداءه صلح جبهما ودام فان لم يفعل ذلك فسد
جبهما ! قال سحيم عبد بنى الحساس (١) :

وكم قد شققنا من رداء محبر ومن برفع عن طفلة غير عانس (٢)

(١) قيل : بل اسمه حية ومولاه جنبل وهو من المخضرمين قدادرك الجاهلية والاسلام ولا
تعرف له محبة وكان اسود شديد السواد وكان مع جودة شعره اعجمى اللسان ينشد الشعر
يقول « احسنت والله ! » يزيد « احسنت والله » . وكان عبد الله بن أبي ربيعة قد اشتراه وكتب
الى سيدنا عثمان رضى الله عنه : (انى قد ابعت لك غلاما شاعرا حبشيا) فكتب اليه : (لا حاجة لي به
فاردده فانما قصارى أصل العبد الشاعر ان شبع ان يشب بنسائهم ، وان جاع ان يهجوهم) فرد
عبد الله فاشتراه معبد فكان كما قال ذو النورين شبب بينته عميرة وفحش وشهرها خرقه معبد بالنار
(٢) قوله (ومن برقع الخ) يروى بدله (على طفلة ممكورة غير عانس) والطفلة بفتح الطاء
أى ناعمة ، والمكورة الطويلة الخلق من النساء يقال امرأة ممكورة الساقين أى جدلاء مفتولة

إذا شُقُّ برد شق بالبرد برقع دَوَّ اليك حتى كلنا غير لابس (١)
 نروم بهذا الفعل بُقيا على الهوى والف الهوى بغرى بهدى الوسوس (٢)
 وقال آخر

شقتت ردائي يوم (برقة عاج) وامكنتني من شق برقعك السحقا
 فما بال هذا الود يفسد بيننا ويمحق حبل الوصل ما بيننا محقا
 (ومن مذاهبيهم) أنهم كانوا يرون أن أكل لحوم السباع يزيد في الشجاعة
 والقوة وهذا مذهب طبي والاطباء يعتقدون به . قال بعضهم :

أبا الممارك لاتتعب بأكلك ما تظن أنك تلقى منه ككرارا
 فلو أكلت سباع الأرض قاطبة ما كنت الأجبان القلب خوارا (٣)
 وقال بعض الاعراب واكل فؤاد الأسد ليكون شجاعا فعدا عليه نمر فخرجه :
 اكلت من الليث المصور فؤاده لاصبح اجرا منه قلبا وأقدما (٤) ؛
 فادرك مني ثاره بابن اخته فيالك نارا ما أشد واعظا ؛

وقال آخر

إذا لم يكن قلب القتي غدوة الوغى اصم قلب الليث ليس بنافع
 وما نفع قلب الليث في حومة الوغى إذا كان سيف المرء ليس بقاطع (٥)
 (ومن مذاهبيهم) أن صاحب الفرس المهقوع إذا ركبته فحرق تحته اغتلمت
 امرأته وطمحت الى غيره والهقعة دائرة تكون بالفرس وربما كانت على الكتف
 في الاكثر ، وهي مستقبحة عندهم . قال بعضهم اصحابه ينهبه على ذلك :

والعانس التي طال مكثها في منازل أهلها بعد ادراكها حتى خرجت عن عداد الابكار وهذا ما لم
 تزوج فان تزوجت فلا يقال عنست (١) معنى دواليك مداولة بعد مداولة ولا يفرده واحد ،
 ومن ذلك حنانيك وحواليك وغيرها (٢) البقيا بالضم ويفتح اسم من بقى يبقى بقاء ، قال الشاعر :
 فما بقيا على تركتهاني ولكن خفتها صرد النبال

(٣) الخوار: الضعيف (٤) المصور من صفات الاسد ، من المصرو وهو الكسر والدفع
 (٥) الوغى : الحرب نفسها ، وحومة القتال : معظمه أو أشد موضع فيه

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت حليلته وازداد حرّاً عجائبا (١)
فاجابه صاحبه راداً عليه فيما اعتقده : -

وقد يركب المهقوع من ليس مثله وقد يركب المهقوع زوج حصان (٢)
(ومن مذاهبهم) انهم كانوا يوقدون النار للمسافر الذي لا يحبون رجوعه
خلفه ويقولون في دعائهم (ابعده الله واسحقه واوقد ناراً اثره) قال بعضهم :
صحوت واوقدت للجهل ناراً وردّ عليك الصبا ما استعارا
وكانوا اذا خرجوا الى الاسفار اوقدوا ناراً بينهم وبين المنزل الذي يريدونه ولم
يوقدوها بينهم وبين المنزل الذي خرجوا منه تفاقلاً بالرجوع اليه ، ولهم نيران
كثيرة غير هذه قد ذكرناها سابقاً .

(ومن مذاهبهم المشهورة تعليق كعب الارنب)

قال ابن الاعرابي : قلت لزيد بن كثوة : اتقولون ان من علق عليه كعب
ارنب لم تقربه جنان الدار ولا عمار الحى ؟ قال : أى والله ولا شيطان الحماطة
(وهو شجر شبيه بالتين وهو أحب شجر الى الحيات) ولا جار العشيرة وهي
تصغير العشرة (وهي شجرة أيضاً) ولا غول القفر . وقال امرؤ القيس :
ياهند لا تنكحى بوهة عليه عقيقته أحسبا (٣)
موضعة بين ازنائه به عسم يتغى أرنباً (٤)
ليجعل في رجله كعبها حذار المنية أن يعطبا (٥)

(١) انعظ الرجل والمرأة علاما الشبق ، والعجان مثل كتاب ما بين الخصية وحلقة الدبر كذا
في المصباح (٢) امرأة حصان كسحاب عفيفة (٣) البوهة : الرجل الضاوى وقيل الضعيف
الطائش وقيل الاحمق ، والاحسب رجل في شعر رأسه شقرة . قال الزبيدي في التاج : يصفه باللاؤم
والشح كأنه لم تخلق عقيقته في صغره حتى شاخ وعقيقته شعره الذي يولد به ، يقول لا تزوجى
من هذه صفته (٤) العسم محرّكة يبس في مفصل الرسغ تعوج منه اليد والقدم ، وقوله « موضعة
بين ازنائه » محرف تحريفاً ظاهراً أو صوابه « مرسة بين ارساغه » وفي رواية « مرسمه وسط ارقاعه »
المرسة التيمة التي كانوا يعلقونها على الرسغ مخافة الموت أو العطب والارساغ جمع رسغ وهو من
الانسان مفصل ما بين الكف والساعد وما بين القدم والساق (٥) كان حتى العرب في الجاهلية يعلقون
كعب الارنب في الرجل كالمعاذة ويزعمون ان من علقه لم يضره عين ولا سحر لان الجن تمتطي

وقال أبو محلم : كانت العرب تعلق على الصبي سن ثعلب وسن هرة خوفاً من الخليفة والنظرة ، ويقولون : ان جنية ارادت صبي قوم فلم تقدر عليه فلامها قومها من الجن في ذلك . فقالت تعتذر اليهم :

كان عليه نُفْرَه ثعلب وهِرْرَه

والحيض حيض السمره

يعنى كان عليه ما ينفرنى منه لان اتعرض له . والسمره من شجر الطلح وحيضها شئ يسيل من السمر كدم الغزال (وكانت العرب) إذا ولدت المرأة أخذوا من دم السمر وهو صمغه الذى يسيل منه ينقطونه بين عيني النفساء وخطوا على وجه الصبي خطأً ويسمى هذا الصمغ السائل من السمر الدودم ويقال بالذال المعجمة أيضاً وتسمى هذه الأشياء التى تعلق على الصبي (النفرات) قال عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي : إن بعض العرب قال لأبي : اذا ولد لك ولد فنفر عنه ، فقال له أبي : وما التنفير ؟ قال : غرب اسمه فولد له ولد فسماه قنفذاً وكناه أبا العدا . قال : وأنشد أبي : -

كالخمر مزج دوائها منها بها تشفى الصداع وتبرى المنجودا^(١)

قال يريد أن القنفذ من مراكب الجن وسيأتى ان شاء الله تعالى بيان ذلك فداوى منهم ولده بمراكبهم .

ومن مذاهبهم الاستعاذة بالجن

كان الرجل منهم اذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد الى واد ذى شجر فأناخ راحلته في قرارته وهى القاع المستديرة وعقلها وخط عليها خطأ ثم قال : أعوذ بصاحب هذا الوادى . وربما قال بعضهم هذا الوادى . وعن هذا قال الله سبحانه في القرآن (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن

الثالب والظباء والقنفاذ وتجتنب الارانب لكان الحيض . يقول : هو من أولئك الحمقى
(١) المنجود : المسكروب

فزادوهم رهقا) واستعاذ رجل منهم ومعه ولد فأكله الأسد فقال:
قد استعدنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الأعدى
فلم يُجْرنا من هزبرِ عادى^(١)

وقال آخر :

أعوذ من شر البلاد البئيد بسيدٍ معظمٍ مجيد^(٢)
أصبح يأوى بلوى زرود ذى عزة وكاهلٍ شديدٍ

وقال آخر :

ياجن أجزاء اللوى من عاج عاذ بكم سارى الظلام الدالج
لا ترهقوه بغوى هائج

وقال آخر :

قد يتُ ضيفاً لعظيم الوادى المانعى من سطوة الأعدى
راحلتى فى جاره وزادى

وقال آخر

هيا صاحب الشجر آءهل أنت مانعى فانى ضيفٌ نازل بفنائكا
وانك للجنان فى الأرض سيد ومثلك آوى فى الظلام الصعالكا
(ومن مذاهبهم) أن الرجل اذا خرج من بلده إلى آخر فلا ينبغى له أن
يلتفت فانه إذا التفت عاد فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذى يريد العود .
قال بعضهم :

دع التلفت يا (مسعود) وارم بها وجه الهواجر تأمن رجعة البلد
وقال آخر أنشده الخالم

عيل صبرى بالثعلبية لما طال ليلي وملنى قرنائى
كما سارت المطايا بنا ميلاً تنفستُ والتفتُ ورأى

(١) الهزبر : الاسد ، وأجاره : حفظه (٢) البئيد : المقفرة من الانس

قال ابن أبي الحديد : هذان البيتان ذكرهما الخالع في هذا الباب
وعندي أنه لادلالة فيهما على ما أراد لان التلفت في أشعارهم كثير ومرادهم
به الابانة والاعراب عن كثرة الشوق والتأسف على المفارقة وكون
الراجل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه بجثمانه يتبعه بصره ويتزود من رؤيته
كقول السيد الرضى :

ولقد مررت على طولهم ورسومها بيد البلى نهبُ
فوقفت حتى ضجَّ من لغب .. نضوى ولج بعذلى الركب (١)
وتلفتت عيني فمدخفيت عني الطول تلفت القلب

وليس يقصد بالتلفت ههنا التفاؤل بالرجوع اليها لأن رسومها قد صارت نهبا بيد
البلى فأى فائدة في الرجوع اليها وإنما يريد ما قدمنا ذكره من الحنين والتذكر لما
مضى من أيامه فيها . وكذلك قول الاول :

تلفتت نحو الحى حتى وجدتنى وجعت من الاصعار ليتا وأخذعا (٢)
ومثل ذلك كثير انتهى . وقال بعضهم في المذهب الاول : -
تلفت أرجو رجعة بعد نية فكان التفاتى زائداً فى بلائيا

(١) اللغب : الاعياء ، والنضو بالكسر : المهزول من الابل وغيرها (٢) الاصعار : الانقلاب
في الوجه الى احد الشقين ، والليث : صفحة العنق ، والاخذع : عرق فيها وهما منصوبان على
التمييز ، والبيت من ابيات الصمة بن عبدالله بن طفيل بن الحرث بن قررة بن هبيرة بن طامر بن سلعة
الخير بن قشير بن كعب وكان شاعراً غزلاً مقلاً من شعراء الدولة الاموية وكان قد خطب بنت عمه
وكان لها محباً فاشتط عليه عمه في المهر فسأل أباه ان يعاونه فلم يعنه بشيء فسأل عشيرته فأعطوه
فأتى بالابل عمه فلم يقبلها في مهر ابنته وقال له سل أباك أن يبدها لك فأبى أبوه عليه ذلك فلما
رأى منهما ما رأى قطع عقلها وخلها فعاذ كل بعير الى أهله وتحمل راحلا فقالت بنت عمه حين
رأته يتحمل : تالله ما رأيت كالיום رجلا باعته عشيرته بأبيرة ثم مضى الى الشام فلما طال مقامه
تبعها نفسه فقال هذه الايات وهى من أشهر ما يحفظ من النسيب الجزل اللفظ الفخم المعنى البديع
ديباجة وحسناً :

جنت الى (ريا) ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتى الامر طائماً وتجزع ان داهى الصباية أسبعا

وارجو رجوعاً بعد ما حال بيننا وبينكم حزنُ الفلا والفيافيا (١)
وقال آخر وقد طلق امرأته فتلفتت اليه :

تلفتت ترجو رجعة بعد فرقة وهيهات مما ترتجى أم مازن
ألم تعلمي أني جموح عنانه إذا كان من أهواه غير ملايين
(ومن مذاهبهم) إذا بثرت شفة الصبي حمل منخلاً على رأسه ونادى بين
بيوت الحى الحلاً الحلاً الطعام الطعام فتلقى له النساء كسر الخبز واقطاع التمر واللحم
في المنخل ثم يلقى ذلك للكلاب فتأكله فيبرأ من المرض فإن أكل صبي من
الصبيان من ذلك الذي القاه للكلاب ثمرة أولقمة أو لقمة بثرت شفته وأنشد لامرأة:
الاحلا في شفة مشقوقة فقد قضى منخلنا حقوقه !

الحلاً محرقة العقبول وهو واحد العقابيل وهي بقايا العلة وما يخرج على الشفة
غب الحى ونحلت الشفة برئت بعد المرض كذا في كتب اللغة ومثل هذه المذاهب
لا مجال للعقل فيه .

(ومن مذاهبهم) أن الرجل منهم كان إذا طرفت عينه بثوب آخر مسح
الطارف عين المطروف سبع مرات يقول في الاولى باحدى جاءت من المدينة .
وفي الثانية باثنتين جاءت من المدينة . وفي الثالثة بثلاث جثن من المدينة الى أن
يقول في السابعة بسبع جثن من المدينة فتبرأ عين المطروف وفيهم من يقول باحدى

قفاودما نجدنا أن يودنا
بنفسي تلك الارض ما أطيب الربى
وليس عشيات الحى برواجع
ولما رأيت البشرأعرض دوننا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها
تلفت نحو الحى حق وجدتنى
وأذكر أيام الحى ثم اثنى
وقل لنجد عندنا أن يودنا
وما احسن المصطاف والتربما
عليك ولكن خل حينيك تدمعا
وحالت بنات الشوق يحزن نزفا
عن الجهل بعد الحلم اصبلتا معا
وجعت من الاصعار ليتأواخذنا
على كبدى من خشية ان تصدنا

(١) الحزن : ماغلظ من الارض وهو خلاف السهل ، والفلاجع فلاة وهي الارض لاماء فيها
وكذلك الفيافي جمع فيفأة

من سبع جثن من المدينة بائنتين من سبع الى أن يقول بسبع من سبع .
(ومن مذاهبهم) أن الرجل منهم كان إذا ظهرت فيه القوباء عالجها بالريق
ويروى أن اعرابياً اصابته قوبة فقيل له كل يوم ضع عليها الريق فوضع عليها
فصحت فقال :

يا عجباً لهذه الفليقة هل تذهبن القوباء الريقه
الفليقة الداهية والمنكر والقوباء بضم القاف وفتح الواو وبالمد داء يعالج بالريق
(ومن مذاهبهم) انهم يزعمون أن ابن المجوسى اذا كان من أخته
وخط على النملة تبرأ وتنصلح وترأب قال الشاعر يشير الى هذا المذهب :
ولا عيب فينا غير عرق لعشر كرام وانا لانحط على النمل
أى لسنا بمجوس نكح الاخوات وكانوا يكتنون عن المجوسى بقولهم فلان
يخط على النمل وهذه الطريقة فى الشعر هى اخراج الشيء المحمود بلفظ يوهم غيره
يقال فلان كريم غير أنه شريف . قال النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب (١)
وقال آخر

فتى كرمت أخلاقه غير أنه كريم فما يبقى على المال باقيا
وصحف ابن الاعرابى البيت الاول فروى « وانا لانحط على النمل » وفسره
بان قال نحن قوم اعزاء كرام نزل أعلى الامكنة فلا يخرقنا السيل ولا نحط على
قرى النمل اذا كانت فى البطون ولذلك قال النابغة الذبياني :

يادار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد (٢)

(١) الكتائب جمع كتيبة وهى الطائفة من الجيش مجتمعة (٢) قال الزوزنى : انما قال يادار مية
بالعلياء توجعاً منه لانه كان معها (أى مع مية) فى نعيم . وقال بالعلياء لأنه كان ذلك المكان الذى
فيه الدار بمرتفع من الارض حيث لا يضره السيل ووصف الدار وقد أضافها الى معرفة لانها ليست
فى معنى فلان فلما لم تكن كذلك توهم أنه فى مذهب الالف واللام ، والعلياء إذا فتحت العين مدت
واذا ضمت العين قصرت ، والسند : سند الجبل حيث تستند فيه قال أعشى همدان :

فرد عليه أبو عمرو ذلك ، فرجع الى الصواب والنملة قرحة . وفي القاموس
النملة شق في حافر الدابة وقروح في الجنب كالنمل وبثرة تخرج في الجسد بالتهاب
واحتراق ويرم مكانها يسيراً ويدب إلى موضع آخر كالنملة وسببها صفراء حادة
تخرج من أفواه العروق اللدقاق ولا تحتبس فيما هو داخل من ظاهر الجلد لشدة
لطاقتها وحدتها انتهى . وفي سائر كتب اللغة كذلك .

(ومن مذاهبهم) ان المرأة منهم كانت اذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت
جانبا من شعرها وكحلت احدى عينيها مخالفة للشعر المنشور وحجبت على احدى
رجليها ويكون ذلك ليلاً وتقول يالكاح . أبغى النكاح . قبل الصباح ! فيسهل
أمرها وتزوج عن قرب . قال رجل لصديقه وقد رأى أمه تفعل ذلك :

أما ترى أمك تبغى بعلا قد نشرت من شعرها الاقلا (١)
ولم توفى مقلتيها كحلا ترفع رجلا وتحط رجلا (٢)
هذا وقد شاب بنوها أصلا وأصبح الأصغر منهم كهلا (٣)
خذ القطيع ثم سيمها الللا ضرباً به ترك هذا الفعلا (٤)

وقال آخر

تصنئى ماشئت أن تصنعى وكحلى عينيك أو ، لا ، فدعى !
ثم احجلى فى البيت أو فى الجمع مالك فى بعل أرى من مطمع

وقال آخر

قد كحلت عيناً وأعفت عيناً وحجبت ونشرت قرينا
تظن زيناً ما تراه شينا

عهدى بهم فى النقب قد سندوا تهدي صباب مطيعهم ذلله

وأقوت بمعنى خلت

(١) البعل : الزوج (٢) المقلة : العين (٣) الكهل : من جاوز الثلاثين وخطه الشيب
وقيل من بلغ الاربعين (٤) قوله خذ القطيع أى اهجرها ، وسما الذل أى أهنا

(ومن مذاهبهم) كانوا إذا رحل الضيف أو غيره عنهم وأحبوا أن لا يعود
كسروا شيئاً من الأواني وهذا مما يعمله بعض الناس اليوم أيضاً . قال بعضهم :
كسرنا القدر بعد أبي مراح . فعاد وقد رنا ذهباً ضياعاً

وقال آخر

ولا نكسر الكيزان في إثر ضيفنا ولكننا نكفيه زاداً ليرجعا

وقال آخر

أما والله ان بنى نفيل لخلالون بالشرف اليفاع^(١)
اناس ليس تكسر خلف ضيف اوانبهم ولا شعب القصاع

(ومن مذاهبهم) انهم يقولون ان من ولد في القمراء تقلصت غرلته فكان
كالمتحون (والغرلة بالعين المعجمة والراء المهملة القلفة وهي الجلدة في رأس الاحليل
قبل الختان) . قال ابن أبي الحديد : ويجوز عندنا ان يكون ذلك من خواص
القمر كما ان من خواصه اِبلاء الكتان وانتان اللحم . وقد روى عن أمير المؤمنين
على كرم الله تعالى وجهه اذا رأيت الغلام طويل الغرلة فاقرب به من السوود واذا
رأيتة قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فابعده به . وقال امرؤ القيس لقيصر وقد دخل
معه الحمام فرآه اقلف :

اني حلفتُ يمينا غير كاذبة لانت اغلف الاماجنى القمر

والاغلف والاقلف بمعنى واحد وهو الذي لم يختن .

ومن مذاهبهم التشاؤم بالعطاس

قال امرؤ القيس

وقد اغتدى قبل العطاس بهيكل شديد منيع الجنب نعم المنطق

أراد أنه كان يتنبه للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم لثلا يسمع

عطاساً فيتشأم بعطاسه . وقال آخر :

(١) الشرف العلو وأشرف الموضع ارتفع فهو مشرف ، واليفاع مثل سلام ما ارتفع من الارض

وخرق إذا وجهت فيه لغزوة مضيت ولم يجبسك عنه العواطس
والخرق : القفر والارض الواسعة . يعنى : ورب قفر إذا وجهت فيه للغزو
مضيت فيه على عزمك ولم يجبسك عن السير فيه العواطس وتشاؤمك منها .
وقال رؤبة بن العجاج يصفُ فلاة « قطعها ولا أهاب العطاسا » وكانوا إذا
عطس من يحبونه قالوا له : عمراً وشباباً وإذا عطس من يبغضونه قالوا له : ورياً
وقحاباً . والورى كالرمى داء يصيب الكبد فيفسدها . والقحاب كالسعال وزناً
ومعنى ، فكان الرجل إذا سمع عطاساً يتشاءم به ويقول : بكلاي . أسأل الله
أن يجعل شؤم عطاسك بك لا ي . وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشد كما حكى
عن بعض الملوك أن مسامراً له عطس عطسة شديدة راعته فغضب الملك فقال
سميره : والله ما تعمدت ذلك ولكن هذا عطاسي ! فقال : والله لئن لم تأتني بمن
يشهد لك بذلك لاقتلك ! فقال اخرجني إلى الناس لعلي أجد من يشهد لي فأخرجه
وقد وكل به الأعوان فوجد رجلاً فقال : ياسيدي نشدتك بالله ان كنت سمعت
عطاسي يوماً فلعلك تشهد لي به عند الملك ! فقال : نعم أنا أشهد لك . فمض
معه وقال : أيها الملك أنا أشهد أن هذا الرجل عطس يوماً فطار ضرس من
أضراسه . فقال له الملك عد إلى حديثك ومجلسك ، فلما جاء الله تعالى بالاسلام
وأبطل برسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما كان عليه أهل الجاهلية من الضلالة نهى
عن التشاؤم والتطير وشرع لهم أن يجعلوا مكان الدعاء على العاطس بالمكروه دعاء
له بالرحمة كما أمر العاين أن يدعو بالتبريك للمعين . ولما كان الدعاء على العاطس
نوعاً من الظلم والبغى جعل الدعاء له بلفظ الرحمة المنافي للظلم وأمر العاطس أن يدعو
اسامعه ويشتمه بالمغفرة والهداية واصلاح البال فيقول يغفر الله لنا ولكم أو يهديكم الله
ويصلح بالكم . قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة : فأما الدعاء بالهداية
فلما أنه اهتدى الى طاعة الرسول ورغب عما كان عليه أهل الجاهلية
فدعا له أن يثبت الله عليها ويهديه اليها ، وكذلك الدعاء باصلاح البال

وهي حكمة جامعة لصلاح شأنه كله وهي من باب الجزاء على دعائه لأخيه بالرحمة فناسب أن يجازيه بالدعاء له بصلاح البال وأما الدعاء بالمغفرة فجاء بلفظ يشمل العاطس والمشميت كقوله : يغفر الله لنا ولكم ليتحصل من مجموع دعوى العاطس والمشميت لهما بالمغفرة والرحمة لهما معاً فصلوات الله وسلامه على المبعوث بصلاح الدنيا والآخرة . ولأجل هذا والله أعلم لم يؤمر بتشميت من لم يحمد الله فإن الدعاء له بالرحمة نعمة فلا يستحقها من لم يحمد الله ويشكره على هذه النعمة ويتأسى بأبيه آدم عاينه السلام فانه لما نفخت فيه الروح الى خياشيمه عطس فألهمه ربه تبارك وتعالى أن نطق بحمده فقال : الحمد لله فقال الله سبحانه : يرحمك الله يا آدم . فصارت تلك سنة العاطس فمن لم يحمد الله لم يستحق هذه الدعوة ولما سبقت هذه الكلمة لآدم قبل أن يصيبه ما اصابه كان ما آله الى الرحمة وكان ما جرى عارضاً وزال فان الرحمة سبقت العقوبة وغلبت الغضب . وأيضاً إنما أمر العاطس بالتحميد عند العطاس لأن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون فيها أنه داء ويكره أحدكم أن يعطس ويود أنه لم يصدر منه لما في ذلك من الشؤم وكان العاطس يجلس نفسه عن العطاس ويمتنع من ذلك جهده من اعتقاد جهالهم فيه ولذلك والله اعلم بنوا لفظه على بناء الأدواء كالزكام والسعال والدوار والسهام وغيرها فاعلموا أنه ليس بداء ولكنه أمر يحبه الله تعالى وهو نعمة منه يستوجب عليها من عبده أن يحمده عاينها . وفي الحديث المرفوع ان الله تعالى يحب العطاس ويكره التثاوب ، والعطاس ریح محتنقة تخرج وتفتح السدد من الكبد وهو دليل جيد للمريض مؤذن بانفراج بعض علته . وفي بعض الأمراض يستعمل ماء يعطس العليل ويجعل نوعاً من العلاج ومعينا عليه هذا قدر زائد على ما أحبه الشارع وأمر يحمد الله عليه وبالدعاء لمن صدر منه وحمد الله عليه . ولهذا والله اعلم يقال : شمته إذا قال له يرحمك الله وشمته بالمعجمة وبالمهملة وبهما روى الحديث فأما التسميت بالمهملة فهو تفعيل من التسمت الذي يراد به حسن الهيئة فمعنى سممت

العاطس وقرته وأكرمه وتأديت معه بأدب الله ورسوله في الدعاء له لا بأخلاق أهل الجاهلية من الدعاء عليه والتطير به والتشاؤم منه . وقيل سمته دعا له أن يعيده الله تعالى إلى سمته قبل العطاس من السكون والوقار وطماً نينة الأعضاء فان في العطاس من انزعاج الأعضاء واضطرابها ما يخرج العاطس عن سمته فاذا قال له السامع «يرحك الله» فقد دعا له أن يعيده الله إلى سمته وهيئته . وأما التسميت بالمعجمة فقالت طائفة منهم ابن السكيت وغيره : انه بمعنى التسميت وانهما لغتان ذكر ذلك في كتاب القلب والابدال ولم يذكر أيهما الاصل ولا أيهما البدل . وقال أبو علي الفارسي : المهمة هي الاصل في الكلمة والمعجمة بدل منها واحتج بان العاطس اذا عطس انتفش وتغير شكل وجهه فاذا دعا له فكانه أعاده إلى سمته وهيئته . وقال تلميذه ابن جنى : لو جعل جاعل الشين المعجمة أصلاً وأخذه من الشوامت وهي القوام لكان وجهاً صحيحاً وذلك أن القوام هي التي تحمل الفرس ونحوه وبها عصته وهي قوامه فكانه لما دعا له بالرحمة قد قصد ازالة الشماتة عنه وينشد في ذلك :
ما كان ضر المرضي بجفونه لو كان مريضاً منعاً من أمراضاً
والى هذا ذهب ثعلب . والمقصود أن التطير من العطاس من فعل الجاهلية الذي أبطله الاسلام وأخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : أن الله يحب العطاس كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : ان الله يحب العطاس ويكره التشاؤم فاذا تشاؤم أحدكم فليستره ما استطاع فانه اذا فتح فاه فقال آه آه ضحك منه الشيطان .

ومن مذاهبهم التشاؤم بالغراب ونحوه

من الطيور وسائر الحيوان

كانوا يضربون الغراب مثلاً في الشؤم فقالوا فلان أشأم من غراب الين .
وانما لزمه هذا الاسم لان الغراب اذا بان أهل الدار للنجعة أي طلب الكلاء

في موضعه وقع في موضع بيوتهم يتلمس ويتقتم فتشاءموا به وتطيروا منه اذ كان لا يعترى منازلهم الا اذا بانوا فسموه غراب العين . ثم كرهوا اطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة وعلموا انه نافذ البصر صافي العين حتى قالوا أصفى من عين الغراب ، كما قالوا أصفى من عين الديك ، وسموه الاعور كناية كما كنوا طيرة عن الاعمى فكنوه ابا بصير . وكما سمو المذوغ والمنهوش السليم . وكما قالوا للمهالك من الفياقى المفاوز ، وهذا كثير . ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربية والاعتراب والغريب . وليس في الارض بارح ولا نطيح ولا قعيد ولا أعضب ولا شىء مما يتشاءمون به الا والغراب عندهم أنكد منه ، ويرون أن صياحه أكثر اخباراً وان الزجر فيه أعم . قال عنتره :

حرق الجناح كأن لحى رأسه جلمان بالأخبار هش مولع .

الجم الذى يخبر به والهش الخفيف . وقال غيره :

وصاخ غراب فوق أعواد بانه باخبار أحببى فقسمى الفكر
فقلت : غراب باغتراب وبانه بين النوى تلك العياقة والزجر
وهبت جنوب باجتناى منهم وهاجت صباقلت : الصباقة والهجر
وقال آخر

تغنى الطائران بين سلمى على غصنين من غرب وبان
فكان البان ان بانى سليمان وفى الغرب اغتراب غير دان

وقال آخر

أقول يوم تلاقينا وقد سجت حمامتان على غصنين من بان :
الآن أعلم أن الغصن لى غصص وإنما البان بين عاجل دان
فقت تخفضنى أرض وترفعنى حتى ونيت وهذا السير أركانى
وحمل على هذا المذهب قول ذى الرمة :

رأيت غراباً ساقطاً فوق قضبة من القضب لم ينبت لها ورق خضر

قللت : غراب لا غراب وقضية لقضب النوى هذى العيافة والزجر

وهبت جنوب باجتنا بك منهم ونفح الصبا تلك الصباة والهجر

وقول بعضهم

دعا صُرد يوماً على غصن بانهٍ وصاح بذات البين منها غرابها (١)

قللت : أتصريدٌ وشحط وغربة ؟ فهذى لعمرى نأبها واغرابها (٢)

فهذا نمط شعرهم في الغراب لا يتغير وهو كثير لا يمكننا استقصاؤه . بلى
قد يزجرون من الطير غير الغراب على طريقين . أحدهما : على طريق الغراب
في التشاؤم . والآخر على طريق التفاؤل . قال الشاعر :

وقالوا : تغنى هُدُهدُ فوق بانهٍ قللت : هدى يغدو به ويروح

وقال آخر

وقالوا : عقاب قلت : عقي من النوى دنت بعد هجر منهم ونزوح

وقال آخر

وقالوا : حمام . قلت : حمٌ لقاءها وعادت لنا ريح الوصال تفوح (٣)

فهذا الى الشاعر لانه ان شاء جعل العقاب عقي خيراً وان شاء جعلها
عقي شراً وان شاء جعل الحمام حماماً وان شاء قال حم اللقاء والمهدد هدى وهداية
والجبارى حبور وحبرة والبان بيان يلوح والدوم دوام العهد كما صارت الصبا
عنده صباة والجنوب اجتناب والصدرد تصريداً الا ان أحداً منهم لم يزجر في
الغراب شيئاً من الخير هذا قول أهل اللغة . وذكر بعض أهل المعاني : أن نعيب
الغراب يتطير منه ونعيقه يتفاهل به وأنشد قول جرير :

إن الغراب بما كرهت لمولعٌ بنوى الأحبة دائم التشعاج

(١) الصدرد وزان عمر قال أبو حاتم في كتاب الطير : هو طائر أبيض البطن أخضر الظهر
ضخم الرأس والتقار له برثن ويصطاد العصافير وصغار الطير وهو مثل القارية في العظم انتهى
(٢) الشحط : البعد ومثله النأي ، والتصريد : التقليل وقيل إنما كرهوا الصدرد وتشاءموا
به من اسمه من التصريد (٣) معنى حم : دنا

ليت الغراب غداة ينعب دائباً كان الغراب مقطع الأوداج (١)
شحيح الغراب صوته وكذلك النعيب . وقول ابن أبي ربيعة :

نعب الغراب بين ذات الدملج ليت الغراب بينها لم يشحج (٢)
ثم أنشدوا في النعيق :

تركت الطير عا كفة عليهم وللغرابان من شبع نعيق

قال : ويقال نعق الغراب نعيقاً إذا قال غيق غيق فيقال عندها نعق بخير
ويقال نعب نعيباً إذا قال غاق فيقال عندها نعب بشر . ومنهم من يقول نعق بين
وزهير منهم . وأنشده :

ألقى فراقهم في المقلتين قدى أمسى بذاك غراب الين قد نعقا

وقال من احتج للغراب : العرب قد تيمن بالغراب فتقول هم في خير لا يطير
غرابه أى يقع الغراب فلا ينفر لكثرة ما عندهم فولا تيمنهم به لكانوا ينفرونه
قال الدافعون لهذا القول : الغراب في مثل هذا المثل السواد . واحتجوا بقول
النايعة :

ولرهب حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار

أى من عرض لهم لم يمكنه أن ينفر سوادهم لعزهم وكثرتهم وهي مشؤمة ومن
أمثالهم « لاقيت أخيل » قال ابن الأعرابي الأخيل الشقراق ويتطيرون منه
للظهر ويسمونه مقطع الظهور يقال إذا وقع على بعير وان كان سالماً يئسوا منه
وإذا لقي المسافر الأخيل تطيروا يقن بالعقر ان لم يكن موت في الظهر . قال الفرزدق :

إذا قطن بلغتنيه ابن مدرك فلاقيت من طير العراقيب أخيلاً

وكل طائر يتطير منه للابل فهو طير العراقيب . وهذه لفظة يتكلم بها عند
الدعاء على المسافر كذا في شرح مجمع الامثال للميداني . وقال ابن رشيق في العمدة :

(١) الأوداج جمع وديج وهو عرق في العنق (٢) الدملج والدملوج : العضد

الغراب أعظم ما يتطيرون به ويتشاهمون بالثور الأعضب وهو المكسور القرن
والسائح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره وأهل نجد تميمن بالاول وتتشاهم
بالثاني وأهل العالية على عكس هذا . وانشد للكفيت :

ولأنا ممن يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض ثعلب ؟

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مرّ اعضب ؟

وسيجى في بيان علومهم عند الكلام على علم الزجر والعيافة أن من العرب
من انكر هذه الامور بعقله . وابطل تأثيرها بنظره . ودم من اغتربها واعتمد
في أمره عليها . وما ورد في الشريعة من ابطال ذلك على أثم وجه واينه ان شاء
الله تعالى .

ومن مذاهبهم العدول عن الالفاظ المتطير بها الى غيرها

كانت العرب تتطير من ذكر البرص فتكنى عنه بالوضح ومنه (جذيمة
الوضح) وكان أبرص وكنوا عنه بالابرش أيضاً وكان يسمى الوضح ويسمى
الابرش أيضاً وجذيمة بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة . قال الجاحظ في البيان
والتبيين عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ان جذيمة الوضح هو الابرش التنوخي
الازدي وهو آخر ملوك قضاة بالحيرة وهو أول من حذا النعال واتخذ المنجنيق
ووضعه على الحصون واول من أدج من الملوك وأول من رفع له الشمع . وكان جذيمة
من أفضل ملوك العرب رأياً وابعدهم مغاراً وأشدهم نكابةً واطهرهم حزماً وهو
أول من استجمع له الملك بارض العراق وضم اليه العرب وغزا بالجيوش وكان به
برص وكانت العرب تكنى عن ان تسميه به وتنسبه اليه اعظاماً له فقليل له جذيمة
الوضح وجذيمة الابرش وكانت منازلها فيما بين الحيرة والأنبار وبقة وهيت وناحيتها
وعين التمر واطراف البر وتجيى اليه الاموال وتتقد عليه الوفود وكان غزاً طسماً
وجديساً في منازلها من جوى وما حوله وجوى هي اليمامة فوافق خيول حسان بن أسعد

أبي كرب قد أغارت على طسم وجديس فانكفأ جذيمة راجعاً انتهى . وكل أبيض
وضح عند العرب يقول قائلهم ما أ كثر الوضح عندكم ! أي ما أ كثر اللبن عندكم
« وما يتفأل بذكره عندهم » قولهم للفلاة مفازة لأن القفار في ركبها الهلاك
وكان حقها أن تسمى مهلكة ولكنهم اجتنبوا لفظها تطيراً وعكسوه تفاؤلاً ،
ولبعض المحدثين :

أحب الفال حين رأى كثيراً أبوه عن اقتناء المجد عاجز
فسماه لقلته كثيراً كتقلب المهالك بالمفاوز

وقال بعضهم : المفازة مفعلة من فوز الرجل اذا هلك فعلى هذا تكون الكلمة
على أصلها غير معدول بها الى غيرها « ومن ذلك » قولهم للديغ سليم تفاؤلاً .
قال الشاعر :

أرقت ونام غنى من يلوم ولكن لم أتم أنا والهموم
كأنى من تذكرها ألقى اذا ما أظلم الليل البهيم
ومن تأمیل رؤية أم جهم وقد خفقت مع الغور النجوم
سليم مل منه اقربوه واسلمه المجاور والحيم

ومنه قولهم للأعور (ممتع) تطيراً من ذكر الأعور . ومثل ذلك كثير
في كلامهم . وفي كتاب الكنايات الكبير للإمام الشعالي ما يعنى عن اتعاب القلم
في هذا الباب .

(ومن مذاهبهم) قولهم في الدعاء (لا عشت الا عيش القراد) يضربونه
مثلاً في الشدة والصبر على المشقة ويزعمون أن القراد يعيش بطنه عاماً وبظهره
عاماً ويقولون انه يترك في طينة ويرمى بها الحائط فيبقى سنة على بطنه وسنة على
ظهره ولا يموت قال بعضهم :

فلا عشت الا كعيش القراد عاماً بطن وعاماً بظهر

(ومن مذاهبهم) ان النساء منهم كن اذا غاب عنهن من يحبينه أخذن ثراباً

من موضع قدمه وموضع رجله وكانت العرب تزعم ان ذلك أسرع لرجوعه !
وقالت امرأة من العرب :

أخذت تراباً من موطن رجله غداة غدٍ كما يؤب مسلماً
وقالت امرأة أخرى :

قلت له واقتبضت من اثره يارب أنت جاره في سفره
وجار خصيئته وجار ذكره !!

(ومن مذاهبهم) انهم كانوا يسمون العشاء في العين الهدب وأصل الهدب
اللبن الخثر أى الغليظ فاذا أصاب أحدهم ذلك عمد الى سنام فقطع منه قطعة ومن
الكبد قطعة وقلها ، وقال عند كل لقمة يأكلها بعد ان يمسح جفنه الأعلى
بسببته :

فيا سناماً وكبدُ الا اذهباً بالهدبِ
ليس شفاء الهدب الا السنام والكبد

ويزعمون انه يذهب العشاء بذلك .

(ومن مذاهبهم) انهم يعتقدون انهم يرون الجن ويظاهرونهم ويخاطبونهم
ويشاهدون الغول وربما جامعوها وتزوجوها وتولد لهم أولاد منها كل ذلك من
المسلّمات لديهم :

قصة عمرو بن يربوع والغول

قالوا : إن عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين ومكثت عنده دهرًا
فكانت تقول له اذا لاح البرق من جهة بلادى وهى جهة كذا فاستره عنى فالى
ان لم تستره عنى تركت ولدك عليك وطرت الى بلاد قومي ، فكان عمرو بن
يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائه فلا تبصره . والى هذا المعنى أشار
أبو العلاء المعرى فى قوله يذكر الابل وحينئذ الى البرق :

طربن لضوء البارق المتعالى بيغداد وهنأ مالمهن ومالى !
 سمت نحوه الابصارحتى كاتها بناريه من هنأ وتم وصالى
 إذا طال عنها سرها لورؤوسها تمد إليه فى صدور عوالى
 تمت قوياً والصراة أمامها تراب لها من أينق وجمال
 إذا لاح ايماض سترت وجوها كأنى عمرو والمطى سعالى
 وكم هم نضو أن يطير مع الصبا إلى الشام لولا حبسه بعقال

قالوا : فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة وقد لمع البرق فلم يستر وجهها فطارت

وقالت له وهى تطير

أمسك بنيك عمرو إلى آبق برق على أرض السعالى آلق
 ومنهم من يقول : ركبت بعيداً وطارت عليه أى أسرع فلم يدركها وعن
 هذا قال الشاعر :

رأى برقاً فأوضع فوق بكر فلا يأل ما أسال ولا أعاما (١)

قال : فبنو عمرو بن يربوع إلى اليوم يدعون بنى السعلاة . ولذلك قال
 الشاعر يهجوهم :

يا قبح الله بنى السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات

ليسوا بابطال ولا اكيات

والمراد بالنات الناس . وبالاكيات الا كياس فابدل السين تاء وهى لغة
 قوم من العرب .

ومن مذاهبهم فى الغول

أنهم يقولون انها ان ضربت بالسيف ضربة واحدة هلكت فان ضربت ثانية
 عاشت وإلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله :

(١) أوضع : أسرع فى السير ، والبكر بالفتح : الفقى من الابل ، والآي : الشدة ، والاسالة :
 الجري ، والاحامة : مسير الابل

فقلت : ثنّ ! قلت لها : رويداً مكانك إنني ثبت الجنان
ومما ورد من شعرهم في الغول : قول أبي البلاد الطهوي . ويروي
لتأبط شراً وهو من أبيات :

لهانَ على جهينةَ ما الاقي من الروعات يوم رحا بطن^(١)

لقيت الغول تسرى في ظلام بسهب كالعباءة صحصحان

فقلت لها : كلانا نضوارض أخو سفر نخلى لي مكاني^(٢)

فشدت شدة نحوى فاهوى لها كفى بمصقول يماني

فقلت : زد ! قلت : رويداً إنني على أمثالها ثبت الجنان

والذين يروون هذا الشعر لتأبط شرا يروون أوله :

ألا من مبلغ فتيات جهم بما لاقيت عند رحا بطن

بأني قد لقيت الغول تلوى بمرت كالصحيفة صحصحان

فصبت فانتحيت لها بعضب حسام غير مؤتشب يماني

فقدت سراتها والبرك منها نخرت لليدين وللجران

فقلت : ثنّ ! قلت لها : رويداً مكانك إنني ثبت الجنان

ولم انفك مضطجعاً لديها لا نظر مصبحاً ماذا دهاني

إذا عينان في رأس دقيق كرأس المهر مشقوق اللسان

ومساق مخدج ولسان كلب وثوب من عباء أو شنان

والمرت المفازة والصحصحان المكان المستوي والمؤتشب المخلوط وسراة

كل شيء ظهره ووسطه والبرك الصدر وجران البعير مقدم عنقه والمخدج الناقص

والشنان جمع شن وهو القرية الخلقة

وقال البهراني

وتزوجت في الشيبية غولاً بغزالٍ وصدقي زق خمر

(١) بكسر الباء : موضع (٢) النضوب بالكسر : المهزول من الابل وغيرها

قال الجاحظ : اصدقها الخمر لطيب ريحها والغزال لأنه من مراكب الجن
وقال أبو عبيد بن أيوب العنبري أحد لصوص العرب :

تقول وقد الممت بالأمس لمة مخضبة الاطراف خرس الخلاخل :
أهدأ خدين الغول والذئب والذي يهيم بريات الحجال الهراكل
رأت خلق الدرسين أسود شاحباً من القوم بساماً كريم الشائل
تعود من آبائه فتكاثرتهم واطعامهم في كل غبراء شامل
إذا صاد صيداً لقه بضرامة وشيكا ولم ينظر لغلى المراجل
فهمشاً كنهش الصقر ثم مراسة بكفيه رأس الشيحة التماثل
والهراكل جمع هر كولة وهي الجارية الضخمة والغبراء الشامل السنة المجذبة
والضرامة ما يوقد به النار والوشيك القريب والمراجل جمع مرجل وهو القدر
والشيحة اسم نبت ومن هذه الابيات :

إذا ما أراد الله ذل قبيلة رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
وأول عجز القوم عما ينوبهم تقاعدتم عنه وطول التواكل
وأول خبث الماء خبث ترابه وأول لؤم القوم لؤم الحلائل
التواكل تفاعل من وكل أمره الى غيره يكله وكلا فهو وكل . والحلائل جمع
حليلة وهي الزوجة وهذا الشعر من جيد شعر العرب وإنما كان غرضنا منه متعلقاً
بأوله وذكرنا سائر ما فيه من الأدب . وقال أبو عبيد بن أيوب أيضاً في المعنى
الذي نحن بصدده :

وصار خليل الغول بعد غرارة صفياً وربته القفار البسابس (١)
وقال أيضاً

فلله در الغول أي رفيقة لصاحب قفر في المهامة يندعر (٢)
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالى نيرانا تلوح وتزهر (٣)

(١) البسابس جمع بسبس وهو القفر الخالي (٢) المهامة : المفاوز البعيدة والبلاد المقفرة
(٣) أرنت : صوتت ، وقوله تلوح صوابه تبوح أي تسكن ، وتزهر : تضيء

وقال أيضاً

وغولا قفرة ذكر واثى كأن عليهما قطع البجاد (١)

وقال أيضاً

فقد لاقت الغزلان منى بلية وقد لاقت الغيلان منى الدواھيا

« وقال البهراني في قتل الغول »

ضربت ضربة فصارت هباء في محاق القمراء آخر شهر (٢)

وقال أيضاً يزعم انه لما نثى عليها الضرب عاشت :

فثنيت والمقدار يحرس أهله فليت يميني يوم ذلك شلت

وقال تأبط شراً يصف الغول ويذكر أنه راودها عن نفسها فامتنعت

عليه قتلها :

فاصبحت والغول لي جارة^٣ فيا جارة أنت ما أغولا

وطالبتها بضعها فالتوت فكان من الرأي ان تقتلا (٣)

فجلتها مرهفاً صارماً أبان المرافق والمفصلا

فطار بقحف ابنة الجن ذو شقاشق قد أخلق المحملا

فمن يك يسأل عن جارتي فان لها باللوى منزلا

غطاءة أرض لها حلتان من ورق الطلح لم تغزلا (٤)

وكنت اذا ما هممت اهتبلت واحرى اذا قلت ان أفملا (٥)

قوله التوت أى امتنعت وتناقلت والمرهف السيف والصارم القاطع وقوله

ذوشقاشق قد أخلق المحملا معناه لو كانت هذه الشقاشق لجل لكان يخلق المحمل

(١) البجاد ككتاب : كساء مخطط من أكسية الأعراب (٢) الهباء : الغبار أو يشبه الدخان ودقاق التراب ساطعة ومنتشرة على وجه الأرض ، والمحاق مثلية آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره أو أن يستمر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية سمي لأنه طلع مع الشمس فحقه والحق الإبطل (٣) البضع : التزوج والمجامعة (٤) الطلح : من شجر العضاء (٥) اهتبل الرجل : كذب ، واهتبل الصيد بفاه وتكسبه وعلى ولده ائكل واهتبلت غفلته اغتمتها واقترجتها

ويدرسه لكثرتها اذا أراد بالمحمل حمائل السيف قال امرؤ القيس في معلقته :
ففاضت دموع العين منى صباية على النحر حتى بل دمعى محملى
والشعر فى الغول كثير والغالب منه من شعر تأبط شراً وهو من فحول شعراء
الجاهلية وفرسانها المشهورين فناسب بيان حاله ، وذكر نبذة من لطيف أخباره .
وذلك على سبيل الايجاز والاختصار : -

ترجمة تأبط شراً

اسمه ثابت وكنيته أبو زهير بن جابر بن سفيان بن عميل بن عدى يعنى
كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان وأمه أميمة
من قين بطن من فهم . وفى تلقيبه بتأبط شراً أربعة أقوال « أحدها » وهو
المشهور أنه تأبط سيفاً وخرج فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : لأدرى تأبط شراً
وخرج « الثانى » ان أمه قالت له فى زمن الكأمة : ألا ترى غلمان الحى يجتنون
لاهلهم الكأمة فيروحون بها : فقال لها : اعطى جرابك حتى اجتنى لك فيه فاعطته
فلأه لها افاعى من أكبر ما قدر عليه وأتى به متأبطاً له فالتقاء بين يديها ففتحه
فسعين بين يديها فى بيتها فوثبت وخرجت منه فقالت لها نساء الحى : ماذا كان
الذى تأبطه ثابت اليوم ؟ قالت : تأبط شراً « الثالث » انه رأى كبشاً فى الصحراء
فاحتمله تحت ابطه فجعل يبول طول الطريق عليه فلما قرب من الحى ثقل عليه حتى
لم يقله فرمى به فاذا هو الغول . فقال له قومه : بم تأبطت يا ثابت ؟ فأخبرهم .
فقالوا : لقد تأبط شراً « الرابع » انه أتى بالغول فالتقاء بين يديها فسئلت أمه عما
كان متأبطاً ؟ فقالت ذلك فلزمه . وكان أحد لصوص العرب يغزو على رجلينه
وحده وكان اذا جاع نظر الى الظباء فينتقى على نظره اسمها ثم يجرى خلفه فلا
يفوته حتى يأخذه . وترجمته مذكورة فى الاغانى بحكايات كثيرة يتعجب منها
العقل لغرابتها فعليك بذلك الكتاب ان أردتها .

ماورد في الشريعة من أمر الغول والسعلاة

قد ورد في شأن الغول حديثان صحيحان « أحدهما » قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا غول « والثاني » قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : اذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان . أى ادفعوا شرها بذكر الله تعالى . وحاصل ما ذكر أهل الحديث في الجمع بين هذين الحديثين المتعارضين انه ليس المراد بالحديث الاول نفي وجود الغول وانما معناه ابطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالهم فقد قال أهل اللغة : إن الغول من السعالى وهى أناث الشياطين سميت بذلك لأنها يزعمهم تغتالهم أو لأنها تتلون كل وقت من قولهم تغولت على البلاد اذا اختلفت . قالوا : ومعنى لاغول أى لا تستطيع أن تضل أحداً ويشهد له حديث لاغول ولكن السعالى وهم سحرة الجن أى ولكن فى الجن سحرة لهم تليس وتخييل ، فحيث اثبتت فى الحديث فالمراد اثبات وجودها . وحيث نفيت فالمراد نفي ما كانوا يزعمون فيها . ومثل ذلك كثير فى الكلام الفصيح . وعلى هذا يحمل قول ابن هشام فى شرح بانة سعاد : إن للعرب أموراً تزعمها لاحقيقة لها . منها أن الغول تترأى لهم فى الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق . ومنها الهديل زعموا انه فرخ كان على عهدنوح عليه السلام فصاده بعض الجوارح وان جميع الحمام يبكيه الى يوم القيامة قال قائلمهم : —

يدكرنيك حنين العجول وصوت الحمامة يدعو هديلا
والعجول بالفتح الفاقدة لولدها من الابل انتهى . وفى كتاب حياة الحيوان
للدميرى : الغول بالضم أحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين وهم سحرتهم
قال الجوهري هو من السعالى والجمع أغوال وغيلان وكل ما اغتال الانسان فاهلكه
فهو غول والتغول التلون قال كعب :

فما تدوم على حال تكون بها كما تلون فى أثوابها الغول

ويقال تغولت المرأة اذا تلونت ويقال غالته غول اذا وقع في مهلكة والغضب غول الحلم . قال : وسأل رجل أبا عبيدة عن قوله تعالى طلعتها كأنه رؤس الشياطين وإنما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف فاجابه بان الله تعالى كلم العرب على قدر كلامهم أما سمعت امرأ القيس كيف قال :

أَيَقْتَلِي وَالْمَشْرَفِي مَضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقِ كَانِيَابِ أَغْوَالِ (١)

وهم لم يروا الغول قط ولكن لما كان يهولهم أو عدواً به قال أبو عبيدة : ومن يومئذ عملت كتابي الذي سميته (المجاز) ثم ذكر الدميري كلاماً لاجابة لنا به . ثم قال : قال جمهور العلماء كانت العرب تزعم ان الغيلان في الفلوات وهي جنس من الشياطين تترأى للناس وتقول تغولا أي تتلون تلوناً فضلتهم عن الطريق وتهلكهم فابطل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك . قال : وقال آخرون ليس المراد بالحديث نفي وجود الغول وإنما معناه ابطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها قالوا : ومعنى لاغول لا تستطيع أن تضل أحداً ، ويشهد له حديث آخر لاغول ولكن السعالى . وذكر بعد كلام طويل : والذي ذهب إليه المحققون أن الغول شئٌ يخوف به ولا وجود له ، كما قال الشاعر :

الغول والخل والعنقاء نالته أسماء أشياء لم توجد ولم تكن

ولذلك سموا الغول خيتعور وهو كل شئ لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب وكالذى ينزل من الكوى في شدة الحر كمنسج العنكبوت . قال الشاعر :

كل انى وإن بدالك منها آية الحب جيبها خيتعور

وقال : قال قوم بالغول ساحرة الجن وهي تتصور في صور شتى وأخذوا ذلك

(١) المشرفى : السيف المنسوب الى مشارف (راجع ص ٦٢) من هذا الجزء ، والمسنون : المحدد المصقول ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها وكونها مجلوة ويستشهد أهل المعاني بهذا البيت على التشبيه الوهمى « وهو الغير المدرك بأحدى الحواس ولكنه بحيث لو أدرك كان مدركاها فان انياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها مع انها لو أدركت لم تدرك الا بحس البصر »

من قول كعب بن زهير :

فما تكون على حال تدوم بها كما تلون في أثوابها الغول

وقد تقدم ذلك قريباً . وفي (دلائل النبوة) للبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال : إذا تغولت لأحدكم الغيلان فليؤذن فان ذلك لا يضره وترجم العرب انه إذا انفرد الرجل في الصحراء ظهرت له في خلقة الانسان فلا يزال يتبعها حتى يضل عن الطريق فتدنو منه وتمثل له في صور مختلفة قهله كما روعاً . وقالوا : إذا أرادت أن تضل انساناً أوقدت له ناراً فيقصدنها فتفعل به ذلك قالوا وخلقها خلقة انسان ورجلاها رجلا حمار . قال القزويني : ورأى الغول جماعة من الصحابة منهم عمر رضي الله تعالى عنه حين سافر إلى الشام قبل الاسلام فضربها بالسيف وذكر عن ثابت بن جابر الفهري انه لقي الغول وذكر أبياته النونية في ذلك انتهى ما ذكره الدميري في الغول . وأنت تعلم ما في كلامه من الاضطراب . وقال في تفسير السعلاة . انها أخبث الغيلان وكذلك السعلاة تمد وتقصر والجمع السعالي واستسعلت المرأة أي صارت سعلاة أي صارت سخابة وبديئة . قال الشاعر :

لقد رأيت عجباً منذ امسا عجايزاً مثل السعالي خمسا

يا كلن ما أصنع همساً همسا لا ترك الله لمن ضرسا (١)

ثم قال ، قال الجاحظ : يقال إن عمرو بن يربوع كان متولداً من السعلاة والانسان قال : وذكروا ان جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم عليه السلام قال وكان الملك من الملائكة اذا عصى ربه في السماء اهبط الى الارض في صورة رجل كما صنع بهاروت وماروت فوق بعض الملائكة على بعض بنات آدم عليه السلام فولدت جرهما ! ولذلك قال شاعرهم :

(١) الهمس : كل خفي ومضغ الطعام والفم منضم ويروي :

يا كلن ما في رحلن همسا

وروا بعد هذين البيتين قوله :

ولا لقين الدهر الا تمسا فيها عجوز لاتساوي فلسا

لاتأكل الرندة الانمسا

لاَهُمْ إِنْ جَرَّهَا عِبَادُكَ النَّاسُ طَرَفٍ وَهِيَ تَلَادُكَ (١)
قال : ومن هذا الضرب كانت بلقيس ملكة سبا وكذلك كان ذو القرنين
ولهذا لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً ينادى رجلاً : يا ذا القرنين !
قال : افرغتم من اسماء الأنبياء فارتفعتم الى اسماء الملائكة انتهى . والحق في ذلك
أن الملائكة معصومون من الصغائر والكبائر كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما
قاله القاضى عياض وغيره . وأما ما ذكره من أن جرهما كان من نتاج الملائكة
وبنات آدم وكذلك ذو القرنين وبلقيس فمنوع واستدلاهم بقصة هاروت وماروت
ليس بشئ فانها لم تثبت على الوجه الذى أورده انتهى كلام الدميرى المقصود .
ونقل عن السهيلي بعد أن أسهب وأطال أن السعلاة ما يترأى للناس بالتهار والغول
ما يترأى للناس بالليل . وقال القزوينى : السعلاة نوع من المتشيطنة مغايرة للغول
قال عبيد بن أيوب :

وساحرة عيني لو ان عينها رأت ما الاقيه من الهول جنت

أيدت وسعلاة وغول بقفرة إذا الليل وارى الجن فيه أرنت

قال : وأكثر ما توجد السعلاة فى الغياض وهى اذا ظفرت بانسان ترقصه
وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال : وربما اصطادها الذئب بالليل فاكلها واذا
اقتربها ترفع صوتها وتقول ادركونى فان الذئب قد أكلنى : وربما تقول من
يخلصنى ومعى ألف دينار يأخذها : والقوم يعرفون انه كلام السعلاة فلا يخلصها
أحد فبأكلها الذئب انتهى . وفيها حكايات كثيرة قديماً وحديثاً الله أعلم بصحتها

(١) قوله لاَهُمْ : العرب تحذف اللام من اللهم وتكتفى بما بقى وكذلك تقول لاه أبوك وتريد
قأبوك وكذلك تقول لاهنك وتريد والله انك وهذا لكثرة دور هذا الاسم على اللسان ، والطرف
المال المستحدث وهو خلاف التلاد

أشعار العرب وأحاديثهم في رؤيه الجن

وخطابهم وهتوفهم ونحو ذلك

روى أبو عثمان الجاحظ لسмир بن الحرث الضبي .

ونار قد حضأت بعيد وهن بدار لأريد بها مقاما (١)

سوى تجليل راحلة وعين أ كائها مخافة ان تناما (٢)

أتوا نارى ققلت منون؟ قالوا سراة الجن: قلت عموا ظلاما (٣)

ققلت: الى الطعام: فقال منهم زعيم: نحسد الانس الطعاما

لقد فضلتكم بالا كل فينا ولكن ذاك يعقبكم سقاما

أمط عنا الطعام فان فيه لا آكله النقاصة والسقاما

ذكر في أبياته أن الجن طرقته وقد أوقد ناراً لطعامه فدعاهم الى الاكل منه فلم يجيبوه وزعموا أنهم يحسدون الانس في الاكل وانهم فضلوا عليهم باكل الطعام ولكن ذلك يعقبهم السقام . وقوله (لقد فضلتكم بالا كل فينا) ظاهره ان الجن لا يأكلون ولا يشربون . وقال ابن السيرافي : قال زعيمهم نحسد الانس على أكل الطعام والالتذاذ وليس من شأننا ان نأكل ما يأكله الانس . وقال ابن المستوفى : لم يُرَد أن الجن لا تأكل ولا تشرب وانما أراد ان طعام الانس أفضل من طعام الجن . وهذان القولان خلاف الظاهر . ويؤيد ما قلنا قول ابن خروف في شرح أبيات ميبويه قوله (لقد فضلتكم بالا كل فينا) مخالف للشرع لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الجن تأكل وتشرب . وفي (آكام

(١) حضأ النار : أوقدها أو فتحها لتتهب ، وبعيد ظرف تصغير بعد ، والوهن من اول الليل الى تلك اشتق من وهن يهن اذا قروضعف لهدو الناس فيه (٢) كالأه مكلاًة وكلاء : راقبه (٣) قوله منون أي من أنتم وهذا نادر واليه أشار ابن مالك بقوله : وان تصل فلفظ من لا يختلف ونادر منون في نظم عرف وقوله : عموا ظلاماً وكذلك قولهم عموا صباحاً من تحياتهم في الجاهلية (راجع ص ١٩٢) من هذا الجزء ، والسراة : الاشراف

المرجان في أحكام الجن) لبدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي الحنفى الشامى
وقد صنفه كما قال الصفدى في سنة سبع وخمسين وسبعائة : - وقد اختلف العلماء
في هذه المسألة على ثلاثة أقوال « أحدها » ان جميع الجن لا يأكلون ولا
يشربون وهذا قول ساقط « ثانيها » ان صنفاً منهم يأكلون ويشربون
وصنفاً لا يأكلون ولا يشربون « ثالثها » ان جميع الجن يأكلون
ويشربون . فقال بعضهم : أكلهم وشربهم تشتم واسترواح لا مضغ وبلع وهذا
لا دليل له . وقال آخرون : أكلهم وشربهم مضغ وبلع . ويدل لهذا حديث أمية
ابن محشى من رواية أبى داود : مازال الشيطان يأكل معه فلما ذكر الله تعالى
استقاء ما فى بطنه . وفي الصحيحين : ان الجن سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم الزاد فقال : كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد أحدهم أوفر ما يكون لحماً
وكل بعر علف لدوابهم . وفي حديث يزيد بن جابر قال ما من أهل بيت من
المسلمين الا وفي سقف بيتهم من الجن من المسلمين اذا وضع غداؤهم نزلوا فتغذوا
معهم واذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم يدفع الله بهم عنهم . والجن على مراتب
قال ابن عبد البر : اذا ذكروا الجن خالصاً قالوا جنى فان أرادوا انه ممن يسكن مع
الناس قالوا عامر والجمع عمار فان كان مما يعرض للصبيان قالوا أرواح فان خبث ولؤم
قالوا شيطان فان زاد على ذلك فهو مارد فان زاد على ذلك وقوى أمره قالوا
عفريت فان طهر ولطف وصار خيراً كله فهو ملك . وقال ابن عقيل : الشياطين
الفصاة من الجن وهم من ولد ابليس والمردة أعتاهم وأغواهم وهم أعوان ابليس .
وقال الجوهري كل عاتٍ مترد من الجن والانس والدواب شيطان . وقال ابن دريد :
الجن خلاف الانس . ويقال جنه الليل وأجنه وأجن عليه وغطاه فى معنى واحد
اذا ستره وكل شىء استتر عنك فقد جن عنك وبه سميت الجن . وكان أهل
الجاهلية يسمون الملائكة جنناً لامتناعهم عن العيون قالوا والجن بالحاء المهملة زعموا
انه ضرب من الجن . وقال أبو عمر الزاهد : الحن كلاب الجن وسفلتهم والجان

أبو الجن . قال السهيلي في (كتاب النتائج) : ومما قدم للفضل والشرف تقديم الجن على الإنس في أكثر المواضع لان الجن تشتمل على الملائكة وغيرهم مما اجتن عن الابصار . قال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة سببا) وقال الاعشى :

وسخر من جن الملائك سبعة قياماً لديه يعملون بلا أجر

فاما قوله تعالى (لم يطمئنن انس قبلهم ولا جان) وقوله تعالى (لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) وقوله تعالى (وانا ظننا أن لن نقول الانس والجن على الله كذبا) فان لفظ الجن ههنا لا يتناول الملائكة لئلا يشتملهم عن العيوب فلما لم يتناولهم عموم اللفظ لهذه القرينة بدأ بلفظ الانس لفضلهم وكاملهم . وقال جندع بن سنان :

أتوا تارى فقلت : منون أنتم ؟ فقالوا : الجن قلت : عموا صباحا

نزلت بشعب وادى الجن لما رأيت الليل قد نشر الجناحا

أنتهم وللأقدار حتم تلاقى المرء صباحاً أو رواحا

أنتهم غريباً مستضيفاً رأوا قتلى اذا فعلوا جناحا

أتوني سافرين فقلت : أهلاً رأيت وجوههم وسماً صباحا

نحرت لهم وقلت : الا ههوا ! كلوا مما طهيت لكم سماحا

أتاني (قاشر) وبنو أبيه وقد جن اللجى والليل لاحا

فنازعتى الزجاجة بعد وهن مزجت لهم بها عسلا وراحا

وحذرني أموراً سوف تأتي اهز لها الصوارم والرماحا

سأمضى للذى قالوا بعزم ولا أبغى لذلكم قداحا

أسأت الظن فيه ومن أساه بكل الناس قد لاقى نجاحا

وقد تأتي الى المرء المنايا بابواب الامان سدى صراحا

سبقتي حكم هذا الدهر قوماً ويهلك آخرون به ذباحا

أثعلبة بن عمرو ليس هذا أوان السير فاعتد السلاحا

ألم تعلم بان الذل موت يتيح لمن ألم به اجتياحا

ولا يبقى نعيم الدهر إلا لقرم ماجد صدق الكفاحا
قال ابن السيد : ان قيل كيف جاز أن يقول لهم عموا صباحاً وهم في الليل
وانما يليق هذا الدعاء بمن يلقى في الصباح ؟ فالجواب من وجهين « أحدهما »
ان الرجل إذا قيل له عم صباحاً فليس المراد أن ينعم في الصباح دون المساء كما
انه إذا قيل أرغم الله أنفه وحيا الله وجهه فليس المراد الأنف والوجه دون سائر
الجسم . وكذلك إذا قيل له أعلى الله كعبك وانما هي ألفاظ ظاهرها الخصوص
ومعناها العموم . ومثله قول الأعشى (الواطئين على صدور نعالهم) والوطء
لا يكون على صدور النعال دون سائرها « والوجه الثاني » أن يكون معنى أنعم الله
صباحك اطلع الله عليك كل صباح بالنعيم لأن الصباح والظلام نوعان والنوع
يسمى به كل جزء منه بما تسمى به جملته . والشعب بالكسر الطريق في الجبل
ووسماً بالضم جمع وسيم وهو الذي عليه سمة الجمال وكذلك الصباح بالكسر جمع
صبيح شبه بالصبح في اشراقه ، وطهيت طبخت يقال طهيت اللحم وطهوته
فاناطاه . وقوله لا أبغى لذككم قداحاً أى لا أطلب ضرب القداح لانهم كانوا
إذا أرادوا فعل أمر ضربوا بالقداح فان خرج القدح المكتوب عليه أفعل فعل
الامر . وان خرج القدح المكتوب عليه لاتفعل لم يفعل الأمر . وقوله أسأت
الظن فيه يقول أسأت الظن بضرب القداح والتعويل على ما تأمر به وتنهى عنه
وعلمت أن ما أمرتني به الجن أخرى أن يعول عليه : وقوله سدى صراحا .
السدى الابل المهملة التي لايردها أحد والصراح الظاهرة . والذباح بضم الذال
المعجمة بعدها موحدة نبات يقتل من أكله ومن رواه بكسر الذال جعله جمع
ذبيح . وقوله يتيح أى يقدر ويجلب يقال أتاح الله كذا أى قدره وألم نزل .
والاجتياح بجيم بعدها مثناة فوقية الاستئصال . والقرم بفتح القاف وسكون
الراء السيد واصله الفحل من الابل . والكفاخ بالكسر ملاقة الاعداء انتهى

وهذا الشعر وقع في كتاب خبر سد مأرب ونسبه إلى جندع بن سنان الغساني في حكاية طويلة زعم أنها جرت له مع الجن . قال ابن السيد في شرح أبيات الجمل للزجاجي : وكلا الشعرين أ كذوبة من أ كاذيب العرب لم تقع قط . وفي كتاب اللب : جندع بن سنان الغساني بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة شاعر جاهلي قديم . وغسان قبيلة من الازد من قحطان وجندع خرج مع من خرج من الازد قبل سيل العرم وجاءوا إلى الشام وكان ملكها إذ ذاك سليح وهم من غسان أيضاً . وقيل من قضاة وكانوا يؤدون لسليح عن كل رجل دينارين فجاء عامل الملك إلى جندع بن سنان يطلب الخراج الذي وجب عليه فدفع إليه سيفه رهناً فقال ادخله في حرامك فغضب جندع وقنعه به ^(١) فقيل خذ من جندع ما أعطاك وسارت مثلاً تضرب في اغتنام ما يچود به البخيل ^(٢) وقيل في سبب المثل غير هذا وامتنعت غسان من هذا الخراج بعد ذلك وولوا الشام كما تقدم شرحه في ملوك بني جفنة . ويزعمون أن عمير بن ضبيعة رأى غلاماً ثلاثة يلعبون نهراً فوثب غلام منهم فقام على عاتق صاحبه ووثب الآخر فقام على عاتق الأخرى فلما رأهم كذلك حمل عليهم فصدمهم فوقوا على ظهورهم وهم يضحكون فقال عمير بن ضبيعة فما مررت يومئذ بشجرة إلا وسمعت من تحتها ضحكاً فلما رجع إلى منزله مرض أربعة أشهر . وحكى الأصمعي عن بعضهم : أنه خرج هو وصاحب له يسيران فإذا غلام على طريق فقال له : من أنت ؟ قال : أنا مسكين قد قطع بي ! فقال أحدهما لصاحبه اردفه خلفك ؟ فأردفه فالتفت الآخر إليه فرأى فيه يتأجج ناراً فشد عليه بالسيف فذهبت النار فرجع عنه ، ثم التفت فرأى فيه يتأجج ناراً فشد عليه بالسيف فذهبت النار ففعل ذلك مراراً فقال ذلك الغلام : قاتلكما الله ما اجد كما ! والله ما فعلتها بأدمي الا وانخلع فؤاده ! ثم غاب عنهما فلم يعلما خبره !

وذكر الاصفهاني في كتاب الاغانى ، قال أبو عبيدة : خرج عبيد بن الأبرص

(١) قنع رأسه بالسيف : غشاه به ضرباً (٢) أنظر ص ١٧٣ من هذا الجزء

يريد الشام فلما كان في بعض الطريق عرض له شجاع يلهث عطشاً فعمد الى اداوته
ونزل عن بعيره فسقاه حتى رواه ثم مضى الى الشام فقضى حوائجه ورجع فأضل^(١)
في بعض طريقه بعيره فنكب عن الطريق ليطلبه . فاذا هاتف يقول :
يا صاحب البكر المضل منهبه دونك هذا البكر منا فاركه (١)
حتى إذا الليل ترأى غيبه وأقبل الصبح ولاح كوكبه (٢)

فخط عنه رحله وسبيه

فرأى بعيراً واقفاً فاستوى على ظهره فلم يلبث ساعة أن رأى بيته ! وكان
بينه وبينه عشرين مرحلة ! فخلى عنه الرجل وهو يقول : -
يا صاحب البكر قد انجيت من كرب ومن فياف تضل المدج الهادي (٣)
هلا بدأت لنا خلقاً لتعرف من (عليك) قد جاد بالنعاء في الوادي
ارجع حميداً فقد بلغت حاجتنا بوركت من ذى سلام راح غادي

« فأجابه »

أنا الشجاع الذي ارويتني ظمأً في صحصح حصب عن أهله صادي (٤)
وجدت بالماء لما عز مطلبه نصف النهار على الرمضاء في الوادي
هذا جزاؤك منا لا يمن به لك الجميل علينا أنك البادي
الخير يبقى وان طال الزمان به والشر أقبح ما أوعيت من زاد
وقال الشرقي بن القطامي : كان رجل من كلب يقال له عبيد بن الحمارس
شجاعاً وكان نازلاً بالسماءة أيام الربيع فلما حسر الربيع وقل ماؤه ، واقلمت انواؤه
تحمل الى وادي ثبل فرأى روضة وغديراً . فقال « روضة وغدير . وخطب يسير .

(١) البكر : الفتى من الابل ، ودونك بمعنى خذه (٢) الفهب : الظلمة ولا يخفى ما في هذا
النظام من الخلل والفساد ! (٣) الفيافى المغاوز المهلكة ، والمدج : السائر في الليل (٤) الصحصح
ما استوى من الارض ، والحصب : ذوالحجارة

وانا لما حويت مجير « فنزل هناك وله امرأتان اسم أحدهما الرباب والآخرى خولة
فقال له خولة :

أرى بلدة قفراً قليلاً انيسها وانا لنخشى ان دجا الليل أهلها
وقالت له الرباب

ارتك برأبي فاستمع عنك قولها ولا تأمنن جن العزيز وجهلها
فقال مجيباً لها

الست كياً في الحروب مجرباً شجاعاً اذا ثبت له الحربُ محرباً (١)
سريعاً الى الهيجا اذا حس الوغى فاقسم لاعدو الغدير منكبا
ثم صعد الى جبل ثبل فرأى شهمة (وهي الاثني من القناقد) فرماها فأقعصها
ومعها ولدها فارتبطه فلما كان الليل هتف به هاتف من الجن : —

يا ابن الحمارس قد أسأت جوارنا وركبت صاحبنا بامر مفتح
وعقرت لفتحته وقذت فصيلها قوداً عنيفاً في المنيف الأرفع (٢)
ونزلت مرعى شاتنا وظلمتنا والظلم فاعله وخيم المرتع
فلنظرقنك بالذي أوليتنا شراً يجيك وماله من مدفع
فأجابه ابن الحمارس

يا مدعى ظلمي ولست بظالم اسمع لديك مقاتي وتسمع
ان كنتم جنّاً ظلمتم قنفذاً عقرت فشر عقيرة في مصرع
لا تطعموا فيما لدى فما لكم فيما حويت وحرته من مطمع
فأجابه الجنى

ياضارب اللقحة بالعضب الاقل قد جاءك الموت ووافاك الاجل (٣)
وساقك الحين الى جن ثبل فاليوم أقويت وأعيتك الحيل (٤)

(١) المحرب بكسر الميم صاحب الحرب وفي حديث علي كرم الله وجهه : فابث عليهم رجلاً محرباً
أي معروفًا بالحرب عارفاً بها (٢) اللقحة : الناقة التي تتجت ، وفصيلها : ولدها ، والمنيف :
الجبل (٣) العضب : السيف ، والاقل : المنثلم (٤) الحين بالفتح والسكون : الهلاك

فاجابه ابن الحمارس

يا صاحب اللقحة هل أنت بجبل مستمع مني فقد قلت الخطل
وكثرة المنطق في الحرب فمثل هيجت تقاماً من القوم بطل^(١)
ليث ليوث واذا هم فعل لا يهرب الجن ولا الانس أجل

من كان بالعقوة من جن نبل

قال فسمعها شيخ من الجن فقال لا والله لا نرى قتل انسان مثل هذا ثابت
القلب ماضى العزيمة! فقام ذلك الشيخ وحمد الله تعالى ثم أنشد : -

يا ابن الحمارس قد نزلت بلادنا فاصبت منها مشرباً ومناما
فبدأتنا ظالما بعقر لقوحنا واسأت لما ان نطقت كلاما
فاعمد لامر الرشد واجتنب الردى إنا نرى لك حرمة وذماما
واغرم لصاحبنا لقوحاً متبعاً فلقد أصبت بما فعلت أناما

فاجابه ابن الحمارس

الله يعلم حيث يرفع عرشه إني لا كره أن أصيب أناما
أما ادعائك ما ادعيت فاني جئت البلاد ولا أريد مقاما
فاسمت فيها مالنا ونزلتها لأريح فيها ظهرنا أياما
فليغد صاحبكم علينا نعطه ما قد سألت ولا نراه غراما

ثم غرم للجن لقوحاً متبعاً للقنفذ وولدها . قال ابن أبي الحديد بعد ابراده
هذه القصة في شرح نهج البلاغة : وهذه الحكاية وان كانت كذبا الا انها تتضمن
أدبا وهي من طرائف أحاديث العرب فذكرناها لأدبها وامتاعها . ويقال ان
الشرقي بن قطامي : كان يصنع أشعاراً وينحلها غيره انتهى . وأقول لعل ابن
أبي الحديد بنى ذلك على مذهبه فقال ما قال فانه من المعتزلة وهم لا يثبتون الجن
على الوجه الذي يدعيه غيرهم ! وسيجيء تفاصيل ذلك قريباً

(١) القمقام وبضم : السيد

فاما ذكرهم عزيز الجن في المفاوز والسباسب فكثير مشهور

والعزيز أصوات الجن ومن شعرهم في ذلك قول بعضهم :

وخرقٍ نحدث غيطانه حديث العذارى بأسرارها^(١)

والغيطان جمع غائط وهو المطمئن من الارض . وقال الآخر :

ودويةٍ سببٍ سملقٍ من البيد تعزف جنانها^(٢)

وقال الاعشى

وبهائم تعزف جنانها مناهلها آجناتٌ سدم^(٣)

البهائم أرض كثيرة البهائم ومعنى سدم دفن مناهلها ومواضع مياهها وقال :

وبلدةٍ مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حافاتها زجل^(٤)

الحافات الجوانب والزجل التصويت . وقال آخر : —

بيداء في أرجائها الجن تعزف

والشعر في هذا كثير . ومن ذلك ما أسلفناه من القصص قريباً . وفي أكلام

المرجان ما يغني عن الاطالة .

(ومن مذاهبهم) انهم كانوا اذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن أن يأخذوا

بثاره فيأخذون روثه ويفتونها على رأسها ويقولون روثه راث نائرك . وقال بعضهم :

طرحنا عليه الروث والزجر صادق فراث علينا ثاره والطوائل

وقد يندر على الحية المقتولة يسير رماد ويقال لها فتلك العين فلا نائرك

وفي أمثالهم لمن ذهب العين دمه هدر هو قتيل العين . قال الشاعر :

(١) الخرق : القفر والارض الواسعة ، والواو واو رب اي رب خرق (٢) الدوية : الفلاة

المستوية الواسعة البعيدة الاطراف ، والسبب المفازة او الارض المستوية البعيدة ، والسملق
يجمع القاع الصنف ، والبيد جمع يبداء وهي الفلاة (٣) الآجنات : المتغيرات الطعم واللون

(٤) الترس بالضم من جلد الارض الغليظ منها كانه على التشبيه . ويقال هو القاع المستدير

لا طلس كما قاله الزمخشري ومنه قولهم واجهت ترساً من الارض

ولا أكن كقتيل العين وسطكم ولا ذبيحة. تشريق وتنحار
ومن أعاجيبهم) انهم كانوا اذا طالت علة الواحد منهم وظنوا ان به مساً
من الجن لانه قتل حية أو يربوعاً أو قنفذاً عملوا جمالاً من طين وجعلوا عليها
جوانق وملؤها حنطة وشعيراً وتمراً وجعلوا تلك الجمال في باب جحر الى جهة
المغرب وقت غروب الشمس وباتوا ليلتهم تلك فاذا أصبحوا نظروا الى تلك
الجمال الطين فاذا رأوا انها بحالها قالوا لم تقبل الدية فزادوا فيها وان رأوها قد
تساقطت وتبدد ما عليها من الميرة قالوا: قد قبلت الدية واستدلوا على شفاء
المريض وفرحوا وضربوا بالدف. قال بعضهم:

قالوا وقد طال عنائي والسقم

فبالذي يملك برئى أعتصم

لم يرم أى لم يصلح ومالك البرء هو الله تعالى. وقال آخر:

فياليت ان الجن جازوا جمالى

وياليتهم قالوا انطنا كل ما حوت

اعلل قلبى بالذى يزعمونه

وانطنا أى اعطنا والغاس الشديد والسلم الصلح. وقال آخر:

الا ان جنان النؤيرة أصبحوا

حملت ولم أقبل اليهم حمالة

ولو انصفوا لم يطلبوا غير حقهم

تغطوا بثوب الارض عنى ولو بدوا

النؤيرة بالنون تصغير النار وبالباء تصغير البور وهي الارض اتى لم تزرع

والتالف الهالك.

ومن عجائب اعتقادات العرب ومذاهبها في بعض الحيوان

فانهم يعتقدون في الديك والغراب والحمامة والورل وساق حرو والقنفذ والارنب
والظبي واليربوع والنعام والحية اعتقادات عجيبة . فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه
الحيوانات تعلقاً . ومنهم من يزعم أنها نوع من الجن . ومنهم من يعتقد أن الورل
والقنفذ والارنب والظبي واليربوع والنعام مراكب الجن يمتطونها أى يجعلونها
مطية لهم ومن أشعارهم في مراكب الجن قول بعضهم في قنفذ رآه ليلاً : -

فما يعجب الجنان منك عدمتهم وفي الإسد أفراس لهم ونجائب
ايسرح يربوع ويلجم قنفذ لقد اعوزتكم ما علمت النجائب
فان كانت الجنان جنت فبالحرى ولا ذاب للاقوام والله غالب
ومن الشعر المنسوب إلى الجن في ذلك :

وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد ألد وأشهى من ركوب الارانب
ومن عضر فوط عن لى فركبته أبادر سرباً من عطاء قوارب

والعضر فوط العطاء المذكور بعين مهملة وظاء معجمة ممدودة دويبة أكبر من
الوزغة ويقال في الواحدة عطاءة وعظاية والجمع عطاء وعظايا قال عبد الرحمن بن
عوف « كمثل الهر يلمس العظايا » وقال الأزهري : هي دويبة ملساء تعدو
وتتردد كثيراً تشبه (ميام ابرص) إلا أنها أحسن منه ولا تؤذى وتسمى شحمة
الأرض وشحمة الرمل وهي أنواع كثيرة منها الابيض والاحمر والاصفر والاخضر
وكلها منقطة بالسواد وهذه الالوان بحسب مساكنها فان منها ما يسكن الرمال ،
ومنها ما يسكن قريباً من الماء والعشب ، ومنها ما يألف الناس وتبقى في جحرها
أربعة أشهر لا تطعم شيئاً ومن طبعها محبة الشمس لتصلب فيها .

(ومن خرافات العرب) قالوا : أن السموم لما فرقت على الحيوانات احتبست
العظاية عند التفرقة حتى نفذ السم وأخذ كل حيوان قسط منه على قدر السبق

اليه فلم يكن لها فيه نصيب . ومن طبعها أنها تمشي مشياً سريعاً ثم تقف ويقال إن ذلك لما يعرض لها من التذكر والأسف على ما فاتها من السم ، والقوارب جمع قاربة وهي السارية في الليل . وحاصل ما دل عليه هذا الشعر أن ركوب الارنب والمضرفوط لمبادرة سرب العطاء ألدُّ من ركوب سائر المطايا . وقال اعرابي يكذب بذلك

ويستمع الأمرار راكب قنفذ لقد ضاع ببر الله يأم معبد !
يريد الرد على ما كان يعتقد بعض العرب من اثبات العلم بالغيب للجن فان من يحتاج في ركوبه الى القنفذ بزعمهم كيف يعلم غيب السموات والأرض .
ومنهم من يزعم أن سهيلاً والزُهْرَةَ (وهما كوكبان في السماء) والضب والذئب والضبع كلها مسوخ ، ومنهم من يزعم أن الطباء ماشية الجن . وفي (كتاب آكام المرجان) في بيان أن الطباء ماشية الجن في اعتقاد العرب عن حميد بن هلال قال : كنا نتحدث أن الطباء ماشية الجن فأقبل غلام ومعه قوس ونبل فاستتر بأرطاة^(١) وبين يديه قطع من ظبي وهو يريد أن يرمى بعضه فهتف هاتف لا يرى وقال :

ان غلاماً عسر اليدين يسعى بكيد أو لهين مين^(٢)

متخذ الارطاة جنتين ليقتل القيس مع العنزين^(٣)

فسمعت الطباء فتفرقت . وعن النعمان بن سهل الحراني قال : بعث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رجلاً إلى البادية فرأى ظبية مصرورة^(٤) فطاردها حتى أخذها فاذا رجل من الجن يقول :

يا صاحب الكنانة المكسوره خل سبيل الظبية المصروره

(١) الارطاة واحدة الارطى وهو شجر نوره كنور الخلاف وثمره كالعنب مرة تأكلها الابل فضة وعروقها حمر (٢) عسر اليدين : الذي يعمل بيديه (٣) الجنة بالضم الدرع وكل ما وقع من السلاح وفي الصبح : الجنة ما استترت به من السلاح والجمع الجن (٤) هي التي شد ضرعها بالصرار ككتاب وهو ما يشد به الضرع

فاتها لصبية مضروره غاب أبوهم غيبة مذكوره

في كورة لا بوركت من كوره

وخرج مالك بن حريم الدالاني في نفر من قومه في الجاهلية يريدون عكاظ
فاضطادوا ظبياً واصابهم عطش شديد فانهوا الى موضع ففصدوا ظبياً وجعلوا
يشربون من دمه من العطش فلما ذهب دمه ذبحوه وخرجوا في طلب الحطب وكن
مالك في خبائه فاثار بعضهم شجاعاً فاقبل منساباً حتى دخل رحل مالك فلاذبه
واقبل الرجل في أثره فقال : يمالك استيقظ فان الشجاع عندك فاستيقظ مالك
فنظر اليه وهو يلوذ به فقال عزمت عليك الا تركته فكف عنه وانساب الشجاع
الى مأمنه وانشأ مالك يقول :

واوصاني الحريم بعز جاري وامنعه وليس به امتناع

وادفع ضيمه واذب عنه وامنعه اذا منع المتاع

الى آخر ما قال من الابيات فارتحلوا واشتد بهم العطش فاذا بهاتف يهتف

بهم ويقول :

يا أيها القوم لاماء أبا منكم حتى تسوموا المطايا يومها التعبا

ثم اعدلوا شامة فلاماء عن كشي عين رواء وماء يذهب اللغبا (١)

حتى اذا ما اصبتم منه ريكم فاسقوا المطايا ومنه فاملؤا القربا

فعدلوا شامة فاذا هم في عين خراة في أصل جبل فشربوا وسقوا ابلهم وحملوا

ريهم حتى اتوا عكاظ ثم اقبلوا حتى انتهوا الى ذلك الموضع فلم يروا شيئاً واذا

بهاتف يقول :

يامال عنى جزاك الله سالحة هذا وداع لكم منى وتسليم

لاتزهدن في اصطناع الخير مع أحد إن الذي يحرم المعروف محروم

من يفعل الخير لا يعدم مغيبته ما عاش والكفر بعد الغب مذموم

(١) الشامة ضد البينة ، والرواء الكثير المروي ، والغب : تعب المسير ، والكشب بالتحريك :

أنا الشجاع الذي أنجيت من رهق شكرت ذلك ان الشكر مقسوم
فطلبوا العين فلم يجدوها . وعن رقاد بن زياد قال : حملت ظبياً جنح الليل
فبات جندي فسمعت هاتفاً يهتف من الليل ويقول :

ياطلحة الوادي الا ان شاتنا اصيبت بليل وهي منك قريب
احسى لنا من بات يحتل فرقنا له بهليع الواديين ديب
قال فبشكتها أي اطلقها . قال وسأته عن هليع الوادي فقال أسفله والفرق
من الظباء مثل القطيع من الغنم انتهى . والديك والغراب والحمام طيور معلومة
والورل تقدم معناه « وأماساق حر » فهو بالسین المهملة وبالقفاف بينهما الف وحر
بالحاء والراء المهملتين الورشان وهو ذكر القمارى لا يختلفون في ذلك . قال الكميت :

تغريد ساق على ساق يجاوبها من الهواتف ذات الطوق والعطل
عنى بالاول الورشان والثاني ساق الشجرة . وقال حميد بن ثور الهلالي :
وماهاج هذا الشوق الاحامه دعت ساق حرنزهة وترنما
مطوقة غراء تسجع كلما دنا الصيف وانحال الربيع فانجما
محللة طوق لم تكن من تميمه ولا ضرب صواغ بكفيه درهما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع لنائحة من نوحها متألما
اذا حركته الريح اومال ميلة تغنت عليه مآثلا ومقوما
عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ، ولم تغفر بمنطقها فما؟ (١)
فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها ولا عرياً شاقه صوت أعجما

قال ابن سيدة : انما سمي ذكر القمارى ساق حر لحكاية صوته فانه يقول :
ساق حر ساق حر وقد وهم ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة حيث قال : ساق
حر هو الهديل فان الهديل طائر آخر ففي حياة الحيوان الهديل ذكر الحمام . قال
جران العود :

(١) . ففرقاه : فتحه ويعنى بالمنطق بكاءها

كأن الهديل الظالع الرجل وسطها من البغي شريب^(١) يفرّد^(٢) المنزف^(٣)
والهديل صوت الحمام يقال هديل القمري يهدل هديلاً ، والهديل فرخ كان
على عهد نوح عليه السلام فصاده جارح من الطير فليس من حمامة الا وتبكي عليه
الى يوم القيامة . قال نصيب :

فقلت : أتبكي ذات طوق تذكرت هديلاً وقد أودى وما كان تبع^(٤) ؟
يقول لم يخلق تبع بعد انتهى . وقال ابن قتيبة في (كتاب أدب الكاتب) :
العرب تجعل الهديل مرة فرخاً تزعم الاعراب انه كان على عهد نوح فصاده جارح
من جوارح الطير . قالوا فليس من حمامة الا وهي تبكي عليه . قال الكمي
في هذا المعنى :

وما من تهتفين به لنصر باقرب جابة لك من هديل
ومرة يجعلونه الطائر نفسه . قال جبران العود « كأن الهديل الظالع الرجل »
البيت السابق ، ومرة يجعلونه الصوت . قال ذوالرمة :

أرى ناقتي عند المحصب شاقها رواح اليماني والهديل المرجع^(٥)
انتهى . وهذا بعين ما في حياة الحيوان . وفي كتاب اب لباب لسان العرب
عند شرح قول كعب بن سعد الغنوي :

فانك واللوم الذي ترجعينه على وما لوامة بعقول
كداعي هديل لا يجاب اذا دعا ولا هو يساوعن دعاء هديل
الهديل . فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فصاده جارح من جوارح الطير
قالوا فليس من حمامة الا وتبكي عليه وأنشد بيت الكمي السابق ذكره ، ومثل

(١) شبه الهديل في تغنيه وتمايله من المرح بسكير قد سكر فهو يتغنى ، والمنزف السكران ويروي
بفتح الزاي وكسرهما لانه يقال انزف الرجل اذا سكر ونزفه السكر وانزفه (٢) المحصب موضع
رمى الجمار بمكة ، يقول : لما رأته ناقتي أهل اليمن بروحون إلى بلادهم عند انقضاء الحج
والابل ترجع هديلاً — حنت الى وطنها ، وذكر ناقتها انما يريد نفسه ولم يرد باليماني رجلاً واحداً
من أهل اليمن انما أراد جميع من كان بمكة من أهل اليمن ، والهديل يكون للابل ويكون للحمام أيضاً

ذلك ما نقلناه سابقاً عن ابن هشام . ولعل شارح نهج البلاغة اعتبر اعتباراً آخر
أو ثبت عنده عن أهل اللغة ما قرره

(ومن مذاهبهم) أنهم يعتقدون ان السفعة نظرة الجن والمسفوع المعيون
واصابته سفعة أى عين والعين عيتان عين انسية وعين جنية ولبعضهم :
وقد عالجوه بالتمائم والرقى وصبوا عليه الماء من ألم النكس^(١)
وقالوا اصابته من الجن أعين ولو علموا داووه من أعين الانس
وقد صح عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها : أن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال : استرقوا لها فان بها النظرة .
والسفعة النظرة من الجن يقال بها عين اصابتها من نظر الجن وهى أنفذ من أسنة
الرماح . وعن أبى عبيدة يقال رجل معين للذى اصابته عين ورجل معين للذى
به منظر ولا مخبر له .

ومن مذاهب العرب أن لكل شاعر شيطاناً يلقي اليه الشعر
وهذا مذهب مشهور بين العرب فى الجاهلية ، والشعراء كافةً عليه قال بعضهم :
إنى وان كنت صغير السن فان فى العين نبواً عنى
فان شيطانى أمير الجن يذهب بى فى الشعر كل فن
وقال حسان بن ثابت :

إذا ما ترعرع فينا الغلامُ فما إن يقال له : من هوهُ^(٢)
إذا لم يسُدْ قبل شدِّ الأزارِ فذلك فينا الذى لاهوهُ
ولى صاحب من نبى الشيصبان فطوراً أقول وطوراً هوهُ^(٣)

وكانوا يزعمون أن اسم شيطان الاعشى (مسحل) واسم شيطان الحبل

(١) النكس : عود المريض بعد النقه (٢) ترعرع : قارب الحلم ، وفينا أى بيننا ، وادخل
فى (هوه) هاء السكت كما فى قوله تعالى (ماهى . وطالیه . وسلطانيه) (٣) الشيصبان : قبيلة
من الجن على زعمهم

(عمرو) قال الاعشى :

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له
جُهنامُ جدماً للهجين المذمم^(١)

وقال آخر :

لقد كان جنى الفرزدق قدوة
ولا كان فينا مثل فحل (المخبل)

ولا في القوافي مثل (عمرو) وشيخه
ولا بعد عمرو وشاعر مثل (مسحل)

وقال أبو النجم :

إني وكل شاعرٍ من البشر
شيطانهُ انى وشيطاني ذكراً

وفي كتاب (آكام المرجان) ما حاصله : يقال للشعراء كلاب الجن . قال عمرو

ابن كلثوم في معلقته :

وانزلنا البيوت بنى طلوح الى الشامات تنفي الموعدينا

وقد هرت (كلابُ الجن) منا وشذبنا قتادة من يلينا^(٢)

يقول انزلنا بيوتنا بمكان يعرف بنى طلوح الى الشامات تنفي من هذه الأماكن

اعداءنا الذين كانوا يوعدوننا وقد لبسنا الأسمحة حتى شرعت الشعراء يذكروننا

وقد كسرنا شوكة من يقرب منا من اعدائنا وذلك لزعهم أن الشياطين تلقى الشعر

على أفواههم وسموا الملقى تابعاً ورئياً قال جرير « إني ليلقي على الشعر مكتهل .

من الشياطين » البيت . ووسموا توابعهم بأعلام قالوا كان للأعشى مسحل

وافرو بن قطن جهنم ولبشار سنقناق ويقال للخلاء والمجان جند إبليس . قال الشاعر :

وكنت قتي من جند إبليس فارتقت
بي الحال حتى صار إبليس من جندي

ويقال للشعر رقى الشياطين . قال جرير :

رأيت رقى الشيطان لا تستفره
وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وكذلك كلمات الخلافة^(٣) ونحوها . قال الشاعر :

(١) جهنم بضم الجيم والهاء تابعة الاعشى أى شيطانه ، والهجين : اللثيم ، والجدع : القطع

(٢) وفي رواية كلاب الحى بدل كلاب الجن وعلى هذه الرواية فلا شاهد فيه (٣) الخداع

ماذا يظن بسلى إذ يُلمُّ بها مرجل الرأس ذو بُردين أوصاح^(١)
خزَّ عمامته حلواً فكاهته في كفه من رقى الشيطان مفتاح
انتهى بزيادة بعض توضيح . وكثير من شعر العرب يدل على هذا المذهب
وفيه حكايات عجيبة ذكرها الثقات من رواة الأخبار .

قصة عجيبة وفيها ذكر مسجل هاجس الاعشى

روى أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغاني بسنده قال : حدث جرير بن
عبد الله البجلي الصحابي قال : سافرت في الجاهلية فاقبلت ليلة على بعيري أريد
أن أسقيه ماء فلما قربته من الماء فاذا قوم مشوهون عند الماء فيينا أنا عندهم إذ
أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم فقالوا : هذا شاعر . ثم قالوا : يا أبا فلان أنشد هذا
فانه ضعيف . فأنشد :

ودع هريرة إن الركب مرتحلٌ وهل تطيق وداعاً أيها الرجلُ ؟
فوالله ما خرم منها بيتاً حتى أتى على آخرها . فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟
قال : أنا أقولها ! قلت : لولا ما تقول لا خبرتك أن أعشى قيس بن ثعلبة أنشدنيها
عام أول بنجران ! قال : انك صادق أنا الذي أقيتها على لسانه وأنا (مسجل)
ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس . وروى صاحب الاغاني أيضاً
بسنده عن الاعشى قال : حدث الاعشى عن نفسه قال : خرجت أريد قيس بن
معد يكرب بمحضر موت فضلت في أوائل أرض اليمن لاني لم أكن سلكت ذلك
الطريق قبل فاصابني مطر فرميت ببصرى أطلب مكاناً أجا إليه ف وقعت عيني
على خباء من شعر فقصدت واذا أنا بشيخ على باب الخباء فسلمت عليه فرد عليّ
السلام وادخل ناقي خباء آخر كان بجانب البيت فخطت رحلي وجلست . فقال :
من أنت ؟ وأين تقصد ؟ قلت : أنا الاعشى أقصد قيس بن معد يكرب . فقال :

(١) يلم بها أي يجتمع ، ومرجل الرأس مسرح الرأس وممشطه

حيالك الله أظنك امتدحته بشعر ، قلت : نعم . قال : فانشديه فابتدأت مطلع القصيدة :

رحلت سمية غدوة اجمالها غضباً عليك فما تقول بدالها
فلما أنشدته هذا المطلع منها قال : حسبك أهذه القصيدة لك ؟ قلت : نعم .
قال : من سمية التي تنسب بها ؟ قلت : لأعرفها وإنما هو اسم التي في روعي .
فنادى : ياسمية اخرجي ، وإذا جارية خماسية قد خرجت فوقففت وقالت : ماتريد
ياأبت ؟ قال : انشدي عمك قصيدتي التي مدحت بها قيس بن معديكرب ونسبت
بك في أولها فاندفعت تنشد القصيدة حتى أتت على آخرها لم تخرم منها حرفاً فلما
أتمتها قال انصرفي . ثم قال : هل قلت شيئاً غير ذلك ؟ قلت : نعم كان بيني وبين
ابن عم لي يقال له يزيد بن مسهر يكنى أبا ثابت ما يكون بين بني العم فهجاني
وهجوته فأخمته . قال : ماذا قلت فيه ؟ قال : قلت

ودع هريرة ان الركب مرتحلٌ وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
فلما أنشدته البيت الاول قال : حسبك . من هريرة هذه التي نسبت فيها ؟
قلت : لا أعرفها وسبيلها سبيل التي قبلها . فنادى : ياهريرة فاذا جارية قريبة السن
من الاولى خرجت . فقال : انشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها أبا ثابت يزيد
ابن مسهر فانشدها من أولها الى آخرها لم تخرم منها حرفاً - فسقط في يدي وتحيرت
وتغشيتي رعدة . فلما رأى ما نزل بي قال : ليفرخ روعك ياأبا بصير أنا هاجبك
مسحل بن أناة الذي ألقى على لسانك الشعر فسكنت نفسي ورجعت الى وسكن
المطر فدلني على الطريق وأراني سمت مقصدي وقال : لاتعج يمينا ولا شمالا
حتى تقع ببلاد قيس . وروى صاحب الاغانى أيضاً ، أن الاعشى قال هذه
القصيدة ليزيد بن مسهر أبي ثابت الشيباني . قال أبو عبيدة : وكان من
حديث هذه القصيدة أن رجلاً من بني كهف بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس
ابن ثعلبة يقال له ضبيع قتل رجلاً من بني همام يقال له زاهر بن سيار بن أسعد بن

هام وكان ضبيح مطروفاً ضعيف العقل فنهاهم يزيد بن مسهر وهو من بني ثعلب ابن أسعد بن هام أن يقتلوا ضبيحا بزاهر وقال: اقتلوا به سيداً من بني سعد بن مالك بن ضبيعة فحضر بني سيار بن أسعد على ذلك وأمرهم به قبلغ بن قيس ما قاله فقال الأعشى هذه القصيدة في ذلك يأمره أن يدع بني سيار وبني كهف ولا يعين بني سيار فانه ان أعانهم أعانت قبائل بني قيس بني كهف وحذره أن يلقى بنو سيار منهم ما قالوا يوم العين عين محلم بهجر . وكان من حديث ذلك اليوم كما زعم عمر بن هلال أحد بني سعد بن قيس بن ثعلبة ان يزيد بن مسهر كان خالغ أصرم بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة فلما خلع يزيد بن مسهر أصرم من ماله خالعه على أن يرهنه بنيه أقلب وشهاباً ابني أصرم وأمهما فطيمة بنت شرحبيل بن عوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس وان يزيد قهر أصرم فطلب اليه أن يدفع اليه أبنيه رهينة فأبت أمهما ذلك فنادت قومها فحضر الناس واشتملت فطيمة على ابنها بثوبها ودافع قومها عنهما وعنهما . فذلك قول الأعشى :

نحن الفوارس يوم العين ضاحية جنبي فطيمة لأميل ولا عزل^(١)

قال : فانهزم بنو سيار فحذر الأعشى يزيد بن مسهر مثل تلك الحالة قال أبو عبيدة وذكر عامر ومسمع عن قتادة الفقيه أن رجلين من بني مروان تنازعا في هذا الحديث فجردوا رسولاً في ذلك الى العراق حتى قدم الكوفة فأخبر أن فطيمة من بني سعد بن قيس وإنها كانت عند رجل من بني سيار وله امرأة غيرها من قومه فتعايرتا فعمدت السيارة فخلقت ذوائب فطيمة فاهتاج الحيان فاقتلوا فهزمت بنو سيار يومئذ

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث

وفيه تنمة للبحث مما كان يعتقده بعض العرب من النكت

(١) الميل جمع أميل وهو يميل على السرج في جانب ومن لا ترس معه ولا سيف ولا رمح والجبان، والعزل جمع اعزل وهو الذي لا سلاح معه ...

أنظر الفهارس

ثلاثة فهارس

الفهرس الأول - في موضوعات الكتاب

الفهرس الثاني - في أسماء الرجال والنساء

الفهرس الثالث - في أسماء البلدان والقبائل

عنى بجمعها وترتيبها

محمد جمال

صاحب المكتبة الاهلية - بمصر

الفهرس الاول

في موضوعات الكتاب

صفحة	صفحة
١٢٤	٣
طرف من أخبار مشاهير فرسان العرب	عادات العرب في الازدواج
١٢٥	٦
ربيعة بن مكرم	مقاصدهم من الزواج
١٢٦	١٣
عنبرة بن شداد العبسي	ما يستحسن لديهم من المرأة خلقاً وخلقاً
١٢٧	٢٢
ملاعب الاسنة	النعوت المذمومة في المرأة
١٢٧	٢٦
زيد الخيل	ماورد في الزوج من الصفات الحمودة
١٢٩	٣٥
عامر بن الطفيل	حديث النسوة التي أخبرن عن أزواجهن
١٣١	٤٩
عمرو بن معديكرب	طلاق العرب وعدة نساءهم
١٣٤	٥٢
دريد بن الصمة	ما أبطلته الشريعة من عاداتهم
١٣٧	٥٦
زيد الفوارس	حروب العرب وحروب غيرهم
١٣٨	٦٢
أمية بن حريثان الكناني	آلاتهم في الحروب
١٤١	٦٨
عمرو بن كلثوم	أيام العرب المشهورة
١٤٣	٧٥
الشنفرى الحارثى القحطاني	خيال العرب وما يحمد منها ويذم
١٤٧	٩٣
الحريث بن عباد الربعي	ماورد عنهم في مشي الخيل وعدوها
١٤٩	٩٤
سعد بن مالك	ألوان الخيل
١٤٩	٩٦
مهلهل بن ربيعة التغلبي	الشيئات
١٥٨	٩٧
معاذ بن صرم الخزاعي	سوابق الخيل
١٦٠	١٠٢
بشامة بن حزن النهشلي	الحلبة والرمان
١٦١	١٠٤
نيران العرب في الجاهلية	خيال العرب المشهورة
١٦٧	
صفة اقتداح العرب بالزند والزندة	
١٦٩	
ملوك العرب في الجاهلية	

صفحة		صفحة	
٢٣٧	عباد الشمس	١٦٩	ملوك اليمن
٢٣٩	عباد الكواكب	١٧٢	ملوك الشام
٢٤٠	يهود العرب	١٧٥	ملوك الحيرة
٢٤١	نصارى العرب	١٧٧	قصة عمرو بن عدى
٢٤٤	من أشتهر أنه كان على دين من العرب في الجاهلية	١٨١	قصة قصير مع الزباء وقتل جذيمة
٢٤٤	قس بن ساعدة	١٨٤	لقاب الملوك الدائرة على سنتهم
٢٤٧	زيد بن عمرو بن نفيل	١٨٧	شروط السؤدد عندهم
٢٥٣	امية ابن ابي الصلت	١٨٩	بيوتات العرب
٢٥٨	ارباب بن رثاب	١٩١	أول من سن الجوائز من ملوكهم
٢٥٩	سويد بن عامر	١٩٢	دراهم العرب
٢٦٠	أسعد أبو كرب	١٩٢	تحية ملوك العرب
٢٦٠	وكيع بن سلمة	١٩٤	اديان العرب قبل الاسلام
٢٦١	صمير بن جندب الجهني	١٩٦	الموحدون من العرب
٢٦٢	عدى بن زيد	١٩٧	عبدة الاصنام
٢٦٦	أبو قيس صرمة بن ابي انس	٢٠٠	اخبار الاصنام وسبب اتخاذها
٢٦٦	سيف بن ذى يزن		وكيف ازالها النبي صلى الله عليه وسلم
٢٦٩	ورقة بن نوفل	٢١٢	أسباب آخر لعبادتها
٢٧٥	عامر بن الظرب	٢١٥	عباد الشمس
٢٧٦	عبد الطابخة بن ثعلب	٢١٦	عباد القمر
٢٧٦	علاف بن شهاب	٢٢٠	الدهرية
٢٧٧	المتلمس بن أمية	٢٢٣	الصابئة
٢٧٧	زهير ابن ابي سلمى	٢٢٨	الزنادقة
٢٧٨	خالد بن سنان	٢٢٩	معتقدات الثنوية
٢٨٠	عبد الله القضاعى	٢٣٢	عباد الملائكة
٢٨١	عبيد بن الابرص	٢٣٢	عباد الجن
٢٨١	كعب بن لؤى	٢٣٣	عباد النار

صفحة		صفحة
٣٢٤	ايقاد النار للمسافر	٢٨٦
٣٢٤	تعليق كعب الارنب	والاعمال في جاهليتهم
٣٢٥	التنقيط بين عيني النساء والخط	٣٠١
	على وجه الصبي	٣٠٣
٣٢٥	استعاذتهم بالجن	٣٠٤
٣٢٦	زعمهم أن التلفت يستوجب العود	٣٠٥
٣٢٨	زعمهم اذا بثر شفة الصبي	٣٠٧
٣٢٨	طرف العين بثوب آخر	٣٠٩
٣٢٩	معالجة القوباء	٣١١
٣٢٩	اذا خط ابن المجوسى من اخته	٣١١
	على التملة تبرأ	٣١٣
٣٣٠	طلب الزواج اذا عسر على المرأة	٣١٥
٣٣١	الضيف الذى لا يريدون عودته	٣١٦
٣٣١	من ولد فى القمر	ضل أحدهم
٣٣١	تشاؤمهم بالعطاس	٣١٦
٣٣٤	تشاؤمهم بالفراب ونحوه	٣١٧
٣٣٨	عدوهم عن الالفاظ المتطير بها	ليعيش ولدها
٣٣٩	مذهبهم فى القراد	٣١٨
٣٣٩	مذهب النساء اذا غاب بعولتهن	٣١٩
٣٤٠	مداواة عشاء العين	من عضة الكلب
٣٤٠	اعتقادهم فى الجن ورؤيتها	٣١٩
٣٤٠	قصة عمرو بن ربوع	٣٢٠
٣٤١	مذاهبهم فى الغول	٣٢١
٣٤٥	ترجمة تأبط شرأ	٣٢١
٣٤٦	ماورد فى التشريعة من أمر الغول	٣٢٢
	والسعلاة	٣٢٣
٣٥٠	أشعارهم وأحاديثهم فى رؤية الجن	٣٢٣

صفحة		صفحة	
٣٦١	اعتقادهم في القنفذ وغيره انه	٣٥٨	عزيف الجن في المفاوز
	مركب الجن	٣٥٨	قتل الثعبان ومخافتهم من الجن
٣٦٥	السفعة - نظرة الجن	٣٥٩	العلة اذا ازمنت
٣٦٥	مذاهبهم في شياطين الشعراء	٣٦٠	اعتقاداتهم في بعض الحيوان
٣٦٧	قصة مسجل هاجس الاعشى	٣٦٠	السموم في الحيوانات وبعدها
			عن العظاية

﴿ انظر الفهرس الثانى ﴾

ابو العباس بن مرداس ٧١	ابن الكمال ٢٢٨
ابو حفش الجشمي ٧٢	ابن حجر ٢٣٦ و ٢٤٤ و ٢٤٧ و ٢٨٠
ابو مرحب ٧٣	ابن اسحق ٢٣٦ و ٢٤٧ و ٢٥١ و ٢٦٩
ابو صميعة بن وهب ٧٤	ابن شاهين ٢٣٧ و ٢٤٤
ابو عمرو ١٤٦ و ٢٥٥ و ٣٠٦ و ٣٣٠	ابن سيد الناس ٢٤٤
ابو رياش ١٤٧	ابن منده ٢٤٧
ابو المنذر هشام ١٥٠ و ١٥٣ و ٢٠٠ و ٢٠٢	ابن هشام ٢٤٩ و ٢٥٦ و ٣٦٥
ابو تمام ١٥٢	ابن ابي الحديد ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٣ و ٣٣٧
ابو علي ١٥٤	و ٣٥٧ و ٣٦٣
ابو محمد الاعرابي ٧٨ و ١١١ و ١١٧ و ١٢٢	ابن فليح ٣٢٢
و ١٢٣ و ١٢٨	ابن ابي ربيعة ٣٣٧
ابو عبيد البكري ١٤١ و ٣١٨	ابن السيرافي ٣٥٠
ابو علي الفارسي ٣٣٤	ابن المستوفي ٣٥٠
ابو العباس ٣١٦	ابن حنبل ٣٥١
ابو دؤاد الايادي ٣١٢	ابو هريرة ٥ و ١٧٣ و ٣٣٤
ابو القاسم السعدي ٢٩٤	ابو زيد ٦ و ٢٣ و ٢٨٩ و ٣٠٩ و ٣١١
ابو طالب ٢٨٨ و ٢٩٣	ابو كبير الهزلي ١١ و ١٢
ابو زيد ٢٩٩	ابو دريد ١٤
ابو زياد ١١١	ابو عمرو بن العلاء ١٤ و ٩٩ و ١٨٨ و ١٨٩
ابو الهزبل زفر بن الحرث ١٢٤	و ١٩٣
ابو بكر (رض) ١٣١ و ١٣٢ و ١٧٢ و ٢٤٥	ابو بكر ٣٣ و ١٨٧
و ٢٩٦	ابو علي القالي ٢٣ و ٨٤ و ٨٧ و ١٤١ و ٢٢٢
ابو عبيدة معمر بن المثنى ٢٧٩	و ٢٩٦ و ٣١٠ و ٣١٨
ابو عمر الشيباني ١٤٣	ابو بكر بن دريد ٢٦ و ٢٧ و ٤٩ و ٨٢ و ١٠٧ و ١٠٨
ابو قيس بن رفاعه ١٧٤	و ١١١ و ١٢٣ و ١٣٤
ابو اياس البصري ١٩٠	ابو نواس الكناني ٣٤
ابو جعفر النحاس ١٩١	ابو عبيد الهروي ٣٧ و ٤٥
ابو صالح ٢٠١ و ٢٠٤ و ٢١٣	ابو عبيد بن سلام ٣٧
ابو سفيان ١٨٨ و ٢٠٣ و ٢٥٩	ابو سعيد الضرير ٣٧ و ٤٤
ابو خيرة ٢٠٣	ابو عبيد ٤٤ و ٤٥ و ١٧٤ و ٣١١
ابو رجاء العطارى ٢١١	ابو حاتم ١٥٥ و ٣٣٦
ابو عثمان النهري ٢١١	ابو جنحة سعيد بن طامم ٥٢
ابو سفيان بن حرب ٢٤٤	ابو عمرو بن عبد مناف ٥٣
ابو الندى ٧٨ و ١٠٨ و ١١١ و ١١٣ و ١١٦	ابو عمرو بن امية ٥٣
و ١١٧ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣	ابو معيط بن ابي عمرو ٥٣
ابو اسحق ٧٨	ابو عبيدة ٦٣ و ٦٥ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٨٧ و ١٠٢ و ١٠٣
ابو جعفر ٨٠	و ١٠٨ و ١٢٧ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٤٥ و ١٥٤ و ١٦١ و ١٦٢
ابو النجم ٩٧ و ٣١٤ و ٣٦٦	و ١٦٤ و ١٧٤ و ١٨٩ و ٢٠٧ و ٣٠٦ و ٣١٧ و ٣٤٧ و ٣٥٤
ابو حذرة ٩٨	و ٣٦٥ و ٣٦٨
ابو محمد الاعرابي الغندجاني ١٠٤	ابو دؤاد ٦٥
ابو يحيى ١٠٦ و ١٠٧	ابو بكر بن العربي ٦٧
	ابو ميلل ٦٩

اسد بن خويلد ٢٦٦
 اسرافيل ٢٧٣
 اسعد ابو كرب ٢٦٠
 اسماعيل (عليه السلام) ٤٩ و ٧٦ و ١٩٦ و ٢٠٠
 و ٢٠١ و ٢٤١ و ٢٤٧ و ٢٥٥ و ٢٨٥ و ٢٨٦
 اسماعيل الموصلي ١٦٤ و ١٦٦
 اسماعيل ابن ابي خالد ٣٦١
 اسماء صاحبة المرقش ١٥٧
 اسماء بنت ابي بكر ٢٤٧
 اسماء بنت مهلهل ١٤١
 الاسود الدؤلي ٢١
 الاسود بن المنذر ٧٤
 اسود بن قيس ١١٦
 الاسود العنسي ١٣١
 اسيد بن حنائة ١١٥
 اسيد بن جابر ١٤٦ و ١٤٧
 اسيلم بن الاحنف ١١٠
 الاشرم ١٢٩
 الاشعث بن قيس ٥٣ و ٦٩ و ١٩٠ و ٢٩٤
 اشكاب اللص ١٠٦
 الاصبهاني ٥١ و ٥٢ و ٦٨ و ٧٥ و ٩١ و ١٤٥ و ١٥٠ و ٢٠٧
 و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٥٠ و ٢٥٤ و ٣٦٧
 اصرم بن عوف ٣٦٩
 الاصمعي ٢٣ و ٣٧ و ٦٤ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠١ و ١٠٢
 و ١٠٥ و ١١٠ و ١٤٦ و ١٨٨ و ١٩٣ و ١٩٩ و ٢٥٣ و ٢٩٧
 و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٦ و ٣٥٤
 الاصم حكيم بن مالك ١١١
 اعشى همدان ٣٢٩
 الاعشى ٤ و ٤٩ و ٦٤ و ٦٥ و ٨٢ و ١٢٢ و ١٦١ و ١٦٢
 و ١٦٨ و ٢٦٥ و ٣٠٤ و ٣١٤ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٨ و ٣٦٦
 و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩
 الاعلم ٥٤ و ٨٠ و ١٢٠ و ١٧٤
 الاعمش ٢٣٣
 الاعياص بن عبد شمس ٥٣
 اغسطس ملك الروم ١٨٤
 افريدون ٢٣٤
 افرقيس بن ابرهة ١٧٠
 الافوه الاودي ٢٨٧
 الاقرع بن حابس ٦٩ و ٧١ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٤
 الاقرن بن شمر ١٧٠
 اقلب بن اصرم ٣٦٩
 امامة بنت الحارث ١٧

ابو محمد ١٠٨
 ابو حنيفة الدينوري ١٦٤ و ١٦٧
 ابو جباح ١٦٥ و ١٦٦
 ابوالسمح ١٦٧
 ابو زياد الكلابي ١٦٨
 ابو خراش الهزلي ١٨٠
 ابو داود ١٨٦ و ٣٥١
 ابو جهل بن هشام ١٨٨
 ابو عيس ٢٥٩
 ابوالقاسم الخثعمي ٢٧٠
 ابو عوانة ٢٧٩
 ابو يونس ٢٧٩
 ابو مجلز ٢٨٩
 ابو عبيدة النحوي ٢٨٩
 ابوالاسود الدؤلي ٢٩٥
 ابو محمد بن حزم ٢٢٨
 ابو معمر ٢٣٣
 ابو قتادة ٢٣٤
 ابو الاسود ٢٣٥ و ٢٣٦
 ابو كبشة ٢٣٩
 ابو علي ابن السكن ٢٤٤
 ابو موسى ٢٤٤
 ابو حنيفة ٣٠١
 ابو العتاهية ٣٢٠
 ابو محلم ٣٣٥
 ابو العلاء المعري ٣٤٠
 ابو البلاد الطهوي ٣٤٢
 ابو قيس صرمة ٣٦٦
 ابو عبيد بن ايوب ٣٤٣
 ابو عمر الزاهد ٣٥١
 ابو جعفر جرير ٢٣٣
 الاحنف بن قيس ١٩١
 الاحوص بن جعفر ٧٤
 الاخطل ١٤٢
 الاخش ١٩٠
 ادريس (عليه السلام) ٢١٣
 آدم (عليه السلام) ٢١٣ و ٢٣٣ و ٢٤٢ و ٢٧٦ و ٣٤٨
 ارباب بن رثاب ٢٥٨
 اربد بن قيس ١٢٩ و ١٣٠
 الازهرى ٩ و ٤٩ و ٩٤ و ١٢٢ و ١٩٦ و ٢٣٢ و ٢٧٤
 اساف بن يعلى ٢٠١
 الاسد الرهيص ١٢٧

بسّاطم بن قيس ١٨٩ و ٧٤ و ٦٩
 بسّاطم رئيس بنى تيم الله ٧١
 البسوس بنت منقذ (١٥١ و ١٥٢)
 بشار بن برد ٢٣٤
 بشامة بن حزن ١٦٠
 بشر بن عمرو ١٤٢ و ٦٩
 بشر بن أبي حازم ٣١٧ و ١٠٤
 بشر بن مروان ١٠٦
 بشر بن الفضل ١٨٦
 بشير بن الحجير ٢٦١
 البغوى ٢٤٧
 البغدادى ١٦٠
 البقاعى ٢٧٢
 البكرى ٦٣ و ٦٢
 بكر بن وائل ٧٢
 بلعاء بن قيس ١٠٥
 بلقيس ١٧٠ و ١٧١ و ٢٣٧ و ٢٦٠ و ٢٤٩
 بلقيس بنت شراحيل ٢٣٨
 بلال بن رباح ٢٧١
 بنت أوس بن عبد ود ٣٩
 بهمن ٢٣٤
 البهرانى ٣٤٤ و ٣٤٢
 البيضاوى ٢٤٩
 البيهقى ٣٤٨

ت

تأبط شراً ١٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٤٢ و ٣٤٤ و ٣٤٥
 التبريزى ١٢
 تبع بن كليكرب ١٧٠
 تبع بن حسان ١٧١
 تبع أبو كرب ١٧٥
 تبع الأصغر ٢٤٠
 تبع الاوسط ٢٤١ و ٢٦٠
 التفتازانى ٢٢٣
 توبة بن الحمير ٣١٢

ث

ثابت بن جابر ١٤٣
 ثعلب ٦٢ و ١٣١ و ١٩٣
 ثعلبة بن عمرو ١٧٣
 ثواب الازدى ٣٤

الامام احمد ٢٣٣
 ام تأبط شراً ١٢
 ام خالد بن يزيد ٦
 الامدى ١٣٧ و ١٤٩ و ٢٢٢
 امرؤ القيس ١٦ و ٤٠ و ٨٥ و ٩٠ و ٩١ و ١٠٥ و ١٤٢
 ١٤٢ و ١٥٦ و ١٩٠ و ٢٠٧ و ٢٤٠ و ٢٤٠ و ٢٩٤ و ٣٢٤ و ٣٣١
 ٣٤٧
 امرؤ القيس بن عمرو ١٧٦
 ام زرع الخثعمية ٤٤ و ٣٥
 ام سلمة ٥٠ و ٣٦٥
 ام سويد جارية عمرو الخزومي ه
 ام عليط جارية صفوان ه
 ام المنذر بنت عوف ١٧٣
 ام مهزول ه
 آمنة ام الرسول (ص) ٢٦٨ و ٢٣٩
 آمنة بنت ابان ه
 امية بن عبد شمس ٥٣ و ٢٦٦ و ٢٨٣
 امية بن حرمات ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠
 امية بن ابي الصلت ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧
 ٣٠١ و ٢٦٦
 امية بن مخشى ٣٥١
 الامين ٩٨
 انيف بن جبلة ١١٤ و ١١٥
 الاهتم ٧٥
 اوس بن حجر ٥٢ و ١٢٧ و ١٦٧
 اوس بن قلام ٢٦٢
 اوفى بن مطر ١٤٥
 اوفى بن دهم ٢٢
 اياس بن قبيصة ١٠٨ و ١٧٧
 الايم بن الاعرج ١٧٥

ب

بجير بن ابي مليل ٦٩
 بجير بن عبد الله ١٠٧ و ١٠٨
 بجير بن خداش ١١٣
 بجير بن عمرو ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥٦
 بجيرا الراهب ٢٥٨
 البخارى ٢٥٢ و ٣١٣ و ٣٣٤
 بدر الدين الشبلى ٣٥١
 البراء بن قيس ١١٦
 برد بن مهلايل ٢١٣
 برة بنت مر ٥٣

الحارث بن عمرو بن معاوية ١٥٦
 الحارث ابن الاكبر ١٧٣
 الحارث بن ابي شمر (الاعرج) ١٧٣ و١٧٤ و٢٠٢
 الحارث بن ظالم ٧٤ و١٨٩
 حازم اليقيني ١٤٦
 الحارث بن صاحب المستدرك ٢٧٩
 حبي بنت علقمة ٢٨
 حبي بنت كعب ٤٢
 حبيب بن هتية ٧٢
 حبيش بن الزلف ٧٣
 حبيب بن شاذب ١٠٥
 الحجاج بن يوسف ٦ و٨ و٨٤ و١٠٦ و١١٠ و٢١٥
 حجر بن ضبيعة ١٥٦
 حجر أكل المرار ١٧٤
 حجر بن النعمان ١٧٥
 حذيفة بن بدر ٧٠ و١٥٤ و١٨٨
 حرام بن جابر ١٤٦
 الحرباء بنت عقيل ٩
 الحربي ٦٢
 حريية بن الاشيم ٣٠٧ و٣٠٨
 الحرث بن ييبة ٧٣
 الحرث بن مزيقيا (الملك) ٧٣ و٧٤
 الحرث بن قراد ١١٥
 الحرث بن عباد ١١٨ و١٤٧ و١٤٨ و١٥٣ و١٥٦
 الحرث بن مراغة ١٢١
 الحرث بن هام ١٤٨
 الحرث بن مرة ١٥٣ و١٥٤
 الحرث الرائش ١٦٩
 الحرث بن عمرو ١٧١ و١٧٣ و٢٤٠
 الحرث الاصغر ١٧٤ و١٧٥
 حريث بن زيد الخليل ١٢٧
 حزيمة بن طارق ١١٤
 حسان بن ثابت ٣١ و٣٢ و٣٥ و٣١٩ و٣٦٥ و٣٩٧
 حسان اخو المنذر ٦٩
 حسان بن الجون ٧٠ و٧١
 حسان بن وبرة ٧١
 حسان بن عمرو ١٧١
 حسان بن تبع ٢٦٠
 حسان بن اسعد ٣٣٨
 الحسن بن علي ٢٤٣
 الحسن بن الحسن ٥٣
 الحسين بن علي ٥٣ و٦٦ و٢٤٣

ج

الجاحظ ٤٠ و٦٥ و١٢٣ و١٨٧ و٢١٢ و٢٣٤ و٢٤٦
 و٣٣٨ و٣٤٣ و٣٤٨ و٣٥٠
 جابر النطفاني ١٢٨ و١٢٩
 الجارود بن عبد الله ٢٤٤ و٢٤٥
 جبار بن سلمي ١٣١
 جبار بن قرط ١١٤
 جبريل ٢٧٣ و٢٧٤ و٢٧٥
 الجبيري ٦٠
 جعيش بن سودة ١٥٨
 جذع بن سنان ١٧٣ و٣٥٢ و٣٥٤
 جذيمة الابرش ١٧٣ و١٧٥ و١٧٦ و١٧٧ و١٧٨
 و١٧٩ و١٨٠ و١٨١ و١٨٢ و١٨٣ و٣٣٨ و٣٣٩
 جرباء بنت عقيل ٢٩٧ و٢٩٨
 الجرمي ٨٦
 جرير ٩٤ و١٠٣ و١٤٣ و١٧٧ و٢١٩ و٢٣٦ و٢٣٧
 و٢٣٦ و٣٦٦
 جرير بن عبد الله البجلي ١٧٢ و٣٦٧
 جريية بن الاشيم ١١٣
 جزء بن غالب ٢٣٩
 جساس بن مرة ١٥١ و١٥٢ و١٥٣ و١٥٤ و١٥٥
 الجعد بن الشماخ ٧٣
 الجعدي ٩٥
 الجعفي ٧٧
 الجميع بن الطماح ١١٨
 جميل بن مالك ١٥٤
 جميل بثينة ٣٠٥ و٣٢٠
 جندل الازدي ٣٤
 جند بن تيجان ١٣٨
 جواب بن كعب ١٢٣
 الجوهري ٤٩ و٦٦ و٩١ و٩١ و١٠١ و١٥٨ و١٦٤ و١٦٥
 و٢٢٧ و٢٤٦ و٣٥١

ح

حاتم ١٨٧
 حاجب بن زرارة ٥٢ و٣٣٥ و٣٣٦
 حاجب التميمي ٧١
 الحارث بن النصر ٨
 الحارث بن عمرو (ملك كنده) ١٧
 الحارث بن سامة ٥٣
 حارثة بن أوس ١٠٨ و١١١

خرافة ١٩٨
الخرنق (الشاعرة) ٧٦
خزاعي بن عبدنهم ٢١٠
خزيمة بن مدركة ٥٣
الخطاب ٢٥١
الخطابي ٣٧
الخطيب ١٠٣ و ٦٩
الخطابي ٦٧
خفاف بن نديبة ١٢٦
الخليل ٤٦ و ٩
خود بنت مطرود ٣٣
خولة بنت منظور ٥٣
خولة زوجة عبيد بن الحمارس ٣٥٦

د

الدار قطني ٥
داود (عليه السلام) ٨ و ٦٦ و ٢٥٧
ديبة بن حرمس ٢٠٤ و ٢٠٥
دختنوس بنت حاجب ٥٢ و ٢٣٥
دختنوس بنت ثقيط ٢٣٦
دراء بن الازد ١٧٣
ذريد بن الصمة ٧٠ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ٣٧
دليل ٥
الدميري ٢٧٩ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٩
الدواني ٢٤٨
دودان بن خالد ١١٨

ذ

الذهبي ٢٤٤ و ٢٤٨
ذو الاصبغ ١٩ و ٢٩ و ٣١ و ٣١٢
ذو الرمة ٦٤ و ٩٦ و ٢٣٩ و ٣٣٥ و ٣٦٤
ذو جدن ١٧١
ذو زهران ١٧٢
ذو ظليم ١٧٢
ذو عثكلان ١٧٢
ذو القرنين ١٧٠ و ٣٦٠ و ٣٤٩
ذو الكلاع الاكبر ١٧٢
ذو الكلاع الاصغر ١٧٢
ذو مكارب ١٧٢
ذو مناخ ١٧٢
ذو نؤاس ١٧١
ذوآب بن اسماء ٧٠

حصن بن حذيفة ٧٠
حصيصة بن شراحيل ١٨٥
حطم ٦٦
حطمة بن محارب ٦٦
الخطيئة ٦٥ و ٢٨٢
حفص بن الاخيف ١٢٥
حكيم بن حزام ٢٩١
حلالة جارية سهيل ٥
حماد بن زيد ٢٦٢
حماد الراوية ٢٦٥
حمزة الاصبهاني ١٤٣ و ١٤٥
حمل بن بدر ٧٠
حمل بن زيد ١١٢
الحموي صاحب المعجم ٦٥ و ١٢٢
حميد بن حريث ١١٢
حميد بن سبأ ١٦٩
حميد بن ثور ٣١٣
حميد بن هلال ٣٦١ و ٣٦٣
حنثر بن بحر ١١٨
حنة القبطية ٥
حنظلة بن مالك ٧٢
حنظلة بن بشر ٧٣
حنظلة بن صفوان ٢٧٩
الحوفزان ٦٩ و ٧٢ و ٧٣ و ١٥٤
حويطب بن عبد الغزي ٢٩٣

خ

خالد بن يزيد ٦
خالدة بنت هاشم ٥٣
خالد بن الوليد ٦٢ و ١١٧ و ١٢٧ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢١٤
خالد بن عبد الله ٦٧
خالد بن جعفر ٧٤ و ١٧١
خالد بن فضلة ١١٨
خالد بن سعيد ١٣١
خالد بن سنان ١٦٤ و ١٦٥ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠
خالد بن ارطاة ٢٣٦
الخالغ ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣٢٢ و ٣٣٦
خداش بن زهير ١١٣
خديج بن قيس ١٢١
خديجة ارض ٢٦٩ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥
خديجة بنت خويلد ٦ و ٢٦٩ و ٢٧٠
خراشة بن علبة ١١٨

الزنجشري ٣٧ و ٥٢ و ٣٣٥ و ٢٧٩ و ٣٥٨
 زمعة بن الاسود ٥
 الزهري ١٢٨
 زهير ٤١ و ١٧٣ و ٣٣٦ و ٢٧٠ و ٣٣٧
 زهير بن ابي سلمى ٢٧٧ و ٢٨٨
 الزوزني ٦٩ و ٢٧٨ و ٣٢٩
 زياد الاعجم ٣٠٩
 زيد بن حارثة ٢٢
 زيد الفوارس ٧٣ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٨٩
 زيد الخيل (زيد الخير) ١٢٧ و ١٢٨
 زيد بن عمرو بن نفيل ٢٠٤ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٥٠
 و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٧ و ٢٧٣
 زيد بن ابوب ٢٦٢
 زيد بن حماد ٢٦٢ و ٢٦٣
 زيد بن عدى ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥
 زيد بن كثوة ٣٢٤
 س
 سابور ٢٢٩
 سامة بن لؤي ٥٣
 سبرة بن هوال ٢٧
 سبيع بن الخطيم ١٢١
 السجستاني ١٣٢ و ٢٤٦
 سحيم بن الحسين ٣٢٢
 سراقه بن مالك ١١٢
 السري ٧٦
 سريج الاسدي ٦٣
 سريفة جارية زمعة ٥
 سعد بن ابي وقاص ١٤٠
 سعد بن مالك ١٤٨ و ١٤٩
 سعد بن مالك القريني ١٤٩
 سعد بن معاذ ٢٥٩
 سعد بن عبادة ٢٥٩
 سعيد بن مالك ١٥٠
 سعيد بن زيد ٢٤٧
 السكري ١٥٧ و ٣١١
 السكن بن سعيد ٢٦
 سلمة بن الحرث ٧٢
 سلمى بنت عدى ٧٢
 سلمان بن ربيعة ١١٦ و ١١٧
 سليمان (عليه السلام) ٦٦ و ٩٣ و ١٧٠ و ٢٣٧
 و ٢٣٨ و ٢٥٧
 سليمان بن ابي جعفر ٩٨

ر
 الراجز ١٩١ و ١٩٦ و ٣٠٦ و ٣١١ و ٣١٦
 راشد بن كثير ٦٦
 راشد بن عبد الله ٢٠٦
 الراصي ١١١
 الراغب ٢٤٢
 الرباب زوجة عبيد بن الجارس ٣٥٦
 ربيعي بن عمرو ٧١
 ربيعة الحميري ٣٣ و ٣٥ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥
 ربيعة بن مقروم ٧٦
 ربيعة بن صبيح ٨٦
 ربيعة بن مكرم ١٠٧ و ١٢٥ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧
 ربيعة بن الحرث ١٥٠
 الربيع بن زياد ١٨٩
 ردينه ٦٤
 رستم ٥٩
 رشيد بن رميض ٢١٠
 الرشيد بن سويد ٢٥٣
 رقاش بنت مالك ١٧٧ و ١٧٨
 رقية بنت عبد شمس ٢٥٦
 رملة بن الزبير ٧٠٦
 رواحة بن حمير ٢٧
 رؤبة الشاعر ٢٨ و ٨٦
 رؤبة بن المعجاج ٣٠٦ و ٣١٣ و ٣٢٢
 رثاب الشني ٢٥٨
 الرياحي ١٨٧
 الريان بن حويص ١٢٣
 الريثي ٢١ و ٢٧٢
 ريطة بنت جندل ١٣٧
 ز
 زاهر بن سيار ٣٦٨ و ٣٦٩
 زبان بن سيار ٥٣
 الزباء ملكة تدمر ٩٣ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣
 الزبيدي ١٦ و ٢٣٥ و ٢٣٤
 الزبير بن بكار ٤١ و ٢٥٥ و ٢٦٩ و ٢٨٢
 الزبير بن العوام ١٣٩
 الزبير ٢٣٦ و ٢٧١ و ٢٨٤
 زرارة بن عدس ٧٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦
 زرادست ٢٢٢
 زرين بن ثعلبة ١٣٨

عبد الله بن مسعود ٢٣٣
 عبد الله بن جدعان ٢٦٦
 عبد الطابخة ٢٧٦
 عبد الله القضاعي ٢٨٠
 عبد الله الزبيري ٢٨٤
 عبد الله أبا الرسول (ص) ٢٨٦
 عبد العزى ابن ابي قيس ٢٩٣
 عبد الله بن ابي ربيعة ٣٣٢
 عبد الله بن الصحة ٧٠
 عبد يفيوث بن وقاص ٧٢
 عبد العزى بن جدار ٧٣
 عبد القادر الحسني الجزائري ١٠٤
 عبد الملك بن بشر ١٠٦
 عبد الله بن حازم ١٠٧
 عبد عمرو بن شريح ١١٣
 عبد الله بن غطفان ١٢٨
 عبد الرحمن بن عوف ٢٦٠
 عبد الله بن ابي بكر ٢٤٤
 عبدان المروزي ٢٤٤
 عبد العزى بن حنم ١٦١
 العبد بن ابرهة ١٧٠
 عبد كلال بن شوب ١٧١
 عبدود ١١٣ و ٢١٤
 عبد الله بن موهب ٦
 عبيد بن الأبرص ٢٨١ و ٢٩٥ و ٣٥٤
 عبيدة بن ربيعة ٨١ و ٩٠
 عبيد بن الجارس ٣٥٥ و ٣٥٧
 عبيد بن جعش ٢٤٨
 عبيد بن ابوب ١٦٥ و ٣٤٩
 عتاب بن قيس ١٥٤
 عتاب بن الاصم ١١١
 عتاب بن عمرو ١٤٢
 عتبة بن ربيعة ١٨٨ و ٢٥٦
 العتيبي ١٨٧
 عتيبة بن حارث ١٢٩ و ١٨٩
 عثمان (رض) ٢١٥ و ٢٩٦ و ٣٢٢
 عثمة بنت مطرود ٣٣
 عثمان بن مظعون ٢٩٧
 عثمان بن الحرث ٢٤٨
 المعجاج ٣٣
 المعجفاء بنت علقمة ٢٨
 المعجلي ١١٠

طفيل الغنوي ٧٧ و ٨٠ و ٩٦
 طفيل بن عوف ١٠٥
 الطفيل بن عمرو ٢٠٩
 طلحة بن عبد الله ١٣٩

ظ

ظالم بن اسعد ٢٠٣

ع

العاصي بن وائل ٥
 عاصم الازدي ٣٤
 عاصم بن النعمان ٧٢
 عاصم بن خليفة ٧٤
 عامر بن الظرب ٤٩ و ١٥٠ و ٣٧٥ و ٢٩٥
 عامر بن الحارث ٤٩ و ٢٨٣
 عامر التغلبي ١٥٦
 عامر بن ربيعة ٧١ و ٢٤٧
 عامر بن الطفيل ٧١ و ٧٨ و ١١٣ و ١١٧ و ١٢٨ و ١٢٩
 و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٤ و ١٨٨ و ١٨٩
 عامر بن ضامر ٧٣ و ١٧٣
 عامر بن مالك ٧٤ و ١٢٧
 عامر بن حارثة ١٧٢
 عامر بن عوف ٢١٣
 عائشة (رض) ٢٩٦
 العباس بن مرداس ٣٤ و ٢٩٠ و ٢٩٦
 العباس بن الوليد ١١٠
 عباد بن الحصين ٦٧
 العباس بن الاحنف ٣٠٥
 عبد الله بن الزبير ٦ و ٣١٩
 عبد المطلب بن هاشم ٦ و ٢٤٧ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٣٦٨
 و ٣٦٩ و ٣٨٢ و ٣٨٣
 عبد الله بن طاهر ٩
 عبد مناة بن كنانة ٥٣
 عبد مناف ٥٣ و ٢٨٤
 عبد الملك بن مروان ٥٨ و ٦٧ و ١٠٦ و ١٣٣ و ٢١٥
 عبد الله بن زياد ٦٧
 عبد الله بن عمر ٢٢٠
 عبد الله بن جعفر ٣٢٢
 عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي ٣٣٥
 عبد الله بن مالك ١٥٤
 عبد شمس بن معاوية ١٥٤
 عبد الله بن عامر ١٩١

عدي بن زيد ١٨١ و ١٨٣ و ٣٦٢ و ٣٦٣
 عدي بن ربيعة ٧٣ و ١٥٦
 عدي بن نصر ١٧٧ و ١٨٨
 عرابة بن أوس ١٨٧ و ١٨٨
 عروة بن الزبير ١٣٨
 عروة بن الورد ٣١٥
 عروة بن شبة ١٦٥
 العسقلاني ٣٦٥
 العسكري ١٦٦
 عصام الكندي ١٧
 عصام بن شهر ١٧
 عصمة بن النجار ٦٩
 عفيف بن معد يكرب ٢٩٤
 عقيل بن علقمة ٢٧٩ و ٩
 عقيل بن فالح ١٧٩ و ١٨٠
 عك بن عدنان ١٥٨
 العكبري ٢٨٠
 عكرمة ٢٧٩ و ٢٥٥
 علاف بن شهاب ٢٧٦
 علقمة الأزدي ٣٤
 علقمة بن عبدة ١٨١
 علقمة بن علاثة ١٢٩
 علي (رض) ٣٧ و ٦١ و ١٢٥ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٤٣
 وه ٣١٥ و ٣٣١
 عمرطة بنت زرعة ٢٧
 عمران بن مرة ٧١
 عمرو بن عثمان الخزومي ه
 عمرو بن شبة ٦
 عمر بن الخطاب (رض) ١٣ و ٦٩ و ١٠٥ و ١٣٢
 و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٦ و ٥١ و ٥٧ و ٦٥ و ٧٥ و ٢٤١ و ٢٤٨ و ٢٩٤
 و ٢٩٨ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٦١
 عمرو بن أبي ربيعة ١٦
 عمرو الحميري ٣٣ و ٣٥ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥
 منكرة بنت عمرو ٤٠
 مالك بن عدس ٣٣٦ و ٥٢
 مالك بن معد يكرب ٥٣ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٩ و ١٢٩
 و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٧٩ و ١٩٠ و ٢٨٩
 عمرو بن كلثوم ٦٩ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ١٧٩ و ٣٦٦
 عمرو بن الحرث ١٧٤ و ١٥٢
 عمرو بن براق ١٤٣ و ١٤٤
 عمرو بن مندوس ١٥٤ و ١٥٥
 عمرو التغاي ١٥٦
 عمر بن زيد المثنى ٣٠٩
 عمرو بن مرة ٣١٨
 عمرو بن الحثارم ٢٣٧
 عمرو بن الجون ٧١
 عمرو بن عمرو ٧١ و ١٨٩ و ٢٤٠
 عمير بن حنيفة ٣٥٤
 عمر بن هلال ٣٦٩
 عمرو بن طار ٧٣
 عمرو بن تميم ٧٥
 عمرو بن جندب ١٠٨
 عمرو بن قيس ١١٦
 عمرو الحاربي ١٢٣
 عمرو بن شقيق ١٢٥
 عمرو بن هند ٤١ و ٤٢ و ١٤٢ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٩ و ٢٩٩
 عمرو بن تبع ١٧١
 عمرو بن مالك ١٧٢
 عمرو بن مزقياء ١٧٣
 عمرو بن عدي ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠
 و ١٨٢ و ١٨٣
 عمرو بن النعمان ١٧٥
 عمرو بن الظرب ١٨١
 عمرو بن حزم ٢٤٣
 عمرو بن لحي ١٩٤ و ٢٠٠ و ٢١٣ و ٢٤٤
 عمرو بن ربيعة ٢٠٠
 عمرو بن الجوح ٢٠٢ و ٢٠٨
 علس بن عقيل ٢٩٨
 عمرو بن يربوع ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٨
 عمير بن جندب ٣٦١
 عمر بن ضبيعة ٣٥٤
 حنق صديقة مرتد ه
 عنزة العبسي ٧٠ و ٧٨ و ١٠١ و ١١٩ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٩
 و ١٣٤ و ١٩٣ و ٢٥٣ و ٢٧٠ و ٣٣٥
 العوام زوج صفيه ٦
 عوف بن عتاب ٦٩
 عوف بن مالك ١٥٧
 عوف بن محلم ١٧
 عوف بن عنزة ٢١٣
 عوف السكاهن ١٠٩
 عون بن الاحوص ٧١
 عويمر الزباني ٣٠٥ و ٣٠٩

عدي بن زيد ١٨١ و ١٨٣ و ٣٦٢ و ٣٦٣
 عدي بن ربيعة ٧٣ و ١٥٦
 عدي بن نصر ١٧٧ و ١٨٨
 عرابة بن أوس ١٨٧ و ١٨٨
 عروة بن الزبير ١٣٨
 عروة بن الورد ٣١٥
 عروة بن شبة ١٦٥
 العسقلاني ٣٦٥
 العسكري ١٦٦
 عصام الكندي ١٧
 عصام بن شهر ١٧
 عصمة بن النجار ٦٩
 عفيف بن معد يكرب ٢٩٤
 عقيل بن علقمة ٢٧٩ و ٩
 عقيل بن فالح ١٧٩ و ١٨٠
 عك بن عدنان ١٥٨
 العكبري ٢٨٠
 عكرمة ٢٧٩ و ٢٥٥
 علاف بن شهاب ٢٧٦
 علقمة الأزدي ٣٤
 علقمة بن عبدة ١٨١
 علقمة بن علاثة ١٢٩
 علي (رض) ٣٧ و ٦١ و ١٢٥ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٤٣
 وه ٣١٥ و ٣٣١
 عمرطة بنت زرعة ٢٧
 عمران بن مرة ٧١
 عمرو بن عثمان الخزومي ه
 عمرو بن شبة ٦
 عمر بن الخطاب (رض) ١٣ و ٦٩ و ١٠٥ و ١٣٢
 و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٦ و ٥١ و ٥٧ و ٦٥ و ٧٥ و ٢٤١ و ٢٤٨ و ٢٩٤
 و ٢٩٨ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٦١
 عمرو بن أبي ربيعة ١٦
 عمرو الحميري ٣٣ و ٣٥ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥
 منكرة بنت عمرو ٤٠
 مالك بن عدس ٣٣٦ و ٥٢
 مالك بن معد يكرب ٥٣ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٩ و ١٢٩
 و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٧٩ و ١٩٠ و ٢٨٩
 عمرو بن كلثوم ٦٩ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ١٧٩ و ٣٦٦
 عمرو بن الحرث ١٧٤ و ١٥٢
 عمرو بن براق ١٤٣ و ١٤٤
 عمرو بن مندوس ١٥٤ و ١٥٥

القاضي عياض ٣٤٩	عياض ٤٧ و ٣٨
القاضي الفاضل ٢٨٠	عيسى (عليه السلام) ١٧١ و ٢٩٩ و ٢٤٢ و ٢٥٨ و ٢٦٩
قباد ٢٢٣	٢٨٦ و ٢٧٨
قتادة بن لعب ١٢٣	عيسى بن جعفر ٩٨
قتادة الفقيه ٣٦٩	عيسى بن عمر ٣٠١
قتيبة بن مسلم ١٠٦ و ١٠٩	عيلان ١١٣
قريباً جارية هلال بن انس ٥	عينته بن حصن ١٨٨
قريط بن عبد ٧٤	عينته بن حصين ٢٢٧
القزويني ٢٧٩ و ٣٤٦ و ٣٤٩	
قس بن ساعدة ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٧٠	غ
قصي بن كلاب ١٦٢ و ١٧٣ و ١٨٨ و ٢٨٥	غالب بن القطان ١٨٦
قصير بن سعد ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣	غمر الازدي ٢٤
القطامي ١٠٠ و ١٦٦	الغنوي ٩٦
قطن بن عوف ١٩١	غني بن امصر ١١١
القعقاع بن معبد ٧٥	غيلان بن عمرو ٢٤٤
قنن بن عتاب ١٠٧ و ١٠٨	
قعين بن عامر ١٠٩	ف
قيس بن زهير ٧٠ و ٣١٤	فاخته أم حكيم ٢٩١
قيس بن حاصم ٧٢ و ٧٥ و ١٨٧ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧	فارس مودود ٧٣
قيس بن الخطيم ١٣٤	فاطمة (رض) ٢٤٣ و ٢٤٨
قيس بن الملوح ٣١٣	فاطمة بنت ربيعة ١٤٢
قيس بن معديكرب ٣٦٧ و ٣٦٨	الفاكهي ٢٤٧ و ٢٩٣ و ٢٩٤
قيصر (ملك الروم) ١٢٩ و ٣٣١	فدكي بن المنقري ١٨٩
القيلب الحميري ٢٣ و ٣٤ و ٦٤	الفراء ١٩٣
ك	فراس بن حابس ٧١
الكاذي ٤٦	الفرزدق ٦٥ و ١٤٣ و ١٤٩ و ١٦٧ و ١٧٧ و ٢٣٧ و ٢٧٠
الكازروني ٢٤٨	٢٣٧ و ٢٧٦
كبيشة بنت الارقم ٣٧	فرسة جارية هشام ٥
كثير (الشاعر) ٣٢٠ و ٣٢٢	فرعون ٢٥٧ و ٢٥٠
كسري انوشروان ١٦ و ١٧١ و ١٧٢ و ٢٣٥ و ٢٣٦	فروخ ملاءن ٢٦٢
٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥	فروة بن مسيك ١٣١
كسري بن انوشروان ٢٢٩	فضالة بن هند ١٢١
الكشميين ٥	الفضل بن عباس ٦٨ و ٢٠٤
كعب بن زهير ١٦ و ١٢٧ و ٣٤٦ و ٣٤٨	الفضل بن قدامة ٩٧
كعب بن سعد الغنوي ١٠٥ و ٣٦٤	فطيمة بنت شرحبيل ٣٦٩
كعب بن زهير بن جشم ١٥٤	الفهري ١٥٠
كعب بن لؤي ٢٨١	الفيومي ١٢١ و ١٣٤
الكلبي ١٣٦ و ١٦٤ و ٢٠١ و ٢١٣ و ٢١٤	
كلاب بن امية ٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١	ق
كلثوم بن مالك ١٤١ و ١٤٢	قائيل ٢٣٣
كليكرب ١٧٠	قابوس بن النندر ٦٩
	قابوس الملك ٢١٥

الكميت ١٦٦ و ٣٠٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٣٨ و ٣٦٣ و ٣٦٤	الماوردي ٦٦ و ٢٣٥ و ٢٥٨ و ٢٦٦ و ٢٨٢
كليب وائل ١٨٨ و ١٤٢	المبرد ١٢ و ٣١ و ٣٧ و ١٨٨ و ٢٠٧ و ٣١٤
كليب بن ربيعة ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٦	متمم بن نويرة ١٧٩
كثانة بن خزيمية ٥٣	المتنبي ٩٢ و ٢٧٦
كحلان بن سبأ ١٣١	التملمس بن امية ٢٧٧
	المتقب العبدي ١٧٦
ل	مجاهد ٢٣٣
لييد ٧٧ و ١٢٣ و ١٨٤	المجد ٩٣ و ١٦٨ و ٢٩٩
لييد الصحابي ١٢٩	محرق النساني ٧٣
ليند العامري ١٣٠	المخلق ١٦١ و ١٦٢
الليحاني ٢٣ و ١٦٧ و ٢٤١ و ٢٧٥	محمد (عليه الصلاة والسلام) ٦ و ٧ و ٩ و ١٦ و ٢٢
اللخمي ٧٦	و ٥٠ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٧٦ و ١٠٣ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩
لخينة بنوف ١٧١	و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٨ و ١٥٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٧
لقمان بن حاد ١٢٢ و ١٢٣ و ١٦٩	و ١٨٦ و ١٩٠ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٨ و ٢٠٠ و ٢٠٢
لقمان (الحكيم) ١٢٣ و ١٧٠	و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١
لقيط بن زرارة ٥٢ و ٧٠ و ٧١ و ٧٤ و ٧٥ و ٢٣٦ و ٢٩٠	و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢٣ و ٢٢٥ و ٢٢٨
لقيط التميمي ٧١	و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٩ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦
لؤي بن غالب ٢٧٤	و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨
الليث ٧٨ و ٥٨ و ١٩٦ و ٢٩٨	و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦٦ و ٢٦٨ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣
ليلي ام عمرو بن كلثوم ١٤٢	و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٨ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٥ و ٢٨٦
ليلي بنت مهمل ١٤٢	و ٢٩١ و ٢٩٦ و ٣١١ و ٣١٣ و ٣٢٠ و ٣٢٢ و ٣٣٤ و ٣٤٦
ليلي الاخيلية ٣١٣	و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٦٥
	محمد بن عباد ٢٦
م	محمد بن طلحة ٥٣
مارية ذات القرطين ١٧٤	محمد بن عطاء ٦٢
ماسخة الازدي ٦٥	محمد بن حبيب ٦٣ و ٧١ و ٢٥٣ و ٢٩٠
مالك بن عميلة ٥	محمد بن خطاب ٦٩
مالك بن غفيلة ٣٣	محمد بن يزيد ٣٠٣
مالك الازدي ٣٣	محمد باشا الجزائري ١٠٤
مالك بن نويرة ٦٩ و ٧٥ و ١١٧ و ١٧٩	محمد بن الوليد ١١٠
مالك بن الربيع ٣٠٨	محمد بن سلام ١٢٥ و ١٥٨
مالك بن سبيع ٧٣	محمد بن سعد ١٨٨
مالك بن عمرو النساني ١١٢	محمد بن مروان ٢٠١
مالك بن النعمان ١٧٢	محمد عبده ٢٠٣
مالك بن فهم ١٧٣ و ١٧٥	محمد بن زكريا الرازي ٢٣١
مالك بن فالح ١٧٩ و ١٨٠	محمد بن جعفر ٢٣٣
مالك بن كلاب ١٢٩	محمد شهاب الدين الالوسي ٣٠٢
مالك بن حارثة ٢١٤	مدرك الازدي ٣٤
مالك بن عوف ٢٤٤	مرثد ٥
مالك بن حريم ٣٦٣	مرثد بن عبد كلال ١٧١
المأمون ٩٨ و ٢٩٩	مرداس بن معاذ ١١٩
ماني الحكيم ٢٢٩	المرزباني ٢٤٦

ملاهيبة الاسنة ١٢٧
 مليكة بنت سنان ٥٣
 المنزق العبدى ٣١٩
 منتجع بن نبهان ٩٤
 المنتشر بن وهب ١٤٥ و ٣١٤
 المنذر الاكبر ١٧٤ و ١٧٦
 المنذر بن ماء السماء ٦٩ و ٢٦٣
 المنذر بن امرى القيس ١١٣ و ٢٨١
 المنذر بن النعمان ١٤١ و ١٤٢
 المنذر بن الاعرج ١٧٥
 المنذر بن المنذر ١٧٦
 منظور بن زبان ٥٣
 مهاجر بن ابى امية ١٣١
 مهدد بنت ابى هزومة ٣٦
 مهلهل بن ابى ربيعة ٧٢ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٩ و ١٥٠
 و ١٥٢ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧
 مهلهل بن امرى القيس ١٤٧
 موسى (عليه السلام) ٢٤١ و ٢٥٠ و ٢٥٧ و ٢٦٩
 و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٨٠ و ٢٨٦
 الموصلى ٣٣١
 الميدانى ١٧ و ٢٠ و ٢٨ و ٢٩ و ٣١٧
 ميسرة غلام خديجة ٢٧٠
 ميكائيل ٢٧٤
 ميمون بن قيس ٣٦٧
 ميمون بن موسى ١١٠

ن

النايفة الديقاني ١٧ و ١٦٦ و ١٦٩ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٧
 و ١٨٩ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٣٩ و ٣٣٧
 النايفة الجعدى ١٢٤
 ناجية بنت جرم ٥٣
 ناجية بن هقال ٧٥
 ناشر بن عمرو ١٧٠
 نائلة بنت زيد ٢٠١
 نبزة بن ضمرة ١٢١
 نبيشة بن حبيب ١٠٧ و ١٢٥
 نزال بن خراشة ١١٨
 النسائي ٥١
 نصيب ٣٦٤
 النضر بن كنانة ٥٣ و ١٧١
 نضر بن شميل ٣٠٤ و ٣٠٥

المرزبان ٢٦٣
 المرقش الاكبر ١٥٧
 المرقشان ١٥٠
 مرة بن خالد ١١٧
 مرة بن كلثوم ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣
 مرة بن ذهل ١٥١
 مروان بن الحكم ٥٩ و ٦٠
 مرية جارية مالك ه
 مزدك ٢٢٣
 مزيد الاسدى ١٢٨ و ١٢٩
 مساور بن هند ٦٨
 مسافع بن عبد العزى ١١٩
 مسحل بن اثانة ٣٦٨
 مسدد ١٨٦
 مسروق أخو سيف بن زى يزن ١٧١
 المسمودى ٤٠ و ١٨٤ و ٣١١
 مسعود بن مصاد ٧٠
 مسلم الخزاعى ٢٥٩
 مسلم ٢٥٣
 مسلم بن عمرو الباهلى ١٠٩ و ١١٠
 مسيلمة الكذاب ٦٢
 المفضل الضبي ١٧ و ٣٣
 المفضل الطبرسى ١٢٣
 معاذ بن جبل ٨ و ٢٠
 معاذ بن عمرو ٢٠٨
 معاذ بن صرم الخزاعى ١٥٨ و ١٥٩
 معاوية (رض) ٦ و ٤٠ و ١٢٤ و ١٣٤ و ١٧٢ و ١٨٧
 و ١٨٨
 معاوية بن الجون ٧٠ و ٧١
 معاوية بن شرحبيل ٧١
 معبد بن زرارة ٧٠ و ٧٤
 المتصم ٢١٥
 معقل بن عروة ١٠٦ و ١٠٧
 معمر بن المثنى ٣١٣
 معن بن زائدة ١٥٤
 معيط جد الوليد ٥٣
 مغلس النقمسى ٣١٢
 المغيرة بن عبد الله ٥٢
 المغيرة بن المهلب ٣٠٩ و ٣١٠
 المغيرة بن شعبة ٢٠٣ و ٢٤٤ و ٢٤٨
 المكاء الشيبانى ٢٩٩
 مكنف بن زيد الخيل ١٢٧

١٥٥ و ١٥٤ و ١٥٣ و ١٥٢ مرة بن مرة	٢٦٣ و ١٧٧ و ١٢٢ و ٧٤ و ٧١ و ١٧ و ١٧
الهمدانى ١٧٥	١٨١ و ٢٦٥ و ٢٦٤
هند بنت المغيرة ٥٢	النعمان بن جساس ٧٢
هند الهذول ١٧٤	النعمان بن عمرو ١٧٢
هند بنت عتيبة ١٤١	النعمان بن الحرث ١٧٥
هند أم عمرو ١٤٢	النعمان اللخمي ١٧٤
هود (عليه السلام) ١٦٩ و ٢٧٤	النعمان بن النعمان ١٧٥
الهيثم بن عدي ٢٤٨ و ٣١٥	النعمان (الأكبر) بن امرئ القيس ١٧٦ و ٢٦٢
هيش بن المقاس ٦٩	٢٦٣
و	النعمان بن سهل ٢٦١
واقدة المازنية ٥٣	نعمة بنت ثعلبة العدوية ٢٦٣
الواقدي ١٣١ و ٢٤٧ و ٢٤٨	نمرود ٦٧
وحشي مولد جبير ٦٢	نمير بن طامر ١١١
ورقة بن نوفل ٢٥٢ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣	نهشل بن جري ٣٠٣
وكيع بن حسان ٣٣٥	نوح (عليه السلام) ٢١٣ و ٢٥٧ و ٢٦٤
وكيع بن سلمة ٦٠ و ٣٦١	نوفل بن عبد مناف ٥٣
الوليد بن عبد الملك ١١٠ و ١١١	النووي ١٣١
الوليد بن يزيد ٣٣١	هايل ٢٣٣
وليعة بن مرثد ١٧١	هاشم بن عبد مناف ٥٣ و ٢٨٣ و ٢٨٤
وهب بن وبر ١١٨	هاشم بن منظور ٥٣
وهب بن عبد قصى ٢٨٣	الهالك بن عمرو ٦٢
ي	هاني بن قبيصة ٣٦٥
يحيى بن عدس ٧٤ و ٧٠	هبيرة بن عبد مناف ١١٤
يحيى بن يعمر ١٦٥	هاني بن مسعود ١٨٥
يحيى بن بشر ٢١٥	هدداد بن شرحبيل ١٧٠
يزيد بن الامور ٧٢	الهدلي ٢٥٥
يزيد بن الطثرية ٢٠٩	الهديل الثلجي ٦٨
يزيد بن جابر ٣٥١	الهديل بن عمران ١٤٣
يزيد بن مسهر ٣٦٨ و ٣٦٩	هرم بن سنان ٥٣ و ١٨٩
يعرب بن قحطان ١٦٩	هرم بن قطبة ١٨٩
يعلى بن ذى هزال ٢٧	هرون (عليه السلام) ١٥٠ و ٢٥٧
يعلى بن مهدي ٢٧٩	هرون الرشيد ٩٧ و ٩٨
يكسوم بن ابرمة ١٧١	هشام بن ربيعة ه
اليمامة ١٧١	هشام بن السكبي ٣٠١
يوسف (عليه السلام) ٢٥٧	هشام بن عبد الملك ٩٧
يوسف بن عمر ١٠٦	هشام بن محمد ٢٣٨
يونس بن عبيد ٣١٣	هلال بن افس ه
	هلال بن طامر ٧١
	هلال بن المحسن ٢٢٤

الفهرس الثالث

في أسماء البلدان والقبائل

بنو احس ٢٠٧
بنو اسد ٦٢ و٦٣ و٧٠ و٧١ و٧٣ و٢١١ و٢٨٨
بنو اسرائيل ٢٨٦
بنو اسيد ٧٢
بنو اشجع ٧٠
بنو الاضبط ١٥٢
بنو امرى القيس ٢٦٢
بنو ايد ٧٣ و١٧٧ و٢٦١
بنو ايوب ٢٦٢
بنو باهلة ٧١ و١٠٩ و١١٠
بنو بجيلة ٧١
بنو بدر ١٨٩
بنو بكر بن سعد ١٣٨
بنو بكر بن وائل ٧١ و٧٤ و٧٥ و١٤٥ و١٤٧ و١٤٨
١٤٩ و١٥٠ و١٥٣ و١٥٤ و١٥٥ و١٥٦ و١٥٧ و١٨٥
بنو تغلب ٧٣ و١١٤ و١٤٢ و١٤٣ و١٤٧ و١٤٨ و١٥٠
و١٥٣ و١٥٤ و٢٥٦
بنو تميم ٥٢ و٦٩ و٧١ و٧٢ و٧٤ و١٤٥ و١٧٧ و١٨٥
و١٨٩ و٢٣٩ و٢٧٧
بنو تيم الله ٧١ و١١١ و١٥٤ و٢٣٥
بنو تيم اللات ١٧٦
بنو ثعلبة بن بكر ٦٨
بنو ثعلبة بن سعد ٧٣ و٧٤
بنو ثعلبة بن عكابة ١٨٩
بنو ثعلب ٣٦٩
بنو ثقيف ٢٠٣ و٢٠٥
بنو جديلة طيبي ٢١١
بنو جذام ١٢٤ و٢٠٩
بنو جرم ١٣٢ و١٣٣
بنو جشم ١٣٤ و١٣٦ و١٥١
بنو جنب ١٥٧
بنو جهينة ٢٦١
بنو الحرث بن يشكر ٢٠٩
بنو الحرث بن كعب ١٣٣ و٢٤١
بنو الحرث ٢١٢ و٢٦٢
بنو الحسحاس ٣٢٢

الابلق الفرد ٩٣
الاحص ١٥٢
الاحرم ١٣٤ و١٣٦
الاخشبان ١٤٠ و١٦٢
الازد ١٧٣ و٢١١ و٣٥٤
الاسكندرية ١٨٤
اصبهان ٢١٤
الافرنج ٦٠ و١٧٥
افريقيه ١٧٠
المانيا ٣٠٠
امريكا ٣٠٠
الانبار ١٧٥ و١٨١ و٣٣٨
الاوز والخزرج ١٧٣ و٢٠٢ و٢٠٥

ب

البحر المحيط ٢٧٩
البحرين ٦٤ و٧٣
بخارى ٢٣٤
بدر ١٩٨ و٢٥٦
البربر ٦١
البصرة ٦٧ و١١٠ و٢٧٠
بصرى (الشام) ٢٧٤
بصرى (بغداد) ٢٧٤
بعلبك ١٧٢
بغداد ٢٢٤ و٢٧٤ و٣٤١
بقة ١٨١ و١٨٣ و٣٣٨
بلاد ٦٥
بلاد محارث ٦٥
بلاد مك ١٧٣
بلاد غطفان ٢٩٨
بلاد قيس ٣٦٨
بلجيك ٣٠٠
بلخج ٢٠١
البلقاء ٦٣ و٢٠١ و٢٤٨ و٢٥٢

- بنو حنظلة ٦٩ و٧٣ و٧٤ و٧٥ و١٨٩
بنو حنظلة بن مالك ٧٠ و٧١ و٢٩٠
بنو خثعم ٣٥ و١١٣ و١٣١ و٢٥٨
بنو خزاعة ١٥٨ و٧٣ و٢٠٢ و٢٠٧ و٢٣٩ و٢٨٩
بنو خولان ٢١١
بنو دارم ٧٤ و١٨٩
بنو ذبيان ٧٠ و٧١
بنو ذهل ١٥٤
بنو الرباب ٧٠ و٧١ و٧٢ و٧٥ و١٨٩
بنو ربيعة ٤٧ و١٥٠ و١٨٥ و٢٤٠
بنو رياح ٦٨
بنو زبيد ١٣٣ و١٩٠ و٢٩٠
بنو زرارة ١٨٩
بنو سعد بن زيد مناة ٧٠ و٧١ و٧٢
بنو سعد بن ياسر ٧١
بنو سعد ٧٢ و٧٥ و١٤٤ و١٨٩
بنو السعلاة ٣٤١
بنو سلمان ١٤٥ و١٤٦
بنو سلمة ٢٠٨
بنو سلول ١٣٠
بنو سليم ٢٢ و٧١ و٦٠ و١١٨ و١٣٧ و١٨٩ و٢٠٤
بنو سعد بن مالك ٣٦٩
بنو سيار بن اسعد ٣٦٩
بنو سعد بن قيس ٣٦٩
بنو شيبان ١٤٥
بنو شيبان ٦٩ و٧١ و١٥١ و١٥٢ و١٥٣ و١٥٦ و١٨٥
بنو صباح ٧٤ و٢٠٤ و٢٦٥ و٢٩٩
بنو صمد ١١٣
بنو ضبة ٧٣ و٧٤ و١٨٩
بنو ضرار ١٨٩
بنو طيب ٢٧ و٢٠٣ و٢١١ و٢٤٠
بنو عامر بن ربيعة ٦٢
بنو عامر ٦٩ و٧٤ و٧٧ و١١٣ و١٣٩ و١٣٠ و١٣١ و٢١٤
بنو عامر بن صعصعة ٧٠ و٧١ و٧٤ و٢٨٩ و٢٩٠
بنو عامر بن مالك ٧٣
بنو طائفة ١٨٥
بنو عبد الله بن غطفان ١٣٨
بنو عبد القيس ٧٣
بنو عبد مناة ١١٥
بنو عبد الله بن دارم ١٨٩
بنو عبد الدار ٢٨٥
بنو عابس بن رقاعة ٧١
بنو عابس ٧٠ و٧٣ و٧٤ و٢٦٤ و١٦٥ و٢٩٠ و٣١٤
بنو عدي بن عبد مناة ١٨٩
بنو عذرة ٢١٤ و٣٠٥
بنو عكل ٧١ و١١١
بنو عمرو بن مرثد ٦٦
بنو عمرو بن تميم ٦٩ و٧٢ و٧٤ و٧٥ و١٨٩
بنو عمرو بن يربوع ٣٤١
بنو العنبر ٦٩ و٢٣٧
بنو العوام ٧٠ و٧١
بنو عوذ ١٣٨
بنو غامد ٣٤
بنو غطفان ٧٠ و١٣٦ و١٣٧ و١٣٨ و١٣٩ و١٨٩ و٢٠٩
بنو غني ٧١ و٧٤
بنو فراس ٢٥ و١٣٧
بنو فزارة ٧٠ و٧٣ و١٨٩
بنو فهم ١٤٥
بنو قاييل ٢١٢
بنو قحطان ٨١
بنو قريع ١٤٩
بنو قشير ٦٩ و٧١
بنو قضاة ١٣٣ و١٧٢ و٢٠٩ و٢١١ و٢٤١ و٣٥٤
بنو قيس ٧٣ و١٨٩ و٣٦٩
بنو قيس بن ثعلبة ٥٢ و١٤٩ و١٥٤ و١٧٦
بنو كلاب ١١١ و١٦٥
بنو كلب ٧٠ و٧١ و٧٢ و١٤٣
بنو كنانة ٣٤ و١٣٦ و٢٤١ و٢٨٩ و٣٨٥
بنو كندة ٧٠ و٧١ و٧٢ و١٩٠ و٢٤١
بنو كهف ٣٦٨ و٣٦٩
بنو كلان ١٢٤
بنو لجيم ١٥٣
بنو لحيان ٢٠١
بنو لخم ٢٠٩ و٢٣٩
بنو مازن بن صعصعة ٥٣
بنو مالك بن كنانة ٣٤
بنو مالك بن حنظلة ١١٤
بنو مخروم ٧٨ و١٣٨
بنو مذحج ٧٢ و١٣١ و١٥٠ و١٥٦ و٢٠١
بنو مرة ٧٣ و١٥٣
بنو مرة بن هوف ١١٨

جدة ٢٠٨ و ٢١٣
الجريب ١٥٢
الجزيرة ١٤٢ و ٢٥١
جو ٢٣٨
الجواء ١٩٣
جوخى ١٠٦

ح

الحبشه ٧١ و ١٧٢ و ١٨٤ و ٢١٢ و ٢٦٦
الحجاز ٢٥٦ و ٢٥٥
حراء ٢٤٧ و ٢٥١
حران ٢٢٤
خزورة مكة ٢٦٠
خضرموت ١٨٤ و ٣٦٧
حنية ١٧٥
حص ١١١ و ١٧٢
حمير ٢٦ و ٢٤ و ١٧١ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٤٠ و ٢٦٠ و ٢٨٣
حنين ٢٣٦
حوران ٢٧٤ و ٢٩٨
الحيرة ١٤٢ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٨٦ و ١٨٣ و ٢٢٨
و ٢٢٩ و ٢٤١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٩٢ و ٣٣٨

س

سائقين ٢٦٥
خراسان ١٠٦ و ١٠٧ و ١٩٤ و ٣١٠
الخط ١٣٥ و ١٤٤
الخوارج ٦٠
الخورتق ١٧٦
خير ٦٢ و ٢٤١
خيوان ٢٠١

د

دارة شيت ١٥٢
دفاق ١٤٠
الدهرية ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٣١
دومة الجندل ٦٢ و ٢١٣
دير سمد ٢٩٨
دير الجاجم ٢٩٨
الديصانية ٢٣٠

بنو مروان ٣٦٩
بنو مرة بن ذهل ١٨٥
بنو مزينة ٢١٠
بنو مضر ١٢٥ و ١٣٨ و ٢٠١
بنو معرض ٦٣
بنو مليح ٢٠٧
بنو منهب ٢٠٩
بنو النجار ٢٦٦
بنو نزار ١٩٠
بنو نقيب ١١٨
بنو نعيم ١١١
بنو نهد ١٣٢ و ١٣٣
بنو نهدل ٧٣ و ١٦٠ و ٣٠٢
بنو هاشم ٢٩٢ و ٢٩٣
بنو هذيل ٢٠٢
بنو هلال بن عامر ١٠٥
بنو همام ٣٦٨
بنو همدان ٧٢
بنو هوازن ٧٠ و ٧٣ و ١٨٩
بنو وائل ١٤٧
بنو يربوع ٦٩ و ٧٢ و ٧٣ و ١١٤ و ١١٥ و ١٨٩
بنو يشكر ١٥٦
بيت المقدس ٢٣٧

ت

الترك ٦١
التسرير ١١١
تهامة ٣٨ و ١٥٠ و ١٥١
تيماء ٩٣

ث

الثوية ٢٢٩

ج

جبل احد ٢٤٠
جبل ابي قبيس ١٤٠ و ١٦٢ و ٢٥٩
جبل فنا ٢٧٠
جبل ثبل ٣٥٦
جبل الاحمر ١٤٠ و ١٦٢
جبل القنان ٢٨٨
جبله ١١١ و ٢٩٠

ص	ذ
الصباينة ٢٢٢ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٨ و ٢٣١	ذات عرق ٢٠٣ و ٢٠٤
صرخد ٢٩٨	ذو حسم ١٥٤
الصفا ٢٥١ و ٢٨٨	ذو طلوح ٣٦٦
صنين ١١ و ٢٤ و ١٣٤	ذوقاره ٢٦٥
صنعاء ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢١٢ و ٢١٥ و ٢٣٧	ذى المروة ٦٢
الصين ١٧٥	
ض	ر
ضجوع ١٢٣	ربيعة ١٧١ و ١٧٦ و ١٨٩ و ٢٠٢ و ٢٤١
	الرحبة ٦٢
	رماط ٢٠١
	روسية ٣٠٠
	الروم ٥٧ و ٥٩ و ٦٢ و ٦٣ و ٢٩ و ١٧٣ و ١٨٤ و ١٩٢
	و ٢٤١
	الريان ١٢٢
	الريف ٦٣
	رثام ٢٠٢
ط	ز
الطائف ٦٧ و ٢٠٣ و ٢٣٦ و ٢٥٦	زرد ١١٤
طبرية ١٩٢	زغر ٦٥
الطور ٢٨٦	زمزم ٢٠٦ و ٢٨٣
طوس ٢٣٤	الزنادقة ٢٢٨ و ٢٢٩
ع	س
العباد ٢٤١	السائب ١٥٢
العيلات ٢٠٧	ساباط ٣٦٥
العراق ٠٧ و ٢٢ و ١٣٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٨١	سجستان ٣٣٤
و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٣٣٨ و ٣٦٩	سلوق ٦٦
عرفة ١٦٢ و ٢٨٩	السند ٢١٥
عكاظ ١٦٢ و ١٦٣ و ١٨٥ و ١٨٦ و ٢٤٥ و ٣٦٢	
عكبراء ٣٧٤	
العقبة ١٦٢ و ٢٠٨	
عقرباء ٦٢	
العقنقل ٢٥٥ و ٢٥٦	
عمان ١٧٣	
عنيزة ٢٧٠	
عين التمر ١٧٥ و ١٨١ و ٣٣٨	
عين محلم ٣٦٩	
غ	ش
غدير الذنائب ١٥٢	الشام ٦٣ و ٦٥ و ٧٣ و ١٠٦ و ١١١ و ١٢٤ و ١٣٣ و ١٧٢
الغريف ١١١	و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٩ و ١٨٤ و ١٩٢ و ٢٠١ و ٢٠٩ و ٢٤٠
الغريفة ١١١	و ٢٤٨ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٧٠ و ٢٧٤ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٩٨
غسان ١٧٢ و ١٧٤ و ١٩٣ و ٢٠٢ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٣٥٤	و ٣٣٧ و ٣٤١ و ٣٤٨ و ٣٥٤ و ٣٥٥
القمير ١٧٥ و ٢٠٤	الشامات ٣٦٦
	شبيث ١٥٢
	شبيب جبلة ٢٣٦

المدينة المنورة ١٣٢ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٨٨ و ٢٠٢ و ٢٠٤
 و ٢٠٧ و ٢٣٧ و ٢٤٨ و ٢٦٦
 مريده ٢٧٠
 مرج راهط ١٢٤
 المروة ٢٨٨
 مرو الشامان ٣١٠
 مرو الروذ ٣١٠
 المزدكية ٢٢٩
 المزدلنة ١٦٢
 المشاش ٢٠٤
 مشارف ٦٢ و ٦٣ و ٢٤٧
 المشقر ٢٤٠
 المشلل ٢٠٢
 مصر ١٨٤

مكة المكرمة ١٤٠ و ١٦٢ و ١٧١ و ١٧٣ و ١٨٨ و ٢٠٠
 و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢١٢
 و ٢٢٤ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٤٧ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٨
 و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦٦ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٩
 و ٢٩٣ و ٣٦٤
 الملتان ٢١٥
 مندل ١٦١
 منى ١٤٠ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٦٢
 مؤتة ٦٢ و ٦٣
 الموصل ٢٥١
 ميفة ٢٥٢

ن

النباج ٦٢ و ٦٩
 نجد ١٠٥ و ١٩٣ و ٢٢٨
 نخلة الشامية ٢٠٣ و ٢٠٤
 نجران ٢١٢ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٣٦٦
 النصارى ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٨ و ٥٢
 و ٢٦٦ و ٢٧٢ و ٢٧٣
 النقيعة ١٣٨
 نهاوند ١٣٢

هـ

هجر ٢٤٠ و ٣٦٩
 همدان ٢٠١
 الهند ٦٣ و ١٦١ و ١٧٥ و ١٨٤ و ٢١٥ و ٢٣٤ و ٣٠٢
 الهوى ٣١٤
 هيت ١٧٥ و ١٨١ و ٣٣٨

ف

فارس ٥٧ و ٥٩ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٨٤ و ١٩٢ و ١٩٣ و ٢٢٩
 و ٢٣٣ و ٢٦٣ و ٢٦٤
 الفرات ١٤٢ و ١٨١
 الفرض ٦٣
 فرغانة ٢١٥
 فرنسا ٣٠٠
 الفلس ٢٠٣
 فلسطين ٢٨٤

ق

القادسية ٥٩ و ١٢٢
 قرقرى ٦٢
 قريش ٥٢ و ٥٣ و ٧٧ و ١٣٠ و ١٨٨ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥
 و ٢٠٦ و ٢٢٥ و ٢٢٨ و ٢٣٦ و ٢٣٩ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٥٥
 و ٢٥٩ و ٢٦٦ و ٢٦٩ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤
 و ٢٨٥ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٢
 قصر غمدان ٣٦٦
 القطقطانة ١٧٥ و ١٨١
 القليب ١٩٨
 قنسرين ١٢٤
 القوط ٥٩

ك

الكعبة ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧
 و ٢١٢ و ٢٢٤ و ٢٤١ و ٢٤٧ و ٢٤٩ و ٢٥١ و ٢٧٧ و ٢٨٣
 و ٢٨٥ و ٢٨٨ و ٢٩١
 الكوفة ١٢٥ و ١٤٠ و ١٧٥ و ٢٤٨ و ٢٩٨ و ٣٦٩

ل

لحم ١٧٧
 لندن ١٨٧
 اللوى ٧٠

م

مأرب ١٧٣
 المانوية ٢٢٩
 المجوس ٢١٥ و ٢٢٤ و ٢٣٣ و ٢٣٥ و ٢٤٠ و ٢٣٩
 المحصب ٣٦٤
 المدائن ٢٦٣

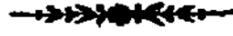
الجماعة ٦٢ و٦٥ و١٧٧ و٣٦٢ و٣٣٨
اليمين ١٩ و٣٦ و٣٥ و٦٣ و٦٦ و٦٩ و٢٩ و١٥٠ و١٥٦
و١٥٨ و١٦٦ و١٦٩ و١٧٠ و١٧١ و١٧٢ و١٧٤ و١٨٤
و١٩٠ و٢٠١ و٢٠٢ و٢٢٢ و٢٣٧ و٢٤١ و٢٤٣ و٢٦٥
و٢٨٣ و٢٩٠ و٢٩٢ و٢٩٣ و٣٦٤ و٣٦٧
٢٠١ ينبع
اليهود ١٧١ و٢٠٢ و٢٢٣ و٢٢٤ و٢٤٠ و٢٤١ و٢٤٨
و٢٥٢ و٢٦٨

و

يوادي حراض ٢٠٤
يوادي القرى ٢١٣
الولايات المتحدة ٣٠٠

ي

اليرموك ١٣٣
يثرب ٦٥ و١٧٣ و٢٤٠ و٢٤١ و٢٦٩



تمت الفهارس الثلاثة

بلاغتنا العرب

في القرن العشرين

شذرات وأشعار مختارة من أقلام رسل البلاغة في أمريكا

كجبران خليل جبران ، وامين الريحاني ،
ومخائيل نعيمة ، وإيليا أبو ماضي ، والياس
فرحات ، ونسيب عريضة ، وامين مشرق ،
ووايم كاتسبليس ، ورشيد الخوري ، ورشيد
أيوب ، ونعمه الحاج ، وسليمة متراج ،
وراغب متراج

الطبعة الثانية

منقحة ومكبرة ومزدانة بصور الأدياء المشار اليهم

١٠ ثمنه عشرة قروش صاغ ١٠

نشرته ادارة - المكتبة الأهلية - بشارع عبد العزيز بمصر

وهو يطلب منها

غبار الأندلس وخصاوصها

تقل إلى الأئمة الهندية بإشارة ندوة العلماء الهندية
وترجم أيضاً بأمر من حكومة جهو بال الإسلامية

فيه ذكر ما آثره العرب في تلك القاصية من حضارة ،
وآثاره من مجد خالد على جبين الدهر ، والسبب الذي
به ارتقت الأندلس حتى صعدت أرقى حكمة في عهد
شبابها ، والأعراض التي عرضت لها ، فحوت نزال
سلطانها ، وتداعى عمراتها ، وابتدع سكانها
وهو يقع في ١٩٠٠ صفحة بالقطع المتوسط ، وفي
أوله خريطة الأندلس على عهد العرب

تأليفه خمسة قروش صاغ ٥

كتاب تاريخ الأندلس

يقع في جزئين — عدد صفحاتهما • ٦٤٠ صفحة

كتاب اجتماعي تاريخي اقتصادي أدبي

فيه كلاء على مدنية : فرنسا ، وإنجلترا ، وإثانيا
وإيطاليا ، وإسبانيا ، وسويسرا ، والبلجيك ، ومولندا
والعسا ، وأجر ، والبلقان ، واليونان ، والاسكندرية
ومصر ، والعام ، ومغالات في علائق الشرق
بالغرب ، والذين يبالون برق ، منذ الزمن الأطول ، ولا سيما
صلات المغرب مع العالم الإسلامي ، والمربى منه
خاصة ، في جنوبي إيطاليا ، وفرنسا ، والأندلس

تأليفه ثمانية قروش صاغ ٢٥

 Bibliotheca Alexandrina



0700790